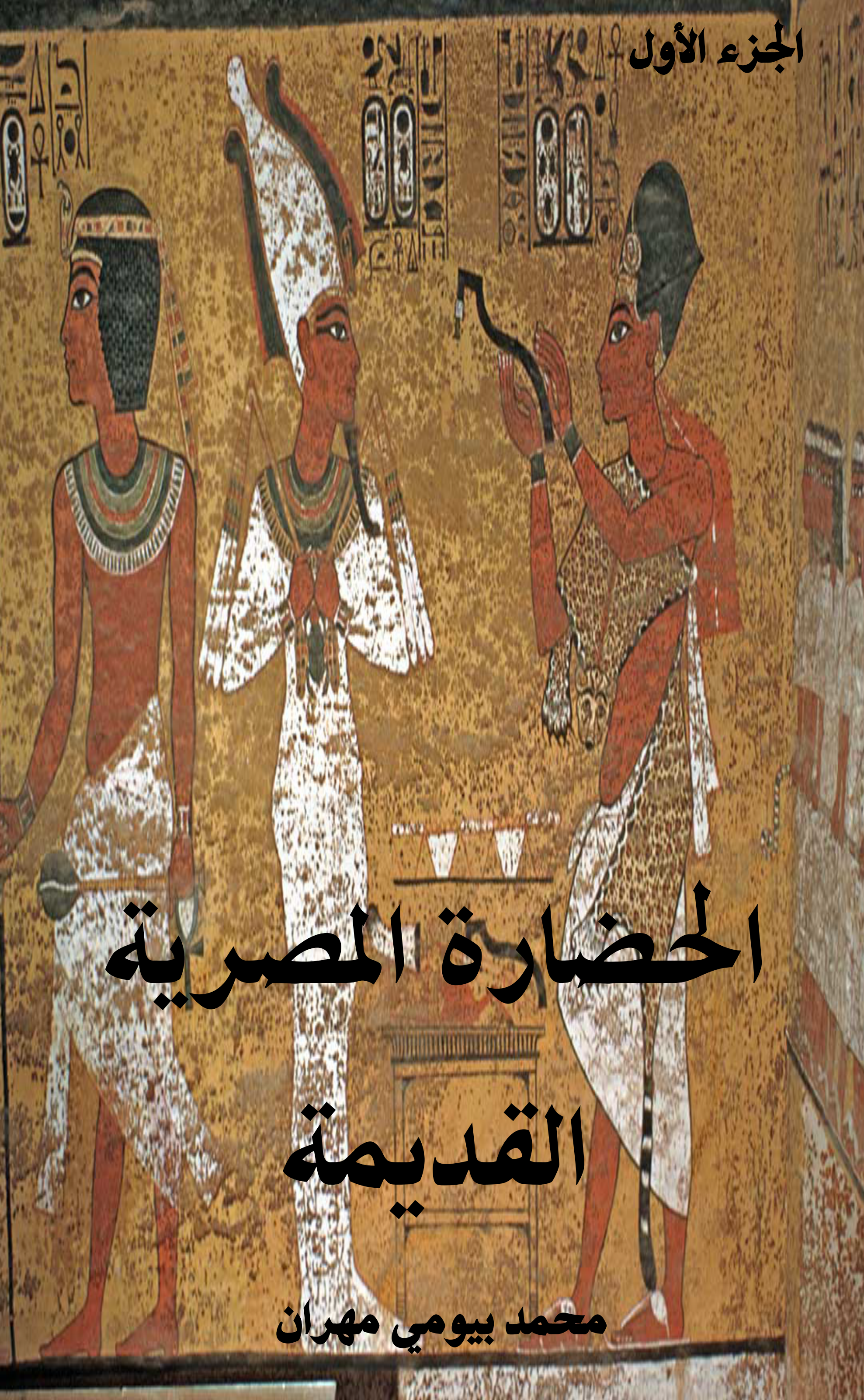

الجزء الأول
الحضارة المصرية
القديمة
محمد بيومي مهران

مصر والشرق الأدنى القديم

(٤)

الحضارة المصرية القديمة

الجزء الأول

الآداب والعلوم

الأستاذ الدكتور

محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الادنى القديم

ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية

كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير ـ الأزاريطة

الاسكندرية



والحمد لله رب العالمين

والصلا والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

مولانا وسيدنا محمـــد وآله الكرام

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمـد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم، فى العالمين انك حميد مجيد»

إهداء

الى الذين هم أعز على من نفسى

الى أبنائى أحمد ضياء الدين وابراهيم والحسين

والى ابنتى أمـــــال وأمـــــل

تقديم

قدمنا فى الاجزاء الثلاثة الاولى من هذه السلسلة « مصر والشرق الادنى القديم » دراسة شبه مفصلة عن تاريخ مصر السياسى فى العصور الفرعونية ، ومن ثم فقد كان لابد ، وأن نقدم بعد ذلك ، دراسة لأهم مظاهر الحضارة المصرية القديمة ، وما أسهم به المصريون — وهو جد كبير — فى مختلف مناحى الحضارة فى الشرق الادنى القديم ، حتى تكون دراستنا عن التاريخ المصرى القديم متكاملة ، وليس لبيان فضل الحضارة المصرية القديمة على غيرها من الحضارات ، فذلك أمر لا يستطيع أن ينكره جاحد ، أو يرفض الاعتراف به منصف ، كما أن «أستاذية» مصر فى كثير من مناحى الحياة حقيقة ، لا يرفضها حتى الكارهون ، أو يمارى فيها الناقمون ، مهما شاعت لهم كراهيتهم ، والى أى مدى بلغت نقمتهم على كنانة الله فى الارض •

وتقع هذه الدراسة الحضارية فى جـزأين ، الواحد : عن الآداب والعلوم ، وهو موضوع هذا الجزء الرابع من سلسلة «مصر والشرق الادنى القديم» ، والثانى : وقد صدرت طبعته الاولى فى عام ١٩٨٤م ، ويتحـدث عن الحياة الاجتمـاعية ، والتنظيمات السياسية والادارية

والعسكرية والقضائية ، فضلا عن دراسة شبه مفصلة للديانة المصرية القديمة ، ويمثل الجزء الخامس من هذه السلسلة[1] .

والله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

«وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب» ،،،

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية
بكلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية

بولكلى فى { الثامن من المحرم عام ١٤٠٩ هـ
٢٠ اغسطس من عام ١٩٨٨ م }

---

(١) قدم الباحث أربع دراسات أخرى عن تاريخ وحضارة مصر القديمة (انظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية الاسكندرية ١٩٦٦ ، مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ــ الاسكندرية ١٩٦٩ م ، حركات التحرير فى مصر القديمة ــ القاهرة ١٩٧٦م، اخناتون : عصره ودعوته ــ القاهرة ١٩٧٩م) .

الكتـــاب الاول

الادب المصرى القـــديم

كان المصريون القدامى يقدرون الأدب حق قدره ، ويعجبون بالكلام الجيد والقول البليغ ، وكانوا يرون فى اجادة التعبير ، والتصرف فى فنون الأدب ، فضلا يمتاز به المرء ، ومثلا ينبغى أن يتخلق به الكريم ، كما كانوا يرون فيه ثروة تعين على المنزلة الرفيعة ، والدرجة السامية ، وهكذا أدرك القوم ما يكون للكلمة من القوة والأثر ، وما تتيحه البلاغة والفصاحة من التسلط على الناس ، وحسن سياستهم والسيطرة عليهم ، ومكان ذلك من مقومات القيادة القوية والزعامة النافذة ، ولنا فى ذلك شاهد من قول الملك الاهناسي لولده « مرى كارع » وهو يعظه :

« كن مفتنا فى الكلام ، قديرا فيه ، مالكا لناصيته ، حتى يعلو شأنك وينبه ذكرك ، فقوة المرء فى لسانه ، والكلام أقوى من الحرب والقتال ، ان الرجل الفطن لايهاجمه أهل العلم ، وهو بفطنته وحسن بصيرته ، يستطيع أن يتجنب المصاعب ، فلا يصيبه الضر ، ولا يلحق به الأذى ، والصدق يأتى اليه طائعا مختارا مصفى ، حسب ما جاء فى كلام الأجداد الغابرين ، انسج على منوال آبائك الذين سبقوك ، أنظر : ان كلماتهم لا تزال خالدة تنبض بالحياة فيما خلفوه من كتب ، افتح الكتاب واقرأ ما فيه ، واستفد بعلم أسلافك ، واتبع تعاليمهم ، تصبح عالما حكيما مثلهم »(١) .

وهكذا كان الأدب يقرأ ويدرس للشباب فى المدارس ، وكان الطلاب ينسخونه لتقويم ألسنتهم ، وتعليمهم الفصاحة والبلاغة ، وان كثرة ماحفظ من منسوخاتهم منه فى عهود مختلفة ، ليدل على ما كان له من شهرة ، ويشير الى مدى تعلق القوم به .

---

(١) انظر :
J.A. Wilson, The Inscription for King Meri-Ka-Re, in ANET, 1966, p.415.
وكذا : R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, p. 181-182.
وكذا : M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 99-100.

هذا وقد بدأ العالم المعاصر يهتم بالأدب المصرى القديم منذ أن نشر العالم الألمانى « أدولف ارمان » فى عام ١٩٢٤ ، مقاله الشهير عن بردية الحكيم المصرى « امنمؤوبى » ، وأنها الأساس الذى اعتمدت عليه حكم سليمان النبى ، كما جاءت فى سفر الأمثال من توراة اليهود المتداولة اليوم ـ الأمر الذى سوف نناقشه فى مكانه من هذه الدراسة بالتفصيل ـ ومن ثم فقد بدأ شوق الناس يزداد الى معرفة كنه هذا الأدب ، ومقارنته بالآداب الأخرى ، ولم يكن بين أيدى الناس حتى ذلك الوقت ، الا بعض مقالات وأبحاث متفرقه فى المجلات العلميه ، او كفصول فى بعض كتب التاريخ ، هذا فضلا عن كتاب « ارمان » عن أدب المصريين القدامى الذى صدر عام ١٩٢٣ باللغة الألمانية(٢) ، ويحوى ترجمات كاملة لأهم القصص المصرية ، وكتب الحكمة والأناشيد والأغانى وغيرها ، مما كان معروفا وسبقت ترجمته .

وسرعان ما قام علماء الدراسات المصرية بواجبهم ، فنشر « هرمان جرابو » فى عام ١٩٢٤(٣) ، كتابا يحلل فيه النصوص المصرية ، ويوضح فيه ما بلغته اللغة المصرية القديمة فى مختلف ميادين المجاز والتشبيه والبيان ، البديع والمعانى ، ومقارنتها بغيرها ، وفى عام ١٩٢٧ ظهر كتاب « ماكس بير »(٤) عن الأدب المصرى القديم ، وقد أجاد فيه صاحبه كل الاجادة ، وفى نفس العام ظهرت الترجمة الانجليزية لكتاب « ارمان »(٥) عن أدب المصريين القدامى(٦) ، ثم توالت بعد ذلك المؤلفات فى الأدب المصرى

---

(٢) A. Erman, Die Literature der Aegypter, Leipzig, 1923.

(٣) H. Grapau, Die bildlicher Ausdrucke des Aegyptischen, Von Dunken und Dichten einer altorientalischen Spruche, Leipzig, 1924.

(٤) Max Peiper, Die Aegyptische Literature, Leipzig, 1927.

(٥) A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, Translation into English, by A. M. Blackman, London, 1927, Reprint, New York, 1966, under title, The Ancient Egyptians.

(٦) احمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى ـ الأدب المصرى ـ القاهرة ١٩٦٢ ص ٣٧١ .

القديم ، نشرا وترجمة وتعليقا ، بلغات مختلفة(٧) .

وهكذا بدأ علماء الساميات — من أمثال جرسمان(٨) وأوسترلى(٩) وهومبير(١٠) ويهودا(١١) — فى دراسة الأدب المصرى القديم ، وسرعان ما أثبتت نتائج دراساتهم ، مدى ما وصلته لغة المصريين القدامى فى مختلف ميادين المجاز والتشبيه والبيان والبديع ، ومقارنتها بغيرها ، فضلا عن أثرها الواضح فى التوراة ، حتى أصبحنا الآن على قدر من المعرفة ، ربما يمكننا أن نقدم به صورة شبه متكاملة عن الأدب المصرى القديم .

ومع ذلك فليس هناك من ريب فى أن المعروف حتى الآن من أدب القوم ، ما يزال فى نظر العلماء أقل من حيث الكم ، وربما من حيث الكيف كذلك ، مما ينتظر من الفراعين ذوى الامكانات الواسعة فى عالمى الفكر والمادة ، مما يدفع الى الاعتقاد ، بأن ما وقعت عليه أيدينا حتى اليوم لا يمثل غير جزء من ثروة المصريين الأدبية والعلمية ، فما أكثر الذى ضاع ، وما أكثر ما تزال تضم أرض مصر الطيبة من كنوز هذا التراث القومى ،

---

(٧) انظر مثلا :
Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, Volume, I, The Old and Middle Kingdoms, Volume, II, The New Kingdom, London, 1976.
وكذا : R. O. Faulkner, E. F. Wente and W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, Yale University Press, 1977.
وكذا : J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 3-36, 365-381, 405-421, 441-449, 467-71.
وكذا : G. Posener, Litteratur et politique dans L'Egypte de la XIIe dynastie, Paris 1956.
(٨) Hugo Gressman and Others, The Psalmists, Oxford, 1926.
(٩) W. O. E. Oesterley, The Wisdom of Egypt, Egypt and The Old Testament London, 1927.
(١٠) Paul Humbert, Recherches sur les Sources egyptiennes de la Litterature Sapientale d'Israel, Neuchatel, 1929.
(١١) A. S. Yahuda, Die Sprache des Pentateuch in ihren Beziehungen Zun Aegyptischen, Erstes Buch, 1929.
وكذا : JEA, XVI, p. 157-160.

على أن هذا القدر المعروف — رغم قلته الراهنة — انما يدل بوضوح على أن أدب المصريين القدامى ، انما قد اتصف بما اتصفت به الآداب العالمية الثرية من أصول وتنويع ، وذلك من حيث تقسيمه الشكلى الى نثر وشعر ومن حيث تفريعاته الموضوعية(١٢) .

ثم هو يمثل أكثر اتجاهات القوم فى الحياة أصدق تمثيل ، كما يؤكد لنا أن المصريين القدامى ، ان لم يكونوا قد وضعوا الأساس الأول من بناء الفكر الانسانى الرفيع ، فانهم قد كانوا من أئمة الناس فى ذلك(١٣) .

وعلى أية حال ، فلقد عالج القوم فى آدابهم نواحى مختلفة من الأدب فكتبوا فى المواعظ وآداب السلوك وما ينبغى التخلق به فى الظروف المختلفة ، وضمنوها الأمثال والحكم الخالدة على مر الأيام ، وكر السنين، وأنشأوا المقالات فى الاصلاح السياسى لعلاج ما تفشى — فى فترة ما — من مساوىء ، وما حل بالمجتمع من نكبات، وصنفوا الرسائل فى المناسبات والأغراض المختلفة، فى التهانى والتواصى والتمنيات والتراجى، والتفاضل والمفاخرة وغير ذلك من مطالب الحياة ومقاصدها ، وحاكوا القصص القصيرة المختلفة، حتى ليعتقد أن مصر هى موطن القصة القصيرة، وصاغوا الأناشيد ، وألفوا الأغانى ، بل وألفوا التمثيليات الدينية يمثلونها فى أعيادهم لآلهتهم وملوكهم ، الأمر الذى يدل على أن كثيرا من النصوص الأدبية المصرية لم تقتصر أهميتها على كونها تراثا أدبيا فحسب ، بل انها انما تقدم لنا بعدا انسانيا للحضارة المصرية القديمة التى لا يعرف عنها الشخص العادى ، سوى المقابر والتوابيت والتماثيل ، بل ان كثيرا من الناس كانوا يعتقدون — الى عهد قريب — أن حضارة مصر الفرعونية ليست الا حضارة مادية فى الدرجة اولى ، وأن هذه الشوامخ الراسيات

---

(١٢) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم — الجزء الأول — مصر والعراق — القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٢٥ .

(١٣) احمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر — الجزء الأول — العصر الفرعونى — القاهرة ١٩٧٤ ص ٧٠ .

على أرض الكنانة ، من الأهرامات والمعابد والمسلات وغيرها من الآثار المصرية ، ليست الا رمزا للاستعباد والسخرة(١٤) .

غير أن هذه الصورة التي تتمثلها ، ونحن نقرأ النصوص الأدبية المصرية انما تكذب ذلك كله ، كما تكذب أيضا ما يقال من أن المصرى القديم لم يكن يفكر الا في الموت ، حيث تثبت لنا أنه كان يحب الحياة ، كما تدل على ذلك قصائد المحبين التي تشير الى تمتع مرهف ، سواء أكان ذلك في المرأة أم في الطبيعة ، كما يتردد فيها أصداء النشوة والهناء والمرح ، ذلك لأن كثيرا منها انما يتحدث عن رحلات الصيد والقنص في أحراش الدلتا وأطراف الصحراء ، وعن الرقص والموسيقى والغناء .

هذا وقد عرف المصرى القديم أيضا الأدب الروحانى ، وسما فيه الى قمم عالية ، وفي أشعار اخناتون أبلغ دليل على ذلك ، كما عرف المصرى القديم كذلك شعرا تغلب عليه النزعة الفلسفية ، وبحث بصورة رمزية في رحلة الانسان بين الميلاد والممات(١٥) .

وهكذا تعددت ميادين الأدب المصرى وتنوعت مراميه ، فهناك الأدب الدينى ، وهو أغنى فروع الأدب مادة وأوفرها ثروة ، لأنه يتناول نواحى متعددة وموضوعات شتى ، فمنها موضوعات تتناول الحياة الأخرى وعقيدة الناس في البعث والحساب ، الى أخرى تحدثنا عن عقيدتهم في خلق الكون ، وما أنشأوا حول ذلك من صور وأخيلة ، ثم ما يدور حول معبوداتهم المختلفة من قصص وأساطير ، كما تضمن هذا النوع من الأدب عددا كبيرا من الصلوات والطقوس والأناشيد والشعائر الدينية ، ثم من الأوراد والأدعية والتعاويذ السحرية .

---

(١٤) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة ـ الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢ .
(١٥) منير مجلى : الجزيرة المسحورة ـ القاهرة ١٩٧٢ ص ١٢ .

ولعل من أروع الآداب الدينية وأقدمها « متون الأهرام »(١٦) ، وهى لون من التصورات والأخيلة والملاحم التى تعبر عن أفكار المصريين الأولى فى الدين والسياسة ، ومدى صلتها بفرعون ، كما تصور آمالهم فى الدنيا والآخرة ، سجلت كلها على جدران بعض الأهرام منذ أواخر الأسرة الخامسة ، واستمر تسجيلها فى الأسرة السادسة ، وكان الغرض من تسجيلها أن تكون عونا لفرعون المتوفى على بلوغ أسباب السماوات ، وعزاء له عما يلقى فى سبيله الى الجنة من عقبات ، ثم براءة يلقى بها ربه

---

(١٦) يذهب الدكتور احمد فخرى الى اننا لا يمكننا ان نعتبر متون الأهرام من المواضيع التى تدخل فى باب الأدب ، وان كانت من الناحيتين الدينية واللغوية ذات اهمية بالغة ، وتساعدنا فى فهم كثير من النقاط الغامضة عن حضارة المصريين القدامى بوجه عام ، وديانتهم بوجه خاص . (احمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية ٣٧٤/١) .

وعلى اية حال ، فلقد كان « جاستون ماسبيرو » اول من اكتشف متون الاهرام فى عام ١٨٨٠ م ، داخل هرم « وناس » (ونيس) ، ثم عثر بعد ذلك على كثير منها فى أهرام ملوك الأسرة السادسة ، بل فى أهرام بعض ملكاتها ، وهى مجموعة من التعاويذ السحرية والطقوس الجنازية ، واجزاء من بعض الاساطير المصرية القديمة ، يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل الأسرة الأولى ، بل فيها اشارات الى الحرب التى قامت فى مصر فى أوائل أيامها على أنها حرب بين الالهة التى عبدت فى تلك الايام وعلى كل فهى تختلف من هرم الى آخر ، بل ان الكهنة الذين أشرفوا على اختيارها لكل ملك ، كانوا يختارون البعض ، ويتركون البعض الآخر ، وقد قسمها « كورت زيتة » الى ٧١٤ فقرة ، وأما الهدف منها فكان ضمان سعادة الملك فى العالم الآخر حيث تفتح له أبواب السماوات التى حرمت على غيره من الناس ، فضلا عن تحويله الى نجم من النجوم التى لا تفنى ، والى اله الشمس ، أو على الاقل ، ليكون فى ركاب اله الشمس ، ومن أهم الدراسات عن نصوص متون الأهرام ، دراسات :

S. A. Mercer, The Pyramid Texts in Translation and Commentary, 4 Vols, New York, Toronto, 1952.

وكذا : K. Sethe, Die altagyptischen Pyramidentexte, 4 Vols, Leipzig, 1908-1922, Reprint Hildeseim, 1969.

وكذا : R. O. Faulkner, The Ancient Egyptian Texts, 2 Vols, Oxford, 1969.

فى عالم السماوات ، ذلك أدب خاص كان وقفا على الملوك ، أرادوا أن يظهروا به قيمتهم فى الدنيا والآخرة ، ولعلهم لجأوا الى تسجيله ، حينما كشف الغطاء عن عيون الشعب ، فأخذ يرى بعض ما كان خافيا عليه من قبل ، هنالك ارتفعت البراقع عن وجه الحياة فأخذ القادرون من أفـراد الشعب يقلدون الملوك •

ولما كانت أيام الدولة الوسطى وتطورت عقائد الناس بعض الشىء ، استعيض عن متون الأهرام بأخرى قد تشبهها فى أهدافها ، ولكنها تخالفها من حيث الاكتفاء بتدوينها على جدران التوابيت فحسب ، وسماها العلماء « متون التوابيت »(١٧) ، ثم أخذت العقائد سبيلها فى التطور ، حتى اذا ما كانت أيام الدولة الحديثة استعاض الناس عن «متون التوابيت» بأخرى تختلف عنها فى أسلوبها وترتيبها ، وفى أنها كانت تكتب على قراطيس البردى ، وفى أنها كانت آخر الأمر أكثر شعبية ، واصطلح العلماء على تسميتها « كتاب الموتى » ، وهى لا تخرج عن كونها رقى وأدعية وأحرازا يرجى أن تنفع الميت فى الآخرة(١٨) •

وكان الأدب فى أول الأمر واقعيا ، يميل الى التعبير الدقيق السليم بعيدا عن المحسنات ، ولكن تطور الظروف السياسية غير من أساليبه حتى ليستطاع وضع حد فاصل بين ألوان الأدب فى مختلف العصور ، مما يشير الى ما طرأ على البلاد من نهضة أو تدهور أو رغبة فى لم الشمل أو ثورة تستهدف الخلاص من نير المستعمر ، أو الركون الى الدعة بعد الاطمئنان الى قيام دولة تستطيع أن تفرض رأيها على غيرها من الدول ، ولقد وصل الأدب الى قمته قبل عهد الدولة الحديثة فى عهود الكفاح ، ثم ركن من بعد ذلك الى المحسنات اللفظية ، فأضاع قواه وبددها •

---

(١٧) انظر عن : متون التوابت وكتاب الموتى (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ــ الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٤٤٩ ــ ٤٥١ •

وكذا : A. de Buck, The Egyptian Coffin Texts, ed. A. de Buck and A. H. Gardiner, 7 Vols, Chicago, 1925-1961.

(١٨) احمـد بدوى ومحمـد جمال الدين مختار : المرجع السـابق ص ٧٠ ــ ٧١ •

ولقد ظل أدب الدولة القديمة مثلا يحتذى فى مختلف العصور ؛ حتى ليرى القوم فى عهد الدولة الحديثة يتمثلون به ويقلدونه ، حين أحسوا بأنهم لا يستطيعون أن ينحو نحوه أمام واقعية الحياة التى يحبونها ، وان أفسدوه بمحسناتهم التى ظنوا أنها تغطى عيوب أسلوبهم ومراميه(١٩) ، وعلى أية حال ، فرغم ما يبدو فى أدب الدولة القديمة من بداوة وجفاف أحيانا ، ومن جزالة وعنجهية حينا آخر ، فالأمر الذى لاشك فيه أن أدب الدولة القديمة لا يخلو من رقة وبلاغة ، يبدو ذلك واضحا فى تعاليم الوزير « بتاح حتب » ، وفى كثير من نصوص لوحات المقابر ، وعلى العموم فان المرء انما يستطيع أن يلمس بسهولة الأمل القوى فى أدب الدولة القديمة ، بعد أن وضع المصرى الأسس القوية لحضارته العريقة ، والتى أعطته الرضا والثقة فى المستقبل •

هذا وكان للتطور الاجتماعى والتغير السياسى الذى صاحب عهد الثورة الاجتماعية الأولى ، أثر واضح على الأدب ، نلمسه فى الأسلوب المختلف للقصائد ، وفى ظهور نوع جديد من الأدب ، هو أدب النقد والسياسة ، ومن ذلك آراء الحكيم المصرى « ايبو ــ ور » فى تحذيراته المشهورة(٢٠) ، التى تحدث فيها عن الاضطراب الخلقى والفوضوى فى المجتمع، مما مهد لنوع آخر من الشعروالنثر يتحدث عن اليأس والعزلة(٢١) وفى العصر الاهناسى بدأ بعض الملوك يقدمون لأولياء عهودهم خلاصة تجاربهم فى السياسة ، حتى يكون لهم من تجارب الآباء ما يفيدهم فى ادارة شئون البلاد ، ومن ذلك تلك النصائح التى وجهت الى الملك « مرى

---

(١٩) نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ــ الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٤٨٨ ــ ٤٨٩ .

(٢٠) A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909, Reprint Hildesheim, 1969.

(٢١) انظر : بردية اليائس من الحياة فى

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 406-407.
A. Erman, in LAE, 1927, p. 86-92.
R. Weill, in BIFAO, 45, 1946, p. 89-154.

كارع »(٢٢) ، ذات المضمون السياسى والأخلاقى ، وقد صيغت فى أسلوب أدبى رائع ، حتى اعتبرها القوم من القطع المأثورة التى يحفظها الطلبة •

هذا وقد تميز أدب الدولة الوسطى بالبساطة والواقعية والاتزان ، وقد اعتبره المصريون أنفسهم مثالا يحتذى فى البلاغة وجودة التعبير وبداعة التصوير ، وكان المعلمون والتلاميذ ينسخونه فى جميع العصور ، ثم يقرأونه ويحفظونه وينسجون على منواله ، كما ظل لديهم طوال عصور التاريخ التالية باعتباره الأدب الكلاسيكى(٢٣) ، وعلى أية حال ، فان استتباب الأمن والأمان — سياسيا واقتصاديا — انما يتبعه فى غالب الأحايين ، ازدهار فى الفكر والأدب ، ومن البدهى أن هذا انما ينطبق على عصر الدولة الوسطى ، ولدينا شواهد كثيرة عن النهضة الأدبية فى ذلك العصر ، مثل « قصة سنوهى »(٢٤) ، والتى تمثل فى الواقع بداية نوع جديد من القصص التحليلى الذى يهتم — الى جانب سرد الأحداث — بدراسة نفسية البطل ، وتحليل مشاعره ، فى أسلوب قوى ، خال من الزخرف المبالغ فيه •

وجاءت الدولة الحديثة ، وتكونت الامبراطورية المصرية الشاسعة ، ورأت مصر رخاء وثراء لم تشهده من قبل ، واتصلت مصر بشعوب أسيوية كثيرة ، وتعرفت عاداتها وتقاليدها وآدابها ، وبدأ يظهر ذلك الثراء والترف

---

(٢٢) انظر A. Erman, LAE, p. 75-84.

وكذا J. A. Wilson, ANET, p. 414-418.

M. Lichthcim, Op-Cit, p. 97-109.

وكذا : A. H. Gardincr, JEA, I, 1914, p. 20-36.

(٢٣) احمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٧٢ •

(٢٤) انظر G. Lefebvrc, Romans et Contes cgyptiens de L'cpoquc Pharaonique, Paris, 194, p.

A. Erman, LAE, p. 14-29.

وكذا : J. A. Wilson, ANET, p. 18-22.

فى الأدب العاطفى والغنائى بصورة خاصة ، وعلى أية حال ، فاذا كان أدب الدولة القديمة انما حاول أن يناهض التراث القديم، ويفرض صورة جديدة فان الأدب الكلاسيكى انما ظل محتفظا بسطوته كرمز للأسلوب الأدبى ، ولئن شاع الأسلوب القصصى الذى يفهمه العامة ، فان معنى ذلك لم يكن سوى توسيع الشقة بين جمهرة الناس ، وبين تفهم الأسلوب القديم ، حتى غدا بالنسبة لهم كأسلوب الشعر الجاهلى بالنسبة لعامة الناس اليوم ، فلم يعد عامة القوم فى الدولة الحديثة يستسيغون ـ أو على الأقل يتفهمون ـ رصانة الأسلوب القديم وقوته وبلاغته(٢٥) .

وفى عصر العمارنة ، انتشرت اللغة الدارجة التى حلت محل اللغة التى كانت مستعملة منذ أيام الدولة الوسطى بأجروميتها القديمة ، ونشأ عن هذا التطور لغة مكتوبة نسميها « اللغة المصرية الحديثة أو المتأخرة »(٢٦) وقد أدى ذلك الى أن تصبح اللغة الفصحى ذات الأسلوب الأدبى الذى يتميز به الكتاب ، والتى كانت غير مفهومة الى حد كبير من العامة ، عرضة للتغيير ، ومن ثم فسرعان ما وجدت التعبيرات العامية طريقها الى الأدب ، فضلا عن النصوص الدينية ، وهكذا أصبحنا تدريجيا نرى الكثير من العامية فى النصوص الأدبية والرسمية ، فضلا عن النصوص العلمية الخالصة(٢٧) .

وفى الأدب ـ كما فى الفن ـ استبعدت النغمة الرزينة ، فهناك نص يعبر فيه كاتبه للفرعون عن الأمل فى أن يعيش طويلا فى العمارنة « حتى يسود البجع ، ويبيض الغراب ، وحتى تروح الجبال وتجيء ، وحتى

---

(٢٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٨٩ .

(٢٦) محمد بيومى مهران : اخناتون : عصره ودعوته ـ الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٤٢٨ ـ ٤٣٠ .

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, New York, 1959, p. 282.

(٢٧) أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ١٤٨ ، وكذا

Eleonore Bille-De Mot, The Age of Akhenaten, Translated from French, by J. Lindsoy, London, 1965, p. 83.

يسرى المـاء نحو المنبع » ، هذا ويجب أن يكون لدى الملك كنوز « بقدر حبات الرمل على شاطىء البحر ، وبقدر الفلوس على السمك ، وبقـدر الشعر على الثيران » ، وأن يحتفل بأعياده الثلاثينية « بقدر ما للطيور من ريش ، وما للأشجار من ورق »(٢٨) •

هذا ولم يقتصر الأمر على تسرب الروح الشعبية والتعبيرات العامية الى كل من اللغة والأدب ، وانما ظهر كذلك تأثير أجنبى قوى فى اللغة ، وذلك بادخال كلمـات من اللغات الأسيوية ، ليظهر الـكاتب نفسه بأنه ذو ثقافة واسـعة ، وأن كل البـلاد وطن له ، ومن ثم نراه يذكر كلمـة « ماريانو » (Maryanu) بدلا من « فارس العـربة » ، وكلمـة « مركبة » (Merkebet) بدلا من الكلمـة المصرية للعـربة ، وكلمـة « مجـدل » (Migdol) بدلا من الحصن ، وكلمـة « اكـونوا » (Akunu) بدلا من الجـرة ، واستحدثوا طريقـة لكتابة تلك الكلمات وغيرها من الأسماء الأجنبية ، ظلت مستخدمة أجيالا عدة بعـد ذلك(٢٩) ، على أن ما حدث فى عصر العمـارنة ، انما أدى الى افسـاح المجالات أمام عصور الرعامسة ، مع انتشار التعليم فيها ، وكثرة ما تقبلته من ألفاظ شرقية دخيلة ، وأخـيرا حاولت العصـور المتأخرة احياء أساليب الدولتين القديمة والوسطى فى بعض نصوصها ، عسى أن تنعكس عليهـا أمجاد أهلها •

وأما عن الحدود الزمنية لتقسيماتها ، فليس من اليسير تحديد عهد معين لنشأة الأدب المصرى القديم فى أول أطواره ، فلا شك أن أهل ماقبل التاريخ الذين لم يعرفوا الكلمة المكتوبة ولم يتركوا لنا أدبا مدونا ، كانوا ستمتعون ــ على الرغم من ذلك ــ بالقصة الشفهية ، والأغنية الشعبية ،

---

(٢٨) ادولف ارمان : المرجع السابق ص ١٣٥ ــ ١٣٦ ، وكذا
E. Bille De-Mot, Op-Cit, p. 83.
N. de G. Davies, The Rock Tombs of El-Amarna, III, p. 329.

(٢٩) J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 220.

والبطولات المروية ، مما لم تحتفظ منــه مكتوبات العصور التاريخيــة الا بنتف ضئيلة متفرقة(٣٠) •

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة هنا الى عــدة نقاط بشأن الأدب المصرى القديم ، منها :

أولا ــ ان هذا الأدب انما قد تضمن الغث والسمين ــ شــأنه فى ذلك شأن أى أدب قديم أو معاصر ــ وان كان السمين هو الذى يستشهد به عادة أكثر من غــيره ، للدلالة على أسمى ما وصل اليه تفــكير أهله ، ومنها :

ثانيا ــ أن أية ترجمــة لهذه المختارات لن تبلغ من نفس القــارىء المعاصر ، ما بلغته من نفــوس أصحابها القــدامى ، حين ألفت لهم بلغتهم وتذوقوها بروحهم ، وذلك على الرغم من أن ما نستشهد به منها تتجاوز فيــه عادة عن صور التكرار المعهــودة فى الآداب القــديمة كلها ، والتى لا يستسيغها الذوق الحديث •

ومنها : ثالثا ــ أنه ما من واحدة منها قد خلصت لفرع محدود من فروع التأليف ، وانما هى قد تجمع فى طياتها أحيانا بين معالم الأسطورة والتاريخ والعقائد والعبرة والحكمة ، وبين طلاوة الأسلوب ، فى آن واحد

ومنها : رابعا ــ أنها بمجموعها وروحها ، وان عبرت بصــدق عن خصائص بيئتها الطبيعية والعرقية والاجتماعية فى تصوراتها وتقاليــدها وآلامها وآمالها ، الا أن ثمة سمات عامة وصلت بينها وبين أمثــالها من الآداب القديمة الأخرى ، مثل ضخامة التأثير الدينى ، وكثرة التكرار فى معانيها ، فضــلا عن تقاربها منها فى صور التعبير عن الغرائز الانســانية والعواطف الفردية ، لا سيما منذ ظهر التأثير والتأثر بينها وبين آداب جيرانها فى أيام الدولة الحديثة(٣١) •

---

(٣٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٦ .
(٣١) نفس المرجع السابق ص ٣٢٥ .

هذا وقد عرف المصريون الشعر من غير شك ، وكانت له أوزانه التى يلتزمونها والقوافى التى يراعونها ، وقد يقف جهلنا بالنطق الصحيح ـ بسبب اسقاط المتحركات وانعدام الحركات ـ كما يقف جهلنا أيضا بمواضع الضغط على المقاطع ، عقبة فى سبيل ضبط النطق الصحيح للكلمات ، مما يجعل متابعة الوزن الشعرى على هذه الصورة أمرا عسيرا ولكن مطالعة الأناشيد الحماسية أو المدائح الدينية أو أهازيج الغزل ، أو أغنيات النصر ، تفصح عن التزام أوزان وقوافى معينة من غير شك ، وأبسط ألوان الشعر ، كما نعلم ، التزام قافية الشطرتين أو البيتين القصيرين ، والتزام وزن واحد فيها ، وقد ظهرت بعض الأشعار التزم أصحابها فى أبياتها الصدر دائما ، بحيث يتكرر فى كل بيت ، بينما يتغير العجز ، كما ظهرت بعض الأشعار حيث يكرر الشطر الثانى فى معنى مقابل للشطر الأول أو مساو له ، بقصد التوكيد ، وهو المعروف بشعر التساوى فى الشطرات المتقابلة ، وقد تقسم القصيدة الى فقرات تحوى كل منها عدة أبيات تصاغ على نمط واحد ، وهذا النوع من القصائد يكاد يكون مقصورا على المدائح الدينية وأناشيد الملوك ، هذا وقد كانت الفقرات ثلاثية أحيانا ، ورباعية أحيانا أخرى ، وان زادت الأبيات فى الفقرة الواحدة فى المناسبات حتى تبلغ عشرة أبيات ، وهى فى هذه الحالة تخضع كذلك للثلاثيات أو الرباعيات ، وقد انتشرت ، فيما وصل الينا من شعر ، ضروب البلاغة ، وخاصة فى الدولة الحديثة ، من محسنات لفظية وجناس ومجاز واستعارة(٣٢).

وعلى أية حال ، فان العلماء قد تعارفوا على أن للشعر المصرى القديم خصائص يمكن أن نجملها فى النقاط التالية :

أولا : أن القصائد فى الأدب المصرى القديم انما كانت مقسمة الى فقرات وأبيات ، ليس بالضرورة أن تكون متساوية فى الطول ، من حيث عدد سطورها ، ولكنها تبين بوضوح أنها مقسمة الى أقسام .

---

(٣٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٠ .

ثانيا : تكرار استخدام التماثل ، كمظهر آخر من مظاهر هذا التشابه فتأخذ الفكرة الواحدة تعبيرا مزدوجا ، حتى أن السطر يتكون فيها من جملتين قصيرتين ، توجد فى كل منهما نفس الفكرة بصيغة مختلفة عن الأخرى •

ثالثا : أن التشابه يتمثل كذلك فيما يبدو من أن السطور الشعرية انما تحتوى على عدد محدد ومنتظم من الأنغام •

رابعا : تكرار التلاعب بالألفاظ ، وورود ألفاظ كثيرة متشابهة التطور جنبا الى جنب (الجناس والطباق ؟) وقد كان الشعراء المصريون القدامى مغرمين بتجنيس حروف بداية الكلمات المتتابعة •

خامسا : الاستعمال الغريب الذى كان يظهر أحيانا ، وهو الذى كانت تؤخذ فيه كلمة وردت فى سطر ، ثم تكرر فى السطر التالى ، كما كانت الاستعارة كثيرة الاستعمال أيضا(٣٣) •

وأما مجالات الأدب المصرى القديم التى سوف تتعرض لها فى هذه الدراسة ، كل فى فصل مستقل ، فهى :

١ ــ أدب الأسطورة •
٢ ــ أدب القصة •
٣ ــ أدب الأناشيد •
٤ ــ أدب الملاحم والمدائح والغناء •
٥ ــ أدب الحوار •
٦ ــ أدب الحكمة والنصائح •
٧ ــ أدب النقد والسياسة •

---

(٣٣) W. O. E. Oesterley, The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, p 241-242.

الفصل الثانى

أدب الاسطورة

كان أدب الأسطورة من أوائل الآداب المترابطة ذات الفكرة والحبكة لا سيما منذ احتضنها رجال الدين لاتصالها بعقـائدهم ، واحتضنها رجال الحـكم لاتصالها بذكريات أجدادهم ، وقد أحب القوم تلك الأساطـير لتسعبيتها ، ولأنها صورت لهم المعبودات فى صور بشرية لطيفة مألوفة ، فهى تأكل وتشرب وتتزوج كما يفعل البشر، وهى ترضى وتغضب وتتخاصم كما يفعل البشر ، ثم هى تعيش آخر الأمر ، كما يعيش الملوك والأمراء من سادة البشر(١) ، ولعل أهم هذه الأساطير :

١ ـ أسطورة أوزيروست .
٢ ـ أسطورة حور والعقارب السبعة .
٣ ـ أسطورة النزاع بين حور وست .
٤ ـ أسطورة هلاك البشرية أو انقاذها .
٥ ـ أسطورة حيلة ايزة .

---

(١) حاول المصرى القديم فى تصوره الأسطورى ان يفهم فى عبارات على لسان البسر ، شخصا أو حادثا او مجموعـــة من الناس أو نتائج بعض الأحداث التى يرجعها الى العالم الالهى ، ويقصد بعبارة « العـــالم الالهى » مالا يستطيع الانسان تفسيره بعقله وبادراكه الحسى ، ولو كان هذا الشىء موجودا ،وبدت الاجرام الطبيعية كالسماء والشمس فى عقل المصرى القديم أنها تنتمى الى العالم الالهى ، ولا يمكن للانسان فى اى زمان أن يدرك بعقله اى كائن من العالم الالهى ، الا بالرمز (عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ص ٣٠) ، والرمز : هو مظهر المحاولة البشرية فى جعلها عنصرا من العالم الآلهى ملموسا على أسس بشرية ، اى على أسس المنطق والادراك الحسى ، على الرغم من ان ذلك لا يتفق بالضرورة مع قوانين الطبيعة ، وكان حكماء المصريين حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، عالمين بتلك الحقيقة ، ولم يخطئوا رمزا بحسبانه نسخة لما يمثله ، وربما اخذ الرمز المصرى بهذا المعنى شكل شىء أو فعل أو الفاظ ، وبينما لم يكن كل رمز تصورا أسطوريا ، فقد كان كل تصور اسطورى رمزا لكائن من العالم الالهى ، وواضح أن رمزا من الرموز انما يصدق اذا جعل شيئا من العالم الآلهى مفهوما فى الحـــدود الانسانية ، وبقدر تقبل عقيدة الانسان له (رودلف انتس : أساطير العـــالم القديم ــ ترجمة أحمد عبد الحميد ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ــ القاهرة ١٩٧٤ ص ١٩ ــ ٢٠) .

٦ ـ أسطورة البهتان والصدق .

٧ ـ أسطورة مولد حتشبسوت الآلهى .

١ ـ أسطورة اوزير وست :

لعل هذه الأسطورة انما هى أقدم الأساطير المصرية وأروعها ، حتى أننا مازلنا نجد فيها من متاع الروح وعزاء النفس أكثر من غيرها ، فنسيج هذه الأسطورة مصرى أصيل ، ومن وحي الطبيعة المصرية الصادقة ، فلقد خال القوم الأرض والسماء زوجين من ذكر وأنثى (جب ونوت) ، وخالوهما أول الأمر رتقا ، ثم انفصلتا فانتشر الهواء بينهما ، ثم ولد لهذين الزوجين من البنين اثنان ، هما أوزير وست ، ومن البنات اثنتان هما ايزة ونبت حت (نفتيس)(٢) .

فأما « أوزير » فقد تزوج من أخته « ايزة »(٣) ، وورث عن أبيه ملك الوادى ، فسار فى الرعية بالعدل والحكمة ، وقدم للناس من الأعمال الصالحات ما جعله فى سجال الخير اماما ومثلا ، علم الناس الزرع والضرع وشرع لهم الأحكام والقوانين ، وطاف فى أقطار الدنيا يبشر بالخير والعدل وطبقا للأساطير المتصلة بأوزير ، فان الناس فى ذلك العصر المبكر ، كانوا ما يزالون فى بربرية يأكلون لحوم البشر ، وأن أوزير(٤) قد علمهم

---

(٢) انظر عن : فكرة الخلق عند المصرى القديم ، والنظريات التى دارت حولها (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ـ الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٢٤٣ ـ ٢٦٥) .

(٣) انظر عن : اوزير وايزة (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٨٦ ـ ٢٩٨ ، ٣٤٣ ـ ٣٤٦) .

(٤) يذهب « ياروسلاف تشرنى » الى أن اسم « أوزير » الذى اشتق منه الاسم الاغريقى « أوزيريس » يبدو أن معناه « حدقة العين » أو « مستقر العين » ، ويبدو أنه اسم بشرى الأصل ، ويحتمل أن أوزير كان ملكا دنيويا حقيقيا أضحى ممجدا أو مقدسا بعد وفاته ، والأسطورة التى نسجت عنه لم تركز اهتمامها على حياته الأولى كملك أو حاكما لمصر ، انما وجهت اهتمامها على موته ، وعلى بعثه من جديد بعد مصرعه المأسوى ، والذى

الحضارة ، وما يجب أن يؤكل وما لا يأكل ، وأوضح لهم كيفية زراعة الحبوب كالقمح وكروم العنب ، كما علمهم كذلك طريقة عبادة الآلهة . وكتب القانون من أجلهم ، بعون من كاتبه « تحوت » ، الذى خلق الفنون والعلوم ، وأعطى الأشياء أسماءها ، وأنه قد حكم بالمنطق ، وليس بالقوة، ثم بدأ ينشر علمه فى بقية العالم ، تاركا زوجه « ايزة » نائبة عنه فى تصريف الأمور فى مصر ، وقد اصطحب معه فى مهمته كثيرا من الموسيقيين واستطاع عن طريق المناقشة وأغانى الأناشيد ، أن يقنع الناس باتباع وسائله الى الخير والنجاح والفلاح ، وهكذا كتب له نجحا غير قليل ، فى تعليمهم زراعة القمح والشعير والعنب ، فضلا عن بناء المدن ، ثم صعد فى النهر حتى بلغ اقليم الحبشة ، فعلم أهله أصول الزراعة وفنونها ، وخطط لهم القرى والمدائن ، ثم تولى عنهم هابطا مع النيل ، فأخذ يقوى شواطئه وجسوره ، ويشق لمائه الجداول والمصارف .

وأما أخوه « ست » ، فقد تزوج من أخته « نفتيس » (نبت حت) ، ولكنه كره أن يؤول ملك الوادى الكبير الأخضر السعيد الى أخيه أوزير، وغاظه أن يرى له ذلك المكان الرفيع ، فامتلأ قلبه حسدا له ، وحقدا عليه . وسولت له نفسه قتل أخيه ، ثم ترك هذا الانسان الطيب يودع دنياه على هذا النحو المروع ، الذى أنزله من قلوب القوم منزلة الحب والتقديس والاجلال ، ومن ثم فسرعان ما لطخ أتباع « أوزير » شخصية « ست »

=

اضحى بعده حاكما او ملكا على عالم الموتى ، ولا توجد رواية شاملة او حتى كاملة معروفة حتى الآن لقصة اوزير فى الوثائق المصرية ، ومصدرنا الرئيسى عن هذه القصة هو « بلوتارخ » (Plutarch) عن « ايزيس وأوزيريس » وان كانت هناك اشارات متواترة فى النصوص المصرية من كل العصور ، يتضح من سياقها أن الأسطورة التى أوردها « بلوتارخ » تتسق فى جوهرها مع المفاهيم العقيدية المصرية (تشرنى : الديانة المصرية القديمة ص ٤٠) .

(٥) انظر عن « ست » (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ٢/٢٨٠ — ٢٨٦) .

بالسواد منذ لحظة مولده ، فزعموا أنه لم يولد فى الوقت السليم ، ولا فى المكان الصحيح ، فلقد ألقى بنفسه من رحم أمه ، وانفجر من جنبها •

وما أن يمضى حين من الدهر ، حتى يسبغ الرواة صفة الواقعية على مقتل أوزير ، فذهبت رواية الى أن « جب » قد قسم مملكته بين ولديه ست وأوزير ، على أن يأخذ الأول مملكة الصعيد ، وأن يأخذ الثانى مملكة الدلتا ، غير أن «ست » ادعى بعد ذلك أن المملكة كلها له، وأنكر مشاركة أخيه لهفيها، وتذهب رواية أخرى الى أن أوزير وست قد رضيا بحكم أبيهما ، وبدأ كل منهما يحكم نصيبه ، غير أن «جب» عاد فقرر أن ست حاكم سيء ، ومن ثم فقد أعطى نصيبه لاوزير ، وبينما كان أوزير يغزو البلاد الأجنبية ، تاركا امرأته ايزة تصرف الأمور فى مصر ، بدأت عوامل الشر تتحرك في قلب ست ، بخاصة وأنه كاله حرب ، كان يرى أوزير يستخدم الكثير من الوسائل السلمية ، ومن ثم فقد بدأ يفكر فى الانتقام منه أثناء الاحتفال بعودته منتصرا الى العاصمة « منف » •

هذا ، وطبقا لرواية «بلوتارخ» فقد وضع ست أوزير فى صندوق كان ق الاصل تابوتا له،وتذهب أساطير أخرى أن الاغتيال كان عند«ندية»[6]

---

(٦) « ندبة » أو نديت : تقع على مقربة من مدينة البلينا بمحافظة سوهاج ، فيما يرى برستد ، وأما « أرض الغزال » فهى بلدة « كوم مرة » وهى بلدة « كومبر » الحالية ، على مبعدة ١١ كيلو الى الجنوب من اسنا ، فيما يرى زيته ، غير أن « هرمان كيس » انما يشك فى ذلك كله ، ويرى ان الأمر لا يخرج عن كونه نزاعا بين انصار معبودين من شرق الدلتا ، وانصار فى بلدة « جدو » ضد انصار ست فى بلدة « سثة » أو « سترة » على حدود مصر الشمالية الشرقية ، وان المعركة كانت عند مياه « ندية » فى أرض الغزال التى يمكن تعيينها بمنطقة قرب « كوم أبو ياسين » الحالية ، وقرب اقليم « اوزير » نفسه (فى مدينة عنجتى ، والتى سميت « جدو » ، وقد اطلق القوم عليها « بر ــ اوزير » الذى حرفه الاغريق الى بوزيريس = وهى أبو صير بنا الحالية ، جنوبى غرب سمنود) ومن ثم فقد سمت النصوص هذا الاقليم «الفحل الممزق»،اشارة الى هزيمة أوزير نفسه (انظر : =

أو فى أرض الغزال شرق الدلتا ، ثم ألقاه فى النيل[٧] ، وأن جسد أوزير القتيل انما تم تقطيعه الى أربعة عشر جزءا (وربما ستة عشر جزءا) وأن زوجه ايزة ، وأخته تفنيس ، قد عثرتا على جسده عند شواطىء «ندية» وتذهب رواية أخرى الى أن الاغتيال كان فى منف أو قرب عين شمس ، وأن ايزه وتفنيس قد دفنتاه هنـــاك ، على أن رواية ثالثة تذهب الى أن الجسد قد حمله تيار النهر الى « بيبليس » فى مستنقعات الدلتا (وقــد حرفت بيبليس Byblis فيما بعد الى بيبلوس Byblos التى فى فينيقيا) ، على أن رواية رابعة تذهب الى أن النيل قد احتمل الصندوق حتى مصبه ، واسلمه للبحر الأخضر (البحر المتــوسط) فاحتمله البحر بدوره حتى ألقاه آمنا على شاطىء « جبيل[٨] » فى لبنان ، فأظلته هناك شجرة مباركة واحتوته فى جوفها ، وساحت ايزة (ايسة) فى الأرض بحثا عن أخيها ، حتى بلغت جبيل واهتدت الى الشجرة ، واستخلصت الوديعة منها واحتملتها الى مصر ، حيث أعادت الى بدن أخيها روحه وحملت منه،

= J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y. 1939, p. 100.
BIFAO, XXX, 1930, p. 721 F.
وكذا : H. Gauthier, Dictionnaire des Noms Geographiques, V, Paris, 1928, p. 220.

(٧) هناك من يرى ان أوزير كان أصلا ملكا من البشر ، حكم فى عصر سحيق للغاية جميع ارض مصر من عاصمته فى شرق الدلتا (أبو صير بنا) وقد فسرت ميتته العنيفة غارقا فى النيل ، والتى تسبب فيها أخوه ست طبقا لهذه النظرية، باعتبارها ميتة الملك فى ثورة كان مركزها مدينة «أمبوس» (طوخ الحالية بمركز نقادة بمحافظة قنا) مقر عبادة « ست » ، وقد تسبب ذلك فى انقسام البلاد الى مملكتين مستقلتين،أحدهما فى الصعيد،والاخرى فى الدلتا ، تم وحدهما الشماليون مرة اخرى ، وقد انعكس هذا الصراع ، واعادة تاسيس المملكة الأصلية فى البلاد فى الأسطورة بانتصار « حور » بن « أوزير » على « ست » (ياروسلاف تشرنى : الديانة المصرية القديمـــة ص ١١٨) .

(٨) كانت « جبيل » تكتب فى الدولة القديمـــة « كبن » وفى الدولة الوسطى « كبنى » ، وفى الدولة الحديثة « كبنا » ، وذكرها الآشوريون باسم « جوبلا » ، والاغريق باسم « بيبلوس » ، والعرب باسم « جبيل » ، وتقع على مبعدة ٤٠ كيلو شمالى بيروت (A. H. Gardiner, Onom, I, p. 257) .

وتسترت معه ، ولكن أخاه « ست » كشف مخبأه ومزقه فى هذه المرة شر ممزق ، وقطعه اثنتين وأربعين قطعة ، وذلك يرمز فيما يبدو ، الى تمزق وحدة البلاد القديمة وتجزئها الى اثنين وأربعين اقليما ، كما يفسر تعدد مزارات أوزير التى قامت على أجزائه الموزعة فى كافة هذه الأقاليم •

وعلى أية حال ، فلقد ظلت ايزة وفية لزوجها الشهيد ، كما ذكرنا آنفا ، فلقد استعانت بسحرها حتى ردت اليه روحه لفترة من الزمن ، ثم حطت عليه ، كما يحط الطائر ، فحملت منه حملا ربانيا ، ووضعت منه طفلهما « حور » الذى ربته فى أحراج الدلتا خفية ، وعاونتها كائنات عدة على كفالته ، فأرضعته بقرة ، ورعته معها سبع عقارب ، وهو الذى اشتهر بين القوم بصفته الابن الذى فقد أباه أوزير ، وهو « حور ابن ايزة » (حرسا است) ، وان كان « هنرى فرانكفورت » يذهب الى أن « الصقر حور » اله السماء ، انما هو نفسه « حور » ابن أوزير وايزة ، وانه لمن الخطأ أن نفصل بين « حور الاله الكبير سيد السماء » وبين « حور ابن ايزة » ، أو أن نفسر حقيقة هذا التوحيد على أنه يرجع الى التوفيق بين المذاهب المختلفة فى العصور المتأخرة •

وعلى أية حال ، فلقد عادت « ايزة » ، فشهرت بأخيها « ست » — القاتل الغاصب — بين الأرباب والناس وكادت له عدة مرات ، وعندما شب ولدها « حور » ، كما يشب أبناء الأساطير ، الذى لا يخضعون لحكم المنطق ، شرع يدبر أمر الانتقام لأبيه ، وقد شاء الله تعالى أن يؤيد الحق ، فظاهر حور على عمه ست ، ونصره عليه نصرا مبينا ، ثم يفصل قضاء الالهة فى مدن « أون » أو فى منف بين المتخاصمين ، ويحكم لحور بعرش أبيه أوزير ، فيصبح ملكا على مصر ، كما يحكم لأوزير بعرش البقاء والخلود ، فيصبح سلطانا على الموتى(٩) •

---

(٩) احمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٦٢ — ٦٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٦ — ٣٢٩ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٨٠ — ٢٨٩ ، وكذا
Jacques Vandier, La religion egyptienne, Paris, 1949, p. 45-47
H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1948, p. 38-41. وكذا
Veronica Lons, Egyptian Mythology, 1968, p. 50-63, p. 127-138. وكذا

تلك هى أسطورة أوزير وايزة مع أخيهما ست ، باختصار ، وهى كما نرى ، قصة الخير والشر ، فهى قد صورت الأخوين (أوزير وست) يختصمان خصاما يذكرنا ــ مع الفارق ــ بخصام ابنى آدم ، هابيل وقابيل حين قربا الى الله تعالى قربانا ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله(١٠) .

وصورت الأسطورة أيضا كثيرا من طبائع البشر وعواطفهم وأهوائهم صورت الحب والبغض ، والوفاء والغدر ، والرحمة والقسوة ، ثم علمتنا أن الباطل لا محالة مهزوم ، وأن النصر للحق وأهله مكفول ، طال الكفاح أو قصر ، وليس هناك من ريب فى أن هذه الأسطورة انما تصور حياة

---

(١٠) أنظر عن قصة ولدى آدم (هابيل وقابيل) : سورة المائدة : آية ٢٧ ــ ٣١ ، وانظر : تفسير الطبرى ١٠/ ٢١٠ ــ ٢٣٠ ، تفسير المنار ٢٨٠/٦ ــ ٢٨٧ ، تفسير القرطبى ص ٢١٣٠ ــ ٢١٣٨ ، صفوة التفاسير ٣٣٨/١ ــ ٣٣٩ ، فى ظلال القرآن ٨٧٤/٢ ــ ٨٧٥ ، تفسير الكشاف ٤٨٤/١ ــ ٤٨٦ ، تفسير البيضاوى ١٤٩/١ ــ ١٥١ ، تفسير النسفى ٢٨٠/١ ــ ٢٨١ ، تفسير ابن كثير ٦٦/٢ ــ ٧٤ .

ويقول صاحب الظلال (٨٧٤/٢ ــ ٨٧٥) هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان ، ونموذجا من العدوان الصارخ الذى لا مبرر له ، كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة ، ونموذجا من الطيبة والوداعة وتقفهما وجها لوجه ، كل منهما ينصرف وفق طبيعته ، وترسم الجريمة المنكرة التى يرتكبها البشر ، والعدوان الصارخ الذى يثير الضمير ، ويثير الحاجة الى شريعة نافذة بالقصاص العادل ، تكف النموذج الشرير المعتدى عن الاعتداء ، فاذا ارتكبها على الرغم من ذلك ، وجد الجزاء العادل ، كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه ، هذا ولا يحدد السياق القرآنى ، لازمان ولا مكان ولا أسماء القصة وعلى الرغم من ورود بعض الآثار والروايات عن « قابيل وهابيل » ، وانهما أبناء آدم فى هذه القصة ، وورود تفصيلات عن القضية بينهما ، والنزاع على أختين لهما ، فاننا نؤثر أن نستبقى القصة ، كما وردت ، مجملة بدون تحديد ، لأن هذه الروايات كلها موضع شك ، فى انها ماخوذة عن اهل الكتاب (تكوين ١/٤ ــ ٢٦) ، والحديث الوحيد الصحيح الوارد عن هذا النبأ لم يرد فيه تفصيل ، وهو من رواية ابن مسعود ، قال ، صلى الله عليه وسلم « لا تقتل نفس ظلما ، الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها ، لانه اول من سن القتل » .

المصريين وتجاربهم فى تلك الحياة ، ولن نجد ما يمنعنا من أن نتصور أن يكون « أوزير » هذا رمز « النيل » ، وأن تكون « ايزة » رمزا لأرض الوطن ، تشقى ببعد النيل عنها ، وتسعد بعودته اليها ، فأوزير كالنيل يطوف بالحبشة ، ثم يهبط بمصر ، وأوزير قد علم الناس الضرع والزرع ، والنيل كان ــ وما يزال وسيظل ــ حبيب المصريين وأستاذهم الأول ، علمهم الضرع والزرع ، ورسم لهم أروع صور الحب والوفاء والخير والجمال . وأوزير يحارب الشر ، كما يحارب النيل الجفاف .

وهكذا ربط المصريون بين أوزير وكل التطورات التى تحدث على سطح الأرض طوال العام ، وتؤثر فى انتاجهم الزراعى ، فعندما يجىء الفيضان يكون أوزير هو الماء الجديد الذى يكسب الحقول خضرة ، ومع أن أوزير صار مع الماء ــ بل مع ينابيع المياه العظيمة ــ نفسا واحدة ، فانه من الواضح ، أن وظيفة خاصة للماء ، هى التى امتزج بها ، فالماء بوصفه مصدرا للخصب ، ومانحا للحياة ، هو الذى وحد به أوزير ، وهو الذى يسبغ الحياة على التربة ، ومن ثم فان أوزير كان يتصل بالتربة اتصالا وثيقا ، واذا ما جف النبات وفنى ، فان هذا يعنى أن أوزير قد مات غير أن موته هذا ليس أبديا ، اذ اعتقد القوم أن الحياة تعود اليه كل عام ، ومن هنا كانت الاشارات المعروفة لنا عن أوزير انما تقرنه بحياة النبات أو توحده معها ، ومن ثم فقد كان تمثيله باعتباره « الها للخضرة » كان سائدا فى مصر فى كل العصور المتأخرة ، وربما ساد أيضا منذ العصور المبكرة ، عندما نقابل اسمه لأول مرة فى الوثائق المكتوبة .

هذا وتربط « متون الأهرام » بين أوزير والحياة النباتية ، كما يرتبط بذلك تصوير أوزير مستلقيا على الأرض ، وينبت القمح من جسده ، أو تمثل شجرة نابتة من قبره أو تابوته ، أو تجعل تماثيله المصورة على هيئة مومياء فى قالب مكون من الدشيشة والتراب مدفونة مع المتوفى ، أو موضوعة فى حقل القمح ، ليضمن به الزارع محصولا موفورا من أرضه ، ومن ثم فقد كان طبيعيا أن يتخيل العقل المصرى ارتباطا بين البعث

والبذور النامية ، ففى عصر الثورة الاجتماعيــة الأولى تقارن روح الميت مع « نبرى » الاله المجسد للقمح ، ومنــذ الدولة الوسطى أصبح يشـار الى أوزير كاله للفيضان والخضرة ، وفى الدولة الحـديثة تبدو طبيعته الرامزة الى حياة الخضرة واضحة فى تواتر الاشارة في المقــابر الى « القمح ــ أوزير » ، وهكذا وحد فى أقدم نسخة من « كتاب الموتى » مع الحنطة ، ومن ثم يعبر المتوفى عن نفسه بقــوله « انى أوزير ، وانى أعيش كحبة حنطة ، وأنمو كحبة حنطة ، وانى شعير » ، وهكذا ومن أجل الحيـاة والموت ، اعتبر أوزير بعد ذلك الهـا للموتى ، طوال العصور التاريخية ، وظلت تلك الصفة من أبرز صفاته •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ، أن مصرع أوزير ــ على نحو ما رأينا آنفا ــ وتقدير المصريين لجوده ، ووفائه ، كما تصوره الأسطورة ، انما يقدمان لنا صورة رائعة من الخلق البشرى الكريم ، والموذجا جميلا من القيم الانسانية الرفيعة ، ثم ان فكرة الانسان المؤله ، والاله المجسد فى هيئة البشر ، وفكرة الحمل من الروح ــ حمل ايزة بولدها حور ــ كل أولئك صور جميلة ، وبخاصة صورة الحمل من الروح ، لأنها تحبب الى قلوبنا هذا الطفل ، وتبشر بالحق والعدل والرحمة والتضحية ، وليس فى دنيا البشر أجمل من هذا المثل •

بقيت الاشــارة الى أن المصريين انما كانوا جــد راغبين فى تقليــد « أوزير » الذى قدمه « ست » أمام رع ومجمع الآلهة فى هليوبوليس ، لكن مجمع القضاء الالهى هذا ، انما قد برأ ساحته ، بمساعدة تحوت ، على أساس أنه « صادق الصوت » ، هذا فضلا عن أن المصرى ــ تشوقا الى البعث والحياة بعد الموت مثل أوزير وبالتماثل معه ــ انما كان يحب أن يتلقى بدوره حكما الهيا فى هذه الحال من أوزير نفسه ، لأنه اله الموتى وهكذا بدأ المصريون فى عصر الثورة الاجتماعية ــ وهو عصر الاتجـاه نحو الديمقراطية فى مصر القديمة ــ يشاركون الفرعون المؤله مصــيره الأخروى ، فكما أن الفرعون سيكون أوزير فى الآخرة ، فقد اعتقد كل

فرد أنه سيكون كذلك أوزير ، وما يكاد ركب التاريخ يصل بأيامه الى مطالع الحياة من أيام الدولة الوسطى حتى تصبح هذه العقيدة واضحة بينة فيما انتشر على توابيت الموتى من تعاويذ ورقى مختلفة تشير كلها الى أن الناس قد تساوت مقاديرهم فى هذه الدنيا ، فأصبحوا فى عالم القبور سواء ، غير أن الناس ، فيما يبدو ، قد خدعوا أنفسهم عن طبيعة أوزير ، ونسوا — أو تناسوا — ما كان من قضاء الآلهة فى أوزير ، وزعموا أن فى حمل اسمه ، والتحلى بتاجه وصولجانه وشاراته ، ما يرفع عنهم كل ذنب ويصل بهم الى عرشه ومقامه ، وتزودوا لآخرتهم بكتاب يسجل طائفة من الفضائل والصالحات من الأعمال ، ويتخذون منها براء الى رب الموتى ، وربما من عذاب الآخرة وجحيمها ، وبذا غدا أمر الدين سهلا ، وبدأ الناس يأخذون بظواهر الأمور ، ويحاولون أن يقنعوا أنفسهم بذلك العزاء الزائف ، والنفس البشرية تحتاج الى العزاء على كل حال(١١) .

---

(١١) احمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٦٣ ، ياروسلاف تشرني : المرجع السابق ص ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، أحمد بدوي : فى موكب الشمس ٢/٧٠ — ٧١ ، ادولف ارمان : المرجع السابق ص ٤٨ — ٤٩ ، ٨٠ — ٨٢ ، جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ص ١١١ — ١١٦ ، محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص٢٨٩ — ٢٩١ ، الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفراعنه ص ٢١٦ — ٢١٧ .

وانظر عن الأسطورة بصفة عامة :

H. P. Cooke, Osiris, A Study in Myths, Mysteries and Religion, London, 1931.

وكذا Plutarch, Isis and Osiris, Trans, by F.C. Babbitt, London, 1963.

وكذا L. Spence, The Myths and Legends of Ancient Egypt, London, 1915.

وكذا M. A. Murray, Ancient Egyptian Legends, London, 1913

٢ ـ أسطورة حور والعقارب السبعة :

كانت هذه الأسطورة من أحب الأساطير الى المصريين ، فهى تمثل قصة امرأة معذبة ، فجعت فى زوجها ، ثم لاقت الأمرين فى البحث عن هذا الزوج المقتول حتى عثرت عليه ، واستعانت بسحرها حتى ردت روحه عليه لفترة من الوقت ، وحطت عليه كما يحط الطائر فحملت منه حملا ربانيا ، ووضعت منه طفلها «حور»(١) ، ثم وقفت وحيدة تدافع عن ولدها هذا ، بل ونسبته الى أوزير كذلك ، كما ربت فيه نزعة الثأر لأبيه ، ثم خلافته على عرش مصر العليا والسفلى كخلف له .

على أن هذه الأسطورة لم تكن كغيرها من الأساطير التى يتحدث بها الأب الى ابنه ، أو الأم الى ابنتها ، فحسب ، ولكنها كانت أيضا واحدة من القصص التى كانت تستعمل فى أغراض سحرية ، اذ اعتقد القوم ، اعتقادا راسخا ، بأن بعض الأساطير التى تتحدث عن بعض شئون الآلهة ، وخاصة تلك التى تتعلق بمصائب حلت ببعضهم ، انما تصبح ذات أثر فعال ، اذا

---

(١) صورت منون التوابيت حمل ايزة بولدها حور فى مشهد حوارى يشترك فيه اربعة ، ويبدا بانطلاق اعصار يروع الآلهة ، ويوقظ ايزة الحبلى مشفقة ان يكون هو صوت خصمها « ست » رب الرعود والبروق اتى يهددها بايذاء جنينها ، فاستصرخت الارباب وذكرتهم بوضعها وبانها اخت اوزير ، صاحب الفضل فى الفصل فى الخصومات القديمة ، وأن بذرته تشكلت فى بيضته فى احشائها ، فناديهم : هلموا ايها الأرباب ، واحموا من هو فى بطنى ، واذكروا انه مولاكم ، وسرعان ما يأتيها صوت « اتوم » مبشرا « ليطمئن قلبك » ولكن تظهر على المسرح امراة تسأل ايزة متخابثة : وكيف تدركين أن من هو فى البيضة سيكون الاله السيد حقا ، ووريثا لأرباب الماضى ؟ ، وتشعر ايزة بما فى السؤال من تعريض بها فتجيبها منفعلة لكرامتها : انا ايزة ربة الشهرة والقداسة ، وأن من فى أحشائى هو غرس أوزير حقا ويناصرها اتوم قائلا : انها حملت خفية ، وهى فتاة حملت ، وستضع حملها دون تدخل الارباب ، وهو غرس أوزير فعلا ، فليقلع ذلك العدو الذى قتل أباه عن ايذاء بيضته الصغيرة ، وليبجله الساحر الأعظم ، فاطيعوا ايها الأرباب ما قالته ايزة (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٩) .

عبدالمنعم ابو بكر : اساطير مصرية ـ القاهرة ١٩٥٤ ص ٦٩ ـ ٧٠ .

استعملت كتميمة سحرية ، ذلك لأن الأساليب التى تخلص بها هذا الاله أو ذاك من محنته ، هى بعينها التى تخلص من يستعملها من البشر فى محنة مماثلة ، هذا وقد اعتاد بعض القوم أن يقيموا أمام منازلهم لوحة حجرية نقشوا فوقها صورا تمثل الاله حور ، وهو يطأ بقدميه تمساحين ، ويقبض بيديه على بعض العقارب والثعابين وغيرها ، والمقصود بهذه اللوحة أن تمنع هذه المخلوقات الضارة من آن تدخل المنزل ونفتك بسكانه •

وهناك نموذج جميل من هذه اللوحات وجد بين مخلفات « الكونت مترينخ » ، وقد عرف بين العلماء باسم « لوحة مترينخ » كان القوم يستحملونها تعويذة تقى من لدغ العقرب ، وقد جاء فيه :

« أنا ايزة بينما كنت خارجة من المشغل الذى نفانى اليه أخى ست ، سمعت تحوتى الاله الكبير ، سيد العدالة فى السماء والأرض ، وهو يقول لى : اقبلى أيتها الالهة ايزة ، ما أحسن أن ينصت الانسان ، يحيا الانسان بهدى غيره ، اختبىء مع ابنك ، ذلك الطفل الذى يقبل الينا ، عندما يكبر جسده ، وتكتمل قوته ، فسوف تجعلينه يستولى على عرشه، وتحفظين له بذلك وظيفته ، ملك الأرضين ، وحينما خرجت ساعة المساء ، خرجت العقارب السبعة فى اثرى تحوطنى وتحرسنى (ربما المقصود من ست أو أعوان ست طبقا لرواية بلوتارخ) ، ولكل منهن مكان معلوم من بين يديها ومن خلفها ، وقد نبهتهن فى حزم الى آداب الطريق ، قائلة : لا تتعرفن على الأسود ، ولا تحيين الأحمر ، ولا تفاضلن بين ابن الغنى وابن الفقير ، ولتبق وجوهكن منكفئة على الطريق ، واحذرن اثارة الشكوك ، وأن يتبعكن متلصص يبحث عن مخبأى ، حتى نصل الى « برسوى » مدينة السيدتين المنتعلتين ، عند بداية المستنقع ونهاية القفص (الذى نعيش فيه) •

واقتربت ايزة بعقاربها السبعة فى طريقها مندار سيدة متزوجة قاسية فلمحتها ربة الدار من بعيد وغلقت أبوابها دونها ، فاستاءت العقارب من قسونها ، وأضمرن عقابها على فعلتها ، وبعد قليل وجدت ايزة الضيافة عند

امرأة فقيرة ، وانسلت احدى العقارب (تفن) الى بيت السيدة البخيلة ، ولدغت طفلها ، وأشعلت النار فى بيتها ، فخرجت المرأة تولول ، وما من سميع لها أو مجيب . الا ايزة التى أشفقت على الطفل البرىء ، ونادتها : تعالى ، تعالى ، فان فى فمى الحياة ، وأنا فتاة معروفة فى بلدها ، أوقف الثعبان بأمرى ، فلقد علمنى أبى العلم ، فقد كنت ابنته المحبوبة ، فسارعت المرأة الى ايزة ، ووضعت أمامها ابنها ، ولما كانت الالهة قد تنبأت بما حدث فانها تستمت بتعويذتها السحرية ، منادية « سم » كل عقرب من العقارب السبع آمرة أياه أن يستل من جسم الطفل ، ولم تكد تنتهى من تميمتها حتى سال السم خارجا من جسم الطفل ، ودبت الحياة فيه ، وفى نفس اللحظة التى استعاد فيها الطفل عافيته ، انطفأت النيران بقوة سحرية من منزل تلك المرأة القاسية ، وتلقت ايزة ثناء تلك المرأة وجيرانها .

وسرعان ما اختفت ايزة من القرية خوفا من بطش ست ، فأسرعت خطاها متوغلة فى أحشاء المستنقعات لتختفى هناك عن أعين المتطفلين من الناس ، وفى هذا المكان الموحش استقبل « حور » الحياة ، بعد أن ذاقت أمه الأمرين فى وحدتها المضنية ، وهكذا عاشت ايزة مع وحيدها بين المستنقعات (أحراج خم) الموحشة ، ولا هم لها سوى تنشئة وليدها ورعايته ، فلا تتركه الا لوهلة قصيرة لتحصل على ما يقيم أودهما من طعام أو شراب .

غير أن ست سرعان ما علم بأمر الطفل ، فأرسل عقربا لدغته أثناء غياب أمه ، التى ما أن عادت اليه حتى وجدته يكاد يفارق الحياة ، فصرخت صرخة مدوية سمعها من فى القرية المجاورة ، فهرعوا اليها ، وصاحت امرأة منهم : لابد أن حور قد لدغته عقرب ، وأما ايزة فقد قربت أنفها من فم الطفل لتستطلع دبيب أنفاسه ، ثم فحصت الطفل فوجدت السم عالقا به ، فأخذت تصرخ : أى رع ان ابنك حور قد لدغ ، ان حور قد لدغ ، وهو الوريث والمولى على عرش « شو » ، ان الطفل الجميل ذا الأعضاء الذهبية قد لدغ ، ان حور ابن ايزة قد لدغ ، ان حور الذى أعددته لكى

يثأر لأبيه قد لدغ ، ان حور الذى خشيت أن يصيبه مكروه ، وهو فى رحمى ، قد لدغ ، ان حور الذى رعيته قد لدغ ، ان حور الطفل الذى رجوت حياته قد لدغ ، ان الطفل قد مات •

وهنا جاءتنى امرأة كيسة ، أنبل نساء بلدها ، وهى الالهة « سرقت » (سرقة) ، وقالت لى : لا تقنطى فالطفــل آمن •• والأحراج محروسة ولا حكم للموت عليها ، لأن ست لا يقربها ، ولا يجوب أرض خم •• ، فلعل عقربا لدغته أو حيوانا عضه •• ، ثم توافدت الربات عليها ، وفى مقدمتهن اختها « نبت حت » (نفتيس) ، وأوصتها احداهن بأن تستصرخ السماء ، فصرخت صرخــة أوقفت بها مركب اله الشمس فى مــدارها ، وأوقفت كوكبه حيث كان ، وارسل « تحوت » ليستطلع الأمر ، فجــاء تحوت وسأل ايزة : ماذا جرى ، أيتها الربة ذات الفم الحصيف ، لسوف يثبت قرص الشمس حيث كان بالأمس ، ويحتجب الضياء ويعم الظلام ، الى أن يبرأ حور من أجل أمه •

وبدأ تحوت يرتل تعاويذه السحرة ، معددا أوصاف حور ، مقارنا اياها بأوصاف كائنات الهية متعددة ، « حور تحيطه العناية ، حور مثــله كمثل ذلك الذى فى قرص الشمس ، الذى يضىء الأرضين بنور عينيه ، أى حور ، استيقظ ، أى حور ان حصانتك مؤكدة ، استيقظ وادخل الفرح الى قلب أمك ايزة ، ان كلمات حور سوف تربط بين القلوب ، ان حور سوف ينشر السلام على أولئك الذين يرغبون فى السلام •

« أنا تحوت بن رع البكر ، ان أتوم وأصحابه أصدروا أمرهم لى بأن أشفى حور لتقر عين أمه ، ولأشفى كل مصاب بنفس العلة ، سيحيا حور من أجل أمه ، وسيحيا كذلك كل من كان مصابا بنفس الداء » •

وينتهى الحوار بشفاء الطفل حور وتعويذه من كل ما يمكن أن يهدده وهو حوار يراه « دريوتون » حلقة من دراما ناضجة كانت تمثل فتحرك العواطف ، وتأخذ بألباب المشاهدين ويختمها « تحوتى » بقوله : ان العالم

يترقبنى لأرسل له « مسكتة » وأطلق له «معنجة» ولسوف يمدح الرسول على ما أداه ، عندما يزف البشرى الى من أرسله(٢) .

٣ ـ اسطورة الصراع بين حور وست :

عثر على هذه الأسطورة فى عام ١٩٢٨ م فى دير المدينة بطيبة الغربية (الأقصر غرب) على بردية مكتوبة بالخط الهيراطيقى ، وقد اشتراها المستر « شستر بينى » ثم أهداها الى المتحف البريطانى ، والبردية ترجع الى أيام « رعمسيس الخامس » (١١٤٥ ـ ١١٤١ ق . م) من الأسرة العشرين ، وقد أعيدت كتابتها بلغة الدولة الحديثة من برديات أقدم ترجع الى أيام الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ ـ ١٧٨٦ ق.م). ، وقد عثر على بعض أجزاء منها فى برديات الدولة الوسطى والحديثة ، والنص الأساسى لهذه البردية نشره « سير ألن جاردنر »(٣) كما قام بترجمة البردية وشرحها ثم مقارنتها بغيرها من النصوص الأخرى ، كثير من العلماء ، من أمثال : جان كابار(٤) وجوستاف فيفر(٥) وأدولف أرمان(٦) ، وبلاكمان(٧)

---

(٢) انظر : عبد المنعم ابو بكر : المرجع السابق ص ٦٩ ـ ٧٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣١ ، ايتين دريوتون : المسرح المصرى القديم ـ ترجمة ثروت عكاشة ، ومراجعة عبد المنعم ابو بكر القاهرة ١٩٦٧ ص ٨٧ ـ ٩٢ ، ص ١١٦ ـ ١٢٤ ، ادولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ٣٣٢ ـ ٣٣٤ .

وكذا E. Drioton, Le theatre dans L'ancienne Egypte, Revue d'Histoire du Theatre, 1954, p. 54 F.

وكذا A. Moret, in Rev. de L'Histoire des Religions, 1915, p. 213 F.

(٣) A. H. Gardiner, The Library of A. Chester Beatty Description of a Hieratic Papyrus with a Mythological Story, Love-Songs and Other Miscellaneous Texts-The Chester Beatty No. I, London, 1931, p. 8-26, Pls. 1-16.

وكذا A. H. Gardiner, LES, p. 37-60.

(٤) Jean Capart, in Chronique d'Egypte, 8, 1933, p. 243-255.

(٥) G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L,epoque Pharaonique, Paris, 1949, p. 178-203.

(٦) A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians Trans into English by A. M. Blackman, London, 1927, Reprint New York, 1966.

=

وجـريفث(٨) وبرونر ـ تروت(٩) ، وتسـبيجل(١٠) وجو ويلسون(١١) ، وغـيرهم(١٢) .

هذا وقد قام بعض العلماء المصريين بتقديم ترجمات للبردية ـ سواء أكانت هذه الترجمات كاملة ، أو لأهم أجزاء البردية ـ من أمثال : سليم حسن وأحمد فخرى وعبد المنعم أبو بكر وعبد الحميد زايد وعبد العزيز صالح ، فضلا عن ترجمة عربية لكتاب « جوستاف لوفيفر »(١٣) .

وتمثل هـذه البردية القضاء وأحكامه ، كما تقـدم فكرة عن كل الخطوات التى تستلزمها قضية ما ، وتبين أطوارها المختلفة فى ساحة القضاء فضلا عن أنها انما تتعلق بشخصيات اعتبرها المصرى القديم آلهة له ، غير

=

(٧) A. M. Blackman, in JEA, 19, 1933, p. 200 F.

(٨) J. G. Griffiths, The Conflict of Horus and Seth from Egyption and Classical Sources, Liverpool, 1960.

(٩) E. Brunner-Traut, Altagyptische Marchen. Dusseldorf-Cologne, 1965, p. 93-107.

(١٠) J. Spiegal, Die Erzahlung Vom Streite des Horus und Seth in Pap. Beatty I, als Literaturwerk. Leipziger agyptologiche Studien, 9, 1937.

(١١) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 14-18.

(١٢) H. Te Velde, Sethe, God of Confusion, Leiden, 1967.

ومن احدث ترجمات هذه البردية :

Miriam Licheim, Ancient Egyptian Literature, London, II, 1975, p. 214-223.

E. F. Wente, in Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 108-126.

(١٣) سليم حسن : الادب المصرى القديم ـ الجزء الاوّل ـ القاهرة ١٩٤٥ ص ١٢٧ ـ ١٦١ ، احمـــد فخرى : تاريخ الحضـــارة المصرية ٣٧٨/١ ـ ٣٨٢ ، عبـــد المنعم ابو بكر : اساطـير مصرية ص ٢٦ ـ ٤٠ ، عبدالحميد زايد : الرمز والاسطورة الفرعونية ـ مجلة عالم الفكر ـ ديسمبر ١٩٨٥ ص٤٧ ـ ٥٢ ، عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ٣٣١/١ـ٣٣٣ جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعـونى ـ ترجمة على حافظ ص ٢٣٧ ـ ٢٧٠ (الألف كتـــاب رقم ٦٦) ، رودلف انتس : اساطير العالم القديم (معرب) ـ القاهرة ١٩٧٤ ص ٦٢ ـ ٦٤ .

أن الأسلوب الشيق الذى دبجت به الأسطورة يجعل القارىء ، يحس وكأنها تقدم صورة حية لما كان يحدث بين الناس ، وخاصة أن الأسلوب انما قد صاغه المؤلف بألفاظ تستعمل فى الحياة اليومية ، ومن عجب أن المصريين رغم أنهم كانوا ــ كما يقول جوستاف لوفيفر ــ من « أتقى أهل الأرض جميعا » ، فان الحديث فى هذه الأسطورة عن الالهة ، لا ينم عن رفع الكلفة فحسب ، بل يميل الى عدم الاحترام ، وربما السخرية ، ويبين ضعفهم وعيوبهم ، ويضحك القارىء عليهم ، ويتحدث عن رذائلهم ، على أنه من ناحية أخرى ، ما تظن أن المصريين المتدينين كانوا يتخيلون لأربابهم مثل هذا النقاش والجدل ، والأخذ والرد ، دون أن يكون فى دنياهم شيء مثله ، يسمح لأصحاب كل مذهب بأن يجادلوا منافسيهم فى أمور دينهم ، ان لم يسمح لأهل الحكم أيضا بأن يتقبلوا مجادلة ولاتهم وأعضاء مجالسهم ، كما جادل الأرباب رئيسهم •

والأسطورة ، على أية حال ، انما تمثل حكاية شعبية قوية ، ربما للتسلية أكثر منها للغرض التعليمى ، وتركيب القصة ، كما قلنا ، قضائى بالمحكمة العليا للآلهة « الأنياد » (مجمع الآلهة) فى محاولة لانهاء النزاع الذى استمر ثمانين عاما أمام أعضاء التاسوع وكبار الأرباب برياسة « رع حر أختى » رب عين شمس ، دون الاهتداء الى حل لها ، وكان موضوع القضية عرش مصر الذى يطالب به « حور » و « ايزة » استنادا الى القانون ، ويطالب به « ست » استنادا الى قوته وسطوته ، ذلك أن «ست» كان قد اغتصب الملك بعد أن قتل أخاه « أوزير » الذى أصبح بعد ذلك ملكا فى العالم الآخر ، غير أن « ايزة » التى كانت قد حملت بولدها « حور » من روح « أوزير » ، عنيت بتربية حور ، حتى بلغ أشده وأخذ يطالب بعرش أبيه أوزير ، وتساعده فى ذلك أمه « ايزة » ، وقامت الحرب بين حور وست ، وعقد مجلس الآلهة محكمة للفصل بينهما ، غير أن المحكمة قد انقسمت الى فريقين ، الواحد يؤيد حور ، والآخر يرى أنه قد تجاوز الحد فى الاجتراء على عمه ، وأن عمه أحق منه بالملك وأجدر به •

وكان «أتوم» يميل الى «ست» القوى ، على حين كان قرار المحكمة

في صالح الوريث الشرعي « حور » ، وبنفس هذا القرار انتهت الخصومة أخيرا الى خاتمتها السعيدة بحور ملكا متوجا على عرش مصر ، ولعل من أهم الخصائص المميزة للخاتمة مظهر « ست » هنا — كما في اللاهوت المنفى — مغلوبا طيبا فما أن أصبح القرار نهائيا ، حتى وافق عليه راضيا حيث عهد عندئذ الى « رع حراختى » بأن يكون بمثابة الولد ، والمحارب المخيف في زورق الشمس ، وتمتلىء الأحداث من بدايتها ونهايتها بالأحداث التى تؤخر أو تعجل اجراءات المحكمة وقراراتها ، والقصة ، على أية حال ، تقليد ساخر لاجراءات المحاكم البطيئة والشكليات المعوقة ، كما أنها متبلة بالغمز واللمز فى الشخوص القيادية .

تقول الأسطورة ما ملخصه :

« تقدم حور ، الطفل المقدس الى سيد العالم « أتوم » يطالب بعرش أبيه « أوزير » ، جميل الطلعة ، ابن « بتاع » الذى يضىء الغرب بمحياه ، بينما كان « تحوت » يقدم العين للأمير القوى فى هليوبوليس ، ثم تكلم « شو » ابن « رع » أمام القوى الموجود فى هليوبوليس : الحق هو الرب القوى ، اعط الوظيفة لحورس ، ثم قال تحوت للأنياد (مجمع الآلهة = آلهة التاسوع) : هذا هو الحق مليون مرة ، وهنا تصاعد صوت ايزة فرحة ، وكانت السعادة تطفو على وجهها ، ووقفت أمام سيد الجميع وقالت : يا ريح الشمال اذهبى الى الغرب ، واحملى معك هذا النبا السعيد ، وبلغيه الى « أوزير » (اون نفر = ونتفر) ، له الحياة والسعادة والصحة » .

« وعندئذ قال شو بن رع : ان وجود العين هو اله العدل من قبل الأنياد ، وقال رب الجميع : ماذا يعنى اتخاذكم قرارا منفردا ، ... ثم صمت رب الجميع مدة طويلة لأنه كان ساخطا على الأنياد ، ثم قال « ست بن توت » : أخرجوه معى الى الخارج حتى أستطيع أن أريكم أن يدى تتغلب على يده فى حضرة الأنياد مادام أحد لا يعرف وسيلة أخرى لتجريده ، ثم قال تحوت : أليس من الصواب أن نعرف من

المخطيء ، الآن هل تعطى وظيفة أوزير الى ست ، ومازال ابنه حور يقف هنا فى المحكمة ، وهنا غضب « رع حور أختى » غضبا شديدا ، فقد كانت رغبته اعطاء الوظيفة لست ، وصاح « أنوريس » صيحة عالية أمام الأنياد ، وقال : ماذا نفعل ؟ »

« واختلط الحابل بالنابل فى ساحة القضاء ، واقترح البعض أن يسال فى ذلك بعض الآلهة لكى تعطى رأيها ، فيمن يستحق الوظيفة بين الاثنين (حوروست) ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، وظهر اقتراح أن تسأل « نيت » — ربة صا الحجر — فهى جديرة باتخاذ القرار الناجز ، وأمر أعضاء التاسوع أن يكتب تحوت خطابا — باسم سيد الجميع ، النور الذى يسكن هليوبوليس — الى « نيت » العظيمة ، أم الاله ، فأومأ تحوت برأسه ، وقال : حسنا سافعل ما تأمرون به ، نعم سأفعل ، سأفعل ، وجلس على الأرض وكتب الخطاب التالى :

« ملك مصر العليا والسفلى ، رع أتوم ، محبوب تحوت ، سيد الأرضين ، الساكن فى هليوبوليس ، يقول : ماذا نحن فاعلون بأمر هذين الرجلين اللذين وقفا فى ساحة القضاء ثمانين عاما ، ولم يستطع أحد أن يفصل فى أمرهما ، نرجو الكتابة الينا بما نحن فاعلون » •

وأرسلت « نايت » (نيت) الالهة العظيمة أم الاله خطابا الى التاسوع تقول : اعطوا منصب أوزير لولده حور ، ولا تقترفوا مكائد جسيمة ليست فى محلها ، والا غضبت وأطبقت السماء على الأرض ، وقولوا لرب الجميع ، سيد عين شمس أن ضاعف ثراء ست وهبه ابنتيك « عنات » و « عشتارته » ان شئت ، ولكن ضع حور فى منصب أبيه •

ثم وصل خطاب « نيت » العظيمة أم الاله الى الأنياد ، عندما كانوا جلوسا فى القاعة الكبرى المسماه «حور صاحب القرون المتقدمة» ، ووضع الخطاب فى يد تحوت ، ثم قرأه تحوت أمام رب الجميع والأنياد كاملا ، وقالوا بصوت واحد : هذه الالهة على حق ، وعندئذ غضب رب الجميع

على حور ، وقال له : أنت ضعيف البدن ، والمنصب أكبر من أن تحتمله ، ولازلت طفلا يفوح البخر من فمك ، وهنا غضب الحاضرون ، وثار الرب « بابا » قائلا له فى جرأة : لقد أصبح هيكلك خاويا (بعد أن تجاوزه الانصاف) ، وتألم رع من الاهانة ، فاستلقى على ظهره ، وابتأس قلبه ، فعزت كرامته على أفراد التاسوع ، على الرغم من مخالفتهم لرأيه، وصاحوا فى وجه « بابا » قائلين : أخرج ، فلقد أتيت أمرا نكرا .

ومرت الأيام والسنون ، وجاءت « حاتحور » سيدة الجميزة لتزور أباها سيد الجميع ، ووقفت أمامه وكشفت عن سوأتها ، وهنا انفجر الاله العظيم ضاحكا ، وصحا من رقدته، وجلس مع التاسوع وقال لحور وست: قصوا على قصتكم ، واختلفت الأصوات وتزايد الصراخ ، وخاصة عندما تدخلت ايزة أم حور لتدافع عن ولدها ، واشتد حنق ست ، وأقسم فى ثورة غضبه أنه سيقتل واحدا من الالهة كل يوم ، ورفض رفضا باتا أن يشترك فى هذه القضية ، ما دامت ايزة حاضرة ، ووافقه رع حراختى ، وانتقل بمجلسه الى مكان قصى فى « الجزيرة الوسطى » ، وحذر النوتى من أن ينقل ايزة اليهم بقاربه ، فلم تسلم ايزة بهذا القرار ، وتنكرت فى هيئة عجوز ، واستدرت عطف النوتى بادعائها أن فى الجزيرة غلاما صغيرا يرعى لها أغنامها ، ولم يصله طعامه منذ أيام ، وأنها تود أن تعوله ، وطمأنت النوتى بأن ذلك لن يضره لأن قرار الحظر مقصور على ايزة ، ولما تبينت طمعه رشته بخاتمها الذهبى ، فاستجاب لها ونقلها الى الجزيرة الوسطى .

وهناك وجدت القضاة ومعهم ست يتفيأون ظل شجرة ، فقلبت نفسها الى غادة مليحة . وخطرت أمام ست المعجب بنفسه حتى لمحها وتعقبها وغازلها ، وفى حديثها معه استثارت نخوته بقولها : تأمل يا سيدى الجليل انى كنت زوجة راع ، وأنجبت منه طفلا ، ولما مات زوجى ، ولى ولدى الصغير أمر أغنام أبيه ، ولكن رجلا غريبا جاء واستولى على حظيرته عنوة وقال له : سوف أضربك واستولى على أغنام أبيك وألقى بك بعيدا ، فهلا أصبحت حاميا له ؟ ، فأجابها ست : وهل يجور أن يستولى غريب على

القطيع وابن رب العائلة موجود ، الويل للغاصب ، وعند ذلك غيرت ايزة نفسها بسحرها الى هيئة الحدأة ، وطارت ، ثم حطت على قمة شجرة ، وصاحت به قائلة له : ابك اذن على نفسك ، فان فمك هو الذى قالها ، وشطارتك هى التى حكمت عليك ، فما الذى تريده بعد ذلك .

وصرخ أعضاء التاسوع قائلين : ما هذا يا ست ، لقد اتعبتنا بقضيتك وأنت تقر الآن بالحق ، فلتعطى وظيفة أوزير الى ولده حور ، غير أن ست لم ينهزم ، وطلب من سيد الجميع أن يدخل فى معركة جسدية مع حور ، على أن تعطى الوظيفة للغالب ، وهلل التاسوع لهذه الفكرة ، وسرعان ما انقلب الخصمان الى فرسى نهر ، وصمما على أن يبقيا تحت الماء مدة ثلاثة أشهر كاملة ، ولكن ايزة أفسدت المراهنة بتدخلها الى جانب ولدها حور ، حيث اسقطت فى الماء (خطافا) لكى تشل حركة ست ، فاستعطف ست أخته ايزة ، وطلب اليها بحنان أن تبعد عنه الخطاف ، وسرعان مارق قلبها ، فغضب حور على أمه وأطاح برأسها . فانزعج أعضاء التاسوع من هذه الفعلة الشنيعة وسمحوا لست أن يعاقب حور باقتلاع عينيه ودفنهما فى الأرض حتى تضىء بهما ، وهنا أسرعت حاتحور ووضعت فى مقلتيه لبن غزال ، وبذلك ارتد الضوء اليهما .

وطلب رع من الخصمين أن يوقفا عراكهما ، فصرخ ست مقسما : سوف لا تعطى وظيفة أوزير الى حور ، الا بعد أن يغلب أحدهما الآخر ، واقترح أن يقوم سباق بينهما فى سفينتين ، على أن يتسلم الغالب وظيفة أوزير، فأعد حور لنفسه قاربا من الخشب طلاها من الخارج بالجص ليبدو للناظر أنه صنع من الحجر ، وبنى ست لنفسه قاربا من الحجر الأصم ، وما كاد يضعه فى الماء حتى غرق فى اليم ، وأقلع حور بقاربه نحو الشمال الى مقر الالهة نيت فى ساو ، وهناك أبلغها بكل ما حدث ، كما عرض عليها ما أخطأ فيه ، واتخذ ست شكل فرس النهر ، وأراد مهاجمة قارب حور ، الذى سارع باستعمال الخطاف ليلقيه على ست ، الا أن أعضاء التاسوع صرخوا قائلين : لا ترم ست بهذا الخطاف .

واقترح تحوت أن يكتب الآلهة خطابا الى الاله أوزير يسألونه رأيه فى المشكلة ، ثم قال شو ابن رع : ما قاله تحوت للأنياد حق مليون مرة ، ثم قال رب الجميع لتحوت : أجلس وأكتب خطابا الى أوزير لنستطيع سماع ما عنده من قول ؛ وكتب تحوت الخطاب ، وعندما تلقى أوزير صاح صيحة عظيمة . ورد عليه فى الحال فقال : لم تخدعون ولدى حور ، وأنا من شد أزركم . وأنميت الشعير والحنطة لحياة الأرباب والأحياء من بعدهم وما من اله آخر أو الهة يستطيع أن يفعل ذلك ، وعندما قرىء الرد على « رع حرأختى » استنكر هذا التعالى ورد عليه بمثله قائلا له : انك وان لم توجد الاقا ، ولم تولد بناتا ، فلسوف يبقى الشعير والحنطة (من دونك) .

وعندما وصل خطاب «رع حر اختى» الى أوزير ، سارع بالرد مهددا الالهة أن يرسل اليهم بعض المردة من أتباعه ، واتهم رع حراختى بأنه يجمع من حوله فئة من الالهة ، لا هم لها الا الاعلاء من شأنه والتزلف اليه ، بينما يهملون شئون الناس ومصالحهم ، ثم تساءل : يا صانع التاسوع أين العدالة ، اذا بحثت عنها فانك ستجدها قد غرقت وذهبت معالمها ، احكم بالعدل . أما الأرض التى أعيش فيها فهى ملأى برسل ذوى وجوه متوحشة وهم لا يخشون أى اله أو آلهة ، ان فى استطاعتى أن أرسلهم اليكم ليقضوا على أى منكم فيجلبوه الى هنا ليعيش معى (اشارة الى موته) ، اذ لا معنى أن أعيش هنا فى الغرب ، بينما تمرحون أنتم فى عالمكم ، وانى أتساءل من منكم يفوقنى قوة ؟ وبيم الحق انكم لا تجيدون شيئا غير الخداع ، واعلموا أن بتاح العظيم عندما خلق النجوم فى السماء قال لها : ستذهبين كل ليلة ، وستحيين فى الغرب حيث يحكم أوزير ، وسوف يذهب الى الغرب أيضا كل اله وكل انسان ليحيا هناك مع أوزير .

وعندما وصل الخطاب الى تحوت ، وقرأه على أفراد التاسوع ، وافقوا عليه بالاجماع ؛ ولكن ست أراد أن يخرج بمحاولة جديدة ، فأمر « أتوم» ايزة أن تحضر ست مكبلا بالقيود ، ونفذت ايزة ما أمر به أتوم ، الذى

وجه الحديث الى ست قائلا : لماذا لا تريد أن تأخذ العدالة مجراها ؟ ولماذا تعارض فى أن يأخذ حور وظيفة أبيه ؟ وهنا أجاب ست : سيدى ومولاى، دع حور بن ايزة يتسلم وظيفة أبيه ، وسرعان ما حضر حور ، ولبس التاج الأبيض ، واعتلى عرش أبيه ، ثم قيل له : أهــلا بالملك الطيب المولى على مصر ، فليكن من نصيبك الحياة والسعادة والصحة ، وأما سيد الجميــع فقال : دعوا ست بن نوت يأتى ليحيا معى ، سأجعل منه ابنا لى ، سوف يدوى صوته فى السماء ، سوف يهابه كل الناس ، وأما رع فقد قال عندما بلغه الخبر : فلتسعدو به ، خروا الى الأرض سجدا أمام حور بن ايزة ، وهــكذا انتهت هذه القضية بالسعادة ترفرف على حور فى طيبة موطن الحق ، وبارضاء ست برفعه الى السماء ليكون تبعا لاله الشمس « رع غراختى » ، والسماح له باستغلال طاقته فيها ، حيث يزأر فيكون الرعد، ويثور فتثور العواصف .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن الرواة الدينيين من أنصــار اوزير وحور لم ينســوا نصيحة الربة « نيت » الى أفراد التاســوع بأن يقولوا للاله الأكبر أن يهب ست ابنتيه عنات وعشتارته ، ان شاء ،وبمعنى آخر أن يمنحه أراضى الربتين فى غربى آسيا وصحراواتها ، على أن يبعد أذاه عن مصر ، وأن ذلك قد حدث ، وأن ست قد عوض عن مصر بغيرها ، على الرغم من تبعيته لأربابها ، ومن ثم فقد أصبح هؤلاء الرواة المتحزبون ــ كلما ألمت بمصر مصيبة وتعرضت لغزو من آسيا وعبر صحراواتها ــ رمزوا الى هذه المصيبة رمزا فى أساطير عقيدتهم ، وربطوا بينها وبين مكائد ست وايحاءاته ، ولقد ظنوا مثل هذا الظن بالنسبة للهكسوس الذين أتوا من آسيا ، وعبدوا ست وحاربوا تحت رايته ، كما ظنوه أيضا بالنســبة للفرس الذين اغتصــبوا عرشهم واستهانوا بمعابدهم ومــذاهبهم ، ولم يحترموا موتاهم ، وحاربوا أبطاله الساعين الى تحرير وطنهم ، وقد أدمجت كل هذه الشرور رمزا فى أساطير وتمثيليات تبناها معبد أوزير فى أبيدوس واحتفظت بها بعض البرديات المتأخرة ، وقد خدمت غرضين ، غرض ارضاء السامعين والمشاهدين بالرمز الى استمرار مشكلات ست ضــد أوزير

وأسرته وغرض ترديد اللعنات ، باسم الدين والقومية ، على الأعداء الفرس الذين سمح لهم ست باجتياز أراضيه الأسيوية ، وايذاء مصر فى كرامتها وتقاليدها ورغم ذلك كله ، فلقد ظل أنصار ست من المصريين يعتبرونه ربا قادرا فاضلا ، يرسل العواصف لكى تبشر بالمطر ، ويستخدم طاقته الحربية فى نصرة مصر وجيوشها ، ويستخدم قوته السحريه فى حماية رب الشمس ومركبه ، بل ويأخذ بناصر أخيه أوزير فى الآخرة .

بقيت الاشارة الى أن هذه الأسطورة انما كانت من أحب الموضوعات الى قلوب المصريين ، لأنها قصة النزاع بين الخير والشر ، التى تنتهى بانتصار الخير ، ونيل صاحب الحق حقه ، وكانوا يمثلون حوادثها كل عام منذ أيام الاسرة الثانية عشرة على الأقل ، فى عيد أوزير فى أبيدوس ــ كما أشرنا آنفا ــ وكان الكهنة يقومون بأدوار الآلهة ، ويشترك الناس فى تمثيل المعارك ، وكان يحج الى أبيدوس فى كل عام آلاف من الناس ليشهدوا تلك المواكب والتمثيليات التى تستغرق عدة أيام ، وربما كان ذلك هو السبب الذى دفع الباحثين فى تاريخ المسرح يعتقدون أن هذه الأسطورة التى كانت تمثل حوادثها قبل أربعة آلاف عام ، انما هى أقدم ما نعرفه عن التمثيليات فى العالم كله ، فقد كان المصريون يمثلونها قبل ظهور المسرح اليونانى الى عالم الوجود بما يقرب من ألف وخمسمائة عام(١٤) .

---

(١٤) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٤٣ ـ ١٦١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٩ ـ ٣٣٣ ، احمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٧٩ ــ ٣٨٢ ، عبد المنعم ابو بكر : المرجع السابق ص ٢٧ ــ ٣٩ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٤٨ ــ ٥٣ ، جوستاف لوفبفر : المرجع السابق ص ٢٤٣ ــ ٢٧٠ .

وكذا G. Lefebvre, Op-Cit, p. 178-203.

وكذا M. Lichtheim, Op-Sit, p. 214-223.

وكذا J A. Wilson, ANET, p. 14-18.

A. Gardiner, LES, p. 37-60.

وكذا E. F. Wente and Others, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 109-126.

وكذا J. Capart, Cde, 8, 1933, p. 243-255.

٤ ـ أسطورة هلاك البشرية وانقاذها :

وصلت الينا هــذه الأسطورة بطريقة غريبة ، فقــد نقلت فى كتب التعويذات السحرية التى نقشت على جــدران بعض مقــابر ملوك الدولة الحديثة فى طيبة الغربية ، من أمثال « سيتى الأول » (١٣٠٩ ــ ١٢٩١ ق٠م) و « ورعمسيس الثانى » (١٢٩٠ ــ ١٢٢٤ ق٠م) و « رعمسيس الثالث » (١١٨٢ ــ ١١٥١ ق٠م) و « رعمسيس الســادس » (١١٤١ ــ ١١٣٤ ق٠م) فضلا عن « ناؤوس » الملك « توت غنخ آمون » (١٣٤٧ ــ ١٣٣٩ ق٠م)(١) ٠

هذا وقد قام بعض العلماء بنشر هذه الأسطورة ، من أمثال اداورد نافيل(٢) وماكس مــولر(٣) ورودر(٤) وبيانكوف(٥) وغيرهم(٦) ، فضلا عن بعض العلماء المصريين ، من امثال الدكتور سليم حسن(٧) والدكتور أحمد فخرى(٨) والدكتور عبد المنعم أبو بكر(٩) والدكتور عبد العزيز صالح(١٠) وغــيرهم ٠

والأسطورة ــ كما يقول أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، طيب الله ثراه (١٩٠٧ ــ ١٩٧٦ م) من أروع أساطير المصريين القدامى ، نحدثوا

---

(١) Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, A book of Readings, II, London, 1976, p. 197-198.

(٢) E. Naville, Transactions of The Soc. of Bib. Arch IV, p. 1-9.

(٣) M. Muller, Egyptian Mythology, p. 73 F.

(٤) G. Roeder Urkunden Zur Religion des Alten Aegypten, Jena, 1923, p. 141-143.

(٥) A. Piankoff, The Shrines of Tut-Ankh-Amon, New York, 1955, Harper Torchbook, 1962, p. 27-29.

(٦) Ch. Maystre, Le Livre de la Vach du Ciel, BIFAO, 40, 1941. p. 53-115, The Whole Text., 58-73.

(٧) سليم حسن : المرجع السابق ص ٧١ ــ ٧٤ ٠

(٨) احمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦ ٠

(٩) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٤٩ ــ ٥٨ ٠

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥ ٠

بها لكى يظهروا ــ من طرف خفى ــ ما عرف عن الانسان من ميل الى الشر ، وعن تعسفه ومغالاته فى الاستبداد ، اذا ترك له الحبل على الغارب فأغضب هــذا النزوع الى الشر الاله الكبير ، وأراد أن ينتقم من هــذه المخلوقات الضعيفة التى شقت عصا الطاعة على خالقها ، فيرسل عليهم مايكاد يهلكهم ، ثم تأخذه الشفقة بهم فينجى بعضهم لتستمر حيــاة الناس على الأرض فضــلا عن أن يكون فى ذلك عبرة ومثلا يضرب للبشر الضــعاف فيردعهم ويقوم من ميلهم الى الشر والخيانة . وهناك ما يشير الى أن هذه الأسطورة انما كانت محبوبة لدى القوم ، فقد عثر عليها مكتوبة فى أكثر من مكان : وكان الملوك أنفسهم يتعلقون بما أنطوت عليه من حكمةعميقه فأمروا بنقشــها على جــدران مقابرهم الداخليــة لتصحبهم الى الدنيــا الثانيــة .

هذا وتتميز الأسطورة بسذاجة التعبير والتكرار الذى يستهوى العامه من الناس ، هذا الى جانب اشتقاقات لغوية خاصة بأسماء الآلهــة تلفت نظر المشتغلين باللغة المصرية القديمة ، هذا فضلا عما تقدمه من صــــور طريفة للاحتفالات والمراسيم المحلية التى كان لا بد منها فى الطقوس المصرية القديــة .

وعلى أية حال ، فان الأسطورة تحدثنا أن الاله « رع » ، بعد أن خلق نفسه بنفسه ، وخلق الوجود ، وتملك أمور الأرباب والبشر ، تقدمت به السن ، فتآمر جماعة من أشرار الناس ضده ، وكفروا بنعمتــه ، ثم انتشروا فى الأرض فآلمه كفرهم ، وجمع كبار الأرباب عنده (حاتحور وشــو وتفنــوت وجب ونوت) سرا ، حتى لا يراهم البشر فترتعــد فصائلهم ، ثم قال لهم : تأملوا الناس الذين خلقوا من عينى يدبرون أمرا ضدى ، فافتونى بما ترون ؟

قال نوت : يا ابنى رع ، يا أيها الاله الذى أصبح أقوى ممن خلقه ، وأكبر ممن كونه ، لا تفعــل أكثر من أن تجلس على عرشك ، فانك عظيم

الرهبة ، ثم وجه عينيك على أولئك الذين يجدفون فى حقك ، فقال رع : أنظر : انهم هربوا الى الصحراء ، فقد ارتعدت قلوبهم مما قالوه .

واستقر الرأى على أن يرسل « رع » عينه « تفنون » فى صورة «حاتحور»، ففتكت بالعصاه وشربت دماءهم ، ولكنها سرعان ما استمرأت طعم الدم ولذة الانتقام ، فبدأت تأخذ الأبرياء بجريرة العصاة ، وأوشكت أن تفنى البشر أجمعين ، لولا أن تدارك رع الناس برحمته ، وأوحى الى أوليائه ان يتحايلوا على فتاته العاتية ، وطلب منهم أن يجهزوا سبعة آلاف اناء من الجعة ، وأن يرسلوا عدائين سريعين، يجرون كما يجرى ظل الجسم ليحضروا من أسوان مسحوقا أحمر اشتهرت به ـ لعله اكسيد الحديد(11) وأن يخلطوه بالجعة ، ولما أهل صباح اليوم الموعود ، الذى اعتزمت فيه حاتحور فناء البشر ، قال لهم : اسكبوها فى المكان الذى قالت أنها استهلك البشر فيه ، فرووا الحقول بها حتى ارتفعت نحو أربعة أصابع ، وجاءت حاتحور فى الصباح ، وورأت ما غمر الحقول ، ونظرت الى وجهها الجميل فيه وشربته ، ولذ لها طعمه ، فسكرت ونسيت أمر البشر .

وهكذا قامت عقدة الأسطورة على الايحاء بأن رحمة الرب غلبت نقمته وأن ما حدث من شر ، فى تمرد خلقه عليه ، انما كان سببا فى عمران بقية الكون ، وقد يتأتى بعض الخير من الشر أحيانا ؛ هذا فضلا عما صورته من عنف تفنوت وحاتحور ، ورمزت به الى أن للاناث بطشة دونها بطشات الرجال ؛ هذا الى جانب أن الأسطورة انما قد ربطت بين الفيضان الذى

---

(11) يرى تشرنى انها فاكهة حمراء اللون تطلق عليها اسم « ديدى » (Ddt) اتوا بها من اليفانتين ، (تشرنى : المرجع السابق ص ٦١) .

ويذهب الدكتور عبد المنعم ابو بكر الى أن « ديدى » (ددى) هذه مادة حمراء استعملها المصرى فى الحصول على اللون الاحمر ، لا نستطيع الجزم عما اذا كانت مادة نباتية ام حجرية ، الا انه من المعروف أن اليفانتين (البفنتين = جزيرة اسوان) تحوى سنجما لما نسميه « المغرة » (Didi) ولعلها هى ما أراد الاله احضاره من هناك (عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٥٥) .

واما نص الأسطورة فهو كالتالى :

حدث فيما مضى من الزمان حين كان رع يسكن الأرض ، وبعد أن خلق الناس ، وخلق كل ما يدب على ظهر الأرض ، كما خلق الآلهة[١٢] ـ أن كان الناس يتقدمون الى الاله الأكبر ، بكل فروض الطاعة والعبادة ، اللازمتين لمقامه العلى ، ولكن الاله كانت قد داهمته الكهولة بتعاقب السنين والأجيال وأصبح عجوزا ، عظامه من فضة ، ولحمه من ذهب ، وشعره من اللازورد ، فأخذ الناس يتهكمون عليه ويرمونه بالضعف والهزال .

وعلم جلالة الاله بما كان يدور بين الناس ، وبما كانوا يهمسون به ، فغضب وأمر الآلهة التى كانت فى ركابه قائلا : أدعوا لى عينى على عجل ، وكذا « شو » و « تفنوت » و « جب » و « نوت » ، وكل الآلهة من الآباء والأمهات الذين كانوا معى عندما كنت أسكن « نون » نفسه[١٣] ،

(١٢) هناك الكثير من النصوص التى تستنتج منها مفهوم المصريين عن عصر اقامت فيه الآلهة على الأرض جنبا الى جنب مع البشر ، ومع ذلك فليس لدينا سرد كامل ومنسق عن خلق الانسان نفسه وان كان من الطبيعى ان البشر ، شانهم فى ذلك شان اى كائنات اخرى ، قد خلقتهم الآلهة ، فهم يدعون « قطيع الاله » أو « قطيع رع » ، وبالتالى نستطيع أن نستنتج أن رع هو خالق البشر ؛ اى المصريين عامة ، وفى الاسطورة فان كلمة « رومى » والتى نطلق فى اللغة المصرية القديمة على المصريين ، يمكن أن تدل أيضا على دموع الاله رع ، وفى مواضع اخرى يشار الى البشر على انهم « انوا من عينه » بينما كانت الكائنات الأخرى من « صنعه » ، لكن دور « رع » فى الخلق سبقه اعتقاد بان الاله « خنوم » قد شكل كل طفل يولد على عجلة الفخرانى وربما كان ذلك مجرد صفل لدور خنوم الأساسى بخلفه لكل الأشياء الحية ، وهو دور الهمته قوى الاخصاب الخارقة التى يتمتع بها الكبش رمزه الحيوانى المقدس ، هذا ريشتق اسم خنوم من فعل « خنم » بمعنى يخلق ، وهذا يعنى انه اله خالق منذ البدء ، ولم تسبق عليه هذه الصفة كبعض الآلهة غيره ، ومن أهم القابه « خالق البشر » (تشرنى : المرجع السابق ص ٦٢ ـ ٢٦٨ ، وانظر عن الالهين رع وخنوم : محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٢٩٩ ـ ٣٠٣ ، ٣١٥ ـ ٣١٧) .

(١٣) انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٣ ـ ٣٦٥ .

مع أفراد حاشيته ، أدعوهم جميعا فى السر حتى لا يراهم البشر ، واحضروهم الى القصر الكبير . وحضر الالهة جميعا واجتمعوا سرا حتى لايعرف البشر بأمر اجتماعهم ، وعندما دخل عليهم الاله خروا ساجدين بين يديه ، واضعين أيديهم على الأرض ، ثم هتفوا قائلين : تحدث الينا حتى نعرف خطبك ، فقال رع موجها كلامه الى نون : يا أيها الاله الأكبر الذى جئت منه الى الوجود ، ويا أيها الالهة الكبار : انظروا أولئك البشر الذين خلقوا من عينى ، أنهم يدبرون شيئا ضدى ، انهم يقولون فى قلوبهم متهكمين ، أنظروا : ان الملك أصبح كهلا . تحولت عظامه الى فضة ، ولحمه الى ذهب ، وشعره الى لازورد . هل لك ان ترشدنى الى ما أنا صانع بهم ، من أجل ذلك دعوتك لاستشارتك . أعلم أنى لم أقدم على افنائهم حتى اسمع منك ما تنصحنى به .

وتكلم « نون » قائلا : أنت أيها الاله العظيم ، أنت يا من تفوق خالقك فى عظمتك ، أنت الابن الذى فاقت قوته قوة أبيه ، ارسل عينك لتفتك بالمتآمرين عليك ، وعندئذ سوف يختفون من فوق الأرض فأرسل رع عينه لتفتك بالبشر حسب نصيحة نون . ولكنهم عندما شعروا بها تفرقوا فى الصحارى واختفوا بين الصخور . فقال رع : انظر : لقد هربوا الى الصحراء ، اذ ارتعدت قلوبهم مما قالوه ، وعندئذ تقدمت جموع الآلهة الى جلالته وقالوا : أرسل عليهم عينك لتقتلهم لك ، دعها تنزل اليهم فى صورة حاتحور ، وذهبت هذه الالهة وقتلت البشر فى الصحراء ورجعت الى أبيها ، فقال لها الاله : مرحى يا حاتحور ، لقد فعلت ما ارسلتك لتفعليه ، وقالت هذه الالهة : وحق حياتك انى انتصرت على الناس ، وهذا شىء يحبه قلبى . فقال جلالة رع : سأنتصر عليهم فى هليوبوليس وأبيادهم ، فرد عليها الاله قائلا : ان فتكك بهم سوف يوطد سلطانى عليهم . ولكن كفى ما قمت به . لا تقتلى منهم بعد ذلك فردا .

وأما الالهة فلم تستمع الى ما قاله أبوها ، واستمرت طوال الليل تفتك بالبشر ، وتسبح فى دمائهم . وخشى رع ان تأتى حاتحور على ماتبقى

منهم فی صبیحة الیوم التالی ، فصاح فیمن حوله : ادعوا لی علی عجل رسلا یسابقون الریح ، یجرون کما یجری ظل الانسان ، فأحضروهم الیه فقال لهم جلالته : اسرعوا الی الیفانتین (جزیرة أسوان) واحضروا لی کل ما تستطیعون حمله من « دیدی » ، وعندما أحضر الرسل الـ « دیدی » الی الاله أمر بصحنه ، کما أمر بعض الخادمات باعداد کمیات کبیرة من الجعة وخلطها بال « دیدی » فأصبحت فی لونها تشبه دماء البشر ، ثم ملأ بها سبعة آلاف جرة ، وفی الصباح أمر « رع » أتباعه أن یحملوا هذه الجرار بما فیها من جعة حمراء ، وسکبها فی المکان الذی اعتزمت حاتحور أن تفتك فیه بمن بقی من البشر ، وقال الاله : ما أجمل ما فعلت ، سأحمی ما بقی من البشر من فتکها ، وبدت الحقول کبرکة کبیرة تعلوها طبقة من الجعة الی ارتفاع ثلاثة أکف (الکف ٥ر٧ سم) وتم ذلك بأمر من جلالة هذا الاله ، وفی الصباح خرجت حاتحور ووجدت المکان مغمورا ورأت وجهها معکوسا علی السائل بشکل جمیل فشربت منه واستطابت طعمه وقفلت راجعة وهی ثملة ، فلم تعترض الناس ، وأقیمت الاحتفالات وسر الاله ، ورضیت نفسه بنتیجة هذا العمل(١٤) .

---

(١٤) عبد المنعم ابو بکر : المرجع السابق ص ٤٩ ــ ٥٨ ، سلیم حسن : المرجع السابق ص ٧١ ــ ٧٤ ، احمد فخری : المرجع السابق ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦ ، عبد العزیز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥ ، نجیب میخائیل : المرجع السابق ص ٥٠١ ــ ٥٠٢ ، ارمان : دیانة مصر القدیمة ص ٧٥ ــ ٧٦ ، وکذا

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 10-11.

وکذا A. Erman, Op-Cit, p. 47-49.

وکذا Ch. Maystre, Op-Cit, p. 53-73.

وکذا A. Pionkoff, Op-Cit, p. 27-2.

وکذا M. Lichtheim, Ancient Egyption Literature, London, 1976, p. 197-199.

٥ ـ أسطورة حيلة ايزة :

اعتقد المصرى القديم أن هناك علاقة خفية بين الانسان واسمه ، وأن الاسم انما يكون الجزء الحى من الانسان ، بل هو العنصر الذى يقوم شخصيته وقوته . ومن ثم فقد اعتاد القوم أن يسمى الشخص الواحد باسمين اثنين : الاسم الأكبر . والاسم الأصغر ، أو الاسم الكبير والاسم الجميل ، وقد اعتاد المصرى أن يخفى اسمه الكبير ، وأن يشيع بين الناس الاسم الأصغر ومن هنا اعتقد القوم أن محو اسم الشخص من مقبرته انما هو عمل كاف لقتله أبدا ، لأنه يسلبه بهذا العمل ذلك العنصر القوى الذى تقوم عليه حياته الأبدية .

والأسطورة التى تتعرض لهذا الموضوع مكتوبة على بردية محفوظة فى متحف تورين ، وترجع الى أيام الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٩ ـ ١١٨٤ ق.م) ، وقد اهتم كثير من العلماء بنشرها ، من أمثال اركبييت[١] وماكسوم مولر[٢] وأدولف ارمان وهرمان رانكة[٣] ورودرو[٤] وألن جاردنر[٥] وجون ويلسون[٦] وغيرهم[٧] ، كما اهتم بترجمتها والتعليق عليها كثير من العلماء المصريين .

وتقول الأسطورة : كانت ايزة امرأة حكيمة فى قولها ، ولها قلب يفوق فى شجاعته قلوب ملايين الرجال ، وكانت أعقل من ملايين الرجال ، ولم يكن هناك شىء فى الأرض أو فى السماء لا تعرفه ، فهى مثل رع

---

(١) Eric Peet, A Comparative Study of The Literaature of Egypt, Palestine and Mesopotamia, p. 19 F.

(٢) M. Muller, Op-Cit, p. 80 F.

(٣) A. Erman and H. Ranke, Aegypten, Tubingen, 1923, p. 301-304.

(٤) G. Roeder, Op-Cit, p. 138-141.

(٥) A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 116-118, Pls, 64-65.

(٦) J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 12-14.

(٧) F. Rossi and W. Pleyte, Popyrus Turin, Leyden, 1869-76.
G. Moller, Hieratische Lesestucke, II, Leipzig, 1927, p. 30-32.

الذى صنع كل ما على الأرض ، وقد دبرت هذه الالهة (ايزة) فى نفسها ، أن تعلم اسم الاله الأعظم ، وكان الاله رع يدخل الى السماء كل يوم على رأس رجال سفينته ، وكان يجلس على عرش الأفقين وكانت قد تقدمت به السنون وضعف تحكمه فى لعابه الذى كان كثيرا ما يسيل من شدقيه ويتساقط على الأرض فتناولت ايزة بعضا منه وعجنته بتراب الأرض ، وشكلت منه ثعبانا مقدسا ووضعته فى الطريق الذى اعتاد الاله العظيم أن يسلكه حسب ارادته بين شطرى الوادى .

وجاء الاله الأعظم فى بهائه ، وكان آلهة قصره يسيرون خلفه، ومشى كعادته فى كل يوم ، فعضه الثعبان العظيم ، عضة النار الحية التى خرجت منه هو ، فصرخ الاله صراخا عاليا وصل الى السماء وتجاوبت السموات صراخه ، وصاح أفراد التاسوع : ما هذا ؟ ما هذا ؟ ولكن رع لم يستطع — من فرط ألمه وشدة صراخه — أن يجيب ، وارتعشت شفتاه ، واهتزت أعضاء جسمه ، لأن السم تمكن من جسده ، وعندما أخذ الاله يتمالك نفسه ، صاح فى أتباعه :

أغيثونى ، أنتم معشر الالهة يا من خلقتكم واخرجتكم من جسمى ، اقتربوا منى لأحدثكم بما حدث لى ، لقد وخذنى واخذ لا يعرفه قلبى ولم تره عينى ، ولم تصنعه يداى ، ولا أستطيع التعرف عليه من بين مخلوقاتى ان ألمه شديد لم أشعر بمثله ، وليس هناك أشد ايلاما منه ، انى شريف ابن شريف ، أتيت الى الحياة الها ، انى عظيم ابن عظيم ، اختار أبى اسما لى، لقد تعددت أسمائى واختلفت أشكالى ، وقد أودعت صورتى آلهة أخرى واختار أبى وأمى اسما لى ، واختفى هذا الاسم فى جسدى قبل ولادتى حتى لا تستطيع قوة ساحر أو ساحرة أن تعرفه وتتغلب به على ، دعوا أولاد الالهة يحضرون الى ، أولئك الذين عرفوا بالحديث الطب ، وعرفوا السحر ، ووصلت حكمتهم عنان السماء .

وجاء الآلهة الصغار يندبون ويبكون ، وتقدمت ايزة تسأل عما حدث

وقالت له : ماذا جرى؟ ماذا جرى؟ اذا كان ثعبان قد أصابك بسوء . أو أن شيئا من مخلوقاتك قد عصاك ، فانى ساسحقه بقوة سحرى ، وسأمنعه من أن يجتلى بهاء أشعتك ، ففتح الاله المقدس فمه ، وقص على ايزة ، قصة الثعبان ، ثم قال : انى أشعر ببرودة أشد من برودة الماء ، انى أشعر بحرارة أشد من حرارة النار ، ويغرق جسمى فى العرق ، بينما اهتز من شدة البرد ، هناك غشاوة على عينى ، ولا أستطيع الرؤية ، فقالت له ايزة : أخبرنى باسمك ايها الأب المقدس لأن الانسان لا يستطيع أن يحيا دون ان يذكره فى تعويذة السحر .

فقال رع : أنا الذى خلق السماء والأرض ، وسوى الجبال وأنشأ ما عليها ، أنا الذى خلقت الماء ، وجعلت الالهة « مح ــ ورت » تأتى الى الوجود ، أنا الذى خلقت الثور لأجل البقرة ، وجعلت التناسل فى العالم، أنا الذى انشأت السماء ، وأنشأت أسرار الأفقين ، وأحللت فيهما أرواح الآلهة . أنا الذى فتح عينيه فكان الضوء ، وأغمض عينيه فكان الظلام أنا الذى يأمر النيل فيفيض ، أنا من لا تعرف الآلهة اسمه ، أنا الذى أمرت بالأعياد وخلقت مجارى الماء ، أنا خالق نار الحياة لأنشىء أعمال الكون ، أنا « خبرى » فى الصباح و « رع » فى الظهيرة ، و « أتوم » فى المساء .

ولكن السم لم يغادر جسمه ، فتقدمت منه ايزة وقالت : ان اسمك الحقيقى لم تذكره بين الأسماء التى قلتها ، اذا أخبرتنى به خرج السم من جسدك ، واعلم أن الانسان لا يحيا الا اذا نطق باسمه ، ولكن آلام السم ما زالت تحرق جسده ، فكانت أقوى من لهيب النار ، فقال جلالة رع : يا ابنتى ايزة ، قربى أذنيك منى حتى يخرج اسمى من جسدى فيدخل جسدك .

وهكذا تمكنت ايزة من معرفة اسم رع ، ومن ثم قالت : أخرج أيها السم من جسد رع المحترق ، لأنى أقول التعويذة ، اننى أنا التى آمر ، اننى أنا التى أبعث بالرسالة ، أخرج على الأرض أيها السم القوى ، ولتعلم

أن الاله الكبير قد أسر فى أذنى باسمه الكبير ، فعاش رع ، ومات السم من قول ايزة الكبيرة ، سيدة الآلهة ، التى تعرف رع باسمه الحقيقى ، ومن ذلك الوقت أصبح قسمها هى الرقيةالتى كان يتلوها السحرة ليشفوا بها لدغة الثعبان(٨) .

---

(٨) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ١٩ ـ ٢٥ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١١٢ ـ ١١٥ ، وكذا

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 12-14.

وكذا A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 116-118.

٦ ـ اسطورة البهتان والصدق

جاءت هذه الأسطورة على بردية « شستربيتى الثانية » ، والمحفوظة بالمتحف البريطانى برقم ١٠٦٨٢ وترجع الى أيام الأسرة التاسعة عشرة ، وقد فقدت بداينها ، هذا وقد قام بنشرها « سير ألن جاردنر »(١) ، وترجمها وعلق عليها كثير من العلماء ، من أمثال جوستاف لوفيفر(٢) وونيت(٣) وارمان(٤) وجريفث(٥) وماكس بيبر(٦) وغيرهم(٧) ، كما اهتم بها من العلماء المصريين سليم حسن(٨) وعبد العزيز صالح(٩) .

وقصة الأسطورة بها تبه من أسطورة « أوزير وست » ــ والى حد ما من « قصة الأخوين » ــ غير أنها لم تذكر أوزير وست صراحة ، وانما كنى كاتبها عنهما باسمى معنويين ، هما « الحق والبهتان » أو الصدق والبهتان ، وكانا أخوين عاشا بين البشر .

وأسلوب الأسطورة بسيط ، وتعبيراتها متشابهة ، وفيها شىء من خوارق العادات ، فيما يتصل بالخنجر والثور ، كما أنها أبانت لنا بعض عادات المصريين القدامى على أيام الرعامسة ، كاستخدام الأعمى من الرجال فى حراسة الأبواب ، وايداع الثور عند راع فى مقابل أجر ضئيل ، فضلا عن تقديم صورة حية لحياة الفلاح وقت ذاك ، وكذا الحياة المدرسية ،

---

(١) A. H. Gardiner, LES, p. 30-36, Hieratic Papyri in The British Museum, Third Series, Chester Beatty Gift, London, 1935, I, 2-6, 153, II, Pls. 1-4.

(٢) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 159-168.

(٣) E. F. Wente, Op-Cit, p. 127-132.

(٤) A. Erman, Forschungen und Forschnitte eighth year No. 4 (1932), p. 43-44 LAE, p. 3 F.

(٥) J. G. Griffith, JEA, 53, 1967, p. 89-91.

(٦) M. Pieper, ZAS, 70, 1934, p. 92-97.

(٧) انظر A. Theodorides, RdE, 21, 1969, p. 85-105.

وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, p. 211-214.

وكذا S. Schott, Altagyptische Liebesieder, Zurich, 1950,p. 205-208.

(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٢٢ ــ ١٢٦ .

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٣ ــ ٣٣٤ .

ولعل مما يلفت النظر ، فيما يرى الدكتور سليم حسن ، أسماء بطلي القصة « الصدق والبهتان » اللذين خلعا على الأخوين المتخاصمين ، لأن ذلك لم يكن منتظرا ، حيث أنّ كلمة « صدق أو عـدالة » من الأسماء المؤنثة فى اللغة المصرية القديمة ، وان كان اطلاق أسماء معنوية على صور حسية انما هى من الأمور الشائعة عند القوم من قديم الزمان ، ومثالنا الالهة « ماعت »(معات) التى تدل على الصدق والعدالة ، وأحيانا النظـام والاستقامة(١٠) ، وهذا أقدم مثال للكناية (١١) .

تقول الأسطورة : أن « البهتان » أراد أن يكيد لأخيه « الصدق» فترك خنجره ودبعة لديه ، ثم استلبه منه خفية ، وعاد فطالبه به ، ولما اعتذر له أخوه عن ضياعه لم يقبل عذره ، كما لم يقبل أن يعوضه عنه ، وشكاه الى الأرباب مدعيا أن سلاح خنجره كان فى ارتفاع الجبل ، وأن مقبضه فى ارتفاع الشجر ، ففوض له الأرباب التعويض الذى يحبه ، فأصر على أن يقتلع عينى أخيه ، وأن يستخدمه حارسا لداره ، فأجابه الأرباب الى ما أراد ، وأذل البهتان أخاه ، وجعله حارسا لبابه ، ولكنه كلما نظر اليه احس بخزيه ، وبأن الضرير ما زال يحتفظ بوقاره وجماله ، ومن ثم فقد دبر أمر قتله ، وعهد بذلك الى عبدين عنده ، غير أنهما لم ينفذا جريمته ، وتركا « الصدق » عند سفح الجبل .

ومر حين من الدهر ، وشهدت الصدق أنثى بارعة الجمال ، فأحبته وتزوجته ، وان لم تعلن ذلك الزواج حتى لا يعايرها الناس به ، ولكنها خصصت للزوج غرفة بجانب باب دارها ، ومرت الأيام ورزق الزوجان بغلام تعهدته الأم بالتربية الصالحة ، وأخفت عنه سر أبيه ، وألحقته بمدرسة أتقن الكتابة فيها ، وتعلم فنون الرياضة والنزال وتفوق على أقرانه فيها ، وان نغص عليه هذا التفوق أن زمـلاءه كثيرا ما كانوا عن أبيه ، بل وكانوا أحيانا يعيرونه بأنه لا أب له ، وعندما عرف الحقيقة ، وأن أباه انما هـو

---

(١٠) أنظر عن عن الالهة «ماعت» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٣٥٠ ـ ٣٥٢) .

(١١) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

ذلك البواب الأعمى ، كظم غيظه ، وان ألح الى أمه أن موتها خير من حياتها « كان خيرا لك أن تجمعى أهلك حتى يأتوا لك بتمساح يلتهمك ».

وفى نفس الوقت بدأ يفكر فى أن يكيد لعمه « البهتان » ، كما كاد هو لأبيه من قبل ، فاشترى ثورا وعهد به الى أحد رعاة عمه ، وطلب منه أن يرعاه حتى يعود من سفره فى مقابل أجر أعطاه اياه ، وفى يوم من الأيام رأى البهتان الثور ، فأعجب به وذبحه ، رغم معارضة راعيه ، ومرت شهور وجاء الغلام ، وعلم بما حدث ، فشكا الراعى وسيده الى الأرباب وادعى أن ثوره كان ينجب ستين عجلا كل يوم ، وأنه اذا وقف وسط الدلتا بلغ أحد قرنيه جبالها الشرقية ، وبلغ الآخر جبالها الغربية ، وتعجب الأرباب من دعواه . واتهموه بالمبالغة التى لا تصدق ، فأجابهم: وهل رأيتم من قبل خنجرا بضخامة الخنجر الذى حكم على أبى بالعمى من أجله ؟ وهنا علم الأرباب أن البهتان قد خدعهم ، فردوا على الحق بصره ، وأمروا بجلد البهتان مائة جلدة ، وبجرحه خمسة جروح بالغة ، وفقء عينيه ، وبأن يصبح بوابا لأخيه ، جزاء وفاقا على ما فعل بأخيه من قبل ، وهكذا عبر القصاص بهذا العقاب ربما عما أصبحت عليه العقوبات البدنية فى عصره ، كما عبر بتربية الابن تربية صالحة — كتابية ورياضية وعسكرية — عما كانوا يستحبونه لتربية أبناء الكبراء فى أيامهم(١٢) .

(١٢) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١/٣٣٣ — ٣٣٤ (القاهرة ١٩٦٧) .

كانت ولاية العرش فى مصر الفرعونيـة تنحصر فى الابن الملكى الأكبر من الدم الملكى الخالص ، ثمرة زواج الأخ الملكى من الأخت الملكيـة من الأبوين الملكيين وهكـذا كانت القاعدة الثابتة أن يعتلى عرش مصر من تسرى فى عـروق أمـه وأبيـه الدماء الملكيـة النقية ، أما اذا كان ابنا لزوجة مصرية غير ملكيـة ، فكان عليه أن يلجـأ الى الزواج من أميرة من الفرع الملكى الخـالص ، ليقوى بذلك شرعيـة مركزه ، ويصـبح أهـلا لتولى عرش الفراعين[1] ، ومع ذلك فان زوج الأمـيرة الملكية انمـا يعتبر مجرد أمير ، وأما أبناؤها ـ ثمرة هـذا الزواج ـ فقد كانوا يعتبرون ورثة شرعيين ، وفى بعض الحالات قديصبح زوج الملكة الوارثة ملكا ، حين تكون هذه الملكة كبرى نساء البيت المالك سنا ، كأن تكون أرملة ملك أو كبرى بناته ، أو أبعـد من ذلك قرابة [2] •

ولعل ذلك انما يعنى أن العرش المصرى انما كان ينتقل عن طريق المرأة ، ومن هنا كانت الزوجة الملكية الكبرى للملك هى الوريثة التى يستطيع هذا الملك الوصول الى العرش عن طريق الزواج بها ، ولم يكن مولد الملك مهما ، بقدر ما يكون مولد الملكة ، فقد يكون من أية طبقة ولكنه يصبح ملكا حين يتزوج من الملكة ، ونستطيع أن نقول ان الملكة ملكة بحق المولد ، وأن الملك ملك بحق الزواج ، ولا يستطاع تفسير هذه الزيجات الملكية بغير عادة التسلسل الأموى ، وانتقال التاج عن طريق خط الأنثى[3] ، ولعل هذا هو الذى جعل نظرية تولى العرش فى مصر،

---

(١) Percy E. Newberry, King Ay, The Successor of Tut-Ankh amun, in JEA, 18, 1932, p. 51.

(٢) انظر : محمد بيومى مهـران : اخنـاتون ـ عصره ودعوته ـ القاهرة ١٩٧٩ ص ٥٠ ـ ٥١ •

(٣) A. M. Margaret, Splendour That Was Egypt, London, 1950. p. 102.

تنص على أن تكون أم الملك من نسل ملكى خالص ، فهى اما أن تكون ابنة ملك ، أو زوجة ملك ، أو أم ملك ، وقد تكون الثلاثة معا •

وانطلاقا من كل هذا ، فان الملك الذى يجلس على عرش مصر، من غير أبناء الأسرة المالكة ، كان عليه أن يتزوج من احدى أميرات البيت المالك ، حتى يأتى خلفه ، والدماء الملكية تجرى فى عروقه ، ذلك لأن الملكات انما كن ممثلات للدم الملكى ، ويحافظن على التقاليد الملكية بارتباطهن بالأسرة الجديدة — سواء أكان أول ملوكها زوجا للملكة أوأحد أبنائها ، هذا وقد اعتبر المصريون القدامى الزوجة الرئيسية هى «زوجة الاله » (زوجة الملك المؤله) ، وان كانت من نسل ملكى سابق لكن جىء بها من صلب جسد مؤله ، ومن هنا نشأت نظرية تولى العرش ، ورغم أن للملوك الحق فى الزواج من أكثر من واحدة ، غير أن الزوجة الرئيسية انما كانت تعتبر أنقى الزوجات ، ولعل ذلك هو السبب فى زواج الأخ بأخته التى لجأ اليها بعض الملوك (وليس المصريون عامة) بغرض تأكيد صفاء الألوهية من ناحية ، فضلا عن التقليل من عدد المتطلعين الى العرش من ناحية أخرى[٤] •

على أن هناك بعضا من الملوك انما قد لجأوا — فى تبرير شرعيتهم للعرش — الى قصص الولادة الالهية — كما فعلت حتشبسوت وأمنحتب الثالث — فى نصى الولادة المشهورين ، الواحد : فى معبد الدير البحرى فى طيبة الغربية ، والثانى فى معبد الأقصر فى طيبة الشرقية ، ويتحدث الأول عن ولادة حتشبسوت من الاله آمون ، ومن أحمس ، زوج تحوتمس الأول[٥] ، ويتحدث الثانى عن ولادة أمنحتب الثالث من الاله آمون ،

---

(٤) J. A. Wilson, The Culture of Aucient Egypt, Chicago, 1963, p. 96-97.

(٥) E. Naville, The Temple of Deir El-Bahari, Part, II, 1896, p. 46-56.

وكذا J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1927, Parag. 192-220, p. 78-89.

ومن « موت ام ويا » زوج الملك تحوتمس الرابع(٦) ، وفى كلا النصين نرى الاله آمون يتخذ شخصة « الزوج الأب » ثم يتصــل بالملكة الأم (أحمس أو موت ام ويا) اتصال الرجل بزوجته ، فتحمل الملكة وتنجب الفرعون(٧) •

وعلى آية حال ، فان التاريخ انما يحدثنا أن « تحوتمس الأول » (١٥٢٨ــ ١٥١٠ ق•م) لم يرزق بولد ذكر من زوجه الرئيسية «أحمس» وانما ، وضعت له بنتا دعوها « حتشبسوت » ، كان المفروض أن تخلفــه على العرش ، لولا أن سوابق حكم الملكات فى مصر القديمة لم تشجعه ولم تشجعها على ذلك ، ذلك لأن القوم ، فيما يبدو ، ما كانوا يستسيغون أن تحكمهم امرأة ، رغم أنهم ما كانوا ينكرون حــق الأناث فى وراثة العرش ، بل ان العرش نفسه ، كما قلنا ، انما كان ينتقل عن طريق المرأة ، وليس الرجل ، ومن ثم فقد زوج تحوتمس الأول ولده تحوتمس الثانى من ابنته « حتشبسوت » ، صاحبة الحق الشرعى فى العرش ، وأجلسه خليفة له على عرش مصر ، غير أن زوجــه وأخته « حتشبسوت » انما كانت قوية الشكيمة ، ومن ثم فقــد نجحت فى أن تؤكد شخصيتها فى عهده ، وفى أن تمهد لخلافتها اياه ، ثم مات بعد أن أنجب منها بنتين ، كما أنجب ولده « تحوتمس الثالث » من زوجة غير ملكية هى « ايزة » وهو الذى خلفه على العرش تحت وصاية عمته وزوج أبيه«حتشبسوت» غير أن هذه الوصاية سرعان ما أصبحت حكما حقيقيا ، عندما أبعــدت حتشبسوت تحوتمس الثالث عن العرش ، وانفــردت بحكم مصر قرابة اثنين وعشرين عاما (٨) •

---

(٦) A. Gayet, Le Temple de Louxor, Cairo, 1895, Pls. 62-73, fig. 205.

(٧) أنظر : محمد بيومى مهران : مصر والشرق الادنى وقــديم ــ الجزء الثانى ــ مصر ــ الجزء الثانى ــ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٠١ــ١٠٤ •

(٨) W. C. Hayes, CAH, II, Part, I, Cambridge, 1975, p. 317.

وكذا H. Gauthier, le Livre des Rois d'Egypte, II, Caire, 1912, p. 236.

وكذا J. Yoyotte, Kemi, 8, 1968, p. 85-91.

وكذا A. Weigall, A History of The Pharaohs, II, London, 1925, p. 106-108.

وفى الواقع أن ذلك لم يكن أمرا ادا فى تاريخ الفراعين ، فقد فعلت ذلك امرأتان من قبل ، على الأقل ، الواحدة « نيتوكريس » فى آخر الاسرة السادسة ، والاخرى «سوبك نفرو رع» فى آخر الاسرة الثانية عشرة ، وان انتهت الأسرتين بكل منهما ، ولكن الجديد هنا أن أنثى ظهرت بمظهر الرجال وارتدت زيهم ، وان حدث ذلك فى شيء من التردد ، أول الامر ، ثم أصبح أمرا عاديا بعد ذلك ، حيث نرى بعد ذلك «حتشبسوت» تظهر بزى الرجال فى أماكن كثيرة فى الكرنك ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ان المرأة الفرعونية انما كانت تصر على أن تلقب نفسها بلقب « ملك » وليس « ملكة » ، وأن تستخدم ضمير المذكر ، وليس المؤنث(٩) .

ولم تكتف « حتشبسوت » بذلك ، وانما زعمت لنفسها فى أسطورة سياسية ، مولدا الهيا ، من الاله أمون نفسه ، وسجلته على معبد الدير البحرى فى طيبة الغربية ، تقول الأسطورة : أن مجلس أرباب الوادى قد انعقد برياسة أمون للتشاور فيمن يخلقوه ليجلس على عرش الكنانة ، واذا برب الحكمة « تحوت » يتقدم الى أمون ليذكره بأحمس الجميلة ، زوج الملك تحوتمس الأول ، واذا بآمون يعلن للأرباب أنه سيهب الملكة الجميلة مولودا من صلبه يعتلى العرش ، وأنه قضى أن يكون الولد أنثى وسرعان ما تحققت المعجزة بأن مضى أمون الى قصر الملكة فى غيبة زوجها — بعد أن تقمص بصورته وتزيى بزيه — ثم دلف الى مخدع الملكة فوجدها وسنانة ولكن شذى عطره قد نفذ الى أنفها فأيقظها ، ولم تكن ترنو اليه بناظريها حتى تمثل لها بشرا سويا ، رأت فيه زوجها ، فقالت : هيئت لك ، فجلس منها مجلس الرجل من المرأة ، ولما قضى منها وطره، نبأها عمن يكون ، ففرحت بذلك وتهللت واستبشرت بما أودع فى رحمها ، قبل أن يهم أمون بمغادرة مخدعها أنبأها بأنها ستضع أنثى ، وسوف

---

(٩) H. Chevrier, ASAE, 34, 1934, p. 170-172.
وكذا Suzanne-Ratie, la Reine-Pharaon, Paris, 1972, p. 20-22, 262.
وكذا A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 183-184.
وكذا W. C. Hayes, Op-Cit, p. 317-318.

يكون اسمها « حتشبسوت خمنت أمون » بمعنى « ذروة النبيلات ، صفية أمون » .

ثم أوحى أمون الى « خنوم » ـ الاله المتكفل بخلق البشر ـ أن يصور بدن الجنين من صلصال ، ثم قال له : لتصنع ابنتى هذه وقرينتها من أعضائى ، ولتشكلها بجمال لا مثيل له بين الآلهة ، اصنع لى ابنتى هذه التى أنجبتها ، لقد وهبتها الحياة والسعادة والقوة ، سأمنحها كل شيء لتصبح مثل رع الأبدى ، فأجاب خنوم : ساصنع لك ابنة اسمها حتشبسوت ، لها الحياة والصحة والسعادة ، سوف يفوق جمالها جميع الآلهة ، حتى ينفق مع مكانتها كملك لمصر العليا والسفلى .

ولما جاء المخاض الملكة اجتمع الأرباب فى ساحة القصر ، وهرع اليها منهم من يستطيع مساعدتها فى ساعة العسر ، ولما خرجت حتشبسوت الى الدنيا تلقتها الالهة حاتحور ، وقدمتها الى أمون الذى سعد بها كثيرا ثم قال : أنت يا أعظم جزء منى ، ستصبحين « ملكا » على مصر ، سوف تجلسين على عرش حور الى الأبد ، ثم قدمها أمون الى بقية الأرباب ، باعتبارها وريثة عرش الفراعين ، ثم خاطبهم بقوله : ها هى ابنتى حتشبسوت معكم ، لتحيطوها بحبكم وعطفكم ، فأجابت الالهة ، هذه هى ابنتك حتشبسوت التى تحيا سوف نحيطها بحبنا وعطفنا ، وستحيا فى سلام وهدوء ، انها ابنتك التى خلقتها من نفسك ، انك أعطيتها روحا من روحك ، انك أسبغت عليها قوة سحرية من قوتك ، لقد امتلكت البلاد وكل ما تظلله السماء ، بينما كانت فى بطن أمها ، انها صاحبة كل ما تحويه البحار ، هذا ما صنعته لها ، انك أعطيتها حظ حور فى الحياة ، لقد وهبتها سنى ست فى السعادة .

ثم سرعان ما تلقى أبوها (تحوتمس الأول) البشرى ، راضيا شاكرا وأعلنها على الناس كافة ، ولما أصبحت الطفلة شابة كانت جميلة جمالا رائعا ، وكان النظر اليها أمتع من النظر الى أى شيء فى الدنيا ، كانت صورة اله ؛ تتصرف كما يتصرف الآلهة ، ولها روعتهم وبهاؤهم ، وكانت

تضارع الربة « احو » فى زمانها ، ثم طاف بها أبوها على المعابد الكبرى وأعلنها خليفة له على عرش الكنانة .

وهكذا حاولت حتشبسوت بكل الوسائل أن تزيل من أذهان القوم كراهيتهم لحكم الأناث ، ولسنا ندرى مدى تصديق المصريين لهذه الادعاءات الأسطورية، ولكن حسبها ـ من الناحية السياسية ـ ماتدل عليه من اعتقاد الفراعين بأن الأمر الواقع فى ارتقاء العرش ، والهيمنة على السلطة لا يكفى ، وأنه لابد من تأييده بسند من الدين ، يرضى الكهان والخاصة والعوام(١٠) .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن تحوتمس الثالث أراد أن يرد على أسطورة خصيمته حتشبسوت عن « المولد الالهى » الذى زعمته فى هذه الأسطورة ، بأسطورة « الاختيار الالهى » له ، وذلك عن طريق دعوى صورها على معبد الكرنك ، وزعم فيها أن أباه تحوتمس الثانى قد بعث به طفلا الى دار أمون لينشأ فى ظله ، ولينربى فى كنفه ، وتحت رعاية كهانه ، وقد حدث خلال الاحتفال بعيد دينى كبير ، أن اتنحى تحوتمس الثالث جانبا من البهو الشمالى فى معبد الكرنك ليشهد منه موكب ربه أمون ، وعندما مر الموكب ـ والفرعون فى مقدمته ـ تعمد تمثال الاله أن يحوم حول مكان تحوتمس الصغير ، وقد تبعه الكهان ورجال الدولة دون أن يدروا عن هدفه شيئا ، حتى بلغ موضع تحوتمس من أمامه ، هناك أخذه الرعب فخر صعقا ، فلما أفاق رأى ربه ينهضه ثم يأخذ بيده فيقوده الى أقدس مكان فى المعبد ، هناك كشف عنه غطاءه وفتح له أبواب السماء ، فطار اليها حيث تلقى ألقابه وجعلت الدنيا تحت

---

(١٠) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١/٢٠٠ ، الاسرة والمجتمع ص ٣٥ ـ ٣٩ ، عبد المنعم ابو بكر : المرجع السابق ص ٩٧ ـ ١٠٨ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1927, p. 78-89.

وكذا E. Noville, The Temple of Deir El-Bahari, II, London, 1896, p. 46-56.

قدميه ، والنصر فى ساعديه ، ثم مد له حدود ملكه ، لأنه أحبه حبا لم يحبه أحدا من قبل(١١) •

وهكذا رد تحوتمس الثالث على أسطورة حتشبسوت بأسطورة مثلها ، وسوف يفعل أمنحتب الثالث فيما بعد ، ما فعلته حتشبسوت الآن ، كما أشرنا من قبل •

---

(١١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٠٠ ، وكذا
Urk., IV, p. 157-159, 186-190.
وكذا W. C. Hayes, CAH, II, Part, I, p. 317.

الفصل الثالث

أدب القصة

يتفق الباحثون ــ أو يكادون ــ على أن مصر انما كانت اول بلد نشأت فيه القصة القصيرة ، فلقد عرف القوم الأدب القصصي منذ فجر حياتهم ، وبرعوا فى صياغته ، وأن لديهم منه ألوانا رائعة ، منها ما يصور بعض ما حدث في أيامهم ، ومنها الخرافي الأسطوري ، يقصدون من روايته العبرة والموعظة الحسنة ، ومن ثم فقد جمعت قصص القوم فى سياقها ، بين حقائق موضوعية ، وبين صياغة فنية ، وبين أخيلة تصور المعجزات وفنون السحر ، وبين آراء خاصة ، وأماني عامة ، عبر القصاص عنها بطريق الرمز .

ولعل أقدم القصص تلك التى جاءت على بردية « وستكار » ، والتى تتناول روايات السحر وأهله ، وبعض ما يأتون من فنونه وألوانه ، وأثر ذلك كله في حياة الناس ، وقيل انها قصت على الملك « خوفو » ــ ثانى ملوك الأسرة الرابعة ، وصاحب الهرم الأكبر ــ تصور له بعض أيام أسلافه ، ومع أن القصص قد كتب بعد أيام خوفو بعشرة قرون ــ تزيد قليلا أو تنقص كثيرا ــ غير أن أصله يرجع الى أيامه على أية حال ، وهى قصص ، أيا كان الغرض منها ، فهى تصور لنا الترف واليسار الذى كان يشيع فى حياة القصور يومئذ ، ويصور ألوانا من سلوك الناس ، ومن تفكيرهم وعاداتهم وشرائعهم فى ذلك العهد البعيد من تاريخ مصر .

غير أن العصر الذهبى للقصة ، انما يبدأ منذ عهد الثورة الاجتماعية الأولى ، حيث مرت البلاد ابانها بأحداث كثيرة ، ازدهر الأدب بعدها ، بل ان المؤرخين انما يكادون يجمعون على أن هذا العصر ، بقدر ما ضن على الباحثين بمصادره الأثرية ، بقدر ما منحهم قدرا من الأدب يكاد يعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصر ، ولعل من أروع المقطوعات الأدبية التى تنسب الى تلك الفترة انما هى « قصة الفلاح الفصيح » ، والتى تعد آية فى بلاغة الأسلوب ، كما أن بيان الشكوى رائع أخاذ ، فيه كثير من التوريه ، وفيه كثير من التهكم الرائع ثم ان الصورة التى عرضها ذلك القروى الفصيح انما تعد مظهرا صادقا،

لمـا كان واقعا يومئذ من ضيق الناس بحال البلاد ، وتبرمهم بالفوضى التى سادت حياتهم .

ومن أيام الدولة الوسطى تجىء « قصة سنوهى » ، ذلك الرجـل الذى فر الى فلسطين فى ظروف سياسية معروفة ، وأقام بها حتى صـدر عفو فرعـونى عنه ، وهى من القصص الواقعى الذى يلقى ضـوءا على الحوادث التى جرت فى مطلع الأسرة الثانية عشرة ، وتصور أحوال البلاد السياسية والاقتصادية والحربية وقتئذ ثم هى مرآة صافية لوجه الحيـاة فى فلسـطين . وظاهر أن المصريين قـد فتنوا بها ، وظلوا ينسـخونها ويتداولونها دهرا طويلا .

ثم هناك « قصة البحار » التى ترجع أيضا الى أيام الدولة الوسطى، وتشبه الى حد كبير « قصص السندباد البحرى » فى « ألف ليلة وليلة » فهى تحدثنا عن بحار حملته الأمواج ــ بعد أن تحطمت سفينته ــ الى جزيرة نائية ، بها حية ضخمة ، أكرمته وحمته ، وظلت ترعاه حتى عاد الى وطنه ، وقد وضعت القصة فى أسلوب رقيق يعبر عن أجمل العواطف ، ويستثير روح البطولة والمجازفة ، ويصور حياة الملايين تصويرا دقيقا وهى تشير كذلك الى حب الوطن الذى مـلأ قلوب المصريين ، بحيث أضحى لديهم من قواعد الايمان .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه هنا ، أن القصص الذى وصلنا منذ عهد الدولة الوسطى ، انما يشير الى نضج ينم عن وجود مرحلة سابقة لمعالجة هذا اللون من الأدب ، قد نستطيع أن نستشف وجوده من معالجة الأساطير فى متون الأهرام من عهد الدولة القديمة ، ومهما يكن من أمر ، فان غياب القصة فى عهد الدولة القديمة لا ينهض دليلا على عدم وجودها فقد يكشف يوما عن عناصرها الأولى فى هذه العهود البعيدة ، وعلى أية حال ، فان أدب القصة فى عهد الدولة الوسطى ، لا يمثل مرحلة تطور فحسب ، بل يمثل مرحلة كمال نسبى ، بل انه يمثل ذروة الأدب القصصى فى مختلف عصور الحضارة المصرية القديمة .

وأما القصص الذى يرجع الى عهد الدولة الحديثة والعصر المتأخر فكثير ومتنوع ، فهناك قصة « فتح يافا » التى تبين لنا كيف أصبح المصريون دهاة فى الخدع والمهارات الحربية ، وهنا « قصة ون أمون » التى تشير الى مدى ضعف نفوذ مصر الخارجى ، بعد أيام الامبراطورية المجيدة ، ثم هناك « قصة الأخوين » ، والتى كتبت باللغة الشعبية ، وحلق بها كاتبها فى آفاق الخيال طويلا ، وهى تمثل الصراع الدائم بين اغراء المرأة حين تطيش ، وعفة الرجل حين يفتح الضمير الحى عينه على شر الفتنة ، وهناك « قصة الأمير المقدور عليه » ، والتي توضح الصلة بين مصر وبلاد الشرق فى أخريات أيام الدولة الحديثة ، والتى تصور آمال الوالد ولهفته حين ينتظر الولد ، وقد طال شوقه اليه وأمله فيه ، ثم هلعه واشفاقه من المستقبل حين تحدثه نفسه ، بما يمكن أن يصيب الولد من مكروه . وأما « قصة الصراع بين الحق والباطل » فهى من القصص التعليمى الذى يقصد به أصحابه الى العبرة والموعظة الحسنة(١) . وسوف نحاول هنا أن نتعرض ـ بالشرح والمناقشة ـ للقصص التالية :

١ ـ قصة خوفو والسحرة .

٢ ـ قصة الفلاح الفصيح .

٣ ـ قصة سنوهى .

٤ ـ قصة الملاح والجزيرة النائية .

٥ ـ قصة فتح يافا .

٦ ـ قصة الأخوين .

٧ ـ قصة ون أمون .

---

(١) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٧٢ ـ ٧٤ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٢ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة ـ الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٤ ـ ٥ ، ١٥ ـ ٢١ .

١ ـ قصة خوفو والسحرة

لعل من الجدير بالاشارة ـ باديء ذي بدء ـ أن قصة خوفو والسحرة هذه ، ليست قصة واحدة ، وانما هي عدة قصص ، تنتظمها قصة واحدة ، تصور لنا ما كان منتشرا بين الناس في عهد الدولة الوسطى من أقاصيص نسبوها الى القدماء ، ليضيفوا عليها هالة من التمجيد والتعظيم ، ومن ثم فقد اختاروا نسبة حوادثها الى عصور ملوك اشتهروا في التاريخ ، وكانت أعمالهم وآثارهم ماثلة أمام عيون من جاءوا بعدهم. وكانوا ينظرون الى أيامهم نظرة اعجاب واعزاز ، وهكذا كانت شخصيات هؤلاء الفراعين محورا لعدد كبير من القصص ، الرسمية منها والشعبية ، وقد جمعت قصصهم في سياقها بين حقائق موضوعية ، وبين صياغة فنية، وبين أخيلة تصور المعجزات وفنون السحر ، وبين آراء خاصة وأماني عامة عبر القصاص عنها بطريق الرمز .

هذا وقد حفظت هذه القصص في بردية محفوظة في متحف برلين (برقم ٣٠٣٣) ، وكانت قد أحضرتها الآنسة « وستكار » من مصر وسلمتها الى العالم الألماني « كارل ريتشارد لبسيوس » (١٨١٠ ـ ١٨٨٤م) حينما كان مقيما في انجلترا (عام ١٨٣٨/١٨٣٩م) ، ثم أودعت بمتحف برلين بعد وفاة لبسيوس ، وعلى أية حال ، فلقد عرفت البردية بين علماء المصريات باسم « بردية وستكار » ، وقد كتبت في عهد الدولة الوسطى ، وان كان هناك من ينسبها الى عصر الهكسوس(١) .

وكان أول من نشرها « أدولف ارمان »(٢) و « كورت زيته »(٣) ، ثم

---

(١) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٩٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٥ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ١٩١ ، وكذا Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1973, p. 215-216.

(٢) A. Erman, LAE, 1927, p. 36-47 and A. Erman, The Ancient Egyptians p. XXIV, LZVIII-LXIX, 36-49 (New York, 1966).

(٣) K. Sethe, Agyptische Lesestucke, Leipzig, 1924. K. Sethe, ErL, Leipzig, 1927, p. 32-45.

ترجمها « ارمان » و« جوستاف لوفيفر»(٤) ، و« ارك بييت»(٥) ، و«ماكس بيبر »(٦) و « جاستون ماسبيرو »(٧) و « سكوت »(٨) و « بوزنر »(٩) وغيرهم(١٠) ، هذا فضلا عن الترجمات العربية للبردية(١١) •

ولعل من الجدير بالاشارة أن تلك القصص التى جاءت على « بردية وستكار » ، انما يعدها علماء المصريات من أقدم — ان لم تكن أقدم — القصص التى تتناول روايات عن السحر وأهله ، وبعض ما يأتون من فنونه وألوانه ، وأثر ذلك كله فى حياة الناس ، وقيل انها قصت على « خوفو » تصور له بعض أيام أسلافه ، ومع أن القصص قد كتب بعد عصر خوفو بعشرة قرون ، الا أن أصله يرجع الى أيامه على كل حال ، وهى قصص أيا كان الغرض منها ، فانها ، كما أشرنا من قبل ، انما تصور لنا الترف واليسار الذى كان يشيع فى حياة القصور يومئذ ، ويصور ألوانا من سلوك الناس ومن تفكيرهم ومن عاداتهم وشرائعهم فى ذلك العهد البعيد من عهود مصر الفرعونية •

وعلى أية حال ، فان موضوع البردية أن أبناء الملك « خوفو » —

(٤) G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L'epoque Pharaonique, Paris, 1949, p. 70-90.

(٥) E. Peet, Op-Cit, p. 41 F.

(٦) M. Pieper, Op-Cit, p. 55 F.

(٧) J. Maspero, Op-Cit, p. 21 F.

(٨) S. Schott, Altagyptische Liebesieder, Zurich, 1950, p. 176-187.

(٩) G. Posener, Litterature et Politique dans L'Egypte de la XIIe Dynastie, Paris, 1956.

(١٠) E. Brunner-Traut, Altagyptische Marchen, 1965, p. 11-24

وكذا William Kelly Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 15-30.

وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, p. 215-222.

(١١) سليم حسن : المرجع السابق ص ٧٤ — ٨٧ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٩٦ — ٤٠٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٥ — ٣٣٧ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٣٢٠/١ — ٣٢٣ •

صاحب الهرم الأكبر ـ أخذوا يقصون عليه واحدا بعد الآخر أحاديث عجيبة عن أعمال السحرة ، وما يمكنهم أن يأتوا به من معجزات[١٢] ، وما يستطيعون الانباء به من أخبار الغيب وما سيحدث فى المستقبل ، وأول البردية مكسور ، ومن ثم فنحن لا نعرف كيف كانت بدايتها أو محتويات ما غاب منها ، كما أننا لا نعرف أيضا من هو ذلك الأمير ابن الملك خوفو ، الذى قص عليه تلك القصة التى حدثت فى عهد الملك « زوسر » ـ صاحب الهرم المدرج فى سقارة ، وأول ملوك الأسرة الثالثة[١٣] ـ ذلك لأن الجزء المحفوظ من البردية انما يتحدث فقط عن ترحم الملك « خوفو » على جده « زوسر » ، وتقديم القرابين له ، كما

(١٢) من المعروف أن الله تعالى انما قد اختار معجزة نبيه موسى عليه السلام من نوع السحر الذى برع المصريون فيه ، ذلك لان معجزات الانبياء ما كانت لتتنزل الا فى أمر من واقع حياة الناس ، وما يدور باذهانهم ، فتكون محققة فى أعينهم ، على غير قاعدة ولا قياس لخارق الاعمال ، والمصريون طالما فكروا فى السحر ، وسحروا به ، وضربوا به فى أغوار الوهم وتخيلوه ،وقد ورد لنا عن الحياة المصرية القديمة من أحاديث السحر والسحارين ما كان الناس يخرجون به الى عالم الغيب من عالم الشهادة ، ومن دنيا الواقع الى افاق الحياة ، والمصريون انما كانوا ـ فيما تشهد به قصص أدبهم كقصتنا هذه ـ يحبون أحاديث السحر وخوارق الاعمال ، هذا فضلا عن أن المصريين ـ كما يشهد القرآن الكريم بذلك ـ قد برعوا فى السحر ، حتى انهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وحتى خيل لموسى عليه السلام ، أن حبالهم وعصيهم قد أصبحت حيات تسعى ، فاوجس فى نفسه خيفة موسى ، قال تعالى «قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين ، قال القوا ، فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وجاءوا بسحر عظيم (الاعراف : آية ١١٥ ـ ١١٦) ، وقال تعالى «قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا ، فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف انك أنت الاعلى ، والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى» (سوة طـه : آية ٦٥ ـ ٦٩) .

(١٣) أثبتت الحفائر الحديثة أن «زوسر» لم يكن أول ملوك الاسرة الثالثة ، واسبقه الى العرش المصرى الحور «سانخت» الذى تجعله كل الاحتمالات المقبولة أخا أكبر للملك زوسر ، غير أننا لا نعرف عنه شيئا ، سوى أثره الجنازى الذى يحتمل انه قد استخدم كنقطة بداية لهرم زوسر المدرج (أنظر :

R. Weill, Les IIe et IIIe Dynasties Egyptiennes, Paris, 1908, p. 128.
J. P. Lauer, Les Pyramide a degres, in Rev. Arch., 47, 1956, p. 17.

يتحدث عن ذلك الساحر الذى عاش فى عهده ، والذى وجد اسمه مكسور أيضا فى البردية •

وعلى أية حال ، فان « بردية وستكار » انما تروى قصصا ثلاثة : قصة الزوجة الخائنة ، وقصة سنفرو وفتيات القصر ، وقصة خوفو والسحرة •

١ ــ قصة الزوجة الخائنة :

حدثت هذه القصة ــ طبقا لما جاء فى البردية ــ على أيام الملك «نب كا» ــ من الاسرة الثالثة ، وربما كان هو الملك «سانخت»(١٤) ــ وقد قصها الأمير « خفرع » (خع اف رع ــ صاحب الهرم الثانى فى الجيزة) وقد جاء فيها : عندما كان الملك « نب كا » فى زيارة لمعبد بتاح فى منف ، كان « أوبا أونر » كبيرا للكهنة المرتلين فى المعبد ، وكان متزوجا من امرأة داعرة ، كانت على علاقة جنسية بشاب من أواسط الناس، وأنهما كان يلتقيان ــ فى غياب زوجها ــ فى منزل ريفى يملكه الزوج الكاهن على حافة بحيرة ، حيث كانا يعاقران الخمر ، ويرتكبان ما حرم الله ، ثم ينزل الفتى آخر النهار ــ فيغتسل فى البحيرة ، على أن حارس البيت ، وقد سدرت المرأة فى غيها ، ومضت فى ضلالها زمنا ، قد عمد فمشى بخبرها الى زوجها ، الذى صنع من الشمع كهيئة التمساح ، فألقاه فى البحيرة بعد أن قرأ عليه من عزائم السحر ، ما حوله الى تمساح مفترس عظيم ، فلما نزل الفتى الى الماء قبض التمساح عليه ونزل به الى أسفل الماء ، ومكث تحته سبعة أيام كاملة ، ثم تحدث الكاهن بخبر زوجته الخاطئة الى الملك ، ودعاه الى بيته ليشهد العشيق الشاب بين فكى التمساح وهناك على حافة البحيرة وقف الملك مع الكاهن الذى نادى التمساح فخرج اليهما بفريسته ، فما أن رأى الملك التمساح حتى ارتاع وفزع لمرآه ، ولكن الكاهن ما كاد ينحنى عليه ليلتقطه حتى عاد سيرته الأولى دمية من الشمع ، ثم أمر الملك التمساح أن يفتك بالفتى الزانى جزاء

(١٤) E. Drioton et J. Vandier, L'Egypte, Paris, 1962, p. 639 F.

جرمه ، وقضى على الزوجة الزانية بالحرق ، وذر رمادها فى النهر ، ولعل ذلك انما كان جزاء الزانى والزانية عند القوم ـ القتل حرقا أو غرقا .

وعلى أية حال ، فما أن ينتهى الأمير « خفرع » من قصته ، حتى يأمر أبوه الملك خوفو بأن تقدم القرابين للملك « نب كا » ، ألف رغيف من الخبز . ومائة اناء من الجعة وثورا وكيلين من البخور ، وأن يقدموا قربانا لكبير الكهنة المرتلين « أوبا أونر » رغيفا واناء من الجعة وقطعة كبيرة من اللحم ، وكيلا من البخور .

٢ ـ قصة سنفرو وفتيات القصر :

تروى بردية وستكار أن الملك « سنفرو » ـ رأس الأسرة الرابعة ـ قد أحس ذات يوم ضيقا فى الصدر . وحزنا فى النفس ، فأشار عليه كاهنه « جاجام غنخ » بأن يلتمس التسرية فى الخضرة والماء والوجه الحسن ، وأن يستقل قاربا ويصطحب معه عددا من العذارى . ويطلق البصر فيما أفاءه النيل على جانبيه من خضرة وخير عميم ، وعمل سنفرو بالنصيحة واصطحب فى قاربه الكبير عشرين عذراء ، وعهد اليهن بالتجديف والغناء ، فاصطففن على جانبى القارب ، وجدفت كل منهن بمجداف من الأبنوس الموشع بالذهب ـ كما تدعى القصة ـ وانطلقن فى التغريد والتجديف ، وكانت كل منهن تحلى جبينها باكليل تزينه حلية على هيئة السمكة ، فتسربت الى الملك البهجة ، وسرى الى نفسه السرور ، بما شهد من فتيات ليس عليهن من الثياب ، الا ثياب من شباك لا تكادتستر شيئا ، وبما سمع من غنائهن ، وهن يسرين به فى أمواه البحيرة وسط الخمائل والأغصان ، لولا ما رأى من توقفهن عن التجديف ، وتهدل شعر رئيستهن على وجهها ، فأزاحته بيدها ، وعندئذ سقطت حليتها فى الماء ، فوعدها بأن يعوضها عنها بما هو خير منها ، ولكنها أبت الا حليتها ، فأسقط فى يد سنفرو .

وسرعان ما استدعى الكاهن « جاجام غنخ » على عجل ، فما أن علم بالخبر ، حتى قرأ من عزائم السحر ، الذى انشقت له مياه البحيرة ،

حيث انطوت نصف على نصف ، فأصبح ارتفاع المـاء فى البحيرة أربعة وعشرين ذراعا فى أحد الجانبين ، بعد أن كان اثنى عشر فقط ، ورأوا فى قاع البحيرة تلك الحلية ، وقد استقرت فوق قطعة مكسورة من فخار ، فأشار اليها الكاهن ثم سلمها الى صاحبتها •

ولعل مما تجدر اليه الاشارة فى هذه القصة أن قصاصها لم يتخيل مليكه ربا مطلقا قادرا مقتدرا ، كما اعتادت النصوص الرسمية ان تصف ملوكها ، ولم يجد بأسا فى أن يصوره عاجزا عن أن يفعل بعض مايستطيع كاهن من رعيته أن يفعله ، وأن هذا الملك ــ وان خاطبــه رعاياه بلقب الربوبية الا أنه لم يعتقد فى نفسه الربوبية الفعلية ، بحيث لم يكن من المستبعد عليه ــ تبعا لذلك ــ أن يخاطب أهل فى عصره بلفظ « الأخوة » كما خاطب كاهنه المرتل •

والواقع أن الملك « سنفرو » قد خلف وراءه شهرة عريضة للحاكم المثالى فى الخير ، وحسن التصرف ، شديد الحرص على أن يسود العدل رعيته ، حتى أنه اتخذ العدالة شعارا له ، فلقب نفسه « نب ماعت » (سيد أو رب العدالة) ، ومن ثم فقد ظلت ذكراه عــدة قرون بين المصريين ، وكانوا يشيرون اليه بقولهم « الملك المحسن » و « الملك الرحيم » و «الملك المحبوب » و « الملك الفاضل » ، كما صورته الوثائق متواضعا ، يميــل الى المعرفة ، ويكرم العلماء ، ويحسن الاستماع لهم ، ويكتب بنفســه ولا يبالى أن يسأل عما لا يعرفه ، ومن ثم فقد اختار بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة ، بعد وفاته بحوالى سبعة قرون ، نفس المنطقة التى دفن فيها لتكون مثواهم الأخير ، تيمنا به وتبركا •

٢ ــ قصة خوفو والساحر جــدى :

تروى بردية وستكار أن الساحر « جدى » (ددى) الذى بلغ من سحره أن يلحم الرأس المقطوع ، ويذلل الأسد لارادته ، أن قد دعى الى حضرة الملك خوفو ، حيث عرض سحره عليه ، وأوقعه بأوزة ثم ثور ، فصل رأس كل منهما عن الجسد ، ثم ما زال يقرأ من عزائمه ، والرأس

بقترب من الجسد ، حتى التحما ، وعادت الحياة الى كل منهما ، ثم أعاد التجربة مرة ثانية فى بطة ، ثم فى ثور ، فنجح فى ذلك كله ، وذلك على النحو التالى :

جاء دور الأمير « حور ددف » فقال لأبيه خوفو : لقد سمعت حتى الآن أمثلة مما قالوا بأنه حدث قبل أيامنا ، ولا يعرف الانسان ، اذا كان ذلك صحيحا أم غير صحيح ، ولكن يوجد ساحر يعيش فى عهدك بلغ من سحره أن يلحم الرأس المقطوع ، ويذلل الأسد لارادته ، ويعيش فى بلدة « دد ـ سنفرو » ويبلغ من العمر مائة سنة وعشرا ، ويأكل في اليوم خمسمائة رغيف من الخبز ، وفخذ ثور من اللحم ، ويشرب مائة اناء من الجعة ، ويعرف سر مغاليق هيكل الاله تحوت ، وكان خوفو حريصا على معرفة هذا السر ، ومن ثم فقد أرسل ولده « حور ددف » ليحضر هذا الساحر بنفسه ، وهكذا أخذ الأمير السفن ونزل فى النيل ، حتى وصل الى القرية التى يعيش فيها الساحر العجوز ، وانتقل هناك من سفينته الى بيت الساحر فى محفة من الأبنوس ، عوارضها من خشب السنم ومغلفة بالذهب ، واستقبله الساحر بما يليق ومقام الأمراء ، ورد الأمير التحية بأحسن منها ، وهنأه على تمام صحته ، وأعلمه أن الملك يدعوه الى القصر ليتمتع بأطايب الطعام ، ولينال بركة الملك بعد وفاته ، ولبى الساحر الدعوة راضيا شاكرا ، وان طلب أن تخصص سفينة لنقل عائلته وكتبه ، فخصص له الأمير سفينتين .

ولما وصل الساحر « جدى » الى القصر الملكى ، قال له خوفو : ما هذا يا جدى ، وكيف لم نرك حتى الآن ؟ فأجاب جدى : مولاى ، من دعى أجاب . ولما دعوتنى لبيت ، ومعنى هذا أن الرجل لم يكن يجد ما يلزمه بأن ينمسح ببلاط الملك من تلقاء نفسه ، أو يقصد اعتابه رجاء فضله ، وعلى أية حال ، فلقد طلب خوفو من جدى أن يجرى معجزاته وسحره على سجين ، فاعتذر الرجل وأجاب فى عناد : ولكن ليس على انسان يا مولاى الحاكم ، وحسبك أن أحدا لم يطلب أداء شىء من ذلك

على هذا الشعب النبيل ، وهكذا لم يأب جدى أن يرد على ملكه العظيم بما يعتقده ، ولم يأب أن يعتبر السجين المصرى فردا من شعب نبيل ، على الرغم من جرمه الذى دخل السجن بسببه ، وفضل أن يجرى تجاربه على حيوان أو طير •

وهكذا أحضروا له أوزة ، وقطعوا رأسها ، ووضعوا جسدها فى الناحية الغربية من القاعة ، ورأسها فى الناحية الشرقية منها ، وقرأ جدى من عزائم السحر ما جعل جسد الأوزة يتحرك ، كما تحرك رأسها ، حتى تلاقيا فركب الرأس فى مكانه من فوق الجسد ، وبعثت الأوزة حية مرة أخرى ، وأخذت تصيح ثم أعادوا التجربة مرة ثانية فى بطة ، ثم ثالثة فى ثور ، فنجح فى ذلك كله ، ثم سأله خوفو عن سر مغاليق هيكل تحوت فأجاب أنه لا يعرف سرها ، ولكنه يعرف مكانها ، وأنها فى صندوق من حجر الظران فى احدى قاعات معبد هليوبوليس ، وأنه لا يستطيع احضارها ، وانما الذى يستطيع ذلك هو أكبر أطفال ثلاثة تحمل بهن «رد ــ ددت » •

وهكذا ظل « خوفو » على جهل بسر مغاليق هيكل الاله تحوت ، على الرغم من أن نصوصه الملكية ونصوصه الرسمية ونصوص رجال حاشيته ، كانت تلقبه بلقب « تترعا » أى « الاله العظيم » ، ولسنا نشك فى أن ذكر السحر فى هذه القصة محض اختلاق وخيال ، وان كنا لا ننكر على المصريين معرفتهم بالسحر وبراعتهم فيه وأن اعتــذار الحكيم عن آدائه لا يزيد عن مجرد تخلص لبق لطيف ، ولكن حسبنا من القصة أنها كشفت عما كان مؤلفه يتخيله عن بشرية خوفو ، واحتمال عجزه عن آداء ما يؤديه بعض رعاياه ، وكشفت عما كان الناس يودون أن يظهر به حكيم من الشعب فى مواجهة الملك العظيم ، صاحب الهرم الأكبر ، من عــزة النفس ، والاعتراف لقومه بنبالة الأصل •

ثم يكمل الساحر قصته عن أنباء « رد ــ ددت » فيقول : انه يوجد فى مدينة « ساخبو » ــ وتقع على الضفة الغربية للنيل ، قريبا من منطقة

هليوبوليس ــ كاهن يدعى « وسر رع » وأن زوجته « رد ــ ددت » سوف ترزق بأولاد ثلاثة من صلب الاله « رع » نفسه ، وأن الاله رع قد بشرها بأن أولادها الثلاثة سوف يجلسون على عرش مصر ، الواحد تلو الآخر ، وأن أكبرهم سوف يكون كبير الكهان فى « أون » (هليوبوليس) فحزن قلب خوفو لتلك الأنباء ، ولكن الساحر طمأنه على عرشه ، بل وسيخلفه من بعده ولده ، ثم حفيده ، ثم يأتى من بعد ذلك أبناء « رد ــ ددت » (رود جدت) من رع .

وتستمر القصة فى وصف أيام الحمل ، وما اقترن به من معجزات حتى تأتى ساعة الوضع ، وتحضره آلهات الولادة متنكرات فى زى راقصات وموسيقيات ، بغية تقديم العون للسيدة الحامل ، ابان وضعها لحملها المبارك ، فادعت القصة ــ أو قل الأسطورة ــ أن «رود ــ جدت» حين أتاها المخاض لم يكن عندها من يعينها عليه ، وأن الاله الأكبر رع أراد أن يعينها على الوضع ، فأرسل اليها أربع ربات على هيئة البشر ــ قابلة وهى الربة ايزة ، وثلاث مساعدات وهن نفتيس وحقت ومسخنت، فضلا عن تابع عجوز حمل كرسى الداية وحاجيات التوليد ، وهو المعبود خنوم .

واسترسلت الأسطورة فى وصف ساعة الوضع وما ظهر خلالها من الكرامات ، فذكرت أن المولدات انفردن بالحامل فى غرفتها ، وأوصدن الباب عليهن ، وجلست ايزة أمامها تقوم بعملية التوليد ، بينما جثت نفتيس خلفها ، لتشد عليها بذراعها ، وتكون سندا لها عين المخاض ، وعونا على دفع المولود ، وجلست « حقت » تتعجل الوضع ، أو تحمى الطلق ــ كما تقول نسوة اليوم ــ واكتفت « مسخنت » بالتشجيع والهمهمة شأن العجائز المجربات المباركات ، وكلما ولدت الوالدة توأما بشرته « مسخنت » بما قدر له من حظ سعيد ، وقالت « ملك يتولى الحكم فى هذه الأرض كلها » ، وغسلت المولدات الأطفال ، وقطعن لكل منهم حبله السرى وأرقدته فوق مهد متواضع صغير غطينه بغطاء كتانى بسيط ،

وطمأن خنوم الوالدة على سلامة أبنائها الثلاثة . وزودهم بدعائه المبرور ، ويقدم والد الأطفال الثلاثة المكافآت للربات على عونهن لزوجته في وضعها مكاييل من الشعير . الذى تضعه الربات فى مخازنه ، ثم ينصرفن سرا ، وسرعان ما تصدر من الغرف أصوات موسيقية خفية ، ويقال أن التيجان الملكية وجدت مخبأة فى الشعير ، وتضيف الأسطورة أن الخادمة كادت أن تفشى السر كله للملك خوفو ، لولا أن تمساحا انقض عليها ، وهى تملأ جرة ماء من النهر .

وبدهى أن القصة — على هذه الصورة — انما تتناولها هواتف الريبة والشك من كل جانب ، ولكنها ، على أية حال ، انما تمثل الناحية الشعبية من قصة استيلاء كهنة رع على الملك في نهاية الأسرة الرابعة ، كما أنها فى الوقت نفسه ، تبين الوسائل التى يلجأ اليها الفراعين لتثبيت عروشهم ، حين أعوزهم الحق الشرعى فيه ، وسنرى فى عصور تالية فراعين يفعلون ذلك ، حين ينتسبون الى الاله أمون ، كما يبدو ذلك واضحا فى نصى الولاة الشهيرين ، الواحد بمعبد الدين البحرى فى طيبة الغربية ، ويتحدث عن ولادة الملكة « حتشبسوت » من الاله امون ، ومن « آحمس » زوج الملك « تحوتمس الأول » ، والثانى فى معبد الأقصر ، ويتحدث عن ولادة « أمنحتب الثالث » من الاله أمون ، ومن « موت ام ويا » زوج تحوتمس الرابع — كما أشرنا الى ذلك من قبل —

وأيا ما كان الأمر ، فلسنا ندرى مدى قبول الناس لما روته القصة أو الأسطورة ، ان كانوا قد تقبلوها عن ايمان وتصديق ، أم اعتبروها مجرد دعاية من الكهان وأهل البلاط لصالح ملوكهم ، ولكننا ندرى أن ملوك الأسرة الخامسة ظلوا أوفياء للاله رع ، صاحب الفضل فى ارتقائهم العرش ، وظلوا كذلك أوفياء لكهنته الذين آزروهم فى حكم البلاد[١٥] .

---

(١٥) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١/٣٣٥ — ٣٣٧ ، الاسرة فى المجتمع المصرى القديم ص ٣٩ — ٤١ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٩٦ — ٤٠٢ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٧٧ — ٨٧ ، محمد بيومى مهران : مصر ٢/١٥٨ — ١٦٠ (الاسكندرية ١٩٨٨) ، وكذا =

٢ ـ قصـــة الفـــلاح الفصـيح

اختلف المؤرخون فى اسم هذه القصة ، فيسميها البعض « احتجاجات أو شكاوى الفـلاح الفصيح » ، ويسميها آخرون « شكوى الفـلاح الفصيح» ، ويرى فريق ثالث أنها «قصة فلاح من الواحة المتاخمة لوادى النطرون »،ويذهب أستاذنا الدكتور أحمـد فخرى ، طيب الله ثراه ، أننا لا نملك أى دليل على أن صاحبها كان فلاحا يعمل فى الأرض ، وانما الأرجح أنه أحد الأهالى الذين يعملون فى التجارة ، على أن « جوستاف لوفيفر » انما يفضل تسميتها « قصة الواحى » ، غير أن اطلاق كلمـة « الواحى » على أحد سكان وادى النطرون أمر لا يستقيم مع العرف ، ذلك لأن سكان ألواح انما هم سكان سيوة والبحرية والفرافرة والداخلة والخارجة فقط ، ولهذا يسميها البعض « قصة القروى الفصيح » ، لأن صاحبها ـ سواء كان يعمل فى التجارة او فى الفلاحـة أو فى استخراج النطرون أو الأعشاب ـ فانه كان يعيش فى ذلك المكان الذى لا يعدو أن يكون قرية صغيرة ، ولم يكن من أبناء المدن المتعلمين ، وكان الاعجاب به لأنه كان شخصا بسيطا من سكان الأماكن النائية ، ومع ذلك فقد أوتى قدرا عظيما من الفصاحة وحسن التعبير(١) .

=

Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 216-222.

وكذا W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 16-30.

وكذا A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, London, 1927, p. 36-47.

وكذا G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L'epoque Pharainique, Paris, 1949, p. 70-90.

وانظر الترجمة العربية (جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى ـ ترجمة على حافظ ص ١٤٠ ـ ١٥٧) .

(١) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٩٤ ،

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 407.

وكذا A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 112.

وكذا W. K. Simpson, Op-Cit, p. 31.

وكذا M. Lichiheim, Op-Cit, p. 169.

وكان « شـــابا » أول من لفت الأنظار الى هـــذه البردية فى عام ١٨٦٣ م ، وفى عام ١٩١٣ م قام « فوجلز انج » بنشر نصـــوصها نشرا كاملا(٢) ، وفى عام ١٩٢٣ م قام « جاردنر » بنشر اضافات وتصحيحات لهـــا (٣) ، وهناك ترجمات كثيرة للبردية ، منها ترجمـــة « ماسبيرو » ، و « رويدر » و « سايس » و « ارمان » و « لوفيفر » ، كمـــا حلل نصـــــوصها واقتبس منها وناقشها كثير من العلماء الأجانب وبلغـــات مختلفة(٤) .

وأما ترجمـــة الوثيقة باللغة العربية ، فهناك ترجمة الدكتور ســـليم حسن(٥) ، هذا فضلا عن ترجمات موجـــزة لأهم عناصر البردية فى كتب

---

(٢) F. Vogelsong, Kommentar Zu den Klagen des Bawern, Untersuchungen, b, Leipzig, 1913, 1964.

(٣) A. H. Gardiner, JEA, 9, 1923, p. 5-25.

(٤) انظر De Buck, Readingbook, p. 88-90.

K. Sethe, Agyptische Lesetucke, Leipzig, 1924, p. 17-25.

K. Sethe, ErL, Leipzig, 1927, p. 21-32.

A. Erman, LAE, London, 1927, p. 116-131.

F. Lexa, Arch. Or., 7, 1935, p. 372-383.

F. Lexa, RT, 34, 1912, p. 218-231.

A. H. Gardiner, PSBA, 35, 1913, p. 264-276.

E. Suys, Etude sur le Conte du fellah Plaideur, Rome, 1933.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 41-69.

A. M. Blackman, JEA, 20, 1934, p. 218-219.

F. W. Von Bissing, Altagyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, p. 155-170.

ولعل من أحدث ترجمات البردية :

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 169-184.

J. A. Wilson, ANET, P. 407-410.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, p. 31-49.

S. Herrmann, ZAS, 80, 1955, p. 34-39.

S. Herrmann, ZAS, 82, 1958, 55-57.

G. Lanczkowski, Altagyptischer Prophetismus, Wiesbaden, 1960.

(٥) سليم حسن : المرجع السابق ص ٥٤ ـ ٧٠ .

التاريخ المصرى القديم(٦) •

هذا وقد حفظت لنا البردية فى أربع نسخ من عهد الدولة الوسطى منها ثلاثة بمتحف برلين (الأولى برقم R ١٠٤٩٩ ، والثانية برقم R1 ٣٠٢٣، والثالثة برقم R2 ٣٠٢٥) واما النسخة الرابعـــة ففى المتحف البريطانى (برقم ١٠٢٧٤) ، هذا عدا المقتطفات الأخـرى ، ومن حسن الحظ أن ابردية لم تصل الينا عن طريق نسخة متأخرة محرفة أو بالية ــ ككثير من المخطوطات المصرية القديمة ــ وانما بقيت محفوظة جيدا ، حتىوصلت الينا فى لفافة من البردى الفخم الذى كتب فى ذلك العصر الاقطاعىالأول (عصر الثورة الاجتماعية الأولى)(٧) •

وقد اختلف المؤرخون فى عصر الملك الذى جرت فى عهده أحداث « قصة القروى الفصيح » وربما كان السبب فى اختلافهم هذا ، هـو اختلافهم فى ترتيب ملوك العهد الاهناسى (الأسرتين التاسعة والعاشرة) وهـكذا فانهم يتفقون على أن القصة حدثت فى عهد الملك « نب كاو رع » ولـكنهم يختلفون فى مـكان هذا الملك من العهـد الاهناسى ، وبالتالى يختلفون فى الأسرة التى حدثت على أيامها هذه القصة ، فبينما يضـعها فريق فى الأسرة التاسعة ، يضعها آخرون فى الأسرة العاشرة(٨) ، وهـكذا رأينا « الـكسندر شارف » يرى أن القصة قدمت لأحـد ملوك الأسرة العاشرة(٩) ، ويذهب « وليم هيز » الى أن الملك « نب كاو رع » (اختوى

---

(٦) احمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٩٣ ـ ٣٩٦ ، عبد العـزيز صالح : الشرق الادنى القديم ٣٦٢/١ ـ ٣٦٥ ، جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى ـ ترجمة على حافظ ص ٩٠ ـ ١٣٥ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٧ ـ ٥٠١ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٠٨ ـ ٣١٤ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى ص ١٥ ـ ٢١ ، مصر ٣١٥/٢ ـ ٣٢٤ •

(٧) R. O. Faulkner, M. Lichtheim, Op-Cit, p. 169-170.

(٨) أنظر عن ترتيب ملوك الاسرتين التاسعة والعاشرة (محمد بيومى مهران : مصر ٢٨٤/٢ ـ ٢٩٠ الاسكندرية ١٩٨٨) •

(٩) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٧٣ •

الخامس) هو آخرملوك اهناسيا ، وربما كان الفرعون الذى جاء ذكره فى قصة الفلاح الفصيح(١٠) ، ويرى « ونلوك » أن هناك افتراضا عاما بأن الملك « نب كاو رع » (اختوى ـ خيتى) الذى حدثت فى عهده قصة الفلاح الفصيح ، قد خلف الملك « مرى كارع » على عرش الكنانة وقد حكم البلاد حتى استسلمت اهناسيا لأمراء طيبة ، وبمعنى آخر أن « نب كارع » هو آخر حكام العهد الاهناسى(١١) •

على ان الدكتور أحمد فخرى انما يرى أن حوادث قصة القروى الفصيح كانت فى عصر الملك « نبْ كاو رع » أحد ملوك اهناسية فى الأسرة العاشرة ، ولكنها كتبت بعده بقليل ، وهذا يعنى أنها كتبت فى الأسرة الحادية عشرة على الأقل ، على أساس أنها حدثت فى عهد « خيتى الخامس » ، الذى لم يبق على العرش طويلا ، فقد عاودت جيوش طيبة هجومها ، فقضت على عائلته فى اهناسيا(١٢) ، واخضعت مصر كلها ، وبدأت الاسرة الحادية عشرة عهدا جديدا •

واننى لأميل الى أن قصة القروى الفصيح هذه ، انما قد حدثت على أيام الأسرة العاشرة ، وذلك لأنه رأى الغالبية من المؤرخين ، ولأن هناك اتفاقا على أنها حدثت على أيام الملك « نب كاو رع » ، وهو ـ فيما نرى جمهرة المؤرخين ـ أحد ملوك الأسرة العاشرة ، وربما كان آخر الحكام الاهناسيين(١٣)، والذى تم فى ايامه انتصار امراء طيبة على ملوك

---

(١٠) W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, New York, 1953, p. 145.

(١١) H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom in Thin Thebes, N. Y., 1947, p. 23.

(١٢) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٧١ ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٣٩٤ •

(١٣) اهناسية : كانت عاصمة البلاد فى عهد الاسرتين التاسعة والعاشرة ، واسمها المصرى «نن ـ نيسو» وسماها العرب «اهناس» ، وهى «اهناسية المدينة» الحالية ، احدى مراكز محافظة بنى سويف ، وتقع على الضفة الشرقية لبحر يوسف ، فى مقابل مدينة بنى سويف ، وعلى مبعدة ١٦ كيلا الى الغرب منها (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ـ الاسكندرية ١٩٨٤ ص ١٦٧) •

امناسية ، ثم كتب لهم بعد ذلك أن يعيدوا الوحدة للبلاد ، تلك الوحدة التى فقدتها مصر على أيام الثورة الاجتماعية الأولى ، والتى أقامها منذ فجر التاريخ أقرباء لهم من أمراء «نخن»[١٤] (البصيلية ـ مركز ادفو ـ بمحافظة أسوان) .

وعلى أية حال ، فان قصة القروى الفصيح انما تتكون من مقدمة وتسع خطب أو شكاوى ، عنى الكاتب بانتقاء معانيها ، وتعبيراتها وألفاظها كل العناية ، وفى الواقع أن القصة انما تعد آية فى بلاغة الأسلوب كما أن بيان الشكوى رائع أخاذ ، فيه كثير من التورية ، وفيه كثير من التهكم الرائع ، ثم ان الصورة التى عرضها ذلك الفلاح ـ أو القروى ـ انما تعد مظهرا صادقا ، لما كان واقعا يومئذ من ضيق الناس ، بحال البلاد ، وتبرمهم بالفوضى التى سادت حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما أن فى تكرار موضوع الشكوى تسع مرات ، مع ما تخلل ذلك من دعابة الحديث ، مما يدل على الروح التى سادت هذا العصر ، وعلى الحض على العدالة ، واعطاء كل ذى حق حقه ، وحماية الفقير من سطوة الاغنياء واصحاب النفوذ ، وقد كتب لصاحبها نجحا بعيد المدى فى أن يوضح لنا بصور شتى ما كان يدور فى عقل ووجدان ذلك القروى البسيط ، بل ما يدور فى عقل ووجدان كل مصرى عضه الجوع ، ومر عليه البأس ، ووقع فريسة لأصحاب الجاه والسلطان .

وتتلخص قصة القروى الفصيح هذه فى أن قرويا يدعى «خون انبو» خرج من قريته ـ وهى بلدة تسمى «حقل النطرون» من اقليم وادى النطرون بمقاطعة الفيوم ، على رأى ، وهى واحة متاخمة لوادى النطرون على رأى آخر ، وهى بلدة «غيط الملح» التى لا نعرف مكانها على وجه التحديد ، وان غلب على الظن انها كانت فى نواحى الفيوم على رأى ثالث ـ بغية التجارة فى شتى السلع من الغاب والنطرون والملح والأخشاب

---

(١٤) انظر عن «نخن» ودورها السياسى والحضارى (محمد بيومى مهران : مصر ٢/٥٩ ـ ٧٤ ـ الاسكندرية ١٩٨٨) .

وبعض الجلود وبعض محاصيل النباتات التى كانت تنمو فى تلك الواحه قديما ، وبعض أنواع من الحجارة وبعض الطيور ، وكثير من الحبوب التى كانت تنسو هناك ، ليستبدل ذلك كله بمحاصيل الوادى فى العاصمة اهناسيا ، ومن ثم فقد قال ازوجته « مرية » أو « مارية » : « أنظرى اننى شاخص الى العاصمة لأجلب المؤونة لأولادى ، من فضل تجارتى فانطلقى فاكتالى لى الشعير الذى تركتهفى المخزن، فاكتالتها له فكانت ثمانيةمكاييل ثم قال لها : عندك كيلان لك ولأولادك ، ولكن اصنعى لى من المكاييل الستة الباقية خبزا وجعة عن كل يوم أقضيه هناك » •

وهكذا ترك الرجل قريته ، ولم يترك لزوجه وأولاده ما يكفيهم الا لأيام معدودات ، ثم حمل حميره بشتى السلع بغية أن يبيعها فى العاصمة اهناسيا ، وهناك وعلى مقربة من اهناسية ، وفى قرية ــ وربما ضيعة ــ تدعى « بر ــ فيفى » كان يتولى أمرها موظف شرير يدعى « تحوت ــ نخت » نيابة عن موظف كبير ، كان يتولى وقت ذاك منصب كبير حجاب قصر فرعون ، أو ناظر الخاصة الملكية ، ويدعى « رنسى بن مرو » ، وطمع « تحوت ــ نخت » فى تجارة القروى وحميره ، وأراد أن يكون له نصيب منها ، ان لم يستول عليها كلها ، وتفتق ذهنه عن حيلة خبيثة ، فاعترضه على طريق زراعى ضيق ، كان لا بد أن يمر عليه، واوعز الى خادمه أن يبسط على الطريق قماشا يغطيه بالعرض ، ولما تقدم القروى على الطريق نهاه « تحوت ــ نخت » أن يمر على قماشه المفروش ، فاعتذر القروى بأنه كان حسن النية فيما أقدم عليه ، وابتعد عن القماش وسار قرب الزراعة فنهره « تحوت ــ نخت » مرة أخرى ، وفجأة قضم أحد حمير القروى قضمة من سنابل الغلال ، فاعتبرها « تحوت ــ نخت » فرصته وأصر على أن يستولى على الحمار جراء جرمه ، ويحتج القروى ويهدد بابلاغ الأمر الى ناظر الخاصة صاحب الأرض قائلا : اننى أعرف رب هذه الضياع ، انها للسمير الكبير رنسى بن مرو ، انه يلجم كل لص فى هذه البلاد كلها ، أم ترانى أسرق فى ضياعه •

ويغضب « تحوت ـ نخت » ، وتأخذه العزة بالاثم ، ويستولى على بضاعة الرجل وحميره ، ثم يتناول غصنا من الآثل الأخضر ، وينهال على الرجل فى كل أجزاء جسمه ، ويصيح القروى باكيا ، ولكنه كلما بكى ، كلما أعاد « تحوت ـ نخت » ضربه آمرا اياه بالسكوت وعدم الشكوى. فيرد القروى : أتضربنى وتسرق مالى وتمنعنى أن أشكو » ، ويظل القروى ببابه عشرة أيام يستعطفه ويتضرع اليه ، ولكنه لم يعره التفاتا ، مما اضطره الى أن يشكو الى ناظر الضيعة « رنسى بن مرو » .

ويتقدم القروى بشكايته الى النبيل « رنسى بن مرو » وقد قابله ذات صباح وهو فى طريقه من داره الى النهر ليستقل قارب المحكمة ، فرجاه أن يرسل معه تابعا من عنده حتى يعهد اليه بقصته ، ورجع التابع بنص القصة الى رئيسه ، ويتمكن القروى من أن يثير اعجاب « رنسى بن مرو » ببلاغة لفظه ، وفصاحة تعبيره ، ويرفع « رنسى بن مرو » الأمر الى القضاء لعلهم ينصفوا ذلك القروى من « تحوت ـ نخت » ولكنهم لم يفعلوا شيئا وأجابوا : ربما كان ذلك القروى أحد فلاحى « تحوت ـ نخت » ، وأنه أراد تركه والعمل عند غيره ، وطلبوا من « رنسى بن مرو » أن يطلب من عامله « تحوت نخت » أن يعوضه عن كمية النطرون ، وتجاهلوا الحمير كلية ، وهى التى أعز على القروى من كمية النطرون ، ولكن « رنسى بن مرو » لم يعر حكمهم الظالم أى اهتمام ، وأسر فى نفسه أمرا عزم على تنفيذه .

واستبطأ القروى رد «رنسى بن مرو» فوجه اليه عتابا رقيقا لينا ، حاول أن يستثير فيه نخوته ، فحببه فى العدل ، ووصفه بما يحب أمثاله أن يوصفوا به ، وكان من قوله له: اذا كنت حقا أبا لليتيم، وزوجا للأرملة وأخا للمرأة المنبوذة ، وردأ لمن لا أم له ، فشجعنى على أن أنشر سمعتك فى الأرض بما يتفق مع القانون الصحيح ، وعساك تكون حاكما بريئا من الجشع ، ونبيلا منزها عن الدنية ، تزهق الباطل وتحق الحق ، وتلبى نداءه ها أنذا أقول وأنت تسمع ، أقم العدل أمدحك ويمدحك المادحون ، أزل كربى واحمنى ، فقد وهنت قوتى ، وضلت حيرتى » .

وهنا لعل سائلا يتساءل : ما بال هذا القروى المظلوم لم ينصف على عجل ، وهل يجوز لنا أن نرمى حكام مصر بالاهمال والمحاباة ؟

فى الواقع أن الأمر لم يكن كذلك ، فالحاكم الكبير (رنسى بن مرو) قد أعجبته فصاحة « خون ـ انبو » فأخبر الملك أن فى رعاياه « قرويا فصيحا » ، وكان الملك ـ كما يقول جوستاف لوفيفر ـ فى حاجة الى من يسرى عنه ، فانتهز الفرصة ، وطلب ألا يبت فى شكوى القروى ، استزادة من فصاحته ، على أن تسجل شكاياه وترفع اليه ، يقول الملك لكبير حجابه : « دع امره يقضى فيه على مهل ، ولا تجبه فى شىء مما يقول ، والزم الصمت حتى لا يكف عن الكلام ، واكتب ما يقوله حتى نسمعه ، على أن تتكفل برزق زوجه وعياله ، وذلك لأن القروى لا يأتى (الى العاصمة) الا بعد املاق » ، وهكذا ، وبناء على توجيهات سيد البلاد فلقد « أعطوه فى كل يوم عشرة أرغفة ، واناءين من الجعة » ، وقد تعود كبير الحجاب « رنسى بن مرو » أن يعطى ذلك لأحد أصدقائه الذى اعتاد (بدوره) أن يعطيها له (أى الفلاح) كما أرسل كبير الحجاب (رنسى بن مرو) الى شيخ بلدة (حقاحات) « سخمت حموت » ليصنع طعاما لزوجة هذا القروى ، ومقداره ثلاثة مكاييل من الشعير فى كل يوم •

وهكذا يتغافل كبير الحجاب عن الرد على شكايات القروى الفصيح الذى يظن أن أمره قد أهمل ، فتحول من الاستعطاف الى الشكاية ثم الى الشراسة ، وتحول من لين الحديث الى العنف والنقد الصريح ، وتوجه الى « رنسى بن مرو » بثمان شكايات متتابعة ، بعد استعطافه الأول (شكايته الأولى) ، لم يسلم حين تقديمها من الأذى ، وضرب الحجاب ، واهانة الحراس ، ولكنه لم يتخل عن عناده ، واستمر يصر على اسماع صوته للحاكم ، ولو ناله الضرب والأذى ، وعمل على أن يصور فى هذه الشكايات كل مبادىء العدالة الاجتماعية والسياسية والقانونية التى كان يطمع فيها المفكرون فى عصره •

وهكذا أخذ القروى فى شكايته الثانية يحذر « رنسى بن مرو »

قائلا : يا كبير الأمناء يا شريفى ، انك أعظم العظماء ، وأغنى الأغنياء ، أنت الذى تتمثل فيك عظمة العظماء ، وغنى الأغنياء ، انك دفة السماء ، وسارى الأرض ، وحبل الميزان الذى يحمل الثقل ، فيا أيتها الدفة لا تنحرفى ، ويا أيها السارى استقم ، ويا أيها الميزان لا تمل » ، وحين لا يجد أذنا صاغية فانه يقول : « هل أبحتم للشريف أن يسلب رجلا ليس له ولى ، وينهب رجلا ليس معه أحد ، ان الموت يدرك الغنى ومن فى كنفه على السواء ، فهل أنت حى خالد ؟ أليس من القبح أن تميل الموازين ، وتختل المعايير ، وان ينقلب العادل القويم خبيثا ، ان كبار الموظفين يرتكبون السيئات ، ويحيد القوم عن الطريق السوى ، ويسرق القضاة ، ان الذى ينبغى أن يقسم بالعدل قد أمسى سارقا ، والذى ينبغى أن يقضى الحاجات قد أنزل الحاجة بالناس حتى عم العوز المدينة ، والذى ينبغى أن يستأصل الشرور ، هو نفسه الذى يرتكب المظالم ، ان وازن الحبوب يطفف غشا ، والذى ينبغى أن يبين سبيل القانون يأمر بالسرقة» .

ثم يقول « ان الاصلاح قد يتم فى ساعة ، ولكن الفساد يمكث طويلا وتعود الحسنة الى حيث كانت بالأمس ، وتلك هى الحكمة : عامل بالحسنى من أحسن حتى يظل محسنا » ، ثم ينبهه الى واجبات وظيفته : « فلتكن عصمة للمظلوم ، ولبكن شاطئك آمنا ، فان التماسيح تعبث فى الأرض من حولك ، وليكن لسانك عادلا ، فلا تضل سواء السبيل ، اذ يكون جزء من الجسد سببا فى هلاك صاحبه ، لا تقل كذبا ، واحذر كبار أشرافك ، انما يفسد القضاة سلة من فاكهة (يلوح أنه يعنى الرشوة) ، والكذب مرعاهم الخصيب ، وهو بذلك أيسر ما تهوى قلوبهم ، وأنت يا أعلم الناس ، أفتبقى جاهلا بأمرى ، وأنت يا من تجنب الناس كل قحط فى الماء ، ألا فانظر ، ان لى طريقا ليس فيه سفينة ، وأنت الذى تنتشل الغريق ، وتنقذ الهالك ، انقذنى » .

ثم يضرع اليه فى « شكايته الثالثة » ، ويشبهه بالاله « رع » فيقول: انك أنت رع سيد السماء ، ومعك حاشيتك ، ان بقاء الناس جميعا مرجعه

اليك ، أنت فيهم فيض عميم ، أنت « حابى » (حعبى)(١٥) الذى تخضر به المراعى ، وترد الأرض المجهدة خصيبا ، ادفع السارق ، واحم المسكين ولا تكن تيارا جارفا على من استجار بك ، اتق دنو الآخرة ، واذا عاقبت من يستحق العقاب ، فلن يتسامى الى استقامتك أحد ، انظر : هل يختل ميزان اليد ، أو يميل ميزان القبان من ناحية دون أخرى ، اذا حابى الاله « تحوت » جاز لك أن ترتكب السوء ، كن ثانى هؤلاء الثلاثة ، فان حابوا جاز لك أن تحابى ، لا تجعل السيئة مكان الحسنة ... لا تقل كذبا فانك كبير ، ولا تكن هينا فانك عظيم ، ثم يقـول له فى تشبيه لطيف ، وتجسيم للصورة : « أنت رئيس وبيدك ميزان ، اذا اختل الميزان فأنت مختل ، ولسانك هو لسانه الصغير ، وقلبك صنجته ، وشـفتاك كفته ، فاذا أدرت وجهـك شطر الظالمين ، فمن الذى يرد الضـلال ، ويرفـع العـار » .

ويدرك القروى أن شكاياته لا طائل منها ، ومع ذلك يستمر فيها ، ولكنه يشتد على « رنسى بن مرو » فيقول له : « أنت قادر ومقتدر ، وذراعك طائلة ، ولكن فؤادك قاس ، والرحمة قد تجاوزتك ، وما أتعس المخزون الذى تحطمه ، لكأنك رسول لرب التمساح ، بل انك زدت عن ربة الوباء ، واذا كان العدم يرتجى منها ، ارتجى منك العدم ، وعندئذ يأمر « رنسى بن مرو » بضرب القروى بالسياط ، فينزعج القروى ويقول : « ضل ابن مرو طريقه ، انه أعمى عما يرى ، أصم عما يسمع ، سادر عمـا يروى له ، انك أشبه بقرية لا عمدة لها وجماعة لا كبير لها ، وسـفينة لا ربان لها ، وعصبة لا هادى لها ، أنظر : انك لص ، حاكم يصادر أملاك

---

(١٥) يشبه القروى هنا «رنسى بن مرو» باله النيل حعبى، والمعروف أن المصريين قد اطلقوا على النيل (ايترو ـ عا = النهر العظيم) اسـم «حعبى» ، على أن حعبى لم يكن هو النهر المقدس ، وانما كان ذلك الاله أو الروح التى تكمن وراء هذا النهر العظيم ، والتى تدفع بميـاه فيضه حاملة الخصب والنماء ، وقد صور المصرى هذا الاله فى هيئة بشرية تجمع بين الانوثة والذكورة فى هيئة صياد سمك يلتحى باللحية التقليدية للالهة ، له ثديا امراة ، وبطن مترهل (محمد بيومى مهران : مصر ١/٢٩٨ـ٣٠٥).

الفلاحـين ، ورئيس مقاطعة وظيفته القضـاء على النهب ، ولكنه يصبح نموذجا لمرتكبيه ، لا تسرق وضيعا أملاكه ، ولا ضعيفا تعرفه ، ان أمـلاك الفقير هى أنفاسه ، فمن أخذها منه فقد كتم أنفاسه ، لقد عينت لتسمع الشكايات ، وتفصل بين الخصوم ، وتقضى على اللصوص ، لقد وضـع الناس ثقتهم فيك ، فأصبحت معتديا ، وانما أقمت سدا منيعا للفقير تحميه من الغرق ، أيها السمير الكبير ، أقم الحق ، ان زارع الشر يروى آثامه بالشر ، ولكن الحق باق أبدا ، وهو ينزل مـع فاعله الى العالم الآخر . فلا يمحى اسمه من الأرض ، ولكنه يذكر لصلاحه ، وذلك ما ورد فى كلام الاله » .

ويستمر القروى فى شكاياته التى بلغت تسعا ، وفى كل واحدة منها يتفنن فى المطالبة بحقه ، ويذكره بمسئوليته عما حـدث له ، ويحذره من غضب الله تعالى عليه لمناصرته الظلم والظالمين ، ثم يقول له فى شـكواه الأخيرة : « ان ألسنة الناس موازينهم ، ان الميزان هو الذى يبين السرقة فعاقب من يستحق العقاب» ، ثم يحذره فى نهايتها قائلا : «لا تطلع قلبك ولا تخف وجهك عمن عرفت، ولا تكن أعمى عما رأيته ، ولا تنهر من أتاك مستجيرا ، أخرج من بطئك ، واقض ما أنت به قاض ، لا صديق لمن يصم آذانه عن العدل ، أنظر : انى تضرعت اليك ، وما أراك منصتا لى أنظر : انى سأذهب الآن ، وسأرفع شكواى ضدك الى الاله « أنوبيس» .

ويبدأ القروى يسير بعيدا عنه معتزما تنفيذ ما هدد به ، وهو أنه ذاهب الى أنوبيس ، اله الموتى ، غير أن « رنسى بن مرو » سرعان ما يرسل وراءه اثنين من رجاله عادا به ، وكان خائفا من أن يعاقبه « رنسى بن مرو » على ما بدر منه فى شكواه ، ولم يصدق فى أول الأمر ، عندما طمأنه « رنسى بن مرو » كبير الحجاب قائلا : « لا تخف أيها القروى فقد أهملنا شكواك لتبقى معنا ، وسرعان ما يخرج له « رنسى بن مرو » قرطاسا من البردى ، قرأ فيه كل شكاياته ، ثم حمل هذا القرطاس الى الملك « نب كاو رع » الذى سر كثيرا بهذه الشكايات ، وأمر بأن ينتقم

للقروى من ظالميه دون وجه حق ، حتى ليعطى كل أملاك « تحوت ــ نخت » ، بل ويسمح له بالاقامة فى العاصمة اهناسيا كذلك .

وقصة القروى الفصيح هذه ، كوثيقة تاريخية ، هامة جدا ، وذلك لأنها تصور لنا الحالة الاجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصر ، وتصور لنا كيف يستغل بعض الموظفين وظائفهم فى ظلم الفقراء من الناس ، بينما يعنى كبارهم بتقبل شكوى المظلومين ورد حقوقهم اليهم ، لأنهم هم المسئولون عن ذلك ، وتصور لنا أن الوظيفة الكبيرة ذات المرتب الضخم ، ليست فى كل الأحوال سياجا تحمى صاحبها من أن يظلم الناس كما أنها ليست دائما درعا يحمى الفقراء من اضطهاد الحاكمين ــ وأحيانا سلبهم أقواتهم ــ وتصور لنا كيف ساء الحال ، وأهمل الموظفون واجباتهم وكيف اضطرب الأمن فى الطرق ، وانتشرت السرقات وتفشى الغش والخداع ، وكيف فسد الحكم ، حتى وصل الأمر الى القضاء فانحرف عن واجبه المقدس ، وتصور لنا مكانة الثقافة ، أو بعبارة أخرى ، مكانة الفصاحة ، حتى أن مؤلف قصة الفلاح الفصيح لم يأبه أن يصور فرعون عصره يستعذب فصاحة قروى من رعاياه ، ويتمنى أن يستزيد منها ، ثم يأمر بالاحسان اليه فى عاصمته ، دون أن يعرف من هو المحسن اليه ، ودون أن يشعر بفضل أحد عليه فضلا عن الاحسان الى أسرته فى قريتها والتكفل بأمر معيشتها .

على أن قصة الفلاح الفصيح ، انما تصور لنا ــ من ناحية أخرى ــ كيف أثرت الثورة الاجتماعية الأولى فى المجتمع ، فأعلت من شأن الفرد ، وأعطت الفرصة لأقل الناس فى أن يتقدم ــ بكل جرأة وشجاعة ــ ويطالب بحقه المهضوم ، بل ويتهم كبير حجاب قصر فرعون بتهم أشد قسوة ، لانه لم يأبه بتطبيق العدالة معه ، وأن يعيد اليه بضاعته التى سلبها اياه أحد موظفى كبير الحجاب هذا ، فهو يمثله بشخص لا يهمه الا الكسب بأية وسيلة ، حيث يقول له : «أنظر انك غاسل ثياب تعس ، جشع فى اضرارك بالصديق ؛ انك كمن يترك شريكه من أجل

عميل ، أنظر انك معداوى لا يعدى الا من كان معه أجرا ، انك تاجر بارت تجارته ، أنظر انك ساقى لذته فى القتل ، وتشويه ما ليس مسئولا عنه » .

ثم يعبر له عن أن الحكم السلبى الذى لا ينشد بحق فعل الخير ، لا يمكن أن نسميه حكما . يقول القروى الفصيح : « انظر : انك أشبه بقرية لا عمدة لها ، وجماعة لا كبير لها ، وسفينة لا ربان فيها ، وتحالف بلا زعيم ، لقد أقمت سدا منيعا للفقير تحميه من الغرق ، ولكن أنظر فقد أصبحت البركة التى يغرق فيها الناس » ، ثم يستمر فى شكواه مناديا بأن الباطل دولته قصيرة الأجل ، أما دولة الحق فللأبد ، يقول القروى : « أنظر : اذا مشى الباطل يضل الناس الطريق ، انه لا يعدى فى قارب التعدية ، انه لا يتقدم ، ان الذى يغنى بالباطل لا أولاد له ، وسيزول ورثته من الأرض ، أما « ماعت » فهى باقية الى الأبد ، وتصحب من يفعلها الى القبر ، وعندما يموت ويدفن لن يمحى اسمه من الأرض ، فأعماله الخيرة تذكره ، هذا هو المبدأ الذى أمر به الاله » .

وتصور لنا القصة اضطراب الأمور فى البلاد ، وانحلال الموظفين، وبعدهم عن الجادة من الطريق ، وأن اتقاء الشعب هذا الهوان وانقاذه منه ، لن يكون الا على يد ملك عادل حازم ، يعاونه جمهرة من الموظفين الأمناء الأكفاء العدول ، وتصور لنا أمر الخوف من عقاب المنتقم الجبار، وكيف كان القروى الفصيح يكرر على مسمع رئيس حجاب القصر الملكى بأنه سيقف يوما أمام الله تعالى الذى سيحاسبه عما فعل لرد الظلم عنه ، ولارجاع الحق الى أصحابه ، فالحاكم راع مسئول عن رعيته ، مكلف بالسهر على راحتها ، فان أحسن فله نعم الثواب ، وان أساء وأهمل فسوء المصير ينتظره فى الحياة الأخرى .

وأخيرا ، فان صاحب قصة القروى الفصيح قد شبه العدالة ـــ ولأول مرة فى تاريخ آداب العالم ـــ بالميزان ، واتخذ من أجزائه استعارات وأوصاف لنواحى العدالة ، ثم ساد هذا التشبيه فى جميع لغات العالم،

وقد ظهر بصورة واضحة فى القرآن الكريم ، يقول القروى : « نفذ العقاب فيمن يستحق العقاب ... انظر : هل يختل ميزان اليد ، أو يميل ميزان القبان من ناحية دون الأخرى ... لا تقل كذبا فانك كبير ، ولا تكن هينا فانك عظيم ، ولا تنطق بالكذب لأن الموازين ... أنت رئيس وبيدك ميزان ، اذا اختل الميزان فأنت مختل ، ولسانك هو لسانه الصغير ، وقلبك صنجته ، وشفتاك كفته ، فاذا سترت وجهك عمن يطفف، فمن الذى يرد الضلال ، ويرفع العار » .

هذا وقد كان لهذه القصة مكانة عند المصريين ، حتى أنها لقد بقيت معروفة عند الأدباء حتى عصر الرعامسة ، فهناك قطعة بها مقالة مهلهلة لتلميذ كسول ، جاء فيها ما ترجمته الحرفية : « أنت فى حالة الذى يقول: أنت تقتل ، أنت تسرق حسيرى ، خذ التحذير من فمى » ، وهنا نجد اقتباسا خاطئا جدا فى كلمات الفلاح أو القروى الفصيح التى تقول : ثم قال الفلاح : « أنت تضربنى ، أنت تسرق بضاعتى ، وعندئذ خذ الشكوى من فمى » ، مما يدل بوضوح على أن قصة القروى الفصيح انما كانت تتمتع بشهرة عريضة فى المدارس حتى عصر الرعامسة(١٦) .

---

(١٦) جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٩٨ ـ ١٣٥ ، عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ٤١٤/١ ـ ٤١٧ ، الشرق الأدنى القديم ٣٦٢/١ ـ ٣٦٥ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى ص ١٥ ـ ٢١ ، ١٧٠ ـ ١٧٣ ، مصر ٣١٥/٢ ـ ٣٢٢ ، سليم حسن ٥٦/١ ـ ٧٠ ، وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 183-193.
A. H. Gardiner, JEA, 9, 1923, p. 5-25.
J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 407-410.
A. Erman, LAE, 1927, p. 116-130.
O. R. Faulkner, Op-Cit, p. 31-56.
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 170-183.
A. M. Blackman, JEA, 20. 1934, p. 218-219.

٣ ـ قصـــة ســـنوهى

كانت قصة سنوهى من أحب القصص الى نفوس المصريين طوال عهد الدولتين الوسطى والحديثة ، وقد وصل الينا كثير من أجزائها مكتوبا على البردى أو على اللخاف (الاوستراكا) ، مما يدل على اقبال الناس عليها ، وبخاصة المدرسين الذين كانوا يملونها على تلاميذهم ، وهناك اجماع بين علماء المصريات على أن قصة سنوهى انما هى خير ما ورد فى القصص المصرى ، وأنها تتفوق على ما عداها باسلوبها وتركيبها ولغتها ، وما اجتمع لها من العناصر للقصة الناجحة ، ولم يقتصر أمر الاعجاب بها على علمـاء المصريات ، بل ان غيرهم من رجـال الادب فى العالم يشاركونهم هذا الاعجاب ، ويذهب بعضهم مثل «روديارد كبلنج» الى اعتبارها جديرة بأن توضع بين روائع الآداب العالمية(١) •

وليس هناك من شك فى أن صاحب هذه القصة «سنوهى»(٢) ، انما كان شخصية حقيقية ، عاش على أيام الملكين «أمنمحات الاول» (١٩٩١ــ ١٩٦٢ ق•م) مؤسس الاسرة الثانية عشرة ، وولده وخليفته «سنوسرت الاول» (١٩٧١ ــ ١٩٢٨ ق•م)(٣) ، وكانت مغامراته موضع اعجاب معاصريه ، ومن جاءوا بعده ، وربما كانت نواتها الاولى هى تاريخ حياة سنوهى نفسه ، بغية أن تكتب على أحد جدران قبره ، أو على لوحة تقام فى ذلك القبر ، كما كانت عادة المصريين فى ذلك الوقت •

---

(١) أنظر خطاب «كبلنج» الى «سير الن جاردنر» المنشور فى كتاب (The Legacy of Egypt, 1943, p. 74)

(٢) الاصـــل المصرى لاسم «سنوهى» هو «سانهت» أى ابن الالهة الجميزة ، ونظرا لان التاء فى آخر الكلمة كانت تسقط ، وأن كلمة الجميزة كانت تنطـــق «نوهى» فى القبطية ، فقد نطـــق الاثاريون الاوائل اسم «سانهت» ، «سنوهى» ، وهو أنسب نطق للاسم •

(٣) يلاحظ القارىء أن هناك تداخلا فى فترة حكم «أمنمحات الاول» وولده «سنوسرت الاول» ، والسبب فى ذلك فترة الحكم المشترك بينهما ، ذلك لان مصر انما عرفت الحكم المشترك على أيام الاسرة الثانية عشرة ، ذلك لان الضرورة كانت ماسة لاتخاذ احتياطات واسعة للحفاظ على سلطان الملك ، وربما كان أمنمحات الاول فى أواسط العمر ، حين اعتلى العرش ، وقد أشرك معه ولده «سنوسرت الاول» فى العام العشرين (حوالى عـــام ١٩٧١ ق•م) ، وحكما معا حشر سنوات بعد ذلك ، وقد اتبعت هذه السنة =

هذا ويختلف المؤرخون فى صلة «سنوهى» بالعائلة المالكة ، فهناك من يرى فيه مجرد شاب تربى فى البلاط الملكى ، وهناك من يرى أنه يرتبط بالاسرة المالكة برابطه من قرابة ، وهناك من يرى فيه واحدا من رجال البلاط فى عهد الملك أمنمحات الاول ، ولكنه كان من الحزب المعارض للأمير «سنوسرت الاول» ، بل ان هناك من يرى فيه أحد ابناء الملك من أم غــير ملكية(٤) ، ويبدو لى أن «سنوهى» انما كان واحدا من رجال البلاط المشهورين فى عهد امنمحات الاول ، وأن هناك حزبا كان يعارض فى تولية سنوسرت العرش ، بعد أبيه «أمنمحات الاول» (سحتب ايب رع) ، وأن سنوهى كان واحدا من رجال هذا الحزب الاقوياء ، حتى رأينا «سنوسرت الاول» يصحبه معه فى حملته على ليبيا ، ربما خوفا منه ، وربما اضعافا للحزب المعارض له عند غياب سنوهى •

وعلى أية حال ، فالنص الكامل لهذه البردية محفوظ فى برديتين بمتحف برلين ، الاولى برقم ٣٠٢٢ ، والثانية برقم ١٠٤٩٩ ، وقد قام بنشر البردية جاردنر(٥) وبلاكمان(٦) وبارنز(٧) وزيته(٨) ، كما قام بترجمتها

=
بعد ذلك طوال عهد الاسرة الثانية عشرة ، ومع ذلك فربما لم يكن ذلك فى بداية الامر تجـــديدا كاملا ، لان لدينا ما يشير الى أن «ببى الاول» من الاسرة السادسة ، ربما فعل مثل ذلك الامر من قبل ، وأما فى عصر الدولة الحديثة فقد ثبت فيه قيام عدة حالات من الحكم المشترك ، حدث ذلك بين بعض ملوك الاسرة الثانية عشرة والتاسعة عشرة (أنظر :

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 97, 129.

D. B. Redford, History and Chronology of The Eighteenth Dynasty of Egypt, Tronto, 1967, p. 24-28)

J H. Breasted, ARE, II, 1927, p. 74.

(٤) احمد فخرى : مصر الفرعونية ص٢١٥، تاريخ الحضارة المصرية القديمة ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., p. 131.

(٥) A. H. Gardiner, Die Erzahlung des Sinuhe und Hirengeschichte, 1909.

(٦) A. M. Blackman, The Story of Sinuhe, BA, II, Brussels, 1932, p. 1-41.

(٧) J. W. B. Barns, The Ashmolean Ostracon of Sinuhe, London, 1932.

(٨) K. Sethe, Lesestucke, p. 3-17, Idem, Erl, p. 5-21.

وتحليلها والتعليق عليها — كليا أو جزئيا — كثير من علماء المصريات ، من أمثال سير الن جاردنر(٩) ، وهرمان جرابو(١٠) وأدولف ارمان(١١) وجوستاف لوفيفر(١٢) وايدل(١٣) وجون ويلسون(١٤) وبوزنر(١٥) وألت(١٦) وبلاكمان(١٧) ودى بك(١٨) وبرونر(١٩) وجدكه(٢٠) وجان يويوت(٢١) وبارنز(٢٢) وكلير(٢٣) وسمبسون(٢٤) وغيرهم(٢٥) ، هذا فضلا عن الترجمات العربية ، جزئيا أو كليا(٢٦) .

---

(٩) A. H. Gardiner, Notes in The Story of Sinuhe, Paris, 1916.

(١٠) H. Grapow, Der Stilistische Bau der Geschichte des Sinuhe, Berlin, 1952.

(١١) A. Erman, LAE, 1927, p. 14-29.

(١٢) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 1-28.

(١٣) E. Edel, in Textbuch zur Geschichte Israel, Tubingen, 1968, p. 1-12.

(١٤) J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 18-22.

(١٥) G. Posener, Literature et Politique dans l'Egypte de la XIIe dyansty, Paris, 1956. p. 87-115.

(١٦) A. Alt, ZAS, 58, 1923, p. 48-50, Idem, PJ, 37, 1941, p. 19 F.

(١٧) A. M. Blackman, JEA, 16, 1930, p. 63-65.

(١٨) A. de Buck, Griffith Studies, p. 57-60.

(١٩) H. Brunner, ZAS, 80, 1955, p. 5-11, Idem, ZAS, 91, 1964, p. 139-140.

(٢٠) H. Goedicke, JEA, 43, 1957, p. 77-85, Idem, JEA, 51, 1965, p. 29-47.

(٢١) J. Yoyotte, Kemi, 17, 1964, p. 69-73.

(٢٢) J. W. B. Barns, JEA, 53, 1967, p. 6-14.

(٢٣) J Clere, JEA, 25, 1939, p. 16-29.

(٢٤) W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 57-74.

(٢٥) M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 222-235.

وكذا G. Lanczkowski, MDIK, 16, 1958, p. 214- 214-218.

وكذا W. Westendorf, Schott Festschrift, p. 125-131.

(٢٦) سليم حسن : المرجع السابق ص ٣١ — ٤٦ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٨٣ — ٣٩٠ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٦٢ — ٣٦٥ ، عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١٧٨/١ ، ٣٤٣ — ٣٤٤ ، محمد بيومى مهران : مصر ٣٤٥/٢ — ٣٤٧ ، أحمد بدوى : فى موكب الشمس ١٠٥/٢ — ١٢٠ .

وتبدأ قصة سنوهى كالتالى : «الحاكم الامير ، مدير أملاك الملك فى بلاد الاسيويين ، صديق الملك بحق ومحبوبه ، الرفيق سنوهى يقول : كنت رفيقا يتبع مولاه ، وخادما للحريم الملكى للسيدة العظمى ، التى يكثر (الناس) من مدحها ، الزوجة الملكية لسنوسرت فى «خنم سوت» ، والابنة الملكية لامنمحات «كانفرو»[٢٧] الملكة نفرو المبجلة •

السنة الثلاثون،الشهر الثالث من فصل الفيضان،اليوم السابع ، صعد الاله الى أفقه ، ذهب ملك مصر العليا والسفلى ، سحتب ايب رع ، الى السماء ، واتحد مع الشمس ، وامتزج جسد الاله بمن خلقه ، فحل الصمت بالعاصمة ، وغلقت أبواب القصر ، وجلل الحزن القلوب ، وجلس رجال البلاط ورؤوسهم بين سيقانهم ، وحزن الناس •

وكان جلالته قد أرسل جيشا الى أرض «التحنو»[٢٨] فى ليبيا ، وكان على رأسه ولده الاله الطيب سنوسرت الذى ارسل ليضرب البلاد الاجنبية ، وليقوم باسر السكان فى أرض تحنو ، وكان فى طريق العودة ، ومعه أسرى أحياء من التحنو ، وأنواع من الماشية بغير عدد ، وأرسل رفقاء القصر الى الجبهة الغربية لينهوا الى ابن الملك أمر الموقف الذى جد فى القصر الملكى ، ولقيه الرسل على الطريق ، وكانوا قد وصلوا ليلا فلم يتلكأ لحظة ، طار الصقر مع أتباعه ، دون أن يدع جيشه يعلم بالامر ، وأرسل فى طلب أبناء الملك الذين كانوا يصحبونه فى هذا الجيش ، ثم استدعى واحدا منهم» •

وكان سنوهى شابا نشىء فى القصر الملكى ، وتصادف أن كان واقفا حين أنهى السر الكبير ، فذعر أشد الذعر ، وأصابت القشعريرة كل أعضاء جسده ، ومن ثم فقد أخذ يعدو ليجد له مخبأ ، وسرعان ما وجده أخيرا

---

(٢٧) خنم سوت : اختصار من «خبر كارع خنم سوت» ، ومعناها «خبر كارع» (اسم سنوسرت الاول) هو الذى يضم نفسه الى أماكنه وهو اسم هرم هذا الملك فى منطقة اللشت،واما «كانفرو» فهو اسم هرم أمنمحات الاول فى نفس المنطقة •

(٢٨) انظر عن «التحنو» (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ـ الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٣٧ ـ ١٤٥) •

بين شجرتين ، ولعل ذلك انما يشير الى أن سنوهى انما كان مواليا لحزب يعارض فى تولية «سنوسرت الاول» عرش الكنانة بعد أبيه ، فلما علم بوفاة «أمنمحات الاول» — وهو فى قبضة سنوسرت — فر الى الشرق ، فقد خشى أن يصيبه الاذى ، بعد أن فقد أكبر معين له فى القصر وحام ، وربما خشى أن تنشب فتنة على العرش فى العاصمة ، يعز عليه أن يلتزم الجانب الصالح فيها ، فآثر البعد بنفسه ، واستخفى عن الجيش واعتزله، وتخطى الحدود الشمالية الشرقية وحيدا . وربما كان فى بلاط أمنمحات الاول جناحان ، الواحد على رأسه سنوسرت ، والاخر ، ربما زوجه التى لم تكن شقيقته ، ولكنها صاحبة الحق فى العرش ، وأن واحدا من أخوتها — من أبناء الاسرة الملكية السابقة — كان ينافس سنوسرت على العرش، وأن سنوهى كان من أنصار الحزب الثانى ، فلما أخفق حزبه هذا ، وانتهت ولاية العرش الى سنوسرت خشى على نفسه ، وفر الى فلسطين .

وأيا ما كان الامر ، فان سنوهى قد واصل فراره على طرف الصحراء، فبلغ رأس الدلتا فى اليوم التالى ، وما يكاد يفعل حتى يقع على زورق على متن النهر ، وظلت تدفعه حتى بلغ محاجر الجبل الاحمر من وراء العباسية ، ممضى وجهه شمالا ، حتى بلغ حصنا يقال له « قلعة الحاكم » بالشاطىء ، وما يكاد يركبه حتى هبت ريح من الغرب فدفعته فى غير عسر أو «سور الامير»[29] ، ثم يستأنف سنوهى حديثه قائلا : هناك خبأت

---

(٢٩) بدأ أمنمحات الاول فى تنفيذ سياسة السلام المسلح القائم على التحصين واليقظة ، فاهتم بحدوده الشرقية ، ونعرف من «نبوءة نفرتى» انه قضى النصف الاول من حكمه فى طرد البدو الاسيويين الذين نزحوا الى الدلتا واستقروا فيها ، خلال فترة الاضطرابات التى كتب على البلاد أن تعيشها فى أخريات أيام الاسرة الحادية عشرة ، ورغبة من الفرعون فى عدم عودة الاسيويين مرة أخرى الى الدلتا ، فقد شيد أمنمحات الاول سلسلة من الحصون على حدود الدلتا الشرقية ، عرفت باسم «أسوار الحاكم» أو «قلعة الحاكم» ، ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقين : أين كانت تقع تلك الاسوار ؟ غير أن ذكرها مرتين انما يكفى لجعلنا ندرك مدى الخطر المتوقع من هذه الناحية ، وهى ، على أية حال ، سلسلة من الحصون والتحصينات أقيمت للاشراف على الممرات التى تؤدى الى داخل مصر من ناحية حدودها الشرقية الشمالية ، وربما كان أكثرها فى وادى طميلات (محمد بيومى مهران: مصر ٢/٣٨٧ — ٣٨٨ ، وكذا
J. Vercoutter, in the Near East, London, 1967, p. 361-362. =

نفسى بين الحشائش ، فقد خشيت أن يرانى الحارس المكلف بالمراقبة فى ذلك اليوم» ، ولما أمن عين الرقيب واصل سيره بالليل ، وعند الصباح بلغ البحيرات على طريق السويس ، وهناك غلبه الظمأ ، وجف حلقه ، يقول سنوهى : «وعندما وقفت فى جزيرة «كم ور» (احدى البحيرات فى برزخ السويس) ، وقعت فريسة العطش ، فاكتويت بناره ، وجف حلقى ، وقلت لنفسى : هذا هو طعم الموت ، ولكن قلبى انتعش ، وجمعت أعضاء جسمى ، عندما سمعت خوار الماشية ، ورأيت بعض البدو ، وعرفنى شيخ من بينهم ، كان قد زار مصر ، فأعطانى ماء ، وطبخ لى لبنا ، وذهبت معه الى قبيلته فأحسنوا معاملتى» •

ويستمر «سنوهى» فى قص مغامراته ، فيذكر لنا أن بلدا أسلمه الى بلد ، حتى وصل الى «جبيل» شمالى بيروت ، ثم غادرها الى «كومى» ، حيث أمضى بها ستة شهور ، ويبدو أن سنوهى كان يعرف تلك البقاع ، وكان يعرف بعض أهلها ، وفى ذلك ما يشير الى وجود صلة بين مصر وبين بقاع الشرق الادنى القديم ، ولا غرابة فى ذلك ، فمصر كانت على اتصال دائم بجيرانها من قبائل الشرق ، تبعث بسفنها الى سواحل لبنان لاحضار الخشب من غاباتها — كما فعل سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة — وترسل البعثات على البر والبحر لضرب المغيرين على حدود الوادى من بدو الصحراء — كما حدث فى حملة «ونى» على أيام الاسرة السادسة — •

ويتجه سنوهى بعد ذلك الى مكان آخر يقضى فيه أيام منفاه — بعيدا عن سلطان الملك الجديد — يتجه الى «رتنو العليا»[٣٠] ، وهى بلاد ينبت فيها التين والعنب وأشجار الزيتون ، فضلا عن الشعير والقمح ، وكان فيها أيضا قطعان الماشية ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت قريبة من الصحراء

= A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 105).

(٣٠) بلاد رتنو : هو الاسم الذى كان يطلق على فلسطين وسورية فى ذلك الوقت ، وربما كان المكان الذى استقر فيه سنوهى يقع الى الشرق من جبيل ، وعلى الارجح فى «البقــاع» على الطريق الرئيسى بين الشاطىء ودمشق •

وكان يمكن الصيد فيها ، وكان هناك مصريون آخرون يعيشون فى تلك المنطقة ، وربما كانوا منفيين مثل سنوهى ، وعلى أية حال ، فان سنوهى رغم أنه كان آمنا من أن يوقع به فرعون أى عقاب ، فانه كان يكرم وفادة ناقلى الرسائل المصريين الذين كانوا يسافرون جيئة وذهابا ، الى العاصمة المصرية (اللشت) ، ولعل ذلك انما يشير الى أن الارض التى اختارها سنوهى لمنفاه ، انما كانت تقع قريبا من الطريق الرئيسى بين لبنـــان وشرقى سورية •

وعلى أية حال ، فلقد نزل سنوهى ضيفا على «عامونننشى» أمير رتنو العليا ، الذى حبب اليه الاقامة فى جواره ، حيث قال له «ولسوف تجد ادى ما يطيب لك ، وتسمع عندى أخبار مصر» ، وبدهى أن الرجل لم يقل ذلك الا لانه عرف قدر سنوهى وقيمته فى قصر فرعون ، فهو قد سمع عنه من أولئك الذين كانوا يقصدون وطنه أو يمرون به من أبناء البلاد ، وفى ذلك ما يدل على شهرة سنوهى التى لم يبلغها الا لانه كان يخدم فى بلاط فرعون ، وأن أثر فرعون فى بقاع الشرق قد كان عظيما ذا خطر •

ويمضى سنوهى فى قصته فيقول : هنالك سألنى الرجل ، ما الذى جاء بك الى هنا ، هل وقع شىء فى القصر ؟ فقلت : ان الملك أمنمحات قد لحق بالرفيق الاعلى ، وما يدرى امرؤ ماذا يكون بعد ذلك ، ونبأته مراوغا أننى تلقيت خبر ذلك عند عودتى من الميدان الليبى ، فهلع فؤادى وطار لبى ، وسرت على غير هدى ، أهيم مدلجا فى رمال الصحراء ، ومع ذلك فلم يش بى انسان ، ولم يتجسس على أحد» ، وفى مقالة سنوهى هذه مايكفى دليلا على أنه كان صاحب أثر فى شىء ما يتعلق بأخطر أمور القصر ولم يكن هناك أخطر من تلك المؤامرة التى دبرت لقتل الملك ، واقصاء سنوسرت عن العرش ، وليس معنى ذلك أن سنوهى قد شارك فى تدبير قتل الملك ، أنظر اليه ، اذ يقول : «لم يش بى انسان ، ولم يتجسس على أحد» ، فالرجل قد ظل مراقبا بعد أن آلت ولاية العهد الى سنوسرت ، وكان يعلم أن من ورائه أناسا يراقبون حركاته ، وأن حياة الملك الشيخ كانت حرزه الوحيد ، ومن ثم فقد آثر سنوسرت أن يأخذه معه الى ميدان القتال ، ليجعله تحت عينيه ، وليأمن أثره فى القصر ، كما أشرنا آنفا •

وعلى أية حال ، فان سنوهى ، بعد أن قص خبر وفاة أمنمحات ، وتولية سنوسرت خلفا له على عرش الفراعين ، انما يبالغ كثيرا فى مدح العاهل الجديد ، أملا فى أن يصل ذلك الى فرعون عن طريق أولئك الذين يجيئون الى فلسطين ، وينزلون ضيوفا على هذا الشيخ البدوى ، ثم يستطرد مع الشيخ فى حديثه عن نشاط الملك سنوسرت الاول وقدراته الحربية ، وضربه البدو الرحل ، ثم هو بعد ذلك يحاول أن يكون سفيرا لفرعون ، ولمصلحة مصر ، مما يدل على حبه والخلاصه لوطنه ، أيا كانت ظروفه ، فيقول للشيخ البدوى : «أرسل اليه وعليك أن تعرفه باسمك ، ولا تقل شيئا ضد جلالته ، ولاشك أن جلالته سيعمل الخير لكل قطر يناصره» ، ثم يقول : ان مصر ستسعد فى أيامه •

ويبالغ الشيخ البدوى فى اكرام سنوهى ، فينزله اكرم منزل،ويجعله على رأس أبنائه جميعا ، ثم يزوجه من كبرى بناته ، «ويهبه بعض أملاكه، فيقطعه بقعة من أحسن بقاع أرضه ، فيها تين وأعناب ، وفيها الخمر أكثر من الماء ، عسلها وفير ، وزيتها كثير ، وشجرها يحمل أطيب الثمر ، وفيها القمح والشعير ، وفيها الماشية يخطئها العدد من كل نوع» ، ثم يعينه قائدا لجيشه المحلى « عندما أصبح الاسيويون جريئين الى الحد الذى جعلهم يقررون مقاومة حكام البلاد الاجنبية ، كنت أقـدم المشورة فى تحركاتهم» ، وربما يشير سنوهى بذلك ــ فيما يرى جون ويلسون ــ الى خطر معين جديد تعرض له الشرق الادنى ، وهى مجىء جحافل مكونة من أجناس مختلفة ، من أقوام رحل ، انحدروا من الشمال ومن الشرق ، وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم «الهكسوس» ، فالكلمات المصرية لجملة حكام البلاد الاجنبية هى «حقاو ــ خسوت» ، وهى الاصل الذى اشتقت منه كلمة «هكسوس» ، ويتضح من الاشارة الى هجماتهم على الاسيويين المستقرين أن هؤلاء الغزاة كانوا ينحدرون من بلادهم متجهين الى الجنوب مخترقين سورية وفلسطين •

وهكذا لجأ سنوهى الى رتنو العليا فارا من سوء يحتمل أن يصيبه ، ولكنه لم ينس حبـه لمصر ولفرعون ، ومن ثم فرغم الضيافة الطيبة ،

واللقاء الحسن ، والاقامة المريحة ، فاننا سوف نرى فيما بعد أنه يفضل العودة الى أرض النيل الطيبة ، كما أنه لم يتكلم بسوء ضد أحد ، وأما الكرم الذى لقيه من الشيخ البدوى ، فمرد ذلك أن الكرم وحسن الضيافة من طباع العرب الاصيلة ، وأهل البقاع الذين نزل عندهم سنوهى من هؤلاء العرب ، فضلا عن أن الشيخ البدوى انما قد أحس مما رآه من سنوهى أنه مدبر ماهر ، أحسن تدبير ضيعته فأفاد منه اقتصاديا ، كما كان يأمل ، ان عاد سنوهى الى مصر ، فيصبح صاحب مكانة ، وعندئذ سيذكره عند فرعون ، ومن ثم فان الشيخ البدوى قد غنم غنما سياسيا بايوائه رجلا من بلاط فرعون ، وغنما أدبيا اذ زوجه من احدى بناته ، وغنما اقتصاديا اذ أدار له مزرعته ، وغنما حربيا اذ استخدمه فى كثير من الدفاع أو الهجوم على بعض الضياع ، وقد كان سنوهى بطلا ، وكثيرا ما نازل بعض فتيان القبائل فقهرهم ، وان عرضه ذلك لكثير من الاخطار .

وهكذا يحدثنا سنوهى أنه فى يوم من الايام تحداه بطل من «رتنو» ، عرف بقوته وخضع له الناس ، وقد أقسم أن ينازل سنوهى ويقتله ، واستدعاه الشيخ البدوى وأبلغه بذلك ، فرد سنوهى : «اننى فى الحقيقة لا أعرفه ، ولست من ذويه ، ولم أذهب أبدا الى مضرب خيامه ، هل فتحت يوما بابه ؟ هل هدمت سوره ؟ كلا انه الحسد ، لانه يرانى أنفذ ما تطلبه» ، ثم يختتم سنوهى حديثه الى صهره بقوله : « وما كنت الا كثور لقى رزقه فى غير مرعاه ، واننى لغريب لا يحبه أحد ، ومع ذلك ان كان هذا الفتى يقدر أنه فحل يهوى الصراع ، فاننى فحل نزال أيضا ، ولست أخشى لقاءه ، فاذا ما كانت نفسه تهوى الى النزال فليفعل اذا ما يريد» .

وليس هناك من شك فى أن تحدى هذا الفتى قد أفزع سنوهى وروع قلبه ، واقض مضجعه ، وأرق نومه ، ففزع الى مضيفه وصهره يشكو اليه أمر ذلك ، راجيا أن يستغل نفوذه فى رد الفتى عن منازلته ، ويبدو لى أن ذلك انما كان لكبر سن سنوهى ، وربما لانه أراد ألا يجعل بينه وبين احدى القبائل المجاورة ثأرا ، وأيا ما كان الامر ، فاننا نراه — وقد

أصر الفتى على منازلته ، يستعد للعراك دون خوف ، فلما جن الليل شد قوسه ، وجهز سهامه وخنجره ، حتى اذا ما أصبح الصبح ، وحان موعد اللقاء ، ورآه أهل الحى فى عدته وعتاده ، عطفت أفئدتهم عليه ، واهتاجت لأمره نساء الحى ، وأشفقت عليه القلوب جميعا ، وبدأ الناس يثرثرون : أليس هناك رجل شجاع آخر يستطيع أن ينازل هذا الفتى •

وجاءت ساعة النزال ، والتقى الخصمـــان فى ميدان القتال ، وبدأ البطل الاسيوى فى اطلاق سهامه ، فتفـــادها سنوهى ، ثم اقتربا من بعضهما ، وهجم الواحد منهما على الآخر ، واستطاع سنوهى أن يطلق سهما استقر فى عنق غريمه ، فصاح وخر على وجهــه ، ثم أهوى عليه بفأس فقضى عليه ، ثم وطئه بقدميه ، يحدثنا صاحبنا البطل المصرى عن ذلك بقوله : «وعندما اقترب كل منا من الآخر ، هجم على فأصبته ، واستقر سهمى فى عنقه ، فصرخ وارتمى على أنفه ، فأجهزت عليه بفأس قتاله ، وصرخت صرخة النصر ، وقد وقفت فوق ظهره» •

وهنا ضج الاسيويون جميعا ، بينما أخذ سنوهى يصلى شاكرا لرب الحرب «مونتو» ، وهنا أقبل صهره ، «عامووننشى» ، فضم سنوهى الى صدره ، ثم أعلن نصره على خصمه ، فنهب متاعه وسلب أنعامه ، وأنزل به ما قدر لخصم أنه فاعل به ، وأخذ كل ما كان فى مخيمه ، ونهب جميع ما كان فى منزله ، ثم يختتم سنوهى وصف هذا الحادث بالاشعار التالية :

فى يوم من الايام كنت أحد الهاربين —
ولكن صيتى الآن قد وصل الى القصر
فى يوم من الايام كنت ثقيلا أتضاءل بسبب الجوع —
والآن اعطى الخبز لجارى
فى يوم من الايام ترك شخص بلده بسبب العرى —
والآن اتلألأ فى بيض الثياب وفى ملابس الكتان
فى يوم من الايام كنت اسرع السير لانه لم يكن لدى من أرسله —
والآن لدى عدد كبير من الارقاء
ان بيتى جميل ومسكنى رحب — ويذكرنى الناس فى القصر

وتشتد لوعة سنوهى الى أرض الكنانة ــ الى مصر وطنه الحبيب ــ ويتمنى أن يرأف الله تعالى به ويعيده الى القصر الملكى فى اللشت ، يبدو ذلك واضحا من قوله : «يارب هل قدرت لى أن أرى الديار التى أحب ، فليس أعظم عندى من أن اقبر فى الارض التى ولدت فيها ، معونتك اللهم وعسى أن يكون الفرج قريبا،وعسى ربى أن يرزقنى من فضله ، ألا فليغفر لى فرعون حتى استطيع العيش فى ظله ، وحتى أمتع نفسى بخدمة ربة القصر» •

ويصل رد الفرعون لسنوهى : «عد الى مصر حتى ترى الارض التى ولدت فيها ونشأت ، وقبل الارض عند البوابة الثنائية العظمى ، والتحق بالبلاط ، لقد هرمت الآن ، وعز نشاطك ، فتذكر يوم الدفن ، وليلة اعداد الطيوب والاكفان ، ويوما يعد لك فيه موكب مشهود ، وتابوت ذهبى بقناع من لازرد ••• لا ينبغى أن تموت فى بلد غريب ، ولا ينبغى أن يخفرك البدو ، أو أن تكفن فى جلد شاة ، هذا ليس أوان الطواف فى الارض ، عد واحذر المرض» •

ويقول سنوهى أن الامر الملكى قد وصله ، وهو بين رجال قبيلته ، واقرىء عليه ، فاشتدت فرحته ، ونسى فى تلك اللحظة فضل تلك البلاد عليه كل هذه السنين الطويلة ، «فارتميت على بطنى وأمسكت التراب وعفرت به شعرى ، وأخذت أجرى بين المساكن فرحا ، وأنا أقول : كيف تحدث كل هذه الاشياء لخادم أضله فؤاده ، فأتى الى بلاد متوحشة» ، ثم يسرع سنوهى فى الرد على الملك «سنوسرت الاول» ، شاكرا له فضله، مؤكدا له ، مرة أخرى ، أن هربه من مصر لم يدبره ، ولم يفكر فيه : «لست أدرى ما الذى جعلنى أفارق مكانى ، كان ذلك أشبه بالحلم ، كما يحدث لشخص من أهل الدلتا عندما يرى نفسه فجأة فى « اليفانتين » (جزيرة أسوان) ، أو أن شخصا من المستنقعات (فى الدلتا) يرى نفسه فى النوبة ، لم يكن هناك ما أخافه ، ولم يضطهدنى أحد ، ولم أسمع قولا جارحا » •

على أننا نقرأ فى نفس الرد شيئا آخر ، لقد هاجر سنوهى الى بلاد

«سورية ــ فلسطين» وكون لنفسه هناك مركزا ممتازا ، وأصبح كل ولد من أولاده زعيم قومه ، كما ارتبط برباط المودة مع كثير من الزعماء ، وفى خطابه هذا ، انما يعتبر نفسه وكأنما هو يحكم باسم ملك مصر ، ويستأذن سنوهى سنوسرت فى العودة الى مصر ، ويقول له : أنه ترك عمله هنا تنفيذا لرغبة جلالته ، ويوصيه خيرا ببعض أمراء البلاد الذين كانوا موالين دائما لملك مصر ، ويسأله أن يدعوهم اليه •

ويعود سنوهى الى سرد قصته مرة أخرى ، فيقول : انه بعد أن تلقى عفو الملك عنه والسماح له بالعودة الى مصر ، لم يمكث الا يوما واحدا فى «يا» ، فأوصى بأملاكه لأولاده ، وأقام كبيرهم شيخا على الحى ، وعهد اليه بكل شئونه هناك ، وعندما وصل سنوهى الى «طريق حور» من وراء الحدود المصرية ، بعث ضابط الحدود بأمره الى فرعون ، فبعث فرعون بسفائن له تحت اشراف رجل من أمهر رجاله وحملها كثيرا من الهدايا الى أولئك الاعراب الذين رافقوا سنوهى ، والذين قدمهم فردا فردا الى الموظفين المصريين الذين جاءوا من القصر ، ثم ودعهم وعاد مع رجـال فرعون الى القصر الملكى فى العاصمة •

وفى الصباح المبكر جاءه من القصر من يدعـوه ، فسره أن يرى فى ركابه عشرات الرجال يرحون ويقعدون بأمره ، وكان أبناء الملك ينتظرونه عند الباب الخارجى ، فلما دخلوا به الى قاعة العرش ، يقول سنوهى : ووجدت جلالته فوق عرشه العظيم فى البوابة الذهبية ، وعندما ارتميت على بطنى ، تولى عنى ذكائى فى حضرته ، بالرغم من أن ذلك الاله (الملك) قد خاطبنى برفق ، فقد كنت كرجل خطفوه فى الظلام ، فرت روحى ، وارتعش جسدى ، ولم يعد لقلبى وجود فى جسمى ، ولم أعد أعرف أكنت حيا أم ميتا» ، ولعل ذلك انما يشير الى أن سنوهى انما كان مايزال يشعر بجريرته ، ويحس لذلك ألما لاذعا أفقده صوابه فى حضرة فرعون ، وسواء أصح هذا أم لا ، فان فرعون سرعان ما أمر بانهاضه ليتحدث اليه قائلا : «ها أنت قد عدت الينا بعد أن طفت بأقطار الارض ، والآن بعد أن بلغت من الكبر عتيا ، فلا أقل من أن يدفن جسدك فى أرض الوطن ، بدلا من أن يدفنه برابرة الاسيويين فى أرضهم» •

ويتحدث سنوهى بعد ذلك عن كرم الفرعون وعطفه ـ بعد أن طلب اليه أن يتحدث ـ فيصف كيف أنه لم يستطع أن يتحدث فى سهولة : ما الذى يقوله لى سيدى ، ليتنى أستطيع الاجابة فاننى لا أقدر ، وأخيرا أمر فرعون بادخال الاطفال الملكيين ، وقال للملكة : أرأيت كيف تغير سنوهى ، فأصبح كأحد الاسيويين ، فصرخت الملكة وصرخ الاطفال الملكيون جميعا ، وقالوا لجلالته : انه ليس هو حقا يا سيدى الملك ، فرد الملك : انه هو حقا ، والواقع انه ليس عجيبا أن تنكر الملكة ، وأن ينكر الامراء مظهر سنوهى ، ذلك لانهم انما كانوا ، منذ أن سمعوا بقصته ، يقدرون أن يروا شيخا مصريا ، كانوا يعلمون مكانه من الماضى ، ويحسون ما كان له من قيمة وخطر ، فلما رأوه فى القصر رأوا شيخا بدويا ، أعفر أغبر أشعث ، أضناه البعاد ، وأتعبته الهموم ، وأحنت السنون ظهره ، ومن ثم فقد طلبوا أن يمنحهم «ذلك الشيخ ابن آلهة الشمال ، ذلك الهمجى الذى ولد فى مصر ، انه فر خوفا منك ، وترك البلاد رهبة منك ، ولكن الوجه الذى يرى جلالتك لن يجزع بعد ذلك ، والعين التى تقع عليك لن تخاف» .

ويرد الملك على أبنائه بأن سنوهى لن يخاف ولن يجزع بعد اليوم ، وأمر بتعيينه أمينا من أمناء القصر ، وجعل مكانه بين كبار الموظفين فى البلاط ، ويصف سنوهى بعد ذلك ما حدث له ، وكيف أخذوه الى بيت أحد الامراء ، وأعدوا له حماما ، وكيف عطروه وألبسوه فاخر الثياب ، وكان الخدم يلبون كل اشارة له ، «وجعلوا السنين تغادر جسمى وانسلخت عنى ، وسرحوا شعرى ، وألقوا الى الصحراء بحمل من القاذورات ، وألقوا بملابسى الى ساكنى الصحراء ، وألبسونى أفخر الثياب ، وعطرونى بأحسن أنواع العطور ، ونمت على سرير ، وتركت الرمال لمن هم فيها ، وزيت الخشب لمن يلطخ نفسه به» ويطيل سنوهى فيما أغدق عليه الملك ، اذ أعطاه بيتا يليق بأحد أمناء القصر وزينه له ، ورتب له طعاما من القصر «يأتون به ثلاث مرات وأربع مرات فى اليوم الواحد» ، ويصدر الملك أوامره الى كبير مهندسيه باقامة مقبرة له ، وعينوا لها أمهر الصناع ، وانتقوا أحسن الاثاث الجنازى ، وعينوا لها الكهنة اللازمين ، وأوقفوا

لها الحقـول اللازمة ، ووضعوا له فى المقبرة تمثـالا مغشى بالذهب ، وكانت نقبة ذلك التمثال مصنوعة من الذهب الخالص ، وأخيرا يختم سنوهى قصته قائلا : كان الملك هو الذى أمر بعمل ذلك ، ولم يحدث أن عملت هذه الاشياء لرجل بسيط مثلى ، وهاأنذا أعيش يغمرنى فضل الملك حتى يحين يوم وفاتى» •

واننى لأظن انه يجب علينا ــ قبل مناقشة القصة وتقويمها كمصدر تاريخى ــ أن نناقش الدوافع التى كانت من وراء هروب «سنوهى» ، ومن ثم كتابة القصة نفسها،كان سنوسرت الاول أكبر أبناء الملك أمنمحات الاول ، ما فى ذلك من ريب ، وربما ولد له حين كان يشغل منصب «الوزير» فى بلاط المناتحة من ملوك الاسرة الحادية عشرة ، فلما دفعت الحوادث بأمنمحات الاول الى عرش الكنانة،وجعلت منه ملكا لمصر العليا والسفلى، تزوج بامرأة أخرى ــ فى غالب الظن ــ ولعلها كانت أرملة آخر فراعين المناتحة ، ولعلها كانت احدى أميرات البيت المالك الزائل ، تستطيع أن تجعل عرشه شرعيا ــ من جانب حزب الوراثة ــ وكان صاحبنا ، فى أغلب الظن ، من أتباعها ، ثم رزقت بأبناء أصبحوا أصحاب الحق الشرعى فى العرش المصرى •

وهنا أصبح الموقف صعبا بالنسبة للامير «سنوسرت» ، فهو أكبر أبناء أبيه جميعا ، وهو قد شاركه فى جهاده العظيم ، حتى انتهى به الامر الى العرش ، فى الوقت نفسه ، لم يكن صاحب الحق الاول فى العرش ، وربما فكر أبوه فى أن يجعل منه وليا للعهد ، ولكنه خاف أن يعلن ذلك ، خشية أن يخالف قانون الوراثة المعروف ، وليس من المستبعد أن تكون الاميرة التى تزوج منها أمنمحات الاول قد أحست بما انطوت عليه نفسه، وأدركت ما سوف يكون عليه مصير ولدها ، فامتلأت نفسها ثورة عليه ، وشاركها فى ثورتها هذه ولدها ومن معه من الموالين والانصار ، وهكذا كانت المؤامرة المشهورة على أمنمحات الاول ، وحين خاب ظنهم وفشل سعيهم ، وانكشف أمرهم ، جمع الملك شجاعته ، وأعلن سنوسرت وليا للعهد ، وشريكا فى الحكم ، وان كان هنـاك ما يشير الى أن مشـاركة

سنوسرت الاول أباه فى ادارة شئون البلاد ، انما كانت طوال الاعوام العشرة الاخيرة من حكم أبيه ، أى منذ عام ١٩٧١ ، كما أشرنا من قبل •

وعلى أية حال ، فلست اعتقد أن سنوهى قد شارك المتآمرين فى قتل أمنمحات الاول ، ذلك لانه قد فجع فيه ، حين صعدت روحه الى بارئها ، ولم يأمن عواقب موته ، ومن ثم فقد كان هروبه الى فلسطين ، ولكننى أميل الى أن سنوهى انما خشى أن يفتك به الفرعون الجديد (سنوسرت الاول) كواحد من الموالين لمنافسيه ، ويبدو لى أن أمنمحات الاول بعد أن أعلن ولاية العهد لولده سنوسرت قد زوجه من كبرى بناته من زوجه الملكية ، صاحبة الحق الشرعى فى العرش ، وكان سنوهى من أتباعها ، وأتباع أمها من قبلها ، ومن هنا كانت شفاعتها له عند سنوسرت،فحفظت عليه حياته وردته الى الوطن ، وأعادته الى القصر ليستأنف خدمته فى البـــلاط •

هذا وتدل ظواهر الامور على أن المتآمرين انما كانوا يطمعون فى بلوغ مآربهم ـــ بعد فشلهم الاول ـــ من وراء موت الملك ، وأن انصار سنوسرت قد تمكنوا من انهاء خبر وفاة الملك اليه على جناح السرعة ، والظاهر أنهم استطاعوا أن يكتموا خبر الوفاة عن الشعب الى أن يعود سنوسرت الذى طار الى القصر سريعا ، وتمكن من الاستيلاء على ناصية الامور ، فصاحبنا سنوهى إنما كان ضـــالعا مع الفـــريق الذى نافس سنوسرت ، وكره أن يؤول العرش اليه ، فاستراقه السمع عند مجىء الرسل ، وهلعه عند سماعه الخبر ، وفراره الى فلسطين ، كل تلك أمور تدل على أن له نصيبا فى المؤامرة التى استأنفها أصحابه لابعاد سنوسرت عن العرش •

وأما أهمية القصة ـ كوثيقة تاريخية ـــ فهى تقدم لنا فكرة عن أن المصريين ـــ رغم اعتقادهم ببداوة سكان الصحراء الشرقية ـــ فان هذا لم يمنع رجـــلا مثل سنوهى من أن يعترف لبعضهم بالـــكرم والمروءة والنجـــدة •

ولم تمنع العواصم المصرية من أن تستقبل وفودا منهم للتجارة أو

الزيارة ، فيتعرفوا فيها على شخصياتها البارزة التى يسمعون عنها ، ونفهم من القصة كذلك أن اللغة المصرية ــ لغة سنوهى ــ كانت معروفة لبعض أهل الشام ، وأن التجار المصريين كانوا يترددون على تلك المناطق التى كان يقيم فيها سنوهى ، بل وقد كانوا يمرون بها الى أبعد منها ، وأن الحكام السوريين كانوا على اتصال بمجريات الامور فى مصر ، ويحبون ان يستزيدوا من أخبارها .

ويفهم من القصة كذلك أن سنوهى قد اشترك ــ مع فرقة من السكان المحليين ــ فى مقاومة جماعات سمى رؤساؤهم باسم «حقاو ــ خسوت»، وربما كانت اشارة سنوهى الى هؤلاء أل «حقاو ــ خسوت» ، فضلا عن الاشارة الى القلاقل التى كانت تسود منطقة «فلسطين ــ سورية» انما هى بداية الاضطراب الذى سيسود المنطقة فى أعقاب هجرة قبائل من وسط آسيا ، أخذت منذ ذلك العهد تهاجر فى موجات لتستقر فى مختلف بلاد الشرق الادنى القديم وفى غيرها ، وهى المسماة بالشعوب «الهندو ــ أوربية» التى كان لها أثر كبير فيما بعد ، مع ملاحظة أن هذه الهجرات كانت وقت ذاك ماتزال قليلة ضعيفة .

واما أهمية القصة من الناحية الادبية ، فهى من حيث الشكل قصة واقعية لتجربة شخصية حدث فى زمان ومكان محددين ، ولها بداية ونهاية كذلك ، ثم هى قد تضمنت فى سياقها معلومات بسيطة مشوقة عن فلسطين وسورية وأهلها ، كما تضمنت من شعر المدايح والامثال الجارية ، ومن صيغ التراسل ، ولياقة الاستعطاف ، ورقة الاعتذار ، ما كان المعلمون والطلبة المصريون يلذ لهم الاستشهاد به ، وترصيع كتاباتهم به ، ثم هى من الناحية الفنية قد أبدعت فى تصوير مشاعر الايمان ، ومشاعر الخوف ، ومشاعر الفخر بالنصر ، وأخيرا فى تصوير أسمى المشاعر وهى ــ فيما اعتقد ــ مشاعر الوطنية ، والحنين الى الوطن ، وطننا العظيم ، مصر ، كنانة الله فى أرضه[٣١] .

---

(٣١) أحمد بدوى : فى موكب الشمس ٢/١٠٥ ــ ١٢٠ ، أحمد =

٤ ـ قصة الملاح والجـزيرة النـائية

ترجع هذه القصة الرمزية الى أيام الدولة الوسطى ، وهى الفترة التى أغرم القوم فيها بحب المغامرة ، وتسمى هذه القصة بقصة البحار أو قصة الملاح والجزيرة النائية أو قصة الملاح الغريق ، بل ويسميها البعض قصة الجزيرة المسحورة ، وهى على أية حال ، تشبه الى حـد كبير قصص «السندباد البحرى» فى «ألف ليلة وليلة» وقصة «روبنسون كروزو» فى الادب الانجليزى ، وتحدثنا عن بحار حملته الامواج ــ بعد أن تحطمت سفينته ــ الى جزيرة نائية ، بها حية ضخمة أكرمته وحمته ، وظلت ترعاه حتى عاد الى وطنه ، وقد وضعت القصة فى أسلوب رقيق يعبر عن أجمل العواطف ، ويستثير روح البطولة والمجازفة ، ويصور حيـاة الملاحين تصويرا دقيقا ، وهى تشير كذلك الى حب الوطن الذى ملأ قلوب المصريين، بحيث أضحى لديهم من قواعد الايمان[1] .

هذا وقد وصلت الينا هذه القصة كاملة فى بردية اشتراها الاثرى الروسى «فلاديمير جولينشف» من مصر ، وان لم يعرف على وجه اليقين المكان الذى عثر عليها فيه (ربما فى وادى الحمامات أو فى سيناء)،وتعرف البردية باسم (بردية لينجراد رقم ١١١٥ = P. Leningrad 1115) وهى

=

فخرى : المرجع السابق ص ٣٨٤ ــ ٣٩٠ ، عبد العـزيز صالح : المرجـع السابق ص ١٧٨ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٦٢ ــ ٣٦٥ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٣٤ ــ ٤٦ ، محمد بيومى مهران : مصر ٣٤٥/٢ ــ ٣٤٧ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٣٩ ــ ٦٨ .

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 130-132.

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 58-74.

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 18-22.

A. Erman, LAE, 1927, p. 14-29.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 223-233.

J. B. Barns, JEA, 53, 1967, p. 6-14.

J. Clere, JEA, 25, 1929, p. 16-29.

A. Blackman, BA, II, p. 1-14.

G. Posener, Op-Cit, p. 57-115.

(١) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٧٣ .

الآن فى موسكو ، وقد قام بنشرها جولينيشف[٢] وارمان[٣] وبلاكمان[٤] كما ترجمها ارمان [٥] ولوفيفر[٦] وسمبسون[٧] ، وغيرهم[٨] .

ومسرح أحداث القصة هو البحر الاحمر ، ومن المعروف أن المصريين كانوا يرسلون الحملات الى بلاد «بونت»[٩] عبر البحر الاحمر ، منذ أيام الدولة القديمة[١٠] ، للحصول على خيرات تلك البلاد ، وعلى الاخص البخور وأنواع العطور المختلفة ، وكل ما يجدونه فى تلك البلاد ، سواء مما كانت تنتجه أو مما كان يأتى اليها كسلع تجارية . وتدور أحداث هذه القصة الرمزية فى جزيرة نائية فى البحر الاحمر يسميها النص «جــزيرة الروح» ، وهى جزيرة مسحورة خالية من البشر ، وان كانت تعمر بكل أطايب الدنيا ، ويسكنها ويحكمها كائن غير عادى ، ثعبان هائل الحجم ، يستطيع أن يتحدث وينبىء عن الغيب ، ولكنه غير شرير ، بل يساعد الذين فى حاجة الى المعــونة ويغدق عليهم عطــاياه ، ومن ثم فهى أقرب الى الاسطورة منها الى القصة الحقيقية .

---

(٢) W. Golenischeff, Reveuil des Travaux, 1906 p. 753.
W. Golenischeff, le Conte du Naufrage, Bibliotheque d'etude 2, Le cairo, 1912.

(٣) E. Erman, ZAS, 43, 1906, p. 1-26.

(٤) A. M. Blackman, Middle Egyptian Stories, Bibliotheca Aegyptiaca, II, Brussels, 1932, p. 41-84.

(٥) A. Erman, LAE, 1927, p. 29-35.

(٦) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 29-40.

(٧) W. K. Simpson, Op-Cit, p. 50-56.

(٨) M. Lichtheim, Op-Cit, p. 211-215.
وكذا H. Brunner-Traut, Op-Cit, p. 5-10.

(٩) انظر عن بلاد بونت (محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ــ الرياض ١٩٧٦ ص ٣٠٧ ــ ٣١٠ ، مصــر ٢٤٥/٢) .

(١٠) انظر : محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ، الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢٥٢ ، جورج فضلو حــوراتى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ص ٣٠ ، وكذا
J Hornell, Sea-Trade in Early Times, 1941, p. 240-246.
E. Noaville, The Temple of Deir-El-Bahari, III, London, 1898, Pls. 69-85.

وتحكى قصة البحار هذه قصة رجل كان فى طريق عودته بالنيل من مهمة كلفه بها فرعون عصره ، وان لم يكتب له فيها نصيب من نجاح ، وعندما اقترب من العاصمة جاءه تابع وفى له يهنئه بسلامة العودة ، «ليطمئن قلبك أيها الامير ، انظر لقد وصلنا الى الوطن ، لقد أمسكوا بالمطرقة ودقوا الوتد ، ومدوا حبل المقدمة (مقدمة السفينة) على الارض، وأقيمت الصلوات ، وعانق كل رجل أخاه ، لقد عاد بحارتنا سالمين ، ولم ينقص من حملتنا أحد . لقد وصلنا آخر بلاد «واوات» (المنطقة ما بين أسوان وكورسكو) ومررنا بجزيرة «سمنت» (جزيرة بيجة أمام جزيرة فيلة جنوبى أسوان) ، انظر : لقد عدنا ووصلنا أرضنا» ، غير أن الرجل انما ظل مهموما يتخوف عاقبة فشله ،فانبرى الملاح يسرى عنه ويهون عليه ، ويبعث الامل فى نفسه ، وقص عليه قصة تداولت عليه فيها شدائد، ظن أنه لا نجاة له منها ، ولكنه نجى وسلم وعاد الى وطنه ، واستمتع باجتماع شمله بأهل بيته . قال الملاح : نزلت الى الاخضر العظيم فى سفينة بحرية ، بلغ طولها مائة وعشرين ذراعا ، وبلغ عرضها أربعين ذراعا، واستقلها معى مائة وعشرون بحارا من خيرة البحارة فى مصر ، اذا نظروا الى السماء أو نظروا الى الارض فقلوبهم أقــوى من الاسود ، كانوا يستطيعون التنبؤ بالريح قبل أن تاتى ، وبالعاصفة قبل أن تهب ، وفجأة هبت الريح ، ونحن فى الاخضر العظيم (الواسع) قبــل أن نصل الى الشاطىء ، عصفت الريح ثم عصفت ، فارتفع الموج الى ثمانية أذرع ، فضربت الصارى وضربها الصارى ، فغرقت السفينة بمن كان فيها ، وأما أنا فقد ألقتنى موجة من أمواج الاخضر العظيم على جزيرة أمضيت بها ثلاثة أيام فى دغل لا أنيس لى فيه ولا معين ، ثم أخذت طريقى فى أرضها أبحث عن شىء أضعه فى فمى ، فوجدت تينا وعنبا ، وكثيرا من الخضر بأنواعه المختلفة ، وكذا جميزا وخيارا ، وأسماكا وطيورا ، فطعمت وشربت ثم أخذت عصا وأشعلت نارا وقدمت للارباب قرابينا ، وفجأة سمعت دبيبا قاصفا يقبل على ، فظننت أنه موج من أمواج الاخضر العظيم ، وعندما أزحت الغطاء عن رأسى وجدت أنه أفعوانا ضخما ، طوله ثلاثين ذراعا ويزيد أثر دبيبه على الارض عن المترين عرضا ، وجسده مغشى

بالذهب ، وحاجباه بلون الزبرجد ، ففتح فمه نحوى ، وكنت ساجدا على بطنى فسألنى : من أحضرك هنا ؟ من أحضرك هنا أيها الصغير ، ان تأخرت فى أن تخبرنى بمن أحضرك الى هذه الجزيرة ، سأحعلك شعلة نار ، فقلت : أنت تكلمنى ، ولكنى لست أسمع ما تقول ، أنا أمامك ولكنى غائب عن الوعى •

وحمله الثعبان فى فمه الى جحره ، وترفق به حتى أفرخ روعه ، ثم أعاد عليه سؤاله ، فقص عليه البحار قصته ، وهنا هون عليه الثعبان القضية ، وذكره بآلاء ربه ، الذى قدر له الحياة وأرساه على « جزيرة الروح» التى تمتلىء بكل الاشياء الجميلة ، ثم بشره بأنه سيعود الى وطنه ، وأن سفينة مصرية سوف تاتى اليه بملاحين يعرفهم ، ولكن ذلك لن يكون الا بعد أن تمضى أشهر أربعة ، وعندئذ يرجع الى بلده ويموت فيها ، وسرعان ما يستأنس الثعبان بالرجل ويقص عليه قصته ، فاذا ببلواه لا تقل عن بلواه ، فقال له : كنت أقيم مع اخوانى وأولادى ، وكانت عدتنا سبعة وثلاثين ، عدا طفلة رزق بها بعد أن ارتجاها طويلا ، وفجأة سقط شهاب من السماء فاحترقوا بناره جميعا ، ولم ينج منهم سواه ، فكاد يموت حزنا عليهم بعد أن وجدهم جميعا جثثا لا حياة فيها ، وأبى الثعبان أن يعكس حزنه على ضيفه ، فقال له مشجعا : اذا تشجعت وشددت قلبك فلسوف تملأ حضنك بأولادك ، ولسوف تقبل زوجك وترى دارك ، ولسوف تصل الى العاصمة وتعيش بين اخوانك •

وأكبر الملاح الثعبان ، وأبلغه — ان تحققت مقالته ، وعاد الى وطنه — أن يقص قصته على الملك ، وأن يسأله أن يرسل له الهدايا من الزيوت العطرة ، وبخور المعابد التى تسر الالهة ، وسوف يروى للناس مارآه من قوته ، وسوف يثنى عليه فى العاصمة أمام العظماء ، وسوف يضحى من أجله بثور ، وسوف يرسل له من مصر سفينا محملا بكل ثمين فى أرض مصر ، ولكن الثعبان سخر منه ، وأعلنه أنه هو أمير بلاد بونت[١١] • وأنه

---

(١١) لقد قام جدل طويل بين العلماء حول موقع بلاد بونت (بوينى =

صاحب كل ما فيها من العطور والبخور ، كما أخبره أنه بمغادرته لهـذه الجزيرة ، فلن يصبح لها وجود،وسوف تصبح ماء ، بعد أن يبتلعها الموج •

وما أن تمضى الشهور الاربعة حتى يتحقق وعـد الثعبان ، وتقبل سفينة ، ويتعرف الملاح على من فيها ، فنزل اليهم مزودا بكميات هائلة من المر والتوابل وذيول الزراف والصموغ والبخور وأنياب العـاج • والفهود والنسانيس ، وكل النفائس الطيبة ، وعاد الرجل الى بلده بعد شهرين ، يملأه الامل بما وعده الثعبـان من سعادته فى داره ، ولقائه لاطفاله ، ووفاته فى وطنه •

ويختم الملاح قصته بان ينبه الامير الى ما ناله ، ويوصيه بأن يستمع

=
فيما يرى جاردنر) ، ولعل اهم الآراء تدور حول اتجاهات اربع : أولها : انها بلاد العـــرب الجنوبية (اليمن ومجاوراتها) ، وثانيها : أنهـا على الشاطىء الافريقى للبحر الاحمر ، وثالثها : أنها كلمة عامة تشمل الاقاليم الاستوائية فى نظر المصريين ، ورابعها : أنها تقع على الساحلين ـ الاسيوى والافريقى للبحر الاحمر ، على مقربة من بوغاز باب المندب •
ويذهب «ادوارد نافيل» الى أنه من الخطأ تعيين موقع بونت بمنطقة محددة بعينها ، لانها لم تكن تدل على بلاد ذات حدود واضحة ، وانما كانت اسما لسلالة بشرية انتشرت فى بلاد العرب الجنوبية ـ وحتى الخليج العربى ـ فضلا عن الساحل الشرقى لافريقيا ، وأن المصريين ينتمون الى هذه السلالة ، وكذا الفينيقيين الذين هاجروا من سواحل الخليج العربى الى سواحل الشام ، كما أن اسم «بونت» دل فى المقام الاول على البـلاد المنتجة للبخور ، وكان المصريون يحصلون عليه من بلاد بونت ، وأن خير أنواع البخور انما كانت تنبت فى بلاد الشجر والمكلا وظفار وجزيرة سوقطرة وكلها على الشاطىء الجنوبى لشبه الجزيرة العربية ، كما أن الاشجـار المرسومة على معبد الدير البحرى انما تنبت فى ظفار ، وان كان بعضها ينبت فى الصومال (أنظر :

R. P. Dougherty, The Sealand of Ancient Arabia, New Haven, 1932, p. 170-72.
K. A. K. Kitchen, Punt and How to get there, 1971, p. 188 F.
P. K. Hitte, A History of the Arabia, 1960, p. 34-35.

وانظر : أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ١٣٨ـ١٤٠ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢١٨/١ ـ ٢١٩ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٠٧ ـ ٣١٠ ـ عبد المنعم عبد الحليم : محاولة لتحديد موقع بونت ص ٥ ـ ٣٤ •

لنصيحته ، ولكن الامير يجيبه : لا تكن مختالا يا صديقى ، فمن ذا الذى يعطى الماء لطائر سيذبح فى آخر النهار •

والقصة — كما يقول أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح — لا يزال تحديد جانب الحقيقة وجانب الخيال منها ، موضعا لجدل طويل ، وان ذهب الظن الى أن مغامرة الملاح فيها كانت قرب «جزيرة الزبرجد» فى البحر الاحمر ، وان ما يعنينا من القصة غلبة روح التفاؤل فيها ، وحرص كاتبها أو راويها ، على أن يفترض لكل مصيبة ما هو أشد منها ، كما يفترض لكل مصيبة مخرجا منها ، ومن هنا فقد أملت هذه الروح على الملاح صاحب المغامرة على أن يشجع أمير سفينته الذى تخوف غضب فرعونه ، بقوله : استمع ايها النبيل ، وثق انى رجل برىء من المبالغة ، اغتسل وضع الماء على أناملك حتى تهدأ أطرافك ، وأجب اذا سئلت ، وتحدث الى الملك وذهنك معك ، أجب دون تردد ، فمنطق الرجل يحميه ، وحديثه يكفل له ما يصون به وجهه ، وتصرف ما يمليه عليك عقلك»[١٢] •

---

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤١ — ٣٤٣ ، احمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٣٩٠ — ٣٩٣ ، منير مجلى : الجزيرة المسحورة ص ١٠٥ — ١١٠ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٥٠ — ٥٤ ،
وكذا G. Lefebvre, Op-Cit, p. 29-40.
وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, p. 212-215.
وكذا A. Erman, LAE, p. 29-35.
وكذا W. K. Sempson, Op-Cit, p. 50-56.

٥ ــ قصـــة فتــح يافـــا

وجدت هذه القصة فى بردية هاريس رقــم ٥٠٠ المحفوظة الآن فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٠٠٦٠ ، وقد عثر عليها فى طيبة (الاقصر) ، وترجع الى عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وربما الى أيام رعمسيس الثانى (١٢٩٠ ــ ١١٢٤ ق•م) ، وقد نشرت وترجمت عدة مرات ، لعــل من أهمهـــا ترجمات : جـــاردنر[1] وبييت[2] وارمـــان[3] ولوفيفـــر[4] وويلسون[5] وجدكة[6] وغـــيرهم[7] ، وأما الترجمـــات العربية فأهمها ترجمات سليم حسن وأحمد فخرى وعبد العزيز صالح ، والترجمة العربية لكتاب جوستاف لوفيفر[8] •

هذا وكانت قصة «فتح يافا» هذه من القصص الشعبى الذى تناقلته الاجيال ، جيلا بعد جيل ، وقد ظهرت فكرتها فى آداب امم أخرى كثيرة ، وتتلخص القصة فى السطور التالية :

كان «تحوتى» ــ احد قواد الفاتح العظيم تحوتمس الثالث (١٤٩٠ ــ ١٤٣٦ ق•م) ــ يحاصر مدينة «يافا» الفلسطينية وقد ثار حاكمها على

---

(١) A. H. Gardiner, Late Egyptian Storis, BA, 1, Brussels, 1932, p. 82-85.
(٢) T. E. Peet, in JEA, XI, 1925, 225-227, 336-337.
(٣) A. Erman, LAE, 1927, p. 167-169, The Ancient Egyptians, p. XXXIII.
(٤) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 125-127.
(٥) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 22-23.
(٦) H. Goedicke, The Computre of Joppa, Chronique d'Egypte, 43, 1968, p. 219-233.
(٧) E. F. Wente, in The Literature of Ancient, London, 1977, p. 81-84.
وكذا H. P. Blok, De beide Volksverhalen Van Papyrus Harris 500 Verso, Leyden, 1925.
وكذا G. Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt, p. 108.
(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٩ ــ ١١٢ ، أحمد فخــرى : المرجع السابق ص ٤٠٨ ــ ٤٠٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٧ ــ ٣٣٨ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٨٨ ــ ١٩٢ •

السيادة المصرية ، واعتصم بمدينته ، ولم يستطع القائد المصرى أن يخضعه ، وأن يستولى على المدينة ، ويعيدها الى حظيرة الامبراطورية المصرية ، بل ان الحاكم الفلسطينى انما حاول أن يستميل اليه القائد المصرى (تحوتى) ضد الفرعون ، أو يخدعه ويوقعه فى حباله ، ومن ثم فقد دعاه الى الانضمام اليه هو وأهله ، فرد تحوتى على مكره بمكر يساويه ، وأظهر له أن يميل الى مصادقته ، ودعاه من ناحيته الى مقابلته فى معسكره ، فلما لبى الحاكم الفلسطينى دعوة تحوت أكرمه ، وأسر اليه أنه يريد أن يلجأ اليه هو وأسرته،وطلب اليه أن يبعث بفرسانه «الماريانو» لرعاية خيولة خشيه آن يعتدى عليها لصوص الخيل من العابيرو[٩] .

وفى أثناء وجود الحاكم الفلسطينى فى خيمة القائد المصرى طلب منه أن يرى مقمعة الفرعون تحوتمس الثالث (صولجان تحوتمس الثالث) التى كان من عادته أن يعطيها لقواده عند خروج أحدهم لقيادة الجيش ، فوجدها تحوتى فرصته ، وعاد اليه بمقمعة غليظة ، وقال وهو يواجهه : أنظر يا عدو يافا ان «من خبر رع» الاسد العصور ، ابن «سخمت» (ربة الحرب)[١٠] ، قد وهبه أبوه أمون التأييد» ، وعاجله بضربة منها على جبهته أردته مغشيا عليه ، فشد وثاقه واثقل على قدميه بأربعة أوزان من المعدن ، وتخير مائتين من جنوده المصريين،وأمر زملاءهم بأن يقيدوهم تقيدا خفيفا ، وأن يضعوهم فى جوالق كبيرة يختمون عليها ليحبكوا حيلتها ويحرسها خمسمائة جندى وأوحى اليهم ببقية الحيلة : عندما تدخلون المدينة يجب عليكم أن تطلقوا سراح رفقائكم الذين فى الجوالق (الغرارات) وتقبضوا على كل رجل فى المدينة وتضعوهم فى الاغلال .

ثم أرسل سائق عربة أمير يافا الى زوجته يبلغها أن زوجها الامير قد منحه ربه «سوتخ» النصر على عدوه فأسر القائد المصرى «تحوتى» ، وأن رجال الجيش المصرى قد انضموا اليه ، فيما عدا قلة منهم وأسرهم

---

(٩) أنظر عن العابيرو (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢٢/١ ــ ٢٨ الاسكندرية ١٩٧٨) .

(١٠) انظر الالهة سخمت (محمد بيومى مهران ــ الحضارة المصرية القديمة ص ٣٤٨ ــ ٣٤٩ الاسكندربة ١٩٨٤) .

وكبلهم بالاغلال ، وهكذا تقدم سائق الامير الفلسطينى الموكب ، وهو يصيح : أسرنا تحوتى ، ففتحت له المدينة أبوابها ، ودخل الجنود المصريون يحملون زملاءهم فى الجوالق ، فما أن جاوزوا الابواب حتى انقضوا على حراس المدينة وأسروهم ، ثم تنتهى البردية بهذه الكلمات : «وهكذا الساعد القوى لفرعون مصر أن يستولى على المدينة ، وفى الليل أرسل تحوتى رسالة الى سيده فى مصر ، الملك تحوتمس ، يقول له : أنعم بالا ، فقد أعطاك أمون ، أبوك الطيب ، أمير يافا وجميع رجاله وكذا مدينته ، ابعث بالرجال ليقودهم أسرى لكى تملأ بيت أبيك أمون بالعبيد والجوارى الذين يرتمون تحت قدميك الى الابد» ٠

وأما تحوتى — صاحب القصة — فهو أحد قواد تحوتمس الثالث العظيم ، وقد كشف عن مقبرته فى طيبة الغربية ، وقد وصف نفسه بأنه كان موضع ثقة الملك فى كل الاصقاع الاجنبية وفى جزر البحر المتوسط ، وأنه كان المشرف على الممالك الشمالية ، وانه كان أول قائد صاحب الملك فى كل الارضين الاجنبية ، ومن ثم فيبدو أنه كان ذا شخصية عظيمة ، ولهذا فقد كان اسمه يتردد على ألسنة الناس دهرا طويلا بعد ذلك ، وهناك فى متحف «دارمستاد» خنجر له ، فضلا عن طبق من الذهب فى متحف اللوفر كان قد أهداه اليه تحوتمس الثالث ٠

وأما القصة نفسها ، فليس هناك شىء معروف على وجه اليقين عن مدى صدق أحداثها ، وان لم يحل هذا دون الاعتراف بخصوبة خيال صاحبها أو مؤلفها ، بحيث يمكن اعتبارها سلفا قديما لحيلة قصيرة مع الزباء ملكة تدمر[١١] ، وقصة على بابا واللصوص الاربعين فى الادب العربى القديم ، وتنم القصة من ناحيتها عن اعتقاد أهل زمانها بأن أسلحة فراعينهم الكبار أهل النصر والفتح ، انما كانت مؤيدة بقوة سحرية خفية ، أو قدرة ربانية مباركة ، وأنهم كانوا يتوهمون أن قادتهم كانوا

---

(١١) انظر قصة قصير والزباء (محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم — الرياض ١٩٨٠ ص ٥٤٨) ٠

يستعينون بها ليردوا فضل النصر الى أربابهــا ، ثم هى تنم أخيرا عن اعتقادهم بأن الفتن التى تنشب خارج الحدود تصــدر فى معظمها عن ذرارى الهكسوس الذين ناصروا الاله «سونخ» (أى ست) واستعانوا به[١٢] .

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، أحمــد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ، سليم حسن : المرجع الســابق ص ١١٠ ـ ١١١ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٩٠ ـ ١٩٢ ، ارمان ورانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ٤١٧ ، وكذا
E. F. Wente, Op-Cit, p. 81-84.
وكذا J. A. Wilson, ANET, p. 22-23.
وكذا H. Goedicke, Op-Cit, p. 219-233.
وكذا G. Lefebvre, Op-Cit, p. 125-127.
وكذا A. Erman, Op-Cit, p. 167-169.

٦ ـ قصـــة الاخـــوين

اشتهرت قصة الاخوين هذه بين الآثاريين بتسمية أخرى هى «بردية أوربينى» Popyrus D'Orbiney نسبة الى السيد «اليزابيث أوربينى» التى ابتاعتها من ايطاليا ، ثم باعتها للمتحف البريطانى عام ١٨٥٧م ، بعد أن أعلن متحف اللوفر عجزه عن الحصول عليها ؛ وعلى أية حال ، فالبردية محفوظة الآن بالمتحف البريطانى تحت رقـــم ١٠١٨٣ ، ويمكن تأريخها بعصر الاسرة التاسعة عشرة (حوالى عام ١٢٥٠ق٠م) ، وقد نقلها عن الهيراطيقية من الهيروغليفية «سير ألن جاردنر»[١] ، كما اعتنى بها كثير من علماء المصريات ـ من أمثال مولر[٢] ، ولوفيفر[٣] وسكوت[٤] وبرونر ـ تروت[٥] ، ووينتى[٦] ، ويويوت[٧] وفانديه[٨] وغيرهم[٩] ، هذا فضلا عن عدة ترجمات عربية للقصة ، جزئيا أو كليا[١٠] •

---

(١) A. H. Gardiner, LES, in BA, I, 1932, p. 9-29

(٢) G. Moller, Hieratische Lesestucke ..., II, Berlin, 1927, p. 1-20.

(٣) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 137-158.

(٤) S. Schott, Altagyptische Liebeslieder..., Zurich, 1950, p. 193-204.

(٥) E. Brunner - Traut, Op-Cit, p. 28-40

(٦) E. F. Wente, Op-Cit, p. 92-107.

(٧) J. Yoyotte, RdE, 9, 1952, p. 157-159.

(٨) J. Vandier, Le Papyrus Jumilhac, Paris, 1961, p. 45-46, 105-106, 114-115.

(٩) Jan Assmann, in ZAS, 104, 1977, p. 1-25.

وكذا B. Sledzianovski, in GM, 4, 1973, p. 35-40.

وكذا A. Erman, LAE, 1927, p. 150-161, The Ancient Egyptians, N. Y., 1966, p. XXXII.

وكذا J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 23-25.

وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, II, 1976, p. 203-211.

وكذا F. Jesi, Aegyptus, 42, 1962, p. 276-296.

وكذا E. Blumenthal, ZAS, 99, 1973, p. 1-17

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٩ ـ ٣٤١ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٨٧ ـ ٩٩ ، عبد الحميد زايد : الرمز والاسطورة الفرعونية ـ مجلة عالم الفكر ١٩٨٥ ص ٥٣ ـ ٥٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ ـ ٤١٢ ،نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٩٨ ـ ٢١٧ •

والقصة تصور ما يمكن أن تأتيه الانثى اللعوب ، كما تصــور الحياة الريفية وقت ذاك ، وقد جعلت أبطالها ثلاثة : انبو ، الاخ الاكبر ، ثم زوجته ، ثم شقيقه الصغـــير «باتا» وان كان هنـــاك من يذهب الى أنها تحتوى على بعض الاساطير المصرية القديمة ، وأن الاخوين — انبـــو وباتا ، ايسا سوى الالهين المعروفين بهذا الاسم ، وعلى أية حال ، فيمكن تلخيصها فى السطور التالية :

كان «باتا» الاخ الاصغر ، شابا قويا مفتول العضـــلات ، مخلصا لأخيه الاكبر ، خبيرا فى شئون الزراعة والمرعى ، عارفا بمنطق الحيوان ، لا يوجد له مثيل فى جميع أنحاء الارض ، وقد اعتاد أن يخرج بماشية أخيه مع الفجر فيحرث أو يحصد ، ويرعى قطيعه ، ثم يعود فى المساء محملا بخيرات الحقل ، وألبـــان البقر ، ويقدمها راضيا بين يدى أخيه وزوجه ، وما أن يتناول عشاءه حتى ينطلق الى حظيرة الماشية فينام فيها وحيدا قانعا ، فاذا ما اقترب الفجر أعد افطار أخيه وقدمه اليه ، ثم أخذ افطاره وساق ماشيته الى الحقل والمرعى ، وكان يحدث أحيانا أن تتسار الماشية فيما بينها ، بأن الكلأ فى مكان بعينه وفير نضير ، فيفهم «باتا» قولها ، ويحقق لها رغبتها ، وينتجع بها ما توده من العشب والمرعى،ومن ثم فقد كانت الماشية التى فى رعايته تزداد جمالا ، وقد تعددت مواليدها الى حـــد كبير .

ولما حل موسم الزراعة قال له أخوه : هلم أعد الثيران للحرث ، فقد انحسر الماء عن الارض وتهيأت للزراعـــة ، ثم احضر لنا البذور حتى نغرسها مبكرين ، فأطاع «باتا» وصحب أخاه الى الحقل ، وانشغلا فى الحرث ، ولكنهما اضطرا بعد فترة الى التوقف لنفاذ البذور ، فأرسل «انبو» أخاه «باتا» الى الدار لاحضار المزيد من البذور ، وما أن بلغ «باتا» الدار حتى ألفى زوج أخيه مشغولة بتضفـــير شعرها ، فناداها قائلا : انهضى واعطنى بعض الحبوب لان أخى ينتظرنى ، فأجابته قائلة : اذهب وافتح الصومعة وخذ ما تريد ، لا تفسد على تضفير شعرى ، ثم ذهب الشاب وعاد ومعه حمل كبير من الشعير والقمح ، فتساءلت امراة

أخيه : ما وزن ذلك الذى تحمله على كتفك ، فرد قائلا : ثلاثة أكياس من القمح ، و كيسان من الشعير ، أى خمسة فى مجموعها ، فردت المـرأة قائلة : انك تتمتع بقوة عظيمة ، وانى أرى كل يوم ما يدل على قوتك ؟ وأرادت المرأة أن تعرف قوته كرجل •

وأسرت المرأة أمرا فى نفسها ، ثم هبت واقفة وتعلقت بالفتى اليافع وقالت : هيت لك دعنا نمرح ساعة ونضطجع معا ، فذلك خير لك ، ولسوف أخيط لك ثيابا حسانا ، وفوجىء الفتى بما حدث ، فأجفل وبدا فى هيئة فهد الصعيد المغضوب ، وأربد وجهه من هول ما دعته اليه ، فأجفلت المرأة بدورها وخشيته خشية شديدة ، ثم تمالك الفتى نفسه ، واتجه الى هذه المرأة الداعرة قائلا : اسمعى ، أنت بالنسبة لى فى منزلة الام ، وزوجك فى منزلة الاب ، فهو أكبر منى ، وهو الذى ربانى وليدا ، فلم كل هـذا العار الذى تدعيننى اليه ، اياك أن تفاتحينى فيه مرة أخرى ، وأنا أعدك ألا أتحدث به لأحد ، ولن أدعـه يخرج من فمى لأى شخص ، واحتمل «باتا» حمولته ، وانصرف الى الحقل ، فلما بلغ أخـاه استأنف العمل كدأبه ، دون أن ينبس ببنت شفة •

وحان المساء وعاد الاخ الاكبر الى داره ، وبقى باتا فى الحقل يتعهد الماشية برعايته ، حتى أكمل حمولته من خيرات الارض ، ثم ساق الانعام أمامه ليبيت بها فى حظيرته ، وخشيت المرأة عاقبة زلتها ، فاستعانت بعقار (دهنا وشحما) جعلها كالمريضة أو المضروبة ، حتى يتسنى لها أن تزعم لزوجها بأن أخاه قد اعتدى عليها ، فلما عاد زوجها وجدها نائمة تدعى المرض ، فلم تصب الماء على يديه كعادتها ، ولم توقد المصباح قبل مجيئه، فبات ليلته فى ظلام حالك ، بينما كانت هى تقىء ، ولما اقترب منها زوجها وسألها عمن أساء اليها ، قالت : لم يسىء الى أحد سوى أخيك الاصغر ، فلقد أتى يأخذ البذور ، فلما وجدنى وحيدة راودنى عن نفسى ، وأمسك بشعرى ، فأبيت طاعته ، وقلت له : ألست كأمك ، أوليس أخوك الاكبر كأبيك ، هكذا أجبته ، فارتعد منى خوفا وضربنى ، حتى لا أخبرك بما حدث ، فاذا تركته يعيش مت أنا ، وأخشى اذا رجع فى المساء وفاتحته فى

عاره ، نسب السوء الى ، وأربد وجه الزوج ، وشحذ خنجره ، واختبأ وراء باب الحظيرة ، ونوى أن يقتل أخاه حين رجوعه •

وعاد «باتا» فى الغروب ، محملا بخيرات الارض كعادته ، فلما دخلت أولى بقراته الحظيرة همست له : احذر ان أخاك واقف هناك ينتظرك ليقتلك بخنجره ، فاهرب من أمامه ، وفهم باتا قولها ، ثم سمعه من البقرة التى تليها ، وتطلع أسفل الباب فرأى قدمى أخيه ، فألقى حمله على الارض ، وشرع يعدو هربا من أخيه ، فجرى أخوه وراءه ، وهنا استغاث «باتا» بالمعبود «رع حار أختى» (رع حور سيد الافق) ، فقال : مولاى الرحيم ، أنت تفصل بين الآثم والبرىء ، فاستجاب رع لدعائه ، وفصل بين الاخوين ببحيرة ملأى بالتماسيح ، ووقف الاخوان أمام بعضهما ، وقال باتا لأخيه كل شىء ، واعلم أخاه بجريمة زوجته ، وأراد أن يثبت له براءته وعزوفه عن النساء ، فاستل بوصة حادة ، وقطع احليله ، ورماه فى الماء ، حتى يؤكد لأخيه زهده فى الخنا وأهل الخنا ، وكاد يغشى عليه من فرط الالم ، وندم الاخ الاكبر على ما فعل بأخيه ، ولم يتمالك نفسه فبكى ، ولكنه عجز عن أن يصل الى أخيه خوفا من التماسيح ، ثم أخذ «باتا» يذكر أخاه «انبو» بكل ما فعله من أجله ، ثم علمه آخر الامر أنه سوف يترك مصر نهائيا ، ويذهب الى وادى الارز ، وسيضع قلبه فوق شجرة أرز فان أحدا قطع الشجرة سقط قلبه ومات ، فاذا ما عرف «انبو» بوفاته فليذهب وليبحث عنه ويعيده الى الحياة ، ولايمل البحث عنه ، وان أنفق فى ذلك سبع سنين ، وأما كيف يعيده الى الحياة ، فليضعه فى ماء بارد ، ولسوف يعلم آية سقوطه حين تقدم اليه كأس جعة ، فسوف يجدها قد أزبدت واعتكرت ، وبعد أن سمع «انبو» (أنوبيس) مقالة أخيه الحزينة ، عاد الى بيته ، وقد وضع يديه على رأسه ، ولوثه بالتراب، وما كاد يصل الى داره حتى بادر بقتل زوجه الداعرة ، ورمى بها الى الكلاب ، ثم جلس يبكى رحيل أخيه الصغير •

وهكذا فارق باتا مصر — كما أراد مؤلف القصة — الى وادى الارز فى لبنان ، وهناك أشفقت عليه الالهة ، فقال «رع حار أختى» لخنوم :

اخلق لـ «باتا» زوجة حتى لا يظل وحيدا ، فخلق له خنوم صاحبة تؤنسه فى وحشته ، وكانت هذه الصاحبة ذات جسد بديع يفوق جماله وحسنه نظيره عند أى امرأة أخرى فى البلاد كلها ، وكان بهما بذرة من كل من الالهة ، وأتت الحوريات السبعة (داتحور) لتراها فقالت فى صوت واحد : ستموت تلك المرأة بحد السيف» •

وأحب «باتا» هذه المرأة وأخلص لها . ولكنها عاشرته على دخل ، ربما لانه أصبح عنينا ، ثم نقل البحر خصلة من شعرها الى فرعون مصر، فسحره عطرها ، وأرسل رسله يبحثون عنها ، فقتلهم «باتا» الا واحدا عاد اليه بخبر بمقتل زملائه ، فأرسل اليها الفرعون جماعة أخرى ، ومنهم امرأة عجوز ، تحمل هداياه اليها ، فقبلت الزوجة هداياه وانجذبت الى سلطانه ، وصحبت رسله وسافرت اليه وتقربت منه ، وأوعت اليه باهلاك زوجها باتا ، وقطع الشجرة التى ائتمنها على قلبه ، فاستجاب الفرعون لكيدها ، وأمر بقطع الشجرة فمات «باتا» ، ولكن أخاه تنبه الى آية اعتكار كأس الجعة ، فظل يبحث عن قلب أخيه ثلاث سنين حتى وجده ، ودعا الارباب فبعثوه فى خلق جديد •

وأراد «باتا» أن يرد على زوجته عاقبة غدرها ، فتنكر لها فى هيئة فحل شديد ، مزودا بكل الالوان ، وعرفت زوجه التى أصبحت حظية فرعون بذلك ، فنصحت الملك أن يقتله ففعل ، ولكن نقطتين من الدم سقطتا على الارض وصارتا شجرتين عظيمتين عند بوابة القصر ، فأغرت الملك بقطعهما ففعل ، وعند صنع أثاث منهما طارت شظية فحملت منها وأنجبت طفلا صار وليا للعهد ، ومات الملك ، وعوض الارباب «باتا» بعرش مصر وملكها العريض،وانتقم من زوجته الخائنة فقتلها ، واستدعى أخاه الاكبر ونصبه أميرا وراثيا فى البلاد جميعا ، ولما قضى على عرش مصر ثلاثين عاما ذهب الى الحياة (يعنى الحياة الآخرة) وصعد أخوه على العرش ، وأصبح ملكا بعده •

والقصة ، كما نرى ، مليئة بألوان السحر ، وهى تعالج أمر الزوجة الخائنة مرتين ، وتنتهى فى الحالتين بأن يقتل الزوج زوجته ، وفى الواقع،

فلقد عالج القصاص المصرى القديم موضوع الزوجة الخائنة بمهارة ، فاضفى عليها لهجة مسرحية ولوحات تتحرك فيها شخصيات تنبض بالحياة وفيها مشاهد تشعر بقوة الشهوة والالم والغضب والاحتقار ، استطاع القصاص أن يعرضها ويقربها الى حد كبير من حياة الناس ، وكما يقول جوستاف لوفيفر ، كان ينبغى لهذه القصة التى تترم على أسس نفسية ، لكى تكون ذات طابع مصرى ، أن يتدخل فيها عنصر الخيال ، وهذا ما حدث اذ نرى الحيوانات تتكلم ، والآلهة تتدخل ، والشخصية الرئيسية تتنبأ بما سوف يحدث ، بل ان للاخوين أسماء آلهة ، اذ كان من المعروف عن اسمى «انبو» (أنوب = أنوبيس) و «باتا» أيام الدولة الحديثة أنهما كان موضع عبادة فى اقليم «انبو» ، وهو الاقليم السابع عشر من أقاليم الصعيد ، وكانت عاصمة «كاسا» (ليتوبوليس الاغريقية) وهى «القيس» الحالية ، على مبعدة ٤ كيلا جنوبى بنى مزار ، بمحافظة المنيا ، وكان معبودها الرئيسى «انبو» (ابن آوى) .

هذا وقد تميزت حوادث الجزء الثانى من القصة بالسحر فى سلسلة من المعجزات ، فالاخ الاصغر (باتا) ينزع قلبه ويخفيه فى زهرة أرز ، بعد أن ينفى نفسه فى واد فى لبنان ، وعندما يصبح جسدا بلا روح يتفرغ لمشاغله اليومية حتى يأمر «رع حار اختى» الاله «خنوم» أن يصنع له زوجة ، أجمل من أية امرأة أخرى ، ويعلم فرعون بأمر تلك المرأة ، وهى من بنات الالهة ، عن طريق خصلة من شعرها أخذها البحر وجاء بها الى مصر ، فيرسل اليها من يحضرها من لبنان لتكون محظية له ، وسرعان ما تفكر فى خيانة زوجها ، وتلعب نفس الدور الذى لعبته زوجة أنوبيس فى الجزء الاول من القصة ، فتطلب من فرعون أن يقتلع شجرة الارز التى تضم قلب باتا ، ولكنه يعود الى الحياة ثانية بفضل دعوات أخيه أنوبيس ، اذ يعثر على قلبه ويضعه فى وعاء من ماء ، ثم يتحول «باتا» الى ثور ، ولكن زوجه تتعرف عليه وتأمر بذبحه ، ولكنه يعود الى الحياة من جديد حيث يتحول الى شجرة «لبخ» وتأمر ثانية باقتلاع الشجرة ، ويصمم باتا على العودة الى الحياة ثانية فى صورة قطعة من الشجرة تتطاير فتدخل فم امرأته الغادرة ، فتحمل منه وتضع طفلا هو « باتا »

الصغير الذى ينشأ فى قصر فرعون ويعيش فيه حتى يموت الفرعون فيخلفه على ملك مصر •

هذا وتروى القصة أحداثا تذكرنا بقصة أوزير ، فجزء جوهرى من القصة — وهى تجارب باتا فى بيبلوس وقصر فرعون شبيهة بقصة «بلوتارخ» لما وقع لايزة ، عندما كانت تبحث عن أخيها وزوجها أوزير فى تلك المواقع نفسها ، على أننا يجب أن نلاحظ أنه على نقيض هذا التشابه فى السياق ، فقد سلكت زوجة «باتا» طريقا آخر ، غير الذى سلكته ايزة التى كانت وفية لزوجها •

وأما أسلوب القصة ، فأضعف من أساليب كثير من القصص غيرها ، وان وافقت الخيال الشعبى وتمشت مع مقتضياته ، ورغم ضعف الاسلوب وخلوه من الرشاقة التى يتسم بها عادة أسلوب العصر فى التعبير ، الا أن الحبكة القصصية هنا متوفرة ، فهى تدأب على تشويق القارىء أو السامع بمفاجآت تتردد فى ثناياها تعتمد جميعا على مؤثرات خارجية لم تكن فى الحسبان ، هى مخرج للقصاص يعتمد فيه على خوارق الطبيعة أو يد القدر[11] •

---

(١١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٥٤ — ٦٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٩ — ٣٤١ ، نجيب ميخائيل ، المرجع السابق : ص ٥٠٣ — ٥٠٤ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٢٠٢ — ٢١٧ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ — ٤١١ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٩١ — ٩٩ •

وكذا A. Erman, LAE, p. 150-161.
وكذا J. A. Wilson, ANET, p. 23-25.
وكذا E. F. Wente, Op-Cit, p. 92-107.
وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, p. 203-213.
وكذا G. Lefebvre, Op-Cit, p. 137-158.
وكذا J. Yoyotte, RdE, 9, 1952, p. 157-159.

٧ ـ قصة ون امون

سجلت هذه القصة أو الرحلة على بردية عثر عليها فى بلدة «الحيبة»[1] فى عام ١٨٩١م ، واشتراها العالم الروسى « فلاديمير جولينشف»،وهى الآن بمتحف موسكو (رقم١٢٠)،وكان «جولينشف»[2] أول من نشرها ، ثم «جاردنر»[3] كما ترجمها وعلق عليها كثير من علماء المصريات ، من أمثال ارمان[4] ولوفيفر[5] وويلسون[6] وجاردنر[7] وايدل[8] و وينتى[9] ونمس[10] وغيرهم[11] .

---

(١) كانت مدينة «الحيبة» الحالية عاصمة للاقليم الثامن عشر من أقاليم الصعيد ، وتقع على مبعدة ٥ كيلا جنوبى مدينة الفشن ، بمحافظة بني سويف ، وهى «سبا» المصرية ، وربما كانت هى نفسها «حت نبو» (مقر طائر مالك الحزين) ، ومعبودها الرئيسى هو الاله «حور» ، كما عبد فيها كذلك الاله أنوبيس وسوكر .

H. Gauthier, Dictonnair des Noms Geographiques, I, p. 84, IV,IV, p. 27, p. 193).

وكذا P. Lacau and H. Chevriar, une Chapelle des Sesostris Ier a Karnk, le caire, 1956, p. 224).

(٢) V. S. Golenishchev, RT, 21, 1899, p. 74-102.

(٣) A. H. Gardiner, LEM, in BA, 7, 1937, p. 61-76.

(٤) A. Erman, in, ZAS, 38, 1900, p. 1-14.

وكذا A. Erman, in, LAE, 1927, p. 174-185.

(٥) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 204-220.

(٦) J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 25-29.

(٧) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 306-313.

(٨) E. Edel, in Galling Textbuch, p. 41-48

(٩) E. F. Wente, Op-Cit, p. 142-155.

(١٠) C. F. Nims, in JEA, 54, 1968, p. 161-164.

(١١) M. A. Korostovtsev, Puteshestvie un-Amwna V Bibl., Moscow, 1960.

وكذا E. Peet, Op-Cit, p. 47 F.

وكذا G. Maspero, Op-Cit, p. 202 F.

وكذا J. H. Breasted, ARE, IV, p. 274 F.

وكذا Wiedmann, Altagyptische Sagn und Marchen, Leipzig, 1900, p. 94-113.

هـذا فضلا عن الترجمات العربية للبردية ، وأهمها ترجمة سليم حسن[١٢] وأحمد فخرى[١٣] ونجيب ميخائيل[١٤] وعبد الحميد زايد[١٥] •

وأما نص البردية ــ كما يقـدمه لنا سير ألن جاردنر[١٦] ــ فهـو كالآتى :

«العام الخامس ، الشهر الرابع من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر ، فى اليوم الذى ارتحل «ون آمون» كبير المشرفين على ضيعة أمون سيد عروش الارضين ليحضر الخشب للسفينة الكبرى لامون رع ملك الآلهة وهى التى على النهر وتسمى «أمون وسرحى» • وفى يوم وصولى الى تانيس مقر «نس بانب دد» و «تنت أمون» أعطيتها رسائل أمون رع ملك الآلهة وقد قرئت فى حضرتيهما وقالا : «حقا اذا ستفعل كما قال ملك الآلهة أمون رع» •

وقد مكثت حتى الشهر الرابع من الصيف فى تانيس[١٧] ، ثم أرسلنى «نس بانب دد» و «تنت أمون» مع قائد السفينة «منجبيت» وفى الشهر الاول من فصل الصيف نزلت بحر سورية العظيم ووصلت الى « دور » مدينـة « الزكار » وأمر أميرهـا «بدير» بأن يؤتى لى بخمسين رغيفا وجرة نبيذ وفخذ ثور ، وهرب أحد رجال سفينتى بعد أن سرق اناء من الذهب يساوى «٥ دبنات» وأربعة أوان من الفضة قيمتها عشرون دبنا وكيسا به فضة تعدل ١١ دبنا وكان مجموع ما سرقه ٥ دبنات من الذهب، ٣١ دبنا من الفضة وقمت فى الصباح واتجهت الى حيث الامير وقلت له :

لقد سرقت فى مينائك وأنت أمير هذه البلاد وضابط أمورها فابحث

---

(١٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٦١ ــ ١٧٠ •
(١٣) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٢ ــ ٤٠٦ •
(١٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٦ ــ ٥٠٧ •
(١٥) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٧٩٠ ــ ٧٩٨ •
(١٦) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 306-313.
وانظر الترجمة العربية (سير ألن جاردنر : مصر الفراعنة ــ ترجمـة نجيب ميخائيل ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ــ القاهرة ١٩٧٣ ص ٣٣٦ ــ ٣٤٢) •
(١٧) التواريخ المكتوبة فى الاصل يتناولها الشك •

لى عن مالى ، لانه مال أمون رع ملك الآلهة وسيد البـلاد حقا وهو مال «نس بانب دد» وهو يخص مولاى «حريحور» وكذا عظماء مصر الآخرين • انه مالك كذلك ، وانه مال «وارت» انه مال «ميكادمار» انه مال «زكا بعل» أمير جبيل •• فقال لى : «أأنت صادق أم مدع ؟ لأننى لا أعرف شيئا عن هذه الرواية التى تذكرها لى •• لئن كان لصا من بلادى ذلك الذى اتجه الى سفينتك وسرق مالك فانى أعوضك اياه من مخازنى حتى يعثر على اللص مهما يكن ولكن الواقع أن الذى سرقك •• هو رجلك وهو يخص سفينتك •• فاقض معى هنا بضعة أيام حتى ابحث عنه •• ومكثت تسعة أيام راسيا فى الميناء ثم اتجهت اليه وقلت له «هاك انك لم تجد مالى» •

وتلى ذلك فقرات مشوهة يفهم منها أن «ون آمون» يرغب فى الرحيل مع بعض أصحاب المراكب الذين يزمعون ذلك ولكن الامير يحرضه على البقاء موهما اياه انه سيستولى على بضـائع المشبوهين حتى يعثر على اللص •

ولكن «ون امون» فضل متابعة رحلته ، وبعد أن وصـل الى صور غادرها عند الفجر وسرعان ما وصل الى جبيل حيث أميرها « زكار بعل » ووجد هناك سفينة بها ٣٠ دبنا من الفضة وقال ان هذا المال سيبقى معه حتى يقبض من لجأ اليهم على اللص •

وارتحلوا وبقيت فى خيمة على الشاطىء فى ميناء جبيل واستطعت أن أصل الى مكان أخبىء فيه « آمون ــ الطـريق » ، ووضعت مقتنياته فيه ••• وأرسل الى أمير جبيل قائلا : «غادر مينائى» فأرسلت أقول له : «الى اين أذهب ؟ ان وجـدت سفينة تحملنى فليعودوا بى الى مصر» وقضيت تسعة وعشرين يوما فى مينائه وكان يرسل الى كل يوم يقول : «اترك مينائى !» •

وبينما كان يقدم القرابين لالهه أمسك الاله بشاب من رجاله وأصابه

بالمخبل فقال له : «احضر الاله هنا واحضر الرسول الذى يحمله • انه آمون الذى أرسله ، انه هو الذى جاء به» وظل المخبول طيلة الليل فى خبله ، فى حين وجدت سفينة متجهة الى مصر وضعت فوقها كل متاعى وكنت أترقب الظلام قائلا : «حين يحل ، سيأتى بالاله اليها وسوف لاتراه عين أخرى • وجاء رئيس الميناء الى قائلا : «انتظر للغد •• هــذه هى رغبة الامير» فقلت له : «ألست أنت الذى كنت تكرر لى كل يوم قولك» اترك مينائى ؟ أولا تقول ابق هنا الليلة حتى تدع السفينة التى أراهــا مرتحلة ترتحــل وعندئذ ستأتى الى مرة أخرى وتطلب الى الرحيل ؟» وذهب الى الامير ورد قولى فارسل الى الامير قائد السفينة يقــول : «انتظر الى الغد هذه هى رغبة الامير» •

ولما جاء الغد ارسل فى طلبى ، وكان الاله يستريح فى الخيمة التى على شاطىء البحر • ووجدته جالسا فى غرفته العلوية وظهره الى النافذة وأمواج البحر السورى العظيم تتلاطم خلف رأسه • قلت له : «ليكن آمون رحيما ؟» وقال لى : «ما المدة حتى الآن» وقال لى : «لنفترض أنك صادق فأين هى رسالة آمون التى فى حوزتك وأين خطاب الكاهن الاول لأمون الذى فى يدك ؟؟» فقلت له : «لقد أعطيتها الى «نس بانب دد» و «تنت آمون» فاجتاحه الغضب وقال لى : «و الآن : انك لا تحمل رسالة أو خطابا، ولكن أين سفينة الصنوبر التى أعطاك اياها «نس بانب دد» وأين بحارتها السوريون ؟ ألم يسلمك لربان هذه السفينة البربرى ليذبحك ويلقى بك فى الماء ؟ قال لى فأجبته : «أليست سفينة مصرية وبحارة مصريون الذين يحملون «نس بانب دد» ؟ انه ليس لديه بحــارة سوريون فقال لى : أليس هناك عشرون قاربا فى مينائى تتجر مع نس بانب دد وكــذا فى صيدا ، ذلك المكان الآخــر الذى مررت به ، أليس هناك كذلك خمسون سفينة أخرى تتجر مع «وارا كتير» وتعمل من أجل بيته ؟

فحرت صمتنا فى هذه اللحظة الرهيبة :

وتابع هو حديثه قائلا لى : «فى أية مهمة قدمت ؟ فقلت له: « جئت سعيا وراء الخشب من أجل السفينة العظيمة لأمون رع ملك الآلهة ••

ان ما فعله أبوك وجدك ستفعله أنت !)) هكذا قلت له فأجابني قـائلا : «حقا لقد فعلا ذلك ، وأنت ان دفعت لي الثمن سافعل ! وفي الحق ان قومي قد انجزوا هذا الامر ولكن بعد أن أمر فرعون بارسال ست سفن محملة بالبضائع المصرية افرغـوها في مخازنهم •• وأنت بم جئت لي شخصيا ؟)) وأمر أن يؤتى بسجلات آبائه وأن تقرأ محتوياتها أمامي •• وقد وجد بها أنه دفع ألف دبن من الفضة وسلعا من كل نوع فقـال لي : اذا كان حاكم مصر سيد املاكي وكنت أنا خادمه ايضا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة أو ذهبا حين يقول : نفذ أمر أمون ! على أنها ليست هديه ملك التي أعطوها لوالدي •• وأنا كذلك لست خادمك ولا خادم من أرسلك وأنا ان أرسلت صرختي الى لبنان[18] فان السماء تنفتح وترى الاخشاب ملقاة على شاطيء البحر •• أعطني الاشرعة التي جئت بها لتقلع بسفينتك التي تحمل أخشابك الى مصر •• اعطني الحبال التي أحضرتها لتربط باحكام أخشاب الارز التي ساقطعها حتى لا تنكسر قاريات الاشرعـة فتتحطم وتهلك في وسط البحر •• هاك : ان «أمون» يرعد في السماء وهو الى جانب «ستخ»[19] • حقا ان أمون أسدى الخير لكل البلاد ثما لمصر التي أتيت منها حين اسداه اليها قبل غيرها •• لان دقة الحرف فيها قد وصلت الى مقري ، والعلم جاء منها الى حيث أقيم •• فما هذه السياحات الزائفة التي دفعت الى القيام بها !.فقلت له : زائفة ؟ ان رحلاتي ليست زائفة ! ليست هناك سفن على النهر لا تخص أمون ! وان البحر له ولبنان التي تزعم أنها بلادك •• له أيضا ! انها مزرعة لـ «أمون ــ أوسرحي» سيدة السفائن قاطبة ! حقا انه أمون رع ملك الآلهة ذلك الذي قال لمولاي حريحور «ابعث به» وهو الذي جعلني أحضر بهذا الاله العظيم •• ولكن انظر الآن •• لقد جعلت هذا الاله العظيم يقضي تسعة وعشرين يوما

(١٨) يزعم زكار بعل أنه ما عليه الا أن يفتح فمه فتمطر كتـلا من الاخشاب •

(١٩) سوتخ هنا هو اله الرعد ويبدو أن حجة الامير غير واضحـة تماما ، وهي أن ونامون جاء غير مستعد تماما مما قد يعرضه للغرق فلا يملك أمون اذن الا أن يرعد ـ ويسلم زكار بعل بعد ذلك بان أمون وهو الذي برز في بلاده في عالم الفن والعلوم وأنها انتشرت من هناك الى البلاد الاخرى ولكن أمون بعد أن أعطى ما أعطى ليس له هنا من جدوى •

راسيا فى مينائك دون علمك ! أليس هو هنا ؟ أليس هو ما كان ؟ وأنت تقف مستلوما على لبنان مع ربها أمون ! وأما ما تقوله بصدد الملوك السابقين الذين طلبوا الفضة والذهب ليؤتى بها اليهم فانهم لو رزقوا الحيـاة والصحة لما جعلوا السلع يؤتى بها ! انهم بدلا من الحياة والصحة جعلوا هذه الأشياء ترسل الى آبائك .. أما أمون رع ملك الآلهة فهو سيد هذه الحياة والصحة وهو كان سيدا لآبائك .. لقد قضـوا حياتهم يقدمون القرابين لأمون ، وأنت كذلك خادم لأمون .. ان قلت «نعم سأفعل ذلك لأمون .. وتتم هذه المهمة فانك ستعيش وستكون موفقا وستحيا فى عافية وستكون خيرا لكل بلادك وشعبك .. ولكن لا تستول شرها على متعلقات أمون رع ملك الآلهة . حقا أن الاسد يحب مقتنياته .. مر كاتبك أن يأتى الى حتى ارسله الى «نس بانب دد» و «ننت أمون» الحكام الذين منحهم أمون شمال الارض . وسيرسلان لك كل ماتحتاج اليه وسأرسل لهم قائلا : «أرسلوها حتى أصل الى الجنوب وسأطلب ارسال كل ما أنا مدين به» .. هكذا تحدثت اليه .

ووضع خطابى فى يد رسوله ثم وضعوا الخشب فى قـاع المراكب والمقدمة والمؤخرة كذا أربع قطع أخرى .. ومجموعها سبع قطـع وأمر بارسالها الى مصر . وذهب رسوله الى مصر وعاد الى سورية فى الشهر الاول من فصل الشتاء ، وأرسل معه «نس بانب دد» و « تنت أمون » أربع جرار من الذهب واناء «كاكمن» من الذهب كذلك ثم خمس جرار من الفضة وملابس من الكتان الملكى عدتها عشر قطع ، وعشر قطع نسيج من كتان الصعيد الرقيق ، وخمسمائة حصير ، وخمسمائة قطعـة من جلود الثيران ، وخمسمائة حبل وعشرين زكيبة من العدس وثلاثين سـلة من السمك ، كما أرسلت[٢٠] الى خمسة أغطية من كتـان الصعيد الرقيق وزكيبة عدس وخمس سلال سمك .. وفرح الامير وخصص ثلاثمائة رجل وثلاثمائة ثور على رأسهم مشرفون لقطع الاخشاب وقطعوها وبقيت ملقاة طيلة الشتاء . وفى الشهر الثالث من الصيف سحبت الى شاطىء البحر

---

(٢٠) تنت امون من غير شك .

وجاء الامير وشهدها وأرسل فى استدعائى وحسين جىء بى فى حضرته سقط ظل مروحة اللوتس الخاصة به على ، ولكن «بن أمون» ساقيه اقترب منى قائلا : «ان ظل فرعون ربك قد سقط عليك»[٢١] وغضب منه الامير وقال دعه وشأنه . وجىء بى فى حضرته وقال لى هاك ان المهمة التى أداها آبائى من قبل أديتها أنا كذلك ولكنك لم تقل لى شخصيا ما فعله آباؤك ؟ .. هاك ان آخر كتلة من الخشب قد جىء بها الآن وهى فى مكانها .. نفذ رغبتى لشحنها فانها لك حقا .. ولكن لا تأت لنشاهد أهوال البحر فان كان لك أن تشاهد أهوال البحر فلتشاهد أهوالى كذلك .. حقا اننى لم أفعل بك ما فعل برسل «خع أم واسة» حين قضوا سبعة عشر عاما فى هذه الارض وماتوا فيها . وقال لساقيه : «خذه ليشهد قبورهم!» ولكننى قلت له : لا تدعنى أشهدها وأما بالنسبة لـ «خع أم واسة»[٢٢] فان من أرسلهم لك كانوا رجالا ، وهو نفسه كان رجلا .. وأنت ليس لديك الآن واحد من مبعوثيه حين تقول اذهب واشهد رفاقك ! ألا تسعد حين تفكر فى أن تصنع لك لوحة يسجل فيها : أمون رع ، ملك الآلهة ، ارسل الى مبعوثه أمون الطريق مع مبعوثه البشرى «ون أمون» سعيا وراء الاخشاب لأجل القارب العظيم أمون رع سيد الآلهة ، وقد قطعتها وحملتها وزودتها بسفنى وبحارتى وجعلتها تصل الى مصر تلتمس لى من أمون خمسين عاما من الحياة فوق أجلى المحدود ! وسيحدث حين يأتى مبعوث من مصر ملم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية فانك ستتلقى ماء فى المغرب مثل الآلهة الذين هناك ! وقال لى هذا حديث شهادة ماذكرته لى فقلت له : أما من جهة الاشياء العديدة التى قلتها لى فاننى اذا وصلت الى مقر كاهن أمون الاكبر وشهدت ما قمت به فان ذلك سيعود عليك بالفائدة .

وذهبت الى شاطىء البحر حيث الاخشاب وشهدت احدى عشرة

---

(٢١) تعبير ينم عن الاهانة من غير شك يعنى أن ونامون وفرعون كانا على السواء «تحت سحابة» .

(٢٢) ربما رمسيس التاسع ، ومن المؤكد ملك ، وكان رد ونامون على هذه الحجة أنه حتى الملوك أنفسهم بشر ، أما هو ففى خدمة الاله .

سفينة قادمة وتنتسب الى زاكار وهم يقولون «اسجنوه ولاتدعوا سفينته تتجه الى أرض مصر» فجلست وبكيت وجاءنى كاتب الخطاب لدى الامير وقال لى : «ماذا يحزنك ؟» فقلت له : ألست تشهد الطيور المهاجرة مرتين الى مصر ، انظر اليها كيف تأتى الى المياه الباردة ! حتى متى أترك هنا ؟ أو لست ترى من جاءوا ليقبضوا على مرة أخرى ؟ .. وذهب وأنهى نبأ ذلك للامير مما قيل له .. وكان أليما .. وأرسل لى كاتب خطاباته بقدحين من النبيذ ونعجة وجاءنى هذا كذلك بـ «تنتنة» وهى مغنية مصرية قال لها : غنى له ولا تدعى قلبه يمتلىء شجنا . وأرسل الى يقول : كل واشرب ولا تقلق وستسمع غدا كل ما أقول لك . وفى الصباح استدعى مجلسه ووقف فيه وقال للزكاريين : ما معنى رحلتكم هذه ؟ فأجابوه قائلين «جئنا ساعين وراء سفن الحرب التى جهزتها لمصر مع خصومنا فقال لهم « أنا لا أستطيع أن أسجن مبعوث أمون فى أرضى .. فلأطلقه ثم تسعون وراءه لسجنه» وأطلقنى الى ميناء البحر وساقتنى الريح الى أرض الاشيا[٢٣]، وجاء الى القوم هنــاك ليقتلونى ولكننى استطعت أن أشق طريقى فى وسطهم نحو «حاتيبا» أميرة المدينة ، ولقيتها خارجة من احدى دورها الى دار أخرى ، وحييتها وقلت للواقفين من حولها : أليس بينكم من يفهم لغة مصر ، وقال أحدهم : أنا أفهمها ، فقلت قــل لسيدتى حتى «نى» (اختصار نى ريسة ، أى المدينة الجنوبية = طيبة) والى حيث مقر أمون، اعتدت أن أسمع أن الظلم كائن فى كل مدينة ، ولكن العدالة تقوم فى أرض «الآشيا» ، أفهناك ظلم يحيق هنا كل يوم ؟ فقالت ، ماذا تعنى بذلك ، فقلت لها : ان غضب البحر ، وساقتنى الريح الى أرضك ، أفتسلميننى لأقتل ، رغم انى مبعوث أمون ؟ ، أما بالنسبة لى فسيبحثون عنى حتى نهاية الزمان ، وأما بالنسبة لبحارة أمير جبيل الذين يسعون وراء قتلهم ، أفسوف لا يجد مولاهم عشرة من ملاحيهم ويقتلهم مقابل ذلك ، وأمرت باستدعاء القوم وأصغوا اليها ، وقالت لى : اقض الليل .

(٢٣) تعرف عادة بانها قبرص .

وأما البقية فمفقود ، ولابد أن «ون أمون» نجح فى العودة الى الوطن ، والا فانه لم يكن يقدر لتقريره أن يكتب» •

واذا ما أردنا مناقشة قصة «ون ـــ أمون» هذه ، فلعل أول ما يلفت النظر أنها تقدم لنا حوارا أدبيا ممتازا نرى ذلك واضحا حين تحل الكارثة الاولى بالكاهن «ون ـــ أمون» ، ويسرق فى مدينة «دور» ، فانه يقول لأميرها : «لقد سرقت فى مينائك ، ولكن أنت أمير هذا البلد وأنه راعيه» ثم يصل الى قوم « ثيكر »[٢٤] (زكار) ، فانهم يقولون : اسجنوه ولا تدعوا له سفينة تبحر الى أرض مصر» ، ويخرج «ون أمون» من المأزق الاول بأن يأخذ ثلاثين دبنا من الفضة رهينة حتى ترد اليه بضاعته ، وفى المأزق الثانى نراه يستخدم فى الخروج أسلوبا عاطفيا ، اذ يقول : ألم تر الطيور المهاجرة الى مصر مرتين ، أنظر اليها كيف ترد المياه الباردة ، وحتى متى سأظل مهملا هنا ، وقد كان لحديثه أثر كبير ، حتى نرى الامير يبكى متأثرا بما قيل له ، ••• وأرسل الى كاتب الرسائل ، ومعه قدحان من نبيذ وخروف ••• ومغنية مصرية ••• بغية أن تسترضيه •

هذا وتبدو حجة «ون ـــ أمون» واضحة قوية ، وذلك حين يسأله أمير جبيل (بيبلوس) عن تلك الرحلة الساذجة التى كلف بالقيام بها ، فيرد عليه بحجج قوية ، منها أنه لم يأت فى رحلة ساذجة ، لان «أمون رع» ملك الآلهة وسيد الكون ، هو الذى أرسله ـــ كما أرسل معه كذلك «تمثال أمون الطريق» ، ومن ثم فيجب على «بعل زكار» ألا يطالب بذهب أو فضة ، لان «أمون رع» يستطيع أن يكافأ بالحياة والصحة ، ومع ذلك فان أمير بيبلوس يستطيع أن يرسل أحد رسله الى مصر ، فيدفعون له الدين، وكان من نتيجة تلك المناقشات الفذة أن الامير العنيد لم يوافق فقط على ارسال أحد رسله ليحصل على الثمن ، وانما أرسل كذلك سبع كتل من خشب الارز مقدما قبل الدفع ، كما يبدو ذكاء «ون ـــ أمون» وقوة اقناعه فى اقناع أمير بيبلوس بأن يقدم لوحة يسجل فيها ما قام به نحو أمون ،

---

(٢٤) انظر عن الثيكر (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ـ الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٧٢ ـ ١٧٤) •

بل وقد استطاع «ون — أمون» أن يوضح لأمير جبيل مدة قوة سيده «حريحور» ومكانته ، يبدو ذلك واضحا من أن أمير جبيل يقول له فى أول حديثه : لست خادما لمن أرسلك ؟ ، ثم هو فى نهاية الحديث ، وبعد أن بين له ضرورة عدم امداده بما يطلبه أمون ، فاذا به يقتنعه بضرورة انجــاز ما طلبه ويقول له : اذا ما وصلت الى المكان الذى فيه الكاهن الاكبر لأمون (يقصد حريحور) ، ورأى أن طلبه قد أنجز فسوف تنال جزاء ما أديت» .

ثم تظهر لنا القصة مدى اهتمام المصريين بأعيادهم الوطنية — حتى فى أرض الغربة — مما يدل على تمسكهم بالتقاليد حتى فى السفــر ، اذ يقول «ون -أمون» : احتفلت بعيد فى فساط على شاطىء البحر فى ميناء كبن . هذا فضلا عن الاشارة الى عالمية أمــون ، واعتراف أهل الشرق بسلطانه العالمى ، يقول أمير بيبلوس (جبيل = كبن) على لسان «ون — أمون» : لقد أنشأ أمون كل البلاد ، بعد أن أنشأ أرض مصر من قبل » ، وبدهى أن هذا انما هو اعتراف صريح من الاجانب بسلطان أمون ، فضلا عن أسبقية مصر على غيرها من الارضين ، وأخيرا يشير النص الى قــوة أمون ومدى سلطانه ، يقول ون أمون لامير جبيل : ان البحر ملك لأمون ، وان لبنان التى تقول أنها ملك لك انما هى ملك لآمون » ، ثم يقول : أمون سيد لنا ، وما أنت الا خادم لآمون» .

هذا ويظهر النص كذلك مكانته الثقافية والفنية ، ومن ثم نرى «زكار بعل» انما يوافق على أن أمون هو سيد الكون ، وخالق كل المدنيات ، وأن المدنية انما جاءت الى فينيقيا (لبنان) من مصر ، وأن أمون قــد أسدى الخير لكل البلاد ، ومن قبل أسداه الى مصر التى أتيت منها ، لقد أتت الفنون منها الى مكانى ، لقد أتت الحكمة منها الى مكانى (بلاده) ، كما توضح القصة العلاقات التجارية بين مصر ودول الشرق الادنى القديم ، ذلك أن أمير بيبلوس انما يخبر «ون — أمون» انه توجد فى مينائه عشرين سفينة تقوم بربط العلاقات التجارية مع «سمندس» (نسى بانب دد) ، ثم كان فى مصر ممثلون تجاريون ، اذ أن هناك خمسين سفينة تعمل مع «كاكمن» — وهو اسم أحد الفينيقيين الذين كانوا يقيمون فى «تانيس»

ويعملون فى التجارة وشحن وتفريغ السفن ، ثم هناك سجلات كانت عند أمير ببيلوس خاصة بعمليات الاستيراد ، أما عن المنتجات التى كانت تصدر من مصر ، فقد عددها «ون أمون» ، ونستنتج منها أن مصر كانت تتمتع بمحاصيل مختلفة ، يمكن تصديرها الى الخارج ، وعلى رأسها المواد الغذائية(٢٥) .

ولكن القصة ــ من ناحية أخرى ، انما تدل على مدى انهيار النفوذ المصرى فى غربى آسيا ، فلقد انتهى الوقت الذى كان يسجد فيه أمراء غربى آسيا أمام ملك مصر ، ويمرغون جباههم فى التراب ، طالبين منه أن يمنحهم نسيم الحياة ، وانتهت أيضا تلك الايام التى كان فيها سكان تلك البلاد يبادرون لتلبية أية اشارة تأتى من مصر ، فقد كانت آخر أيام عهد فلسطين بمصر وفينيقيا بالنفوذ المصرى ، أيام أن كانت جيوش رعمسيس الثالث (١١٨٢ ــ ١١٥١ ق.م) تجول خلال الديار الشامية وتحميها من اذلال شعوب البحر لها ، وحبهم لنهب أموالهم وسفك دمائهم، وهانحن الآن فى أخريات أيام الاسرة العشرين (١١٨٤ ــ ١٠٨٧ ق.م) ولم تكد تمضى سبعون عاما على وفاة رعمسيس الثالث ، حتى نرى مبعوث مصر عرضة للسخرية ، بل ولسرقة أمواله وأمتعته ، فاذا ما أشار الى حق مصر ، وحق أمون ، لم يجد الا ابتسامة الاستهزاء من حاكم جبيل ، الذى رفض مساعدته ، بعد أن نهبه اللصوص ، وأخذوا الاشياء التى كانت معه، والتى جاء بها من مصر ليقدمها ثمنا للاخشاب التى كان يود الحصول عليها .

وفى الواقع أن القصة رائعة ، ما فى ذلك من ريب ، فقد صورت لنا حالة البلاد السياسية والاجتماعية والتجارية ، فهى مرآة لذلك العصر وما فيه من أحداث فى الداخل والخارج ، وبالاختصار فهى تصور مدى ضعف فرعون مصر «رعمسيس الحادى عشر» (١١١٤ ــ ١٠٨٧ ق.م)، وانقسام سلطاته بين حريحور فى طيبة وسمندس فى تانيس ، كما أنها توضح الى أى مدى أصيب النفوذ المصرى فى الخارج ، وضياع

---

(٢٥) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٧٩٧ ــ ٧٩٨ .

الامبراطورية المصرية التى أقامها التحامسة ، وجهد الرعامسة فى الحفاظ عليها •

واذا ما أردنا شيئا من الايضاح لهذه الظروف التى كتب على الكنانة أن تمر بها فى هذه الايام النكدة ، فيمكن القول أن السلطات فى مصر كانت فى أخريات أيام رعمسيس الحادى عشر وقد قسمت بين « حريحور » و «نسى بانب دد» (سمندس) ، وأن رعمسيس الحادى عشر كان قد استقر غالبا فى «منف» ، حيث بقى هناك الى وفاة حريحور ، ثم عاد الى طيبة حيث استرجع بعض سلطته ، وان كان هناك من يرى أن «نسى بانب دد» قد طرد الفرعون من عاصمته فى الدلتا ، وبسط نفوذه عليها بأكملها ، فهرب رعمسيس الحادى عشر الى عاصمته الدينية « طيبة » (الاقصر) وذلك فى السنة الخامسة من الحكم (حوالى عام ١١٠٩ ق•م) وتعاون هناك مع رئيس الكهنة على بسط نفوذه على الصعيد والنوبة ، بينما رجح فريق ثالث فرار رعمسيس الحادى عشر من الشمال،واغتصاب حريحور العرش ، اعتمادا على أن زوجته من أصل ملكى[٣٦] •

وأما من الناحية الخارجية ، فليس هناك من دليل واضح على أن مصر قد احتفظت بسلطانها كاملا على فلسطين وسورية ، بعد وفاة رعمسيس الثالث ، صحيح أنه قد عثر على جعارين لرعمسيس الرابع (١١٥١ — ١١٤٥ ق•م) فى تل الصافى وتل زكريا وتل جازر ، ولرعمسيس السادس (١١٤١ — ١١٣٤ ق•م) فى تل أسانة بسورية ولكنه صحيح كذلك أن وجود مثل هذه الاشياء الصغيرة لا تدل على معان قوية لها من قيمة من ناحية سلطان مصر فى غربى آسيا ، ونفس الشىء يمكن أن يقال على وجود قاعدة تمثال من البرونز لرعمسيس السادس فى « مجدو » ويبدو أن فلسطين (خارو) ظلت تابعة لمصر فترة من الوقت بعد عهد رعمسيس الثالث ، ولكن الفراعين لم يتمكنوا من منع «البلست» (الفلسطينيين

---

(٣٦) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٤ ـ ٣٤٩ ، وكذا
J. Cerny, Hrihor, and Ramesses, XI, in The Cambridge Ancient History, Vol, II, Part, 2B,, Cambridge, 1975, p. 635-643.

الهنـدو ـ أوربيين) الذين تسمت البـلاد باسمهم ، من احتلال المدن الساحلية لأرض كنعان ، كما تمكن «الثيكر» (زكار) من تكوين دويلة صغيرة فى ناحية «دور» جنوبى الكرمل •

وعلى أى حال ، فان الامور قد تغيرت فى آسيا بالنسبة لمصر ، وحتى رأينا حاكم جبيل (بيبلوس) يعتقل رسلا مصريين فى عهـد رعمسيس التاسع مدى سبعة عشر عاما ، دون أن يسمح لهم بالعودة الى مصر ، وان يغير وجود قطعة من آثار رعمسيس التاسع فى جـازر ، حقيقة أن العلاقات بين مصر ومستعمراتها الاسيوية شديدة الضعف ، بل ليس هناك من دليل على وجود فعلى لهـذه المستعمرات فى تلك الفترة ، نرى ذلك واضحا فى «رحلة ون ـ أمون» موضوع الدراسة ، والذى ذهب ، كما رأينا ، مبعـوثا عن كهنة آمون لشراء خشب الارز من بيبلوس فى عهد رعمسيس الحادى عشر ، ولم ينجز مهمته الا بعد مساومات مهينة مع أمير بيبلوس ، وهكذا تقدم لنا قصة «ون ـ أمون» دليلا على اضمحلال النفوذ المصرى فى غربى آسيا ، بل على سرعة التدهور الداخلى بعد موت رعمسيس الثالث ، مما يدل على ضياع النفوذ المصرى فى سورية وفينيقيا أما نفوذ مصر فى فلسطين فقد كان صوريا تتناقله ألسنة حاشية فرعون فى البلاط الملكى المصرى[٢٧] •

---

(٢٧) PM, VII, p. 381.
J. Cerny, Op-Cit, p. 614-615.
A. Gardiner, T. Peet and J. Cerny, Op-Cit, II, 1952, p. 192.

٨ ـ قصة الامير المقدور عليه

كتبت قصة هذا الامير المقدور عليه ، أو الامير الذى تلاحقه يد القدر ، على بردية هاريس رقم ٥٠٠ والمحفوظة الآن بالمتحف البريطانى ، وترجع الى أيام الدولة الحديثة ـــ عصر الاسرة التاسعة عشرة ، وقد تهشمت نهايتها ، وأما أسلوبها فيشبه أسلوب «قصة الاخوين» ، والتكرار فى عباراتها واضح ، شأن قصص الدولة الحديثة ، وعلى أية حال ، فهى قصة خرافية ، واذا حذفنا منها التمساح وغيرنا الاسماء كانت أشبه بقصصنا الخرافية الحديثة .

هذا وقد اهتم بنشر القصة كل من « بدج »[١] و « مولر »[٢] و «جاردنر»[٣] ، كما قام بترجمتها والتعليق عليها كثير من علماء المصريات من أمثال بييت[٤] وجريفث[٥] وماسبيرو[٦] ولوفيفر[٧] وسكوت[٨] وبرونر ـــ تروت[٩] ، ووينتى[١٠] وشبيجلبرج[١١] ، وارمان[١٢] وبيبر[١٣] وهرمان[١٤] وبوزنر[١٥] وغيرهم[١٦] . هذا فضلا عن عدة ترجمات

---

(١) E. A. W. Budge, Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in The British Museum Second Series, London, 1923, Pls. 48-52.
(٢) G. Moller, Lesestucke, II, 1961, p. 21-24.
(٣) A. H. Gardiner, LES, 1932, p. 1-9.
(٤) T. E. Peet, in JEA, 11, 1925, p. 227-229.
(٥) F. L. Griffith, in The World's Best Literature, p. 52 F.
(٦) G. Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt, p. 185-186
(٧) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 114-124.
(٨) S. Schott, Op-Cit, p. 188-192.
(٩) E. Brunner-Traut, Op-Cit, p. 24-28.
(١٠) E. F. Wente, Op-Cit, p. 85-91.
(١١) W. Spiegelberg, ZAS, 64, 1929, p. 86-87.
(١٢) A. Erman, LAE, 1927, p. 161-165, and The Ancient Egyptians, p. XXXII.
(١٣) M. Pieper, ZAS, 70, 1934, p. 95-97.
(١٤) A. Hermann, in Melanges Maspero, I, p. 313-325.
(١٥) G. Posener, JEA, 39, 1953, p. 107.
(١٦) J. Cerny, in ASAE, 41, 1942, p. 336-338.
وكذا Girgis Mattha, ASAE, 51, 1951, p. 269-272.

عربية للقصة ، كليا أو جزئيا[١٧] •

وتتلخص القصة فى أن أحد ملوك مصر لم يرزق بولد ، فابتهل الى الهه أن يرزقه صبيا ، فأجاب الاله سؤله بعد أمة . ولكن قدر على الصبى أن يموت بحادث من حوادث ثلاثة ، يكره الناس أن تصيبهم ، فاما أن يبتلعه تمساح ، واما ان تنهشه حية ، واما أن يعضه كلب ، وكان أبوه يعرف ذلك ويشفق من وقوعه ، فاحتاط للامر ما وسعته الحيطة ، حتى انه بنى لولده هذا قصرا فى الصحراء ليكون بعيدا عن أعدائه ، ولما بلغ الصبى أشده صعد ذات يوم على سطح القصر فلمح كلبا يسير وراء رجل ، وطلب أن ياتوا له بواحـــد مثله ، وظل حــزينا حتى سمح له أبوه بأن يحضروا له كلبا صغيرا •

وشب الصبى وأصبح رجلا ، وأراد الخروج يضرب فى أرض الله حيث يشاء ، وانتهى به المطاف الى وادى النهرين ، فى نهارينا ، وعليها يومئذ ملك له بنت جميلة أقسم ألا يزوجها الا لمن يمهرهــا بضرب من ضروب البطولة ، وذلك أن يقفز طالب يدها الى شرفة قصرها التى ارتفعت عن الارض ستة وخمسين ذراعا ، واستعصى أمر ذلك على جميع الذين طلبوها من أبناء الملوك والامراء من أبناء الشرق ، الا على ذلك الامير المصرى ، ولما وصل الخبر الى أبيها الملك سال عنه ، فقيل له : انه ضابط مصرى ، هرب من وجه زوجة أبيه ، فاستولى الغضب على زعيم نهرين وقال : وهل يظن ذلك الهارب من مصر أنى سأزوجه ابنتى ، لابد أن يرحل فى الحال ، فذهبوا ليخبروا الامير بذلك قائلين : عليك أن ترحل الى حيث كنت ، ولكن الفتاة أمسكت به وأقسمت بالاله قائلة : اقسم بالاله «رع حار أختى» بأننى سأمتنع عن الاكل ، وسأمتنع عن الشرب ، حتى أموت اذا انتزعوه منى ، وذهب رسول يخبر الاب بما قالت ابنته ، فأرسل الاب رجالا ليقتلوه ، ولكن الفتاة قالت لهم : اقسم بالاله رع بأنهم اذا قتلوه

---

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٧ ـ ٩٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٠ ـ ١٠٥ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ، جوستاف لوفيفـر : المرجع السابق ص ١٧٨ ـ ١٨٧ •

لأكونن فى عداد الاموات عند غروب الشمس ، فأنا لا أطيق أن أظل على قيد الحياة لحظة واحدة بعده ، فذهب الرسول ليخبر الاب بما قالت ابنته فلم يجد الاب مفرا بعد ذلك من أن يوافق على الزواج ، فأحضر الشاب وابنته أمامه وأظهر لهما احترامه وتقديره ، وقبل الشاب وضمه الى صدره ثم قال له : أخبرنى بحالك ، لانك أصبحت بمثابة ابن لى ، فأجاب الشاب : أنا ابن ضابط مصرى ، ماتت أمى واتخذ أبى زوجة أخرى ، أخذت تسومنى سوء العذاب ، حتى لم أعد استطيع العيش معها فى بيت واحد ، فهربت من وجهها ، وبعد أن استمع الملك له أعطاه ابنته زوجة له ، ومنحه منزلا وحقولا وقطعانا من الاغنام وكل ما كان يشتهى» •

وهكذا تزوج الامير المصرى بأميرة نهرين ، التى أحبته وأخلصت له ومن ثم فقد كشف الامير المصرى لزوجه عن سوء مصيره الذى خط له فى لوح القدر ، وأنه سيموت عن طريق تمساح أو حية أو كلب ، فطلبت منه زوجته أن يقتل الكلب الذى معه فأبى ، وسهرت الاميرة على حياة زوجها، وبذلت فى سبيل ذلك كل ما استطاعت ، ولكن الحذر لا يغنى من وقوع القدر ، فمات الامير من عضة كلب •

وتشير وقائع القصة بعدئذ الى أثر الصلة بين مصر وبلاد الشرق يومئذ ، فالامير الصبى قد لقى فى البادية أناسا يفهمون عنه ، ويتكلمون بلسان مصر ، وليس هذا بغريب ، فقد كان مما يعاب عند الكتاب المصريين وقت ذاك أن يجهل أحدهم طرق السفر أو لغة التخاطب مع جيرانه،ونقرأ فى ورقة انستاسى الاولى عن كاتب يلوم زميله ويعيره بأنه لا يعرف الطريق الذى يخترقه الى سورية ، وفى القصة أيضا ما يصور آمال الوالد ولهفته حين ينتظر الولد ، وقد طال شوقه اليه ، ثم هلعه واشفاقه حين تحدثه النفس بما يمكن أن يصيب الولد من مكروه ، وتصور حياة الفروسية التى كان يحياها امراء الشرق فى ذلك الوقت ، فهم لا يطمعون كثيرا فى المال وانما تستهويهم البطولة ، فيجدون أصحابها ، وينتظرون منهم أن يأتوا بكل معجز من الامر ، وأخيرا فان القصة انما تصور كذلك أخلاق الامير وزوجه ، فالامير يعرف نوع الميتة التى تنتظره على يدى

تمساح أو كلب ، ومع ذلك تأبى أخلاقه ويأبى وفاؤه أن يقتل الكلب لما عرض عليه ذلك ، حرصا على حياته ، حتى بعد أن أعدم التمساح والثعبان لان الكلب قد تربى فى ظله فلم ير من الشهامة أن يزهــق روحه ، وقد أظلهما سقف واحد ، والزوجة تمثل الاخلاص النقى الطاهر ، فهى هى تسهر على حماية زوجها ، وتحرص على حياته ، وتنتظر رحمة ربه ، فى الوقت الذى أسلم نفسه لمصيره المحتوم ، وطبقا لما جــاء فى القصة ، فالزوجة هى التى قتلت الثعبان الذى كان يتربص به المنون ، وهى التى أشارت عليه بقتل الكلب فأبى ، وهى التى كانت تبعث فيه الامل فتقول : ان ربك قد خلصك من أحد أعدائك ، وسينجيك من الاخرين •

وبدهى أن من يرى هذا الموقف الطاهر النبيل الذى وقفته هذه الزوجة من زوجها،ويقرنه بموقف الخسة الذى وقفته الزوجة مع زوجها «باتا» فى قصة الاخوين ليأخذه العجب من الاختلاف الكبير بين الموقفين،تبعا لاختلاف المعدنين ، فالناس دون شك معادن ، ولا يبعد أن يكون كاتب هذه القصة هو نفسه كاتب قصة الاخوين ، وقد صور لنا النقيضين ليرينا أن المرأة لا تكون دائما شرا ، ولا تكون دائما خيرا ، بل انه اذا صفا جوهرها كانت مخلصة شديدة الاخلاص ، واذا خبث معدنها كانت خائنة ، بل فاجرة فى الخيانة ، وأن الطبائع البشرية تختلف باختلاف الانسان وأصله(١٨) •

---

(١٨) احمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٧ ــ ٩٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٠ ــ ١٠٥ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ • جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٨٢ ــ ١٨٧ وكذا

G. Mattha, Op-Cit, p. 269-272.
A. Erman, Op-Cit, p. 161-165.
E. F. Wente, Op-Cit, p. 85-91.
G. Lefebvre, Op-Cit, p. 117-124.
A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 1-9.
G. Posener, Op-Cit, p. 107.
Mirian Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976, p. 200-203.

الفصل الرابع

ادب الاناشـــــيد

كان للدين أثر كبير فى مصر القديمة ، وقد أدى ذلك ـ فى موضوعنا ـ الى وجود الكثير من الاناشيد التى كان القوم يرددونها فى المناسبات الدينية المختلفة ، والتى وجدت مسطرة على بعض المقابر والاهرامات ، فضلا عن نصوص التوابيت فى الدولة الوسطى ، وكتاب الموتى فيما أتى بعد ذلك من عصور ، الى جانب العديد من الاناشيد التى قيلت فى مدح المعبودات المختلفة ، وسوف نكتفى هنا ببعض الاناشيد التى قيلت فى آمون وآتون •

أولا : من أناشيد امون

كان «أمون رع» فى عصر الدولة الحديثة هو اله الامبراطورية المصرية التى تكونت تحت لوائه ، وسيد الآلهة طرا ، ومن ثم فقد نسب اليه أنصاره كل ما يليق به ، فأعطوه الصفة العالمية ، وردوا اليه ربوبية النشأة الاولى ، كما ردوا اليه ربوبية النشأة الاخيرة ، واعتبروه ربا للوجود ، ذلك أن «أمون»[1] انما قد أصبح ـ طبقا لتعاليم مدرسة طيبة ، التى تأثرت بمدرسة الاشمونين[2] ـ هو الاله الذى خلق بقية التاسوع ـ مع أنه أحد الآلهة الثمانية فى الاصل ـ •

ولما ابتغى شعراء القوم أن يمجدوه نسبوا اليه صفات الاله «مونتو»[3] ـ اله الحرب القديم ـ ونعوت الاله «تحوت»[4] ـ رب الدولة وحامى عرشها القديم ، ونسبوا اليه سيطرة وهيمنة على ماامتدت

---

(١) انظر عن «أمون» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية ٣٠٧/٢ ـ ٣١٣ ـ الاسكندرية ١٩٨٤) •

(٢) انظر عن نظريات المدارس المصرية (عين شمس والاشمونين وطيبة) عن فكرة الخلق فى مصر القديمة (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٤٣ ـ ٢٦٥) •

(٣) انظر عن «مونتو» (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٢١ ـ ٣٢٢) •

(٤) انظر عن «تحوت» (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣١٣ ـ ٣١٥) •

اليه آفاقهم السياسية والحضارية من اقطار العالم القديم[٥] ، ومن ثم فقد وصف بأنه : «سيد بلاد المدجا ، وحاكم بونت ، أتوم الذى خلق البشر ، ونوع هيآتهم ، وصنع حياتهم ، وفرق ألوانهم ، جميل الوجه ، الذى جاء من ارض الاله فى الشرق .... لك ابتهالات كل بلد أجنبى ، حتى عنان السماء ، والى آخر الارض ، والى أعماق البحر الاخضر الكبير ... الواحد المنفرد ، الذى لم يكن له كفؤا احدا .. الذى يعيش على الحق كل يوم»[٦] .

وهناك من عهد الملك «أمنحتب الثانى» (١٤٣٦ ـ ١٤١٣ ق.م) بردية محفوظة فى المتحف المصرى وتحتوى على «نشيد أمون رع الكبرى» ، وعنوانها : «تحية أمون رع ، ثورايون ، سيد جميع الآلهة ، الاله الطيب المحبوب ، الذى يعطى الحياة لكل من تدب فيه ، ولكل كائن صالح»، وقد جاء فى المقطوعة الاولى منها :

«الحمد لك ، يا أمون رع ، يارب الكرنك ، المسيطر فى طيبة ، ثور أمه ، والاول فى حقله ، واسع الخطى سيد الصعيد ، ورب أرض الماتوى (قوم فى بلاد النوبة) وأمير بونت ، أكبر من فى السماء ، وأسن من فى الارض ، رب الكائنات ، حفاظ كل شىء ، وباق فى كل شىء ، الوحيد فى طبيعته ... بين الآلهة ، ثور تاسوع الآلهة ، كبير كل المعبودات ، رب الحق ، والد الآلهة ، الذى برأ البشر ، وخلق الحيوانات ، رب كل ما هو كائن ، الذى ينبت الفاكهة فى الشجر ، وينشىء الاعشاب الخضراء للماشية» .

«وهو الصورة البهية التى خلقها بتاح ، جميل الطلعة ، الولد المحبوب الذى تمتدحه الآلهة ، هو الذى صنع ما على الارض ، وخلق ما فى السماء، هو الذى يضىء الارضين (مصر العليا ومصر السفلى) ويخترق السماء

(٥) عبد العزيز صالح : الوحدانية فى مصر القديمة ـ المجلة ـ العدد ٣١ ـ القاهرة ١٩٥٩ ص ١٤ .

(٦) J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 211.

وكذا A. Erman, The Literature of Ancient Egyptians, London, 1927, p. 283.

فى سلام ، ملك مصر العليا (الصعيد) ومصر السفلى (الدلتا) ، رع المبجل ، زعيم الارضين ، عظيم القوة ، رب المقدرة ، صاحب الامر ، الذى برأ الارض قاطبة ، أقوى من كل اله آخر ، الذى تبتهج الآلهة بجماله ، الذى يقدم له الحمد فى البيت العظيم (هيكل فى نخن = البصيلية) ، المتوج فى بيت النار (هيكل فى بوتو = ابطو) ، الذى تحب الالهة رائحته الطيبة ، عندما ياتى من بونت» ، الذى تتضوع رائحته عندما يأتى من أرض الماتوى ، جميل المحيا عندما يأتى من أرض الاله» . «وهو الذى يسجد الالهة عند قدميه ، عندما يعلمون أن جلالته ، هو سيدهم ، رب الخوف والرهبة ، ذو الارادة القوية ، والطلعة البهية ، من كثرت لديه الاقوات ، الذى يخلق ما يعيش عليه الناس ، الابتهال لك يا من خلقت الآلهة ، ورفعت السماء ، وبسطت الارض»[7] .

وهناك أنشودة أخرى من عصر «أمنحتب الثالث» (١٤٠٥ — ١٣٦٧ ق.م) ، كتبها شقيقان توأمان ــ هما سوتى وحور ــ كانا يعملان مهندسين معماريين فى طيبة ، الواحد فى طيبة الشرقية ، والاخر فى طيبة الغربية ، ويتعبدان فيها للاله أمون ، وقد جاء فيها :

«لك الحمد ياشمس كل نهار ، يامن تشرق فى غير فتور فى كل صباح ، أنت «خبرى» الذى يجهد نفسه فى العمل ، يفوق جمال أشعتك بريق الذهب الوهاج ، أنت «بتاح» صانع مصور لنفسك بنفسك ، أنت من تفرد بذاته وصفاته ، مخترق الابدية ، ومرشد الملايين الى سواء السبيل ، يراك الخلق عندما تذرع فى السماء ، ولا يدركون كيف مسيرك ، انك تذرع الكون بغير قيد ، ونهار الناس من تحتك ، فاذا ما استويت فى غرب الدنيا ، دانت لك ساعات الليل ، واذا ما طويتها استقبل الكون نورك ، وسعى الخلق فى الدنيا بأمرك» .

---

(٧) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤١٥ ــ ٤١٧ ، سليم حسن : الادب المصرى القديم ــ الجزء الثانى ــ القاهرة ١٩٤٥ ص ٩٤ ــ ١٠٠ ،
A. Erman, Op-Cit, p. 282-288.
G. Roeder, Urkunden Zur Religion des alten Agyptens, p. 4F.
A. Scharff, Ag. Sonnenbeder, p. 61 F.

«لك المجد يا أتون النهار ، يا خالق الخلق ورازقهم ، أنت أيها الصقر الكبير ، ذو الريش المختلف الالوان ، الذى ولدت لتنشىء نفسك ، الذى جئت من نفسك بنفسك دون أن تولد ، أى حور المسن فى وسط آلهة السماء ، ذلك الذى تصعد نحوه البهجة فى شروقه وغروبه معا ، يا خالق ما تنتجه الارض ، أنت خنوم امون البشر ، الذى تملك القطرين من أكبر الاشياء الى أصغرها» .

«أنت أم نافعة للآلهة والبشر ، أنت الخالق الطيب الذى يتعب نفسه من أجل مخلوقاته ، راع شجاع يسوق ماشيته ، وهو ملاذها ومدبر حياتها الرب الاوحد الذى يصل الى أطراف الكون كل يوم ، يرعى كل ما فيه من دابة ، أنت يا من تشرق فى السماء ، يا من ينير العالمين بكوكبه ، مبدع الفصول والأهلة ، فالحرارة عندما تريد والبرد عندما تشاء ، أنت يامن يطوى الاعضاء ويحتضنها ، كل بلد يتوسل اليه عند طلوعه ، ليسبح بحمده»[8] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن الاخوين — سوتى حور — انما يصفان الله الشمس — والذى أخذ أمون رع صفاته — بصفات ذات علاقة بعصر الثورة الاجتماعية الاولى ، ومن ذلك وصف الاخوين لأمون فى صورة الله الشمس بأنه « راع شجاع يسوق ماشيته ، وهو ملاذها ومدبر حياتها » ، وهو وصف يرجع بنا الى عصر النصائح التى وجهت الى الملك الاهناسى «مرى كارع» ، حيث وصف الناس هناك

---

(٨) أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ١٢٣ — ١٢٤ ، أحمد بدوى : فى موكب الشمس ٢/٨٠٥ ، وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 275-276.

وكذا A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 217.

وكذا F. Daumas, le Civilisation de L,Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 315.

وكذا BIFAO, XLI, p. 25 F.

وكذا J. A. Wilson, Op-Cit, p. 211.

بأنهم «رعايا الاله» (قطعان الاله)[٩] ، كما يرجع بنا مرة أخرى الى نفس العصر ، حيث نرى فى «تحذيرات الحكيم ايبو ــ ور» وصف الاله بأنه «راع للناس كافة»[١٠] •

والامر كذلك بالنسبة الى ذلك النعت الخطير ، الذى يصف اله الشمس بأنه «أم نافعة للآلهة والبشر» ، ذلك لانه يحمل بين ثناياه فكرة مشابهة تشعر بالاهتمام ببنى البشر ، أى أن النواحى الانسانية فى سلطان اله الشمس ، الذى اشترك فى ايجادها بوجه خاص رجال الفكر فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى لم يختف بين العوامل السياسية القوية لذلك التسلط العالمى الجديد[١١] •

ثانيا : من اناشيد اخناتون لالهه اتون

١ ــ الانشـــودة الصغـــرى :

ليس هناك مقابر فى مصر أكثر ازدحاما بالنصوص المنقوشة من مقابر العمارنة ، التى كان أصحابها من أشراف البلاط الاخناتونى مولعين بأن يرسموا فوق جدرانها ما كانت عليه علاقاتهم مع مليكهم ، ومن ثم فان كثيرا ما كانوا يشيرون الى ذلك المذهب الجديد ، بفقرات وجمل كانت شائعة الاستعمال وقت ذاك ، أصبحت فى نهاية الامر تكون مجمل مذهب اخناتون ، كما فهمه الكتاب والرسامون الذين قاموا بزخرفة تلك المقابر •

ومن هنا فقد كان علينا ألا ننسى أبدا ، أن البقية الباقية من مذهب

---

(٩) يقول النص : «البشر رعايا الاله ، خلق السماء والارض وفق رغبتهم ، وأجرى المياه دافقة لهم ، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم ، وهم الصورة التى خرجت من أعضائه ، وهو يرتفع فى السماء ليلبى رغبتهم ، وخلق العشب والماشية والطيور والاسماك ليقتاتوا بها ، وهو الذى ذبح أعدائهم ودمر أطفالهم ، بسبب مادبروه حينما قاموا بالعصيان ، ويشعر بالفجر حسب رغبتهم ، ويعبر السماء ليراهم ، ويسمعهم حين يبكون ، ويعمل لهم حكاما فى البيضة (أى تعهدهم منذ صغرهم) ليكونوا سندا لظهور ضعفائهم» (انظر

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 417.
A. H. Gardiner, in JEA, I, 1914, p. 34.

(١٠) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 167.

(١١) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, p. 277.

آتون ـ والتى وصلت الينا عن طريق جبانة العاصمة أخيتاتون ـ انما قد مرت بشكل آلى بأيدى فئة قليلة من الكهنة المهملين غير المدققين ، ذوى العقول الخاوية الفاترة ، ممن لم يخرجوا عن كونهم أذنا لحركة عقلية دينية عظيمة(١٢) •

وليس هناك من شك فى أنه ـ ماعدا الانشودة الكبرى ، التى وجدت منقوشة على مقبرة «آى» (الملك آى فيما بعد) ـ فان الرسامين انما كانوا قانعين فى غالب الامر ، بالقطع والنتف التى نقلت فى بعض الاحايين من الانشودة الكبرى نفسها ، أو من قطع أخرى ، ويضعونها مرتفعة فى هيئة أنشودة صغرى ، أصبحت الآن ذات قيمة علمية كبرى بسبب ضآلة معلوماتنا عن دعوة اخناتون •

وعلى أى حال ، فلقد عزيت تلك الانشودة فى أربع حالات الى الملك نفسه ، أى أن الملك يشاهد ، وهو ينشدها أمام آتون ، وهاك نصها :

«أنت تشرق فى بهاء أفق السماء ، أى أتون الحى ، أنت متلألىء وقوى وجميل ، وحبك عظيم وكبير ، أشعتك تمد بالبصر كل واحد من مخلوقاتك، ولونك الملتهب يجلب الحياة الى قلوب البشر ، عندما تملأ بحبك الارضين، ايه أيها الاله الذى سوى نفسه بنفسه ، خالق كل أرض ، وبارىء كل من عليها وما عليها ، ان الناس وقطعان الماشية والغزلان والاشجار التى تنمو فوق البرية انما تحيا جميعا عندما تشرق عليهم» •

«أنت أب وأم لكل من خلقت،عندما تشرق فان عيونهم ترى بواسطتك، أن أشعتك تضىء العالم كله ، وعندما تشرق ينشرح كل قلب لانك سيدهم، وعندما تغرب فى أفق السماء الغربى ، فانهم ينامون وكأنهم أموات ، يلفون رؤوسهم بالغطاء ، وتتقف أنوفهم عن العطس ، حتى يعود شروقك فى الصباح فى أفق السماء الشرقى ، فيرفعون أذرعهم اليك تعبدا» •

---

(١٢) J. N. Breasted, The Dawn of Conscience New York, London, 1939, p. 287.

وانظر محمد بيومى مهران : (اخناتون ص ٣٥٩ ـ ٤٦٢) •

«أنت تجعل قلوب البشر تحيا بجمالك ، لان الناس تحيا عندما ترسل أشعتك ، ويكون الكون كله فى عيد ، لان الغناء والموسيقى وتهليل الفرح انما يكون فى بيت «بن بن» فى معبدك فى أخيتاتون ، مكان الصدق الحائز على رضاك ، حيث يقدم لك الطعام والمؤونة ، ويؤدى لك الطاهر احتفالاتك السارة» •

«ياآتون الحى فى مواكبه البهيجة ، كل ماخلقت يطرب أمامك ، ويفرح ابنك الجليل ، وقلبه مفعم بالسرور ، ياآتون الحى ، المولود كل يوم فى السماء انه يلد ولده الجليل «وع ان رع» مثل نفسه تماما ، ابن رع ، المرتدى جماله ، «نفر ، خبرو ، رع ، وع ان رع»•

«أنا ابنك الذى تسر به ، والذى يحمل اسمك ، ان قوتك وبطشك انما يسكنان فى قلبى ، أنت يا أتون الحى دائما وأبدا ، خلقت السماء العليا لتشرق فيها ، وتشاهد كل ما صنعت عندما كنت وحيدا (ولا شىء غيرك) ، آلاف الآف من الانفس ، موجودة فيـك لتحفظها حيـة ، لان مشاهدة أشعتك هى نفس الحياة الاخرى فى الانوف» •

«ان جميع الازهار تحيا ، وكل ما تنبت الارض ينمو ، لانك تشرق عليهم ، كل الماشية تطفر على أقدامها ، والطيور تخرج من أعشاشها فتطير فرحا ، وأجنحتها التى كانت مطوية تنتشر ، متعبدة لآتون الحى ، أنت يا خالق[١٣]» •

٢ ـ النشـيد الـكبير :

عثر على هذا النشيد فى عام ١٨٨٣م فى مقبرة «آى» (الملك آى فيما

---

(١٣) سليم حسـن : المرجـع السابق ص ٣١٠ ـ ٣١٣ ، محمد عبد اللطيف : فكرة الخلق فى مصر القديمة ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، وكذا Norman de Garis Davies, the Rock tombs of El-Amarna Vol., I, London 1903, p. 49-50. Vol., IV, London, 1906, p. 28-29, Vol, VI, London 1908, Pl. XV.

M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaton, Brussels, 1938, p. 15 F.

بعد ١٣٣٩ – ١٣٣٥ ق.م) ، وهى المقبرة رقم (٢٥) فى جبانة العمارنة[١٤] وقد كان صاحبها «آى» واحدا من رجـالات الدين الجـديد ومن أشد المتحمسين له على أيام «اخناتون» ، وقد لقى هذا النشيد الكبير اهتماما كبيرا من جانب العلماء المحدثين ، لانه يمثل النص الكامل ، الذى امكن العثور عليه حتى الآن ، لأنشودة اخناتون التى كانت دون تلك من عمل اخناتون نفسه ، ومن ثم فهو يعتبر مصدرا أساسيا لذلك المعتقد الجديد .

ولعل هذا كله ، انما كان السبب فى أن علماء الايجبتولوجى – المصريين منهم والاجانب – قاموا بترجمته من النص المصرى الاصلى الى اللغة العربية ، فضلا عن كثير من اللغات الاوربية الحديثة ، ولعل من أشهر من قام بترجمة هذا النص من العلماء المصريين انما كانوا أساتذتنا الاجلاء : الدكتـور سليم حسن[١٥] ، والدكتور أحمد فخـرى[١٦] ، والدكتور عبد المنعم أبو بكر[١٧] – طيب الله ثراهم – والدكتور أحمد بدوى[١٨] ، والدكتور نجيب ميخائيل[١٩] ، والدكتور رشيد الناضورى[٢٠] ، والدكتور عبد العزيز صالح[٢١] ، أطال الله فى أعمارهم وأفادنا بعلمهم ، ووفقهم الى خدمة وطنهم .

---

(١٤) J.D.S Pendlebury. Thell El-Amarna, London, 1935, p. 54-56
N. de G. Davies, Op-Cit, VI. p. 29-31.

(١٥) سليم حسن : مصر القديمة – الجزء الخامس ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٣٠١ – ٣٠٩ .

(١٦) أحمـد فخـرى : مصر الفرعـونية : القـاهرة ١٩٧١ ص ٣٠٩ – ٣١٤ .

(١٧) عبد المنعم أبو بكر : اخناتون – القاهرة ١٩٦١ ص ٩٤–١٠٢ .

(١٨) أحمد بدوى : فى موكب الشمس – الجـزء الثانى – القاهرة ١٩٥٠ ص ٨١٦ – ٨٢٢ .

(١٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم – الجزء الثانى – الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢١٠ – ٢١٤ .

(٢٠) رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا – الكتاب الثالث – بيروت ١٩٦٩ ص ٩٣ – ٩٨ .

(٢١) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم – الجزء الاول – مصر والعراق ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٣١٠ – ٣١٣ .

وأما العلماء الاجانب فلعل من أشهرهم «نورمان دى جارس ديفز»[٢٢] و «جيمس هنرى برستد»[٢٣] ، و «أدولف ارمان»[٢٤] ، و «آرثر ويجال»[٢٥] ، و «هـ. ر. هول»[٢٦] ، و «هـ. شيفر»[٢٧] ، «م. سندمان»[٢٨] ، و «جورج شتاندورف وكيث سيلى»[٢٩] ، و «سير ألن جاردنر»[٣٠] ، «جون ويلسون»[٣١] ، «فرانسوا دوما»[٣٢] ، و «الينور بل دى موت»[٣٣] ، و «سيرل الدرد»[٣٤] وغيرهم[٣٥] .

---

(٢٢) Norman de Garis Davies, the Rock Tombs of El-Amarna VI, London, 1908, p. 29-31.

(٢٣) James Henry Breasted, The Dawn of Conscience. New York, London, 1939, p. 281-286.

وكذا J H. Breasted, A History of Egypt, New York, 1946, p. 371-376.

(٢٤) Adolf Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, p. 288-291.

وانظر : أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة ومراجعة عبدالمنعم ابو بكر ، ومحمد انور شكرى ، القاهرة ١٩٥٢ ص ١٢٧ ــ ١٣٠ .

(٢٥) Arthur Weigall, Histoire De L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, p. 139-140.

وكذا A. Weigall, The Life and Times of Akhenaton, Pharaohs of Egypt London, 1934.

(٢٦) H. R. Hall, The Ancient History of the Near East, London, 1963, p. 306-307.

(٢٧) H. Schafer, Amarna in Rel und kunst, 1913, p. 63-70.

(٢٨) M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaton, Brussels, 1938, p. 93-96.

(٢٩) Goerge Steindorff and Keith C. Seele, When Egypt Ruled The East, Chicago, 1963, p. 214-215.

(٣٠) Sir Alan Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 225-227.

(٣١) John A-Wilson, The Hymn to Aton, in ANET, 1966, p. p. 369-371.

(٣٢) Francois Daumas, La Civilisation De L'Egypte Pharaonique, Paris 1965, p. 322-325.

(٣٣) Eleonoer Bille - De Mot. The Age of Akhenaton, Tranlated from the French, by Jack Lindsay, London, 1965, p. 84-89.

(٣٤) Cyril Aldred, Akhenaten, Pharaoh of Egypt - anew study, London, 1972, p. 131-134.

(٣٥) انظر : أدولف ارمان ، وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية =

وهناك ترجمة للنشيد الكبير :

«تجليك فى أفق السماء بديع ، أى أتون الحى ، يا أصل الحياة وبدئها، انك حين تشرق من جبل النور الشرقى تملأ الارض بجمالك ومحبتك ، انك بوصفك رع تصل الى حدودهم ، وتخضعهم لابنك المحبوب» •

«انك أنت الاله الذى دان الجميع بحبه . أنت عال جدا ، ومع ذلك فان أشعتك تشرق على الارض ، أنت فى وجــوه البشر ، ومع ذلك فلا يستطيع الواحد منهم أن يتكهن بسر قدومك ، حين تغيب فى الافق المغربى، وأن الارض تكون فى ظــلام كالموات ، الليل ينقضى فى غرف النوم ، والرؤوس مغطاة ، لا ترى أعين أصحابها ، تسرق أمتعتهم — حتى وان كانت تحت رؤوسهم — فلا يدركون» •

«الاسود تخرج من أوجارها ، والثعابين تنساب لتلدغ ، والظلام هو الضوء الوحيد ، بينما الارض فى صمت ، لان صانعها يستريح فى الافق ، وتصبح الارض زاهية عندما تشرق فى الافق ، وعندما تضىء فى النهار كآتون ، وأنت تقصى الظــلمة الى بعيد ، وعندما ترسل أشعتك ، فان الارضين (مصر) تصبحان فى عيد ، يستيقظ الناس ويقفون على أقدامهم عند ايقاظك اياهم ، فينظفون أجسامهم ويرتدون ثيابهم ، ويرفعون أكفهم تعبد لطلعتك البهية ، ثم ينتشرون فى الارض ، ليباشر كل منهم عمله» •

«الزهر ونبت الارض ينفتح لمرآك ، وتتملكه النشوة لحياك،والانعام تتراقص على أقدامها ، والطيور فى أوكارها تطــوى أجنحتها وتنشرها تسبيحا لآتون الحى خالقها ، والحملان تقفز على أقدامها ، وكل ما يطير أو يحط تهتز أعطافه لانك تشرق من أجله ، ومن ثم فالارض بأسرهــا عامرة بحبك» •

«السفن تبحر شمالا وجنــوبا ، وتعج الطرق بالنــاس ، والعشب

=

فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٤٤١— وانظر (محمد بيومى مهران : اخناتون — القاهرة ١٩٧٩ ص ٣٥٩—٤٥٩) .

والشجر يتمايل عند ظهور محياك ، والاسماك فى النهر تتراقص لمرآك وأشعتك تنفذ الى أعماق الاخضر العظيم (البحر)» •

«أنت ياه‍ن تجعل سائل الذكر ينمو فى المرأة ، ومن يصنع الماء فى البشر، أنت يا من يأتى بالحياة للوليد ، وهــو فى بطن أمه ، أنت يا من تسكته بتوقف دموعه ، أنت يا من رعيته فى الجسد ، ثم تعطى الهواء ليتنفس كل من خلقت ، انه ينزل من الجسد فيتنفس فى يوم مولده ، أنت يا من تفتح فمه ، وتخلق له مقومات الحياة» •

« أنت يا من جعــل الكتكوت يشقشق فى قشرته ، أنت يا من منحته الحياة ليعيش فيها ، وقدرت له ميقاتا فى البيضة يخرج بعده ، وهو يصيح (يصوصو) بكل ما لديه من قوة ، ثم يسير على قدميه ابان خروجه من البيضة» •

«ما أكثر أعمالك ، انها على الناس خافية ، أنت الاله الواحد الاحد ، الذى ليس معه سواه ، وليس له من نظير ، برأت الدنيا حسب رغبتك ، وكنت فردا ، خلقت البشر والانعام ، وكل ما يسعى على الارض بقدم ، ويحلق فى الفضاء بجناح ، خلقت بلاد خارو (سورية وفلسطين) وكوش (النــوبة) وأرض مصر ، ووجهت كل فرد الى موطنه ، ودبرت للجميع شئونهم ، فأصبح لكل فرد رزقه ، وتعين لكل فرد أجله ، ولظلت الالسنة بينهم فى المنطق متباينة ، والالوان متمايزة ، لانك ميزت بين بلاد وبلاد»•

« أنت تصنع فيضان النيل فى العالم السفلى ، وتأتى به كرغبتك ، لتهب الحياة لأهل مصر ، أولئك الذين صنعتهم لذاتك أنت مولاهم جميعا ، أولئك الذين تنهك نفسك من أجلهم،أنت مولى كل أرض تشرق من أجلها»•

«آتون يا ضوء النهار ، يا عظيم المجد ، بلدانا نائية تهبها الحياة ، وترسل الغيث من أجلها ، لقد صنعت نيلا فى السماء (المطر) حيث يموج الغيث فوق الجبــال كالاخضر العظيم (البحر) ، ويسقى الحقول بين القرى ، ما أجل تدبيرك رب الخلود ، فيضان فى السماء لأهل القفــار وحيوان الفلا ، ومايدب على قدم ، وفيضان سواه لأرض مصر ، يأتى

اليها من دنيا العدم،الأشعة تغذى كل امرىء،وحين تشرق يحيون وينمون من أجلك» •

«أنت تجعل الفصول منتظمة لينجح كل ما صنعت ، جعلت هناك شتاء ليتعرفوا بردك ، وصيفا ليتذوقوا حرارتك ، خلقت السماء بعيدة لتضىء فيها ، ولترى كل ما صنعت ، وأنت وحيد تضىء فى مختلف صورك كآتون الحى ، وتبدو رائعا ومشعا ، وأنت بعيد وقريب ، أنت تجعل من ذاتك وحدك ملايين الصور ، مدنا وقرى ، حقولا وطرقا وأنهارا ، كل العيون ترنو اليك لانك أنت آتون ، الذى يشرق فى النهار على الارض» •

«ليس هناك من يعرفك سوى ابنك «نفر ، خبرو ، رع ، وع ان رع»، فقد جعلته عليما بمقاصدك وقوتك ، انك أنت الذى وهبته الحكمة ، أنت الذى صنعت الدنيا بيديك ، وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم ، اذا ما أشرقت عاش الناس ، واذا ما غربت فانهم يموتون ، انك أنت الحياة ، ولا حياة للناس الا بك ، العيون تستمتع بجمالك حتى تغيب ، فاذا ماغربت فى الافق المغربى ترك الناس أعمالهم كلها ، ولكنك عندما تشرق ثانية يزدهر كل شىء من أجل الملك» •

«الحركة فى كل ساق منذ أن خلقت الارض ، أنت ترفعها من أجل ابنك الذى خرج من صلبك ، الذى يعيش على الحق ، سيد الارضين ، «نفر ، خبرو ، رع وع ان رع ، ابن رع »، الذى يعيش على الحق ، سيد الظهور ، البهى ، اخناتون العظيم فى خلوده ، مع زوجة الملك العظمى التى يحبها ، سيدة الارضين «نفر ، نفرو آتون ، نفرتيتى» ، ألا فلتعش ولتزدهر الى أبد الآبدين»[٣٦] •

مميزات دعوة اخناتون من خلال الاناشيد

هذا هو نشيد اخناتون ــ كما جاء فى مقبرة «آى» فى جبانة العمارنة

---

(٣٦) اعتمدت هذه الترجمة على الترجمات الحديثة ، سواء أكانت هذه الترجمات باللغة العربية أو باللغات الاجنبية ، والتى قام بها العلماء الذين أشرنا اليهم من قبل •

ولعلنا نستطيع ــ قدر الطاقة ــ أن نستخلص منه ــ وكذا من النشيد الصغير ــ عدة حقائق ، تميز دعوة اخناتون ، وفكره الدينى ، عما كان شائعا فى مصر حتى أيامه ، فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد (١٣٦٧ — ١٣٥٠ق٠م) ، وربما الى ما بعد أيامه كذلك ، ولعل من أهم هذه المميزات :

١ ـ الدعوة الى التوحيد :

ان من يقرأ أناشيد «اخناتون» بعناية ، ويقارنها بأناشيد الآلهة المصرية الاقدم منها الباقية لدينا ، انما يستطيع أن يشعر ــ بالرغم من بعض أوجه الشبه البسيطة ــ بمقدار الهوة السحيقة التى تفصلها بعضها عن بعض ، فمن كل الحواشى الاسطورية التى غطت تماما فى الاناشيد القديمة ، قبل اخناتون ، على مجد الاله نفسه ، لا يوجد منها أثر باق ، ذلك لان الامر كله فى أناشيد اخناتون انما ينصرف لأول مرة الى الوحدة وتوحيد الاله الجديد بصفة جدية حقا ، أو بمعنى آخر الى الوحدانية ، حتى انه ليمكننا دون تردد أن نضعه الى جانب الاناشيد الكبرى لأية أمة أخرى[٣٧] ٠

وعلى أى حال ، فان الوحدانية انما تبدو واضحة فى أناشيد اخناتون، فى تلك الصفات التى يصف بها الفرعون الهه «آتون» ، فهو عنده اله واحد أحد ، وذلك حين يقول : «أنت الاله الواحد الاحد ، الذى ليس معه سواه، وليس له من نظير» ، ومن ثم فاننا نرى بوضوح أن اله اخناتون هذا ، انما هو الاله الاوحد ، يعمل وحده دون آلهة وسطاء معه ، ليس له عائلة[٣٨] أو حاشية ، وأن دور اخناتون فى الدعوة ، ربما لا يعدو دور النبى الذى يتلقى الوحى دون وسيط ، «أنت فى قلبى ، ليس هناك من يعرفك سوى ابنك ، قد جعلته عليما بمقاصدك وقوتك ، انك أنت الذى

---

(٣٧) أدولف ارمان ، وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٢٨١، ٤٤١

(٣٨) يختلف آتون فى هذا عن الآلهة المصرية الاخرى ، التى كانت تكون لها عائلة مكونة من ثالوث يتكون من الاله الاب ، والالهة الام والاله الابن ، كما فى «طيبة» حيث يوجد الاله آمون (الاب) والالهة موت (الام) والالهة خونسو (الابن) ، وكما فى «منف ، حيث يوجد الاله بتاح (الاب) والالهة سخمت (الام) والاله نفر توم (الابن) ، وكما فى اليفانتين» حيث يوجد خنوم وعنقت وساتت ، وكذا عائلة أوزير وايزة وحور ٠٠٠ وهكذا ٠

وهبته الحكمة» ، وحتى هذه «البنوة» ، فليست من نوع بنوة أسلافه الجسدية لربهم «آمون» ، عن طريق الزواج الالهى — كما كان البعض منهم يزعمون — وانما هى فى غالب الظن بنوة رمزية ، وهكذا كان «آتون» — فى نظر اخناتون — الخالق الاوحد الذى يوزع القوى الحيوية اليومية على كل الموجودات التى تتجدد ولادتها ، بفضل ذلك ، مع كل فجر(٣٩) .

وفى الواقع ، فان الآتونية — كما يقول سير آلن جاردنر — لم تكن مجرد نظرية طبيعية ، ولكنها كانت توحيدا أصيلا ، وأن العظمة الحقيقية لهذا المصلح تكمن فى الشجاعة الخلقية — وفى جهاده حتى آخـر لحظة من حياته — ليزيح عن كاهل المجتمع المصرى تجمعات النفايات الاسطورية الموروثة من الماضى ، والتى تراكمت على عقله ووجدانه ، حتى أوشكت أن تطمس معالم تفكيره السليم ، ورغم أن هناك من يعتبرها عظمة سلبية ، ولكنها — على أى حال — عظمة ، ليس من العدل أن ننكرها عليه ، فانه لا يمكن مناقضة القول بأن سلوك اخناتون كان أكثر الامور فاعلية فى اثارة سخط أعدائه ، وكان كلما ازداد قوة ، ازدادت الحماسة التى يعمل بها على اضطهاد التقاليد البالية ، التى ظلت دهرا موضع التمجيد(٤٠) .

٢ ـ الدعوة الى دين عـالمى :

وفى هذا المجال ، نرى اخناتون انما يحـاول أن يقدم للبشرية دينا يعتنقه الناس فى كل البلاد ، باذلا الجهد — كل الجهد — فى أن يحل هذا الدين محل القومية المصرية التى التزمها أهل مصر منذ أقدم العصور ، فعاشوا عليها قبل عصر اخناتون ، بحوالى عشرين قرنا مضت من قبل ، ومن ثم فلا غرابة اذا اعتبرنا اخناتون قد سبق العصر الملائم لظهوره بعدة قرون ، ولا غرابة أيضا اذا كان المصرى فى ذلك العصر لم يفهم مغزى ديانة اخناتون ، ولم يستطع التعرف على كنهها ، وهكذا يمكن القول

---

(٣٩) أندريه ايمار ، وجانين أوبوايه : الشرق واليونان القـديمة ، ترجمة فريد داغر ، وفؤاد أبو ريحان ، بيروت ١٩٦٤ ص ٩٧ .

(٤٠) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 227-228.

أن اخناتون انما يمثل عبقرية تم نضجها فى وقت سابق لاوانها وأن ظهورها فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، انما كان ميلادا مبكرا جدا لها(٤١) .

ولعل السبب فى ذلك ، أن أحدا لم يكن يفكر وقت ذاك فى أن العالم وحدة ، أو أن لهذا العالم كله اله واحد يسيطر عليه ، غير أن فكرة الصلة الدولية انما كانت قد نضجت فى مصر فى أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وسرعان ما تمت معها فكرة وحدة العالم ، وللمرة الاولى فى تاريخ هذه الدنيا ظهرت فكرة اله واحد للعالم كله له سلطان امبراطورى ، وتلك هى أقدم صورة فى التاريخ لفكرة التوحيد ، كما وصلت اليها خبرة الشرق القـديم .

وفى هذا الوقت الحرج ، تولى «أمنحتب الرابع» حكم مصر (١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق.م) وكان شابا كثير التفكير ، شجاعا لا يخاف ، أصر على اجبار رعاياه على اعتناق فكرة العالمية الجديدة ، وأن يغرى الناس بعبادة اله واحد ، فكان هذا العمل من جانبه حدثا جـديدا لا مثيل له فى التاريخ البشرى ، ومن ثم فقد أصـدر أوامره الى جميع شعوب الامبراطورية المصرية — بما فيها آسيا وافريقيا — ليعبدوا الها واحدا أسماه «آتون»، وأغلق المعابد وطرد الكهنة ، ليحمل الناس على نسيان دينهم القديم ، وأمر بمحو أسماء هؤلاء الآلهة أينما وجدوا ، وبخاصة فى نقوش المعابد، وكره الشرك فأمر بتكسير علامة الجمع أينما وجدت فى أى نص يذكر كلمة الاله فى صيغة الجمع(٤٢) .

ويؤكد العلامة «برستد» أن الاجل لو امتد باخناتون لأقام عقيدة دينية عالمية مركزها مصر ، ثم تنتشر فى جميع أنحاء العالم ، ويدلل العـالم

---

(٤١) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ١٠٢ — ١٠٣ ، وكذا
J. W. Breasted, The Dawn of Conscience, 1939, p. 289-290
A, Weigall, Histoire De L'Egypte Ancienne, 1968, p. 140.
C. Aldred, Op-Cit, p. 63.

(٤٢) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخرى، القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٧ .

الامريكى الشهير على رأيه هذا ، باقامة اخناتون معابد لعقيدته الدينية فى جميع أنحاء الامبراطورية المصرية(٤٣) .

على أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن عالمية الدعوة فى ديانة اخناتون ، انما كان الهدف منها سياسيا أكثر منه دينيا ، اذ ربمـــا كان المخطط السياسى لاخناتون توحيد جميع رعايا الامبراطورية المصرية وحل عقيدة مقبولة من الجميع تستند الى قوة الشمس نفسها(٤٤) ، حتى أن اسم اله الشمس الجديد (آتون) ، انما كان يوضع فى الطغراء الفرعونى باعتباره شعارا ملكيا مزدوجا(٤٥) .

هذا وربما كان من دوافع اخناتون السياسية ، أن الرجل تطلع الى ما وراء حدود بلاده ، فاذا بالروابط التى استنها أجداده وآباؤه لتوطيد صلات مصر بحلفائها وجيرانها ، عن طريق التلويح لهم ببأسها تارة ، وتنشئة أمرائهم فى العواصم المصرية تارة أخرى ، والاصهار اليهم تارة ثالثة ، قد أوشكت جميعها على الوهن ، ولم يعد بد من أن يحل محلها روابط جديدة(٤٦) .

٣ ـ القضاء على التفرقة العنصرية :

وتبدو هذه الفكرة بوضـــوح ـ لا لبس فيه ولا غموض ـ فى قول اخناتون : «خلقت بلاد خارو ، وكوش ، وأرض مصر» ، ذلك أن الداعية العظيم لم يجد أى حرج فى أن يذكر اسم مصر العظيمة بعد ذكره الشام والسودان ، وهما من موالى مصر ، مادام الخالق الرازق واحدا ، رحيما هنا ، ورحيما هناك ، جوادا هنا ، منعما هناك ، خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم ، وتكفل برزقهم ، وكان معجزا حين وهب

---

(٤٣) J. H. Breasted, Development of Religion and Thoughtion Ancient Egypt London, 1959, p. 332.

(٤٤) جان يويوت : مصر الفرعونية ص ١٣٠ وهكذا

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, p. 320.

(٤٥) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York. London, 1939, p. 296.

(٤٦) عبد العزيز صالح : الوحدانية فى مصر القديمة ص ١٧ .

مصر فيضانا من جوف السماء[٤٧] .

ومن ثم فقد تخلى اخناتون فى دعوته عن الكبرياء ، التى كان ينظر بها المصريون الى تلك الشعوب.، اذ كانوا يعتقدون أنهم وحدهم الناس (أو الرجال) أما الاجانب فلا ، ومن ثم فقد كانوا ينظرون اليهم باذدراء، ويطلقون على رؤسائهم لقب «وغد»[٤٨] — كما أشرنا من قبل — ذلك لان الاله الخالق — فيما يرى صاحب الدعوة — انما خلق الناس جميعا ، وأن خلت الالسنة بينهم فى النطق متباينة ، والهيئات والالوان متمايزة ، ومن ثم فهم يتساوون فى الحقوق والواجبات[٤٩] ، ولهذا — وكما يقول اخناتون فى النشيد الكبير «ما أجل تدبيرك رب الخلود ، فيضان فى السماء لأهل القفار وحيوان الفلا ، وما يدب على قدم ، وفيضان سواه لأرض مصر ، يأتى اليها من دنيا العدم»[٥٠] .

وهكذا لم تقدم لنا نصوص اخناتون فكرة عالمية الاله الخالق فحسب، وانما تقدم كذلك الرعاية العالمية لهذا الاله الخالق وعدالته ، التى تجعله

(٤٧) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ص ٢١١ .
(٤٨) A. H. Gardiner, in EA, 1, 1914, p. 30, Egypt of the Pharaohs, 1964, p. 37, Egyptian Grammar, 1966, p. 361.
(٤٩) لاشك أن هذه المساواة لاتبدو واضحة ، الا فى الاسلام ، ولنقرأ فى هذا المجال ، قول جدنا ومولانا وسيدنا رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بابائها ، فالناس رجلان ، رجل بر تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنو ادم ، وخلق لله آدم من تراب ، ثم قرأ قوله تعالى : «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم» (أنظر : سورة الحجرات : آية ١٣ ، وكذا : تفسير القرطبى ٣٤١/١٦ ، وتفسير ابن كثير ٢٦٦/٧ ، سيرة ابن هشام ٤١٢/٢ ، طبقات ابن سعد ١٠٣/٢ ، مجمع الزوائد للهيثمى ٢٦٦/٣) ، ويروى عنه — ﷺ — انه قال : «ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى أنسابكم ولا الى أحسابكم ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، انما أنتم بنو آدم ، وأحبكم الى الله أتقاكم (أنظر : تفسير ابن كثير ٣٦٥/٧ ، تفسير القرطبى ٣٤٢/١٦ ، صحيح مسلم : كتاب البر ١١/٨) ، كما يروى عنه — ﷺ — قوله لأبى ذر : «أنظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود .
(٥٠) أنظر : أدولف ارمان : المرجع السابق ص ١٣٠ ، وكذا F. Daumas, Op-Cit, p. 326.

يعنى بكل مخلوقاته فى هذا العالم ، وعن هذا يقول «الكسندر موريه» (١٨٦٨ – ١٩٣٨) : انه للمرة الاولى ينظر الى الديانة كخير عالمى بين أقوام يختلفون فى أجناسهم ولغاتهم ودياناتهم ، فاله اخناتون لا يفرق بين المصريين وغيرهم من البرابرة ، فالناس عنده سواء ، وهو ربهم جميعا، وهكذا تقدم لنا نصوص العمارنة الها للناس كافة ، يمد اليهم جميعا رحمته ، بل انما يمد هذه الرحمة الى الحيوان والنبات ، وكل ما يدب على الارض بقدم ، ويحلق فى الفضاء بجناح[٥١] .

وتضيف «الينور بل دى موت» أنه للمرة الاولى فى التاريخ ، نرى فرعونا يدعو الاجانب فى صراحة تامة الى عبادة اله يتعبد اليه شعبه ذاته ، كما أنه للمرة الاولى كذلك تفهم الديانة كرباط يوحد بين البشر ، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ، فاله اخناتون لا يفرق أبدا بين المصريين وغيرهم ، ممن كان القوم يطلقون عليهم اسم برابرة – لان البشر أمامه سواسية ، ومن ثم فيجب عليهم أن ينظروا الى أنفسهم ، وكأنهم جميعا اخوة[٥٢] ، ومن ثم فان هذه العقلية الغريبة – فيما يرى برستد[٥٣] – هى التى جعلت الأثريين يعتبرون اخناتون النبى الاول فى التاريخ[٥٤] .

وهكذا لم تكن ديانة آتون لمصر وحدها ، بل كانت للعالم كله،فبسبب

---

(٥١) محمد عبد اللطيف : فكرة الخلق فى مصر القديمة ص ٢٦١ ،
A. Moret, Rois et Dieux d'Egypte, Paris, 1923, p. 70, 74.

(٥٢) Eleonore Bille - De Mot. The Age of Akhenaten, London, 1965, p. 89.

(٥٣) J. H. Breasted, A History of Egypt, N. Y., 1946, p. 377.

(٥٤) لاشك فى أن أول نبى انما كان «آدم» عليه السلام . فقد جاء فى حديث ابى ذر المشهور ، انه دخل المسجد النبوى الشريف ، فوجد رسول الله ﷺ ، جالسا وحده فساله عن اشياء منها الصلاة والهجرة والصيام والصدقة ثم ساله : كم الانبياء ؟ فقال : مائة الف واربعة وعشرون الفا ، قال : قلت : يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ، جم غفير ، كثير طيب ، قال : فمن كان أولهم ؟ قال آدم ، قلت أنبى مرسل ؟ قال : نعم ، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وسواه قبيلا» (انظر : تفسير ابن كثير ٢٢/٢ – ٤٢٦ ، ثم قارن مسند الامام أحمد ٢٦٥/٥ – ٢٦٦ تفسير روح المعانى ٨٨/٢٤ ، مجمع الزوائد ٢١٠/٨ ،وأما اول رسول فهو «نوح» عليه السلام (تفسير المنار ٥٠٣/٧ ، ٤٣٦/٨) .

هذا الاله عاشت الاسماك فى البحار والوحوش فى الادغال ، والزواحف فى جحورها ، والنبات فى الحقول ، بل ان هذه الفكرة من ديانة آتون انما قد امتدت آثارها الى ما بعد عصر الداعية العظيم ، وذلك فى الاناشيد التى تلت عصره ، كما فى أنشودة لآمون موجودة فى ليدن ، وأخرى من عصر الرعامسة ، وثالثة من نفس العصر كذلك(٥٥) .

٤ ـ التركيز على قدرة الخالق :

يركز اخناتون فى نشيده الكبير على الاله الخالق ، الذى يهب قدرة النسل للنساء ، ويخلق من النطفة بشرا ، ويهب الحياة للجنين وهو فى بطن أمه ، واذا ولد أنطقه ودبر أمره ، ثم هو يعنى بأفراخ الطير ، كما يعنى بأجنة البشر ، فالفرخ يكون على أهبة «الصوصوة» وهو فى البيضة المحكمة ، ويقدر الاله أنفاسه وهو فيها ، ويهبه القدرة على نقرها وهو فيها ، وكاد منطق هذا الوصف أن يقول : فهل هناك اله يعبد غير هذا الاله القادر ؟(٥٦) .

ولنقرأ هذا النص فى النشيد الكبير : «أنت يا من يجعل سائل الذكر ينمو فى المرأة ، ومن يصنع سائلا فى الرجل ، أنت يا من تأتى بالحياة للوليد ، وهو فى بطن أمه ، أنت يا من تسكته بتوقف دموعه ، أنت يا من رعيته فى الجسد ، ثم تعطى الهواء ليعيش كل من خلقت ، انه ينزل من الجسد فيتنفس فى يوم مولده ، أنت يا من تفتح فمه ، وتخلق له مقومات الحياة ، أنت يامن تجعل الكتكوت يشقشق فى قشرته ، أنت يامن وهبته الحياة ليعيش فيها ، وقدرت له ميقاتا فى البيضة يخرج بعده ، وهو يصيح

---

(٥٥) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٠٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٦٢ ، وكذا

A. H. Gardiner, Historical Popri in the British museum. Third Series Chester Beatty Gift, London, 1934, P. 32-34.

Jean Capart and others Thebes, The Gioryol the Great past., p. 79-80.

A. Erman, Op-Cit, p. 203.

(٥٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨ ـ ١٩ .

(يصوصو) بكل ما لديه من قوة ، ثم يسير على قدميه ابان خروجه من البيضة» •

٥ ـ اظهار الرحمة في صفات الاله الخالق :

جهد اخناتون على أن تقدم دعوته الاله الخالق في صورة الاله الرحيم بمخلوقاته جميعا ، ومن ثم فقد تخيرت الدعوة الجديدة روابط العطف والمحبة ، دون الجبروت والبطش ، وأعلنت أن ربها عظيم المحبة ، تفيض آلاؤه على العالم بأسره ، ويضفى على الدنيا كلها بهاءه وجماله ، وليس من شك في أن هذا التفكير الجديد في الآتونية ، انما يرفع من شأنها الى حد بعيد ، فوق كل ما كانت وصلت اليه ديانة المصريين القدامى ، أو ديانات الشرق بأجمعه حتى ذلك الوقت •

صحيح أن الحكيم المصرى «ايبو ــ ور» (من عصر الثورة الاجتماعية الاولى) قد صور الله الشمس من قبل ، على أنه الراعى الرحيم بعباده ، وصحيح أن الناس انما كانوا في نظر النصائح الموجهة الى «مرى كارع»، «قطعان الاله التى من أجلها صنع الماء والهواء والطعام» ، ولكنه صحيح كذلك أن اخناتون انما يذهب في دعوته الجديدة الى أبعد من ذلك ، حيث يصف الهه في الانشــودة الصغرى بقــوله : « أنت أب وأم لــكل من خلقت»[٥٧] ، بعد أن كان الملوك السابقون يعتقدون أن الاله الاعظم هو الذى يهب النصر ويسحق الاهالى ، ويسوقهم حاملين الجزية أمام عجلة فرعون ، أما اخنــاتون فقد رأى في الاله رأفــة ورحمة لخلقه جميعا على السواء ، ويعتبر هذا المذهب أقدم ما عرف من علم التوحيد (من غــير الانبياء) ، ولاشك أن القارىء لتعاليم هذه العقيدة يتضح له أنها اعتراف صحيح بوحدانية الله ، وبرحمته ورأفته ، ووجود سره المكنون في كل مخلوقاته[٥٨] •

---

(٥٧) J. H. Breasted, The Dawn of conscicce, p. 288, 201-292.
C. Aldred, Op-Cit, p. 63.
وكذا N. de G. Davies, Op-Cit, IV, Pl. 32.
وكذا A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 34.
وكذا The Admomitions of an Egyptian Sage Leplig 1909.
(٥٨) J. H. Breasted., A History of Egypt, p. 377.

وهكذا كان جميع العالم الحى — فى نظر تلك الروح الحساسة التى كانت تملأ قلب الداعية العظيم — يماؤه شعور قوى بوجــود «آتون» ، والاحساس بتسفقته الابوية ، فمستنقعات السوسن ، بأزهارها النشوانة التى تينع باشعاع آتون الاخاذ ، وطيورها التى تنشر أجنحتها تعبدا لآتون الحى ، والماشية التى تطفر فرحة فى ضوء الشمس ، والسمك الذى يثب فى النهر مرحبا بالنور العالى الذى تنفذ أشعته حتى فى وسط الاخضر العظيم ، كل ذلك يكشف لنا عن مدى ادراك اخناتون لذلك الوجود العالمى للاله ، وسيطرته على الطبيعة ، وعن ادراك باطنى لذلك الوجود عند كل المخلوقات[٥٩] .

ولنقرأ هذه الفقرات من أنشودة اخناتون : «الزهــر ونبت الارض يزدهر لمرآك ، وتتملكه النشوة لمحياك ، والانعام تتراقص على أقدامها ، والطيور فى أوكارهــا تطوى أجنحتها وتنشرها ، تسبيحا لآتون الحى خالقها ، والحملان تقفز على أقدامها ، وكل ما يطير أو يحط تهتز أعطافه لانك تشرق من أجله ، الارض عامرة بحبك ، والعشب والشجر يتمايل عند ظهور محياك ، وأسماك الماء تتراقص لمرآك ، وأشعتك تنفذ الى أعماق الاخضر العظيم»[٦٠] .

وهكذا يبدو واضحا مدى بساطة وجمال ايمان هذا الشاب الفرعون بالاله الواحد الاوحد ، والتى أوصــلته عقيدته الى الايمان بأن الاله الواحد لم يخلق المخلوقات الدنيا فقط ، بل انه خلق جميــع الناس على اختلاف أجناسهم ، بما فيهم المصريون والاجــانب ، وكان «آتون» أبا رحيما ، يحافظ على كل مخلوقاته ويغمرها برعايته ، حتى الطيور التى تعيش بين النباتات كانت تعترف برحمته ، فترفــع أجنحتها كمــا يرفع الانسان ذراعيه شكرا له[٦١] .

وفى الواقع ، أننا لو تتبعنا تطور الانسان وتقدمه خلال آلاف السنين،

---

(٥٩) J. H. Breasted, The Dawn of conscience, p. 292.

(٦٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٩ .

(٦١) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ص ١٣٨ .

فاننا لن نرى — من غير الانبياء الكرام — أحد قبل «اخناتون» عرف الصورة الصحيحة للاله الواحد الرحيم بكل الكائنات[٦٢] ، وهذا الاله الخالق ، المعين الرحيم ، قد أعطى نعمه للبشر أجمعين ، فضلا عن جميع المخوقات الحية فى كل مكان ، ولم يقتصر ذلك على المصريين وحـــدهم ، ومن أجل هذه النعم كان العابدون يرفعون شـــكرهم وخضوعهم للاله «آتون»[٦٣] .

٦ — التفسير العلمى لفيضانات النيل :

من المعروف أن مصر انما تعتمد فى حياتها على النيل ، ومن ثم فقد كان من المستحيل تجاهل ذلك المنبع الحيوى للحيـــاة فى عقيدة «آتون» ، والواقع — فيما يرى برستد — أنه لا شىء يكشف لنا بوضوح قيمة عقيدة اخناتون ، وميله الى الاعتماد على العقل ، أكثر من أنه محا بلا تردد تلك الطائفة من الاساطير التى كانت محل تبجيل القوم واحترامهم ، وتلك التقاليد التى كانت تنال كل احترام عند القوم ، والتى تذهب جميعها الى أن «النيل»[٦٤] انما هو الاله «أوزير» لعدة زمان مضت ، فجاء اخناتون ونادى فى دعوته الجديدة ، بأن الفيضان انما يرجع الى أسباب طبيعية ، يسيطر عليهـــا الاله «أتون» ، وهـــو الذى خلق كذلك — وبمثل ذلك

---

(٦٢) نفس المرجع السابق ص ١٣٨ — ١٣٩ .

(٦٣) J. H. Wilson, The Culture of Ancient Egypt Chicago, 1963. p. 229.

(٦٤) كان المصرى القديم يطلق على النيل اسم (ايترو — عا) أى «النهر العظيم» ، أما لفظة «النيل» فهى تصحيف لفظة «نيلوس» التى أطلقها اليونانيون على هذا النهر ، أما النيل كاله ، فقد أطلق عليه المصرى اسم «حعبى» ، ولم يكن «حعبى» هذا هو النهر المقدس ، وانما كان ذلك الاله أو الروح التى تكمن وراء النهر العظيم ، والتى تدفع بمياه فيضه حاملة الخصب والنماء ، وصور المصرى هذا الاله فى هيئة بشرية تجمع بين الانوثة والذكورة فى هيئة صياد السمك ، يلتحى باللحية التقليدية للآلهة ، له ثديا امرأة وبطن مترهل .
هذا وكان لانتشار عقيدة «أوزبر» ، وكان من بين ما أطلقوا على النيل من أسماء «ونن نفر» ، وهو من أسماء أوزبر ، كما وحد المصرى بين النيل وبين بعض الآلهة الاخرى التى كانت لها صلة بخصوبة الارض ، أو المياه مثل «خنوم» الذى كان يطلق عليه «رب المياه الطاهرة» (الموسوعة المصرية ١/١٥م — ٢١٦) .

الاهتمام — نيلا آخر فى السماء (أى المطر) لغير مصر من الاوطان(٦٥).

٧ — الدعوة الى الصــدق :

كان الداعية العظيم شغوفا ، أشد الشغف بالصدق — قولا وفعلا — يبدو هذا واضحا فى فنون ذلك العصر — كما سوف نرى بوضوح فيما بعد — ويبدو كذلك فى أقواله التى منها : «اننى أعيش على الصدق ، وأتزود من صدق (أو عدالة) قلبى» ، بل ان الرجل انما قد ذهب فى هذا الى أن يسمى عاصمته الجديدة «أخيتاتون» كما جاء فى الانشودة الصغرى «مكان أو مقر الصدق»(٦٦) .

هذا فضلا عن أن الداعية العظيم لم ير ، هو وأسرته ، فــائدة من الاحتجاب عن رعيته ، وكان شــديد الشفقة بأطفاله ، ويظهــر فى كل الاحتفالات مع زوجته وبناته ، وكأنه كاتب صغير فى معبد آتون ، وقد رسم نفسه وهو يعامل أسرته ببساطة وبدون تكلف ، ذلك لانه انمــا قد اعتقد أن الطبيعة قد فطرت على الحــق والصواب ، ومن ثم فقد أجهد نفسه فى اعلان صــدق هذا الرأى ، كلمــا اقتضت الظروف التخلى عن عادات أجداده السابقين(٦٧) .

هذا وقد انتشرت مبادىء الصدق بين رجالات بلاط فرعون الذين كانوا يعلمون مدى اعتقاد اخنــاتون الشديد فى «ماعت» (الصدق — العدالة — الحق) ، ومن ثم فقد كانوا — كسيدهم الفرعون — يعظمون الصدق كثيرا ، وهكذا رأينا «آى» يقول عن الملك : «انه قد أحل الصدق فى جسمه ، وان الذى كان يمقته انما هو الكذب ، واننى أعلم أن «وع ان رع» (أى اخناتون) يمرح فى الصدق» ثم يؤكد «آى» بعد ذلك ، أن «أتون» انما هو «واحد أحد ، قلبه مستريح للصدق ، وأن الذى يلعنه انما هو الكذب» ، ويقول موظف آخر — فى مقبرته بالعمارنة — « اننى

---

(٦٥) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 291.
(٦٦) F. Daumas, Op-Cit, p. 326.
(٦٧) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 288, 299.
J. H. Breasted, A History of Egypt, p. 378.

لا أفعل ما يكرهه جلالته ، لان ما يمقته انما هو حلول الكذب فى جسمى، لقد قررت لجلالته الصدق ، لأننى أعرف أنه يسكن فيه»(٦٨) .

٨ ـ تجاهل المرأة فى الديانة الجديدة :

لعل هـذا التجاهل انما يبـدو بوضوح فى أن «أتون» لم يتخذ له زوجة ـ كما فعل أمون مثلا ، عندما اتخذ من موت زوجة له ـ كما أن النساء لم يكن لهن شأن به ، أو حتى فى كهنوته ، وبالرغم من أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن «نفرتيتى» انما كانت القوة الكامنة وراء الحركة الآتونية(٦٩) ، ورغم أن «مشروع اخناتون» (الذى تقـوم به جامعة بنسلفانيا تحت اشراف مستر اى سمث ، ثم الدكتـور دونالد ردفورد)(٧٠) وقد نجح ـ عن طريق الصور ـ فى اعـادة بناء صالة للاعمدة ، خصصت مناظرها للملكة «نفـرتيتى» ـ وكذا أبنتيها مريت أتون ، ومكث أتون ـ دونما أية اشارة الى « اخناتون »(٧١) فان اسم «نفرتيتى» لم يقرن بأية وظيفة فى معبد أتون ، ولم يكن لها فى هذا الدين الجديد شأن خاص أكثر من أنها زوج الداعية العظيم ، وأن كل ما جاء عنها فى «الانشودة الكبرى» ، أنها «زوجة الملك العظمى ، التى يحبها ، سيد الارضين ، نفر ، نفرو ، أتون ، نفرتيتى ، ألا فلتعش ولتزدهر الى أبد الآبدين»(٧٢) .

هذا مع العلم ، بأن المرأة المصرية انما قد شغلت وظائف كهنوتية ، من قبل عصر اخناتون ومن بعده ، فهناك من عهد الدولة الحديثة (أو عهد الامبراطورية ١٥٧٥ ـ ١٠٨٧ ق٠م ، كما يسمى عادة) ، تلك الوظيفة التى

---

(٦٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ٣٢٤ ـ ٣٢٦ ، وكذا
C Aldred, Akhenaten, 1972, p. 63-64.

(٦٩) احمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ٠

(٧٠) انظر : عن مشروع اخناتون : سيد توفيق : مجلة كلية الاثار ـ العدد الاول ـ كلية الاثار ـ جامعة القاهرة ـ يناير ١٩٧٦ ص ١٣٢ ـ ١٣٦

(٧١) سيد توفيق : المرجع السابق ص ١٣٦ ٠

(٧٢) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٠٩ ، وكذا
J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, p. 28.
Sir Alan H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p 227

كانت تسند الى ملكات البلاد ، وأعنى بها «زوجة أمون» ، ومن ثم فقد أصبحن ينلن — الى جانب حقوق الوراثة — مركزا دينيا ممتازا ، يتصل باله الدولة الرسمى «أمون رع» ، هذا وقد نشأت هذه الوظيفة — أول ما نشأت — فى السنوات الاولى من عصر الاسرة الثامنة عشرة ، وكانت الملكتان «ايعح حوتب» و «أحمس نفرتارى» أول من شغلتا هذا المنصب الدينى الهام ، وان بدا فى عصور متأخرة أن اللاتى كن يشغلنه أميرات — ولسن ملكات — كما أصبح له فيما بعد أهمية سياسية عظيمة(٧٣) .

وهناك من عهد «أحمس الاول» (١٥٧٥ — ١٥٥٠ ق٠م) — جد اخناتون البعيد ، ومؤسس الاسرة الثامنة عشرة — لوحة غير عادية من الكرنك ، يصــور فيها الملك «أحمس الاول» ، ومعه زوجــه «أحمس نفرتارى» ، وابنهما «أحمس عنخ» ، مقدمين خبزا للاله «أمون رع» ، وقد منح أحمس زوجه — أو باعها — فى سنة غــير محددة من حكمه ، وظيفة «الكاهن الثانى لأمون رع» فى الكــرنك ، لتكون لها ولنسلها من بعدها ، وتظهر الملكة فى المنظر المصاحب للنص فى نفس حجم الملك والاله، فضلا عن اشارة اضافية تدل على سمو مكانتها الخاصة(٧٤) .

وهناك «تويا» أم الملكة «تى» — زوج أمنحتب الثالث ، وأم اخناتون التى كانت تشغل وظيفة «رئيسة حريم الاله مين فى أخميم»(٧٥) .

وهناك مظهر هام فى التاريخ الفرعونى فى عصوره المتأخرة من الناحية الزمنية ، وأعنى به تلك الاهميــة التى اكتسبتهــا الاميرات الملكيــات اللواتى حملت ألقاب «زوجة الاله أمون» ، و «عابدة الاله» ، «يدالاله» وكان اللقب الاول فى العصور السابقة مقصورا على زوجات الفراعين ،

---

(٧٣) J.G.H. James, Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, p. 307.

(٧٤) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٢١٩ ، وكذا

T.G.H. James, Op-Cit, p. 307-308.

(٧٥) A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 206.

وكذا B. Porter and R.L.B. moss, Op-Cit, I, p. 30-31.

وكان يتضمن من غير شك دلالة دينية لاتزال غير محددة ، ومنـذ الاسرة الحادية والعشرين «١٠٨٧ — ٩٤٥ ق٠م» ، نجد أن هذا النعت ينتقل الى ابنة الملك التى أصبحت الزوجة الملكية المكرسة للاله أمون ، ولم يكن من المسموح به اطلاقا ، بل كان من المحرم عليها أن يتصل بها أى رجل اتصالا جنسيا(٧٦) ٠

وكانت زوجة الاله هذا تمارس سلطانا ضخما ، وكانت تساوى الملك اباها فى كل الاهداف والمقاصد ، فهى لم تكن تمتلك الضياع الضخمة ، وتشرف على موظفين خاصين بها فحسب ، وانما كانت تتخذ مجموعة من الالقاب ، وتحيط اسمها بالخراطيش ، وتخلع على نفسها صفات ملكية ، وتحتفل بأعياد «اليوبيل» ، وتقيم نصبا وآثارا باسمها ، هذا فضلا عما كان لها من السلطة التى تخولها حق تقديم القرابين للالهة ، وهو حق ظل فى الامكان الاخرى من خصائص الفرعـون وحده(٧٧) ، وهـكذا أصبح لزوجة الاله كل هذه الحقوق ، مما دفـع فراعين الاسرتين الخـامسة والعشرين (٧٥٠ — ٦٥٦ ق٠م) والسادسة والعشرين (٦٦٤—٥٢٥ق٠م) الى فكرة تبنى زوجة الاله لابنة الملك لتخلفها فى وظيفتها ، وقد فعل ذلك «كاشتا» ، و «وبعنخى» ، و «بسماتيك الاول» ، (بسماتيك الثانى) الذى نالت ابنته لقب «الكاهن الاول لآمون» ، وهى وظيفة لم تحصل عليها أية «زوجة اله» من قبل(٧٨) ٠

وهكذا يبدو واضحا أن المـرأة انما كانت تشغل وظائف هـامة فى كهنوت آمون ، منذ بداية الاسرة الثامنة عشرة على الاقل ، وحتى نهاية الاسرة السادسة والعشرين «أى طوال فترة تزيد عن الالف عـام» ، الامر الذى لم تشغله أبدا على أيام ثورة اخناتون الدينية(٧٩) ٠

---

(٧٦) A. H. Gradiner, Op-Cit, p. 343.

(٧٧) جان يويوت : المرجع السابق ص ١٧٧ ، وكذا
A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 343-344.

(٧٨) J. H. Breasted, ARE, IV, uarag. 933 F.
ASAE, V, P. 84 F.
A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 354-355.

(٧٩) John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt Chicago, 1963, p. 229.

٩ ـ اخراج الدين الى العلانية :

لاريب فى أن من مميزات دعوة اخناتون ، أنها أخرجت الدين الى العلانية ، وحاولت أن تقضى على ما كان فى الديانات القديمة للآلهة الاقوياء الاثرياء من ابتعاد عن الناس ، وما أحاطوها به من أسرار ، ومن ثم فقد كانت المراسيم الدينية تقام فى المعبد ، وكان هيكله مفتوح فى الهواء الطلق ، لا يحوى أية تماثيل للاله أتون ، وهو أمر كان يعد غريبا عن التقاليد المتوارثة بالنسبة للطقوس التى لم تعد تتبع كما كانت من قبل لانه لم يعد هناك تمثال للمعبود ، لكى يخرج فى موكب ، كما كان يحدث من قبل ، وقد ألف الملك الداعية واحدا من هذه الاناشيد ، التى تنبعث منها دعوة التوحيد بطريقة متقنة ، وقد كان أسلوب النشيد من القوة ، لدرجة جعلته يوحى ببعض أجزاء المزمور (١٠٤) ـ الامر الذى سوف نناقشه فيما بعد ، ـ بل ان هذا النشيد انما يعد من روائع الادب العالمى الخالدة[٨٠] .

١٠ ـ تقدير تجلى قدرة الاله فى العالم الحسى :

لعل من أهم ما تشير اليه أناشيد الدعوة الجديدة ، التقدير العظيم لتجلى قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى العالم الحسى ، ويبدو هذا واضحا فى أنه من أعمق المصادر لدعوة اخناتون ـ بالرغم مما يقال عن أصلها السياسى ـ اعتمادها على التأمل فى عالم الطبيعة ، ولان اخناتون انما كان رجلا مأخوذا بالاله ، فقد انقاد عقله بحساسية وادراك مدهشين، الى ما حوله من المظاهر المرئية الدالة على وجود الاله ، فقد كان الرجل مأخوذا بجمال النور الابدى العالمى ، ومن ثم فاننا نرى أشعته تغمره فى كل أثر صور عليه ، من آثار بقيت لنا[٨١] .

هذا وقد ادعى اخناتون لنفسه علاقة خاصة مع الهه ، لا يشاركه فيها

---

(٨٠) Francois Daumas. la Civilisation De L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 321-22.

(٨١) James Henry Breasted, The Dawn of Conscience N. Y. 1939, p. 292-293.

أحد ، وأنه انما يمرح فى ذلك النور الابدى ، الذى وحده أكثر من مرة مع الحب والجمال ، باعتباره البرهان الظاهر الدال على وجود الاله ، وذلك بنشوة قل أن يكون لها نظير ، وفرح يبلغ حد الوله ، وقد استمدت هذه الظاهرة الجديدة فى عصر اخناتون الهامها من جمال الطبيعة وفيضها[٨٢] ٠

نشيد اخناتون والمزمور ١٠٤ :

كان العالم الامريكى الدكتور « جيمس هنرى برستد » (١٨٦٥ — ١٩٣٥م) ، أول من أشار الى المطابقة بين نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤) من أسفار التوراة ، ثم قام بعمل مقارنة بين النصين ــ المصرى والعبرانى ــ فخرج من بحثه ــ أو أبحاثه ــ بأن ذلك لايمكن أن يكون سبب توارد الخواطر بحال من الاحوال ، وانما المرجح أن العبرانيين انما كانوا على علم بانشودة اخناتون العظيمة التى وضعها لاله الشمس ٠

ومن المحتمل كثيرا أن يكون الاصل المصرى القديم لانشودة اخناتون قد انتشر فى فلسطين أو فينيقيا قبل ظهور المزامير العبرانية بزمن طويل ، فقد انتهى اخناتون (١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق٠م) من اخراج أنشودته هذه قبل منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١] ٠

وبدهى أن أعداء الفرعون العظيم الحانقين عليه ما كانوا يتركون أنشودته تنتشر فى مصر ستة أو سبعة قرون (أى الى ما بعد عام ١٠٠٠ ق٠م بكثير) وهو الوقت الذى بدأ العبرانيون يبدون اهتمامهم بأنشودة آتون هذه ، ومن ثم فيجب التسليم بأن تلك الانشودة قد انتقلت الى

---

(٨٢) Ibid., p. 293-295.

(١) قارن ذلك بحقيقة أن المزامير رغم أنها تنسب فى معظمها الى داود (١٠٠٠ ــ ٩٦٠ ق٠م) ، فــان بعضا منها قد كتب فى عصر الملكية (١٠٢٠ ــ ٥٨٧ ق٠م) ، أما معظم أسفار المزامير فقد كتب بعد عهد السبى البابلى ، وربمـــا فى الفترة (٤٠٠ ــ ١٠٠ ق٠م) ، ثم ضمت بعضها الى بعض ــ فيما يرجح ــ فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وهى ــ على أى حال ــ صورة صادقة للاثار البعيدة التى اقتبسها العبريون مستقرين أو مسبيين من مصر أولا ، ثم من بابل وآشور ثانيا (فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٣٩ ، حبيب سعيد : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا
Merrill F. unger, unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, p. 898-899.

آسيا فى عهد «اخناتون» (١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق٠م)[٢] نفسه ، وأنها أفلتت هناك من الدمار المحقق على يد أعدائه فى مصر[٣] ٠

هذا وقد حدث فى أنشودة آتون تغيير عظيم ، بعد أن ترجمت الى بعض اللغات السامية من لغات آسيا الغربية — كاللغات الفينيقية أو الارامية أو العبرية على الارجح ، على أنه بفحص الفقرات المشابهة لها فى المزمور (١٠٤) يظهر لنا مدى الشبه بين الصورتين ، لا من حيث مضمون أنشودة اخناتون فحسب ، بل اننا كذلك انما نجد هذا الشبه فى تتابع الافكار ، وترتيبها الظاهرى ، الذى بقى فى الرواية الاسيوية العبرية ، كما كان فى أنشودة اخناتون ، وبدهى أن تلك المتشابهات لايمكن أن تكون بحال من الاحوال — من قبيل المصادفة البحتة ، بل انها بالعكس دليل على وجود جزء عظيم من الانشودة المصرية الدينية القديمة منشورا بشكل معدل فى المزامير العبرانية[٤] ٠

وبعد أن أعلن «برستد» رأيه هذا فى كتابه «تاريخ مصر» فى العقد الاول من هذا القرن العشرين ، توالت الكشوف بعد ذلك ، وأصبح لدينا النص المصرى الهيروغليفى ، الذى ترجمت ونشرت منه فقرات كاملة برمتها فى كتاب العهد القديم (التوراة) ، فقد تعرف الاستاذ « هوجو

---

(٢) هناك ما يشير الى ان اخناتون قد اقام ثلاثة مراكز لنشر دعوته فى أنحاء الامبراطورية المصرية فى «أخيتاتون» (تل العمارنة) و«جم آتون» فى «كاوا» وراء الجندل الثالث فى مقابل بلدة «دلجو» الحالية ، وأما المركز الثالث فقد كان فى غربى آسيا (ربما فى أورشليم أو بيت شمس) ،وعلى أى حال ، فرغم اننا لا نعرف مكان هذا المعبد الاسيوى على وجه اليقين ، فهو لم يكن أقل منزلة من معابد أجداد الفرعون التى شيدت للاله آمون
H.R. Hall, The Ancient History of the near East, London, 1963, p. 300.
وكذا B. Gunn, JEA, IV, 1917, p. 169.
وكذا A.H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 223.
ومن ثم فربما قد انتقلت أنشودة اخناتون الى العبرانيين عن طريق هذا المعبد الآتونى ، الذى ربما كان فى أورشليم أو فى بيت شمس ، أو فى أى مكان فى غربى آسيا ٠

(٣) J. H. Breasted, The Dawn of Consciencce, N. Y., p. 367.

(٤) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 367-368.

على الانبياء العبرانيين ، بسبب حرج الموقف الذى وجد فيه شعبهم ، حيث قد صاروا ألعوبة فى أيدى الممالك العظيمة وقتئذ ، وقد بقيت حالتهم تزداد حرجا ، الى أن غيروا نظرتهم الى ربهم «يهوه» الذى كان يوما ما معبودهم المحلى[٨] ، فصار فى نظرهم الها مسيطرا على كل الامم[٩] ، ويُدير حركات جميع ملوك الارض ، ويستطيع السيطرة على كل مقاصدهم العدائية ، وتحويلها لخير بنى اسرائيل[١٠] ، ثم لخـــير جميع العالم فى النهاية[١١] .

وبدهى أن هذا الاتجاه الجديد فى الابحاث ، والذى يذهب الى أن نشيد اخناتون ، انما كان قوى التأثير فى أفكار العبرانيين ، بل انه ليذهب الى أبعد من ذلك ، الى أن العبرانيين انما كانوا قد اطلعوا على الادب الخلقى والدينى عند الامم الاخرى ، ونقلوا ما عثروا عليه من أفكارهم ، بل انهم انما كانوا ينقلون هذه الافكار أحيانا بنفس التعابير التى صيغت فيها تلك الاصول الاجنبية ـــ كما نرى فى نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤)، ومن ثم فقد وجـــد هذا الاتجاه معـــارضة شديدة من بعض المتعصبين لليهودية .

ورغم أن كثيرا من الباحثين ـــ غير العالمين الكبيرين جيمس هنرى برستد ، وهوجو جرسمان ـــ يعضدون اتجاه تأثير نشيد اخناتون فى أفكار العبرانيين الدينية ـــ ومنهم «آرثر ويجال»[١٢] و «هـ ر . هول»[١٣]

---

(٨) انظر : تكوين ١٢ : ١ ـ ٣ ، ١٣ : ١٤ ـ ١٨، ١٥ ـ ١٨ ـ ٢٠ ، ٢٦ : ٢٤، ٢٢ : ٩، ٣٨ : ١٣، ٤٦ : ٤، خروج ٢ : ٦، ١٤، ١٥، ٦ ـ ٧ ، يشوع ٧ : ١٣، ٨ : ٣، ٩ : ١٨ ، صموئيل أول ٢٥ : ٣٣ ، أخبار ايام ثان ١٦ : ٣٦ ، ول ديورانت : المرجـــع السابق ص ٢٤٣ ، صبرى جرجس : المرجع السابق ص ٥٢ .

(٩) انظر : محمد بيومى مهران : النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل ـ الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(١٠) انظر : اشعياء ٤٩ : ٢٣، ٦٠ : ١١ ـ ١٤، ٦١ ـ ٥ ـ ٦ .

(١١) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 369.

(١٢) Arthur Weigall, Histoire le L'Egypte Ancienne, Paris, 1968,

(١٣) H. R. Hall. The Ancient History of the near East, London, 1963, p. 306.

و « سير ألن جاردنر »[١٤] ، و « فرانسوا دوما »[١٥] و « جان يويوت»[١٦] و «الكسندر شارف»[١٧] . بل ان «وليم هيز» ، انما يتساءل – مع صعوبة كبيرة ، وقليل من الرضى النفسى ، أو حتى عدمه – أن نرى كيف يمكن أن نفترض أن عبادة آتون انما كانت الاساس السابق لليهودية والنصرانية[١٨] . وانطلاقا من هذا ، فان اتجاها يذهب الى تأثير نشيد اخناتون فى أفكار العبرانيين الدينية ، لا يمكن أن يطيب قبوله – كما يقول أستاذنا الدكتور أحمد فخرى[١٩] – (١٩٠٥ – ١٩٧٣) لمن امتلأت نفوسهم تعصبا للكتاب المقدس فأخذوا يتشككون فى ذلك ، ويقولون ان آراء اخناتون لم تكن جديدة على الديانة المصرية ، بل وان تعبيراته عن وحدانية الهه كانت معروفة قبله ، واستمرت قرونا طويلة بعده ، ويقولون اننا لو فرضنا أنه كان يوجد فى مصر جنود أرقاء من الاسرائيليين فى أيام العمارنة ، فلم يكن ميسورا لهم أن يعرفوا تعاليم الآتونية ، بوجود اله واحد ، اله للعالم كله ، خلق الحياة وحافظ عليها ، وأحس عباده نحوه بشعور قوى لتكرانه[٢٠] .

ثم يذهب بعد ذلك «جون ويلسون» – صاحب هذا الاتجاه – الى أنه لم يكن من بين هؤلاء العبرانيين من تسمح له حالته بأن يتعلم من مصر أناقتها فى التفكير ، أو ما وصلت اليه فى الدين أو الفلسفة ، اذ أن هذه الفرصة لا يمكن أن تيسر لجموع الارقاء الذين يعملون فى أحد المشروعات الحكومية ، لكى يتناقشوا مع الكتبة أو الكهنة ، فان أرواحهم

---

(١٤) A.H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 227.

(١٥) Francois Daumas, La Civilication de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 322.

(١٦) جان يويوت : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، ومراجعة عبد المنعم ابو بكر – القاهرة ١٩٦٦ ص ١٢٩ .

(١٧) الكسندر شارف : تاريخ مصر ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر – القاهرة ١٩٦٠ ص ١٤٠ .

(١٨) W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, Harvard, 1959, p. 281.

(١٩) أحمد فخرى : مصر الفرعونية – القاهرة ١٩٧١ ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٢٠) J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt. p. 226.

البسيطة المعتادة على الحياة فى الصحراء كانت تنظر بوجل الى بعض مساوىء المدنية المنهوكة القوى ، وتشتاق الى الهرب من تلك العبودية القاسية ، ومن كانوا فى مثل هذه الحالة لا نتوقع منهم أن يعجبوا بما حققته مدنية أرض العبودية[٢١] .

وفى الواقع — فانه بصرف النظر الان عن تأثير نشيد اخناتون فى أفكار العبرانيين الدينية ، أو عدم تأثيره — فاننى ألاحظ أن « جون ويلسون» قد نسى — أو تناسى — عدة عوامل ، تقف عقبة كؤود فى طريق وجهة نظره هذه ، منها (أولا) أن ديانة اخناتون انما كانت ديانة بسيطة فى كل شىء — فى عقيدتها وفى شعائرها — فهى تدعو الى عبادة الله واحد أحد ، وتلك ويم الله ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وليس فيها شىء من تعقيدات كهانة آمون وغيرهم من رجال الكهنوت المصرى .

ومنها (ثانيا) أن المستضعفين فى كل أمة ، انما هم — فى أغلب الاحايين — أول من يؤمن بأصحاب الديانات ، وتاريخ النبوات شاهد على ذلك ، ومن ثم فكون العبرانيون مستضعفين فى مصر ، ليس بالضرورة أن يكون ضعفهم هذا — أو استضعافهم — سببا يحول بينهم وبين تلبية دعوة الوحدانية التى نادى بها اخناتون ، ومنها (ثالثا) أن العبرانيين لم يعودوا — بعد اقامتهم فى مصر قرابة ثلاثة قرون ونصف قرن — بدوا ، وانما أصبحوا أشبه بالمصريين ، يعيشون حياة أشبه بحياتهم ، ويعبدون بعض آلهتهم .

ومنها (رابعا) أن الاحداث التاريخية تشير الى أن الاسرائيليين انما قد تعلموا كثير من أفكار المصريين الدينية ، وقصة الخروج من مصر وما حدث بعدها فى سيناء ، يفهم منه بوضوح أن القوم ودوا لو أنهم يعودون الى مصر ، ويعبدون مراسيمها الدينية ، وتشير التوراة[٢٢]

---

(٢١) J. A. Wilson, Op-Cit, p. 256.

(٢٢) خروج ٣٢ : ١ — ٢٨ .

والقرآن الكريم[٢٣] الى «قصة العجل الذهبى»[٢٤] الذى عبده بنو اسرائيل فى سيناء ، والتى تدل على تأثير الديانة المصرية فى بنى اسرائيل، ذلك أن عبادة العجل فى مصر ، انما هى جد عميقة الجذور ، اذ ترجع الى ما قبل عصر موسى (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) بكثير — الى أيام الاسرة الاولى المصرية[٢٥] ، حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م — ثم استمرت حتى ظهور المسيحية وغلبتها عليها ، وليس من شك فان بنى اسرائيل باتخاذهم العجل من بعد موسى ، انما كانوا لما اعتادوا فى مصر من الآلهة مرتدين ٠

وهكذا يبدو واضحا مدى تاثير الديانة المصرية فى بنى اسرائيل ، تلك الديانة التى تمكنت من نفوسهم ابان اقامتهم الطويلة فى مصر — والتى جاوزت أربعة قرون — لدرجة أنهم ما كانوا بقادرين على الايمان بموسى ودعوته ، اما خوفا من فرعون ، واما خوفا من شيوخ بنى اسرائيل ، والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى «فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئيهم»[٢٦] ، باعتبار أن الضمير فى «ملئيهم» يرجع الى قوم موسى ٠

وعلى أى حال ، فلقد غالى بعض المتعصبين ضد اخناتون كثيرا ، حتى ترك فريق منهم موضع الدفاع الى موضع الهجوم — وكما يقول أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر (١٩٠٧ — ١٩٧٦م) ، طيب الله ثراه — يأتى آخر الامر من يذهب الى أن ديانة اخناتون لم تكن وليدة تفكيره ، ووحى فلسفته ، بل هى مأخوذة من التوراة ، زعما منهم ببداية ظهورها قبيل عصره ، واستنادا الى التشابه بين بعض فقرات أنشودة آتون والمزمور (١٠٤)[٢٧] ٠

---

(٢٣) سورة البقرة : آية ٩٢ ، سورة الاعراف اية ١٤٨ — ١٥٢ ، سورة طه آية ٨٣ — ٨٩ ٠

(٢٤) انظر عن القصة : محمد بيومى مهران : اسرائيل — الكتاب الاول — التاريخ ص ٤٦٢ — ٤٧٩ (الاسكندرية ١٩٨٧) ٠

(٢٥) W. B. Emery, Archaic Egypt, (Penguin Books), 1963, p. 124.

(٢٦) سورة يونس : آية ٨٣ ، وانظر تفسير المنار ٣٨٣/١١ — ٣٨٤ ، تفسير ابن كثير ٢٢٢/٤ — ٢٢٣ ، معانى القرآن للفراء ٤٧٦/١ — ٤٧٧ ، تفسير القرطبى ص ٣٢٠٨ — ٣٢٠٩ ، تفسير الطبرى ١٦٣/١٥ — ١٦٧ ٠

(٢٧) عبد المنعم أبو بكر : اخناتون ، القاهرة ١٩٦١ ص ٤٠ — ٤٢ ٠

غير أن حجج هذا الفريق من العلماء انما هى جد واهية لأسباب كثيرة ، منها (أولا) أن «هوجوجرسمان» انما يذهب الى أن أنشودة اخناتون وصلت الى العبرانيين فى فلسطين عن طريق فينيقية[٢٨] ، وربما عن طريق المعبد الآتونى الذى بناه اخناتون فى أورشليم أو فى بيت شمس[٢٩] .

ومنها (ثانيا) أن كثيرا من المزامير انما تنسب الى داود[٣٠] ، عليه السلام (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق٠م) — أى فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ربما على الاكثر فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر قبل الميلاد[٣١] ، بينما عاش اخناتون (١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق٠م)[٣٢] ، فى النصف الاول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أى قبل أيام داود بما يقرب من قرون أربعة ، بل ان بعضا من المزامير انما يرجع الى أيام السبى البابلى (٥٨٧ — ٥٣٩ ق٠م) ، وبعضها الاخر الى الفترة فيما بين عامى ٤٠٠ ، ١٠٠ قبل الميلاد[٣٣] ، ومنها (ثالثا) أن كثيرا مما جاء فى التوراة

---

(٢٨) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N Y., 1939, p. 368.

(٢٩) H. R. Hall, The Ancient History of the near East, London, 1963, p. 300.

(٣٠) يحتوى سفر المزامير على ١٥٠ مزمورا ، ينسب الى داود منها ٧٣ مزمورا فقط ، وخمسون مجهولة المؤلف ، والبقية ترجع الى مؤلفين مختلفين (حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٨٤) .

(٣١) يختلف المؤرخون فى فترة حكم داود ، عليه السلام ، فهناك من يجعلها فى الفترة (١٠١٢ — ٩٧٢ ق٠م) (I. Epstein, Op-Cit., p. 35)
ومن يجعلها فى الفترة (١٠١٠ — ٩٥٥ ق٠م)
G. Roux (Ancient Iraq, 1966, p. 454).
ومن جعلها فى الفترة (١٠٠٤ — ٩٦٣ ق٠م) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٣ ، ومن يجعلها فى الفترة (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق٠م)
(W. F. Albright, The Biblical Period, 1963, p. 120-121)
ومن يجعلها فى الفترة (٩٨٥ — ٩٦٣ ق٠م)
(Historical Atlas of the Holy Land, N. Y., 1959, p. 81)

(٣٢) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, 1964, p. 443.

(٣٣) حبيب سعد : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا
M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, 1970, p. 898-899.
Sigmund Freud, Moses and Monotheism, Translated from the German, by K. Jones, p. 21-32.

ـ أو العهد القديم ـ انما يرجع فى أصوله الى الادب المصرى القديم ، كما سوف نرى فى تعاليم «أمنؤوبى» وسفر الامثال ، ومنهـا (رابعا) ماذهب اليه «سيجموند فرويد» (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م) فى نظريته المشهورة من أن موسى هو الذى نقل أفكار اخناتون الى الاسرائيليين عندما خرج بهم من مصر[٣٤] ، (حوالى عام ١٢١٦ق٠م ، أو ١٢١٤ ق٠م) ٠

ومنها (خامسا) ـ وربما كان أهمها جميعا ـ أن مقارنة سريعة بين المزمور (١٠٤) ونشيد اخناتون ، انما تدل بوضوح على أن نشيد اخناتون ـ فيما ترى جمهرة العلماء ـ انما كان دون شك،هو أصل المزمور (١٠٤)٠

---

(٣٤) أنظر عن «تاريخ الخروج والاراء التى دارت حوله» ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ـ الكتاب الاول ـ التاريخ ـ الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٣٥٧ ـ ٤٣٩ ٠

نشـيد اخنـاتون	المزمور ١٠٤
(١) حين تغرب فى الافق الغربى تصبح الارض فى ظلام كالموات ، الليل ينقضى فى غرف النوم ، والرؤوس مغطاة ، ولا ترى اعين أصحابها .	(١) تجعـل ظلمـة فيكون ليل،فيه تدب كل حيوان وعر (المزمور ١٠٤ : ٢٠)
(٢) الاسـود تخـــرج من أوجارها ، والثعابين تنساب لتلدغ .	(٢) الاشبال تزمجر لتخيف ولتلتمس من الله طعـــامها (المزمور ١٠٤ : ٢١)
(٣) الارض زاهيـة حينمـا تشرق فى الافق ، وتضىء فى النهار مثل اتون ، أنت تقصى الظلمة الى بعيـد ، وعندما ترسل اشعتك ، فان الارضين (مصر) تصبحان فى عيـــد ، يستيقظ النـاس ويقفون على اقـدامهم عنـد ايقاظك اياهم ، فينظفون اجســامهم ، ويلبسون ثيابهم ، ويرفعون اكفهم تعبـدا لطلعتك البهية ، ثم ينتشرون فى الارض يباشر كل منهم عمله .	(٣) تشـــرق الشمـــس فتنصرف ، وفى ماويها تربض، الانسان يخرج الى عمله والى شغله الى المساء (المزمور ١٠٤ : ٢٢ ـ ٢٣)
(٤) السفن تبحر شمالا وجنوبا ، وتعج الطرق بالنـاس ، الاسماك فى النهر تقفز أمامك ، واشعتك تنفذ الى أعماق الاخضر العظيم .	(٤) هــذا البحر الكبـير الواسـع الاطـراف ، هنـاك دبابات بلا عـــدد ، صغـــار حيوان مع كبار ، هناك تجرى الســـــفن « لويانان » هنـــاك خلقتــه ليلعب فيــه (المزمور ١٠٤ : ٢٥ ـ ٢٦)
(٥) ما اكثر اعمالك ، انها على الناس خافية ، أنت الاله الواحد ، الذى ليس معه سواه ، وليس له من نظير ، برات الدنيا حسب رغبتك ، وكنت فردا ، خلقت البشر والانعام ، وكل ما يسعى على الارض بقدم، ويحـلق فى الفضـاء بجناح ، خلقت بلاد خور وكوش وأرض مصر،ووجهت فيها كل فرد الى موطنه ، ودبرت للجميع شئونهم، فاصبح لكل فرد رزقه ، وتعـين لكل فرد اجـله ، وظلت الالسـنة بينهم فى النطـق متباينة ، والهيئات والالوان متمايزة .	(٥) ماأعظم أعمالك يارب، كلها بحكمة يارب،كلها بحكمة صنعت،ملآنة الارض من غناك (المزمور ١٠٤ : ٢٤)

الفصل الخامس

أدب المدائح والملاحم والغناء والغزل

خلف لنا المصريون القدامى من تراثهم الادبى الذى يرجع الى أيام الدولتين الوسطى والحديثة نوعا من الادب يمكن أن نسميه «أدب المدائح والملاحم والغناء» ، امتاز بأسلوبه الشعرى الذى يجعله أقرب الى النظم منه الى النثر ، ولعل من خير ما يمثله تلك القصيدة الرائعة التى صور فيها الشاعر بأس الملك «سنوسرت الثالث» وقوته الخارقة ، فشبهه بالسد الذى يمنع النهر من ثورة فيضه ، وبالظل الظليل الواقى الذى ينعش أيام الصيف ، وبالركن الدافىء أيام الشتاء ، وبالجبل تتقى به العواصف يوم تثور السماء •

هذا وقد وصف الفراعين حـروبهم على أيام الامبراطورية وصفا رائعا ، وقد أجادوا ـــ بصفة خاصة ـــ وصف معركة قادش ، والتى من خير أجزائها وصف الشاعر لموقف رعمسيس الثانى فى محنته الكبرى ، عندما أحاطت به قوات العدو ، فأخذ يستغيث بأبيه أمون ويطلب منه العون ، ولما استبطأ معونته ضاقت نفسه ، وأخذ يناجيه معاتبا اياه ، عتابا يصور ما فى نفسه الملتاعة فى صراحة وايمان •

هذا وقد عرف المصريون القدامى فى عهد الدولة الحديثة لونا من الادب ، يتمثل فى أغانى الحب التى يتغزل فيها المحب بحبيبته ، غزلا ساذجا ، مرسلا ، خاليا من الصنعة والتكلف •

أولا : من أدب المـــدائح

١ ـ مدائح سنوسرت الثالث

احتل «سنوسرت الثالث» (١٨٧٨ ـــ ١٨٤٣ ق•م) مكانة ممتازة فى تاريخ مصر الفرعونية كله ، حتى أنه لم تمض بضعة قرون على وفاته ، الا ونراه يعبد فى بلاد النوبة كاله ، وذلك على أيام «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ ـــ ١٤٣٦ ق•م) ، ذلك لان تحوتمس الثالث ـــ أعظم الفراعين المحاربين على الاطلاق ـــ انما كان بطلا يقدر البطولة ، أو كما يقولون : لا يحسن الفضل الا ذووه ، ففى معبد «عمدا» بالنوبة ، الذى شيده تحوتمس الثالث ، نراه يأمر بتقديس «سنوسرت الثالث»[1] ، وكذا فعل

(١) H. Gauthier, le Temple d'Amada, Cairo, 1931.
A. Weigall, Op-Cit, p. 104.

«طهراقا» (٦٨٩ — ٦٦٤ ق٠م) ، والامر كذلك فى بوهن والليسيه ، بل حتى العامة من القوم قد قدسوا سنوسرت الثالث ، ففى أحد المناظر على صخور أسوان منظر يمثل عائلة قام أفرادها باحضار قرابين للالهة ، ومن بينها سنوسرت الثالث(٣) •

وأما عن شهـرته الحربية ، فقـد تضخمت لدرجة أن أطـلق عليه «هيرودوت» و «ديودور الصقلى» لقب «البطل قاهر العالم» ، ثم خلطوا بين حروبه وحروب «سنوسرت الاول» ، فضلا عن الرعامسة ، ومن ثم فقد نسبوا اليه فتوحات فى آسيا الغربية وأوربا الشرقية ، بل ان المؤرخ المصرى «مانيتو» انما يذهب الى أن «سنوسرت الثالث» قد أخضع كل آسيا فى تسع سنوات ، وكذا أوربا حتى تراقيا ، وانه اهتم بتسجيل أحوال الناس أينما ذهب ، ويذهب «ديودور الصقلى» الى أنه فتح بلاد العرب والحبشة والهند ، وبلغ البحر الاسود ، ووصل الى تراقيا،وجعلها حدود مملكته ، وهو أمر جد مبالغ فيه ، وقد اختلط الخيال فيه بالحقيقة صحيح أن سنوسرت الثالث هو المؤسس الحقيقى للامبراطورية المصرية، فى النوبة ، وصحيح أيضا أنه قام بحملة كبيرة على آسيا الغربية ، وصل فيها الى منطقة السامرة الجبلية ، ولكنه صحيح كذلك ، أن الرجل لم يركب البحر فى حروبه،وانما ركب النيل ليخضع العصاة فى بلاد النوبة(٢) •

وعلى أية حال ، وانطلاقا من كل ذلك ، فليس غريبا أن تظل ذكرى «سنوسرت الثالث» حية فى نفوس القوم ، والتى تتمثل فى تلك القصيدة الرائعة التى عثر عليها بين انقاض «اللاهون» ، والتى تعتبر ذات أهمية كبرى ، لانها الانشودة الوحيدة التى وصلت الينا من الدولة الوسطى

---

(٢) D. Randall-Maciver and C. L. Woolley, Buhen, Philadelphia, 1911, p. 41-42.

(٣) انظر : محمد بيومى مهـــران : مصر والشرق الادنى القديم ــ الجزء الثانى ــ مصر ــ الجزء الثانى ــ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٤٠٨ــ٤١١ عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١٨٢/١ ، وكذا
A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 439.
Diodurus, I, 53 F.

فى المديح الملكى ، وستكون مثالنا الوحيد لهذا العصر ، حتى تجود أرض الكنانة الطيبة بأمثالها أو خير منها •

هذا وتتكون الانشودة من ســتة مقطوعات ، وقــد اهتم بنشرهاـــ وترجمتها والتعليق عليها كثير من العلماء من أمثال : جريفث[٤] ومولر[٥] وزيته[٦] وجرابو[٧] وارمــان[٨] وجــدكه[٩] وبوزنر[١٠] وسمبسون[١١] وغيرهم[١٢] ، فضلا عن ترجمات العلمــاء المصريين ، من أمثــال سليم حسن[١٣] وأحمد بدوى[١٤] •

ولنحاول الآن أن نترجم لأهم أجزاء هذه القصيدة :

١ ـ المقطوعة الاولى :

«لك الحمد يا «خع ــ كاو ــ رع» ، يا حور ، أيها الصقر المقدس»•

«يا حامى الوطن ، وماد حدوده ، يا قاهر البلاد الاجنبية بقوة تاجه» •

«يامن ضم الارضين (مصر) بين يديه،ممسك البلاد الاجنبية بقوة ذراعيه»•

«مجندل أصحاب السهم ، دون ضربة عصا»

«يامن يفوق سهمه دون أن يشد وتر القوس»

«مخضع أصحاب القوس فى ديارهم»

«يا من سحق رعبه أقوام الاقواس التسع»

---

(٤) F. L. Griffith, Hieratic Papyri from Kahun and Gurab, London, 1898, Pls, I-III, p. 1-3.

(٥) G. Moller, Lesestucke, I, Berlin, 1961, Pls. 4-5.

(٦) K. Sethe, Agyptische Lesestucke, Leipzig, 1924, p. 65-67.

(٧) H. Grapow, in MIO, I, 1953, p. 189-209.

(٨) A. Erman, LAE, 1927, p. 134137.

(٩) H. Goedicke, JARCE, 7, 1968, p. 23-26.

(١٠) G. Posener, Op-Cit, p. 128-130.

(١١) W. K. Simpson, Op-Cit, p. 279-284.

(١٢) M. Lichtheim, Op-Cit, p. 198-201.

(١٣) سليم حسن : الادب المصرى القديم ١٨٠/٢ ـ ١٨٤ •

(١٤) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٤٧ ـ ٢٥١ •

«يا من أمات خنجره ألوفا من الرماة قبل أن تطأ أقدامهم حدوده»
«يا من يفوق سهمه مثل «سخمت» »
«يا من قهر الآلاف ممن لا يعرفون بطشه»
«ان كلمة من جلالته لتخضع أهل النوبة»
«ان منطقه ليجعل البدو يولون الادبار»
«هو الواحد الفرد ، ذو القوة الفتية ، الذائد عن حياضه»
«مذهب الوهن عن شعبه»
«جاعل الناس ينامون فى أمان حتى طلوع الفجر»
«شباب جنوده ينامون لان قلبه هو المدافع عنهم»
«أوامر جلالته كبحت جماح النوبة ، وهزمت الاسيويين»

٢ ـ المقطوعة الثانية :

«ألا ما أشد اغتباط الآلهة لانك ثبت قرابينهم»
«ألا ما أشد أفراح بلدك لانك ثبت حدوده»
«ألا ما أشد اغتباط آبائك لانك زدت فى عطائهم»
«ألا ما أشد اغتباط مصر بقوتك لانك حميت النظام القديم»
«ألا ما أشد اغتباط شعبك بحكومتك لانك قضيت على السلب»
«ألا ما أشد اغتباط جنودك ، لانك أسعدتهم»
«ألا ما أشد اغتباط شيوخ قومك لانك جددت شبابهم»
«ألا ما أشد اغتباط (مصر) بقوتك لانك حميت أسوارها»

٣ ـ المقطوعة الثالثة :

«ما أعظم سيد وطنه ، انه يعدل آلاف الالوف ، وآلافا غيرهم ، وما هم بالنسبة اليه الا قليل»
«ما أعظم سيد وطنه ، فهو السد الذى يمنع النهر من ثورة فيضه»
«ما أعظم سيد وطنه ، فهو القاعة الرطبة تبعث النوم لكل الناس حتى مطلع الفجر»

«ما أعظم سيد وطنه ، فهو حصن جدرانه من نحاس جوشن»
«ما أعظم سيد وطنه ، فهو الحمى الذى لن يدرك اللاجىء اليه عدوه»
«ما أعظم سيد وطنه ، فهو الظل الوارف الذى ينعش أيام الصيف»
«ما أعظم سيد وطنه ، فهو ركن الدفء والجفاف أيام الشتاء»
«ما أعظم سيد وطنه ، فهو الجبل الذى يمنع العواصف يوم تثور السماء»
«ما أعظم سيد وطنه،فهو شديد مثل سخمت على من تطأ أقدامهم حدوده»

٤ ـ المقطوعة الرابعة :

«جاءنا فولى أمر الصعيد ، ووضع التاج المزدوج على رأسه»
«جاءنا فوحد القطرين ، وضم رمزى الوجهين (البوصة والنحلة)»
«جاءنا فحكم المصريين ، وضم اليه الارض الحمراء»
«جاءنا فحمى القطرين ، ومنح أرضهما السلام»
«جاءنا فأحيا أهل مصر ، ومحا آلامهم»
«جاءنا فمد الحياة للناس ، وجعلهم يتنفسون»
«جاءنا فوطىء بقدميه أرض الاجانب ، وكبل أصحاب الاقواس ، وكانوا لا يعرفون الخوف من قبل»
«جاءنا فحمى الحوض ، وأغاث الملهوف»
«جاءنا فوفر الوقار للشيخ»
«جاءنا فأعاننا على تربية أبنائنا ، ودفن الطاعنين من شيوخنا»

٥ ـ المقطوعة الخامسة :

«أنت تحب «خا ـ كاو ـ رع» الذى يعيش الى أبد الآبدين
«هو يعطيك الغذاء والخلاص»
«أنت راعينا الذى يمنح النفس»
«أنت تعطيها اياه فى سعادة وفى مرات يخطئها العدد»

٦ ـ المقطوعة السادسة :

«ثناء لـ «خا ـ كاو ـ رع» الى أبد الابدين»[١٥]

---

(١٥) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٤٧ ـ ٢٥١ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٨٠ ـ ١٨٤ ، وكذا =

٢ ـ قصيدة مديح تحوتمس الثـالث

هذه القصيدة وجدت على لوحة بمعبد الكرنك بالاقصر ، ومحفوظة الآن بمتحف القاهرة برقم ٣٤٠١٠ وتحتوى على مديح وجهه الاله نفسه لابنه الفرعون «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ ــ ١٤٣٦ ق٠م) ، والذى كان يدخل المعبد منتصرا بعد كل غزوة مظفرة ، وتشتمل على مقدمة وخاتمة مكتوبتين بلغة شعرية ، وأما الجزء الاوسط من القصيدة فانه شعر مقفى٠

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر اللوحة وترجمتها والتعليق عليها ومنهم بيير لاكو[١٦] ، وجيمس هنرى برستد[١٧] ، وأدولف ارمان[١٨] ، وجون ويلسون[١٩] وفولكنر[٢٠] وغــيرهم[٢١] ، هذا فضلا عن ترجمة المصريين[٢٢] ، ونظرا لاهمية هذه القصيدة ، فقد انتحلها ثلاثة من ملوك الدولة الحديثة ، وهم أمنحتب الثالث (١٤٠٥ ــ ١٣٦٧ ق٠م) و «سيتى الاول» (١٣٠٩ ــ ١٢٩١ ق٠م) و «رعمسيس الثانى» (١٢٩٠ ــ ١٢٢٤ ق٠م) تقول القصيدة :

«يقــول أمون رع ، رب العروش فى الارضين ، تعال الى لتحظى بنورى ، أى بنى ونصيرى «من ــ خبر ــ رع» (منخبرع) الباقى أبدا ، اننى أشرق من أجل حبك ، ان قلبى ينشرح بمجيئك الميمون الى معبدى ، ويداى تمنحاك الحماية والحياة ، ما أرق الشفقة التى تظهرها نحوى ، ولهذا سأثبتك فى معبدى ، وأمنحك الخير كله»٠

=

وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, p. 198-201.
وكذا W. K. Simpson, Op-Cit, p. 279-284.
وكذا H. Goedicke, Op-Cit, p. 23-26.
وكذا A. Erman, Op-Cit, p. 134-137.

(١٦) P. Lacau, Steles du Nouvel empire, I, Cairo, 1909, p. 17-21.

(١٧) J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1907, Parag., 655-662.

(١٨) A. Erman, Op-Cit, p. 254-258.

(١٩) J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 373-375.

(٢٠) R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 285-288.

(٢١) M. Lichtheim, Op-Cit, II, p. 35-39.

(٢٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٨٥ ـ ١٨٩ ، أحمــد بدوى : المرجع السابق ص ٤٩٨ ـ ٥٠١ ٠

«لقد رزقتك القوة والنصر على أمم الارض جميعا ، وبسطت سلطانك ورهبتك فى كل بلد ، وجعلت الرعب منك يمتد حتى عمد السماء الاربعة ، ووضعت احترامك فى كل جسد ، نداؤك الحربى يمتد بين أقوام الاقواس التسعة ، وجمعت أمراء الارضين جميعا فى قبضة يمينك ، ومددت يدى فقيدتهم جميعا ، صعدت لك الألوف وعشرات الالوف من عصاة الجنوب (أهل القوس) ، ثم مئات الالوف من أهل الشمال ، وطرحت أعداءك تحت قدميك ، لتهلك منهم العصاة والثائرين ، حتى دان لك أهل المشرق والمغرب فى طول البلاد وعرضها ، تستطيع أن تضرب فيها مغتبط القلب حيث تشاء، دون أن تجد فى ربوعها من يعصيك» •

«وأعبرتك ماء الفرات الى «نهرين» قويا مظفرا بتأييد من عندى ، يسمعون صيحتك فيلوذون بالكهوف والمخابىء ، على حين كنت أسلب أنوفهم نسمة الحياة ، وألقى فى قلوبهم الرعب من بأسك ، وجعلت الصل على جبينك ناشرا ياكلهم ، ويحـــرق بناره أهل المناقـــع ، ثم يأتى على الخارجين من الاسيويين فيما يبقى ولا يذر ، وهيأت لك النصر تتغلغل به فى الارض جاعلا كل من يشرق عليه نورى من رعيتك وعبيدك ، ولم يبق تحت السماء من يعصيك ، يجيئونك بأمرى مطعين ، مقنعى رؤوسهم، يحملون اليك جزى بلادهم ، وأتيت لك بالخارجين على سلطانك صاغرين تلتاع نفوسهم ، وترتعش أبدانهم» •

«واقيتك مؤيدا لتسحق أمراء «زاهى» (فينيقيا) ، فجعلتهم تحت قدميك ، ثم ألقيت عليك من نورى ما جعلهم يرونك فى صورتى ، ووافيتك لتسحق الاسيويين ، فضربت أمراء العامو فى أعالى فلسطين ، وأطلقتك عليهم فى زينة الحرب ترديهم من فوق ظهر فرسك ، ووافيتك لتسحق الشرق ، ثم سقتك على أرض الاله فأريتهم اياك شهابا رصدا ، ووافيتك لتسحق الغرب ، وجعلت أهل «كفيتو» (كريت) و «آشى» (الآشيا = قبرص) تحت سلطانك ، يرون فيك فحلا ظافرا فتيا حـــديد القرنين ، لا يغلبه غالب ، ووافيتك لتسحق أهل المناقع والاخوار ، فبات أهل ميتانى يهتزون أمامك رعبا وفرقا ، وأريتهم اياك فى صورة تمساح يملأ الماء رعبا، فلا يدنو منه أحد» •

«وافيتك لترهب أهل الجزائر فى قلب اليم ، تروعهم صيحتك فى ساحة الوغى ، وأريتهم اياك كالظافر يصول فوق ظهر غريمه ، ووافيتك لتهلك «التحنو» (الليبيين) و «الاونتنتيو» تصرعهم قوتك ، وأريتهم اياك فى أقصى الارض ، وجعلت ما يحيط بالاقيانوس فى قبضتك ، وأريتهم اياك فى صورة «فهد» ثائر يذرع شطرى الوادى ، ووافيتك لتسحق النوبة ، وجعلت بقاعها فى يمينك حتى «شط» (مكان غير معروف فى النوبة) ، وأريتهم اياك فى صورة أخويك (حور وست) ، ووضعت أختيك (ايزة ونفتيس) خلفك لحمايتك ، على حـين أن ذراعى جلالتى كانتا مرفوعتين لتقبضا على كل شر».

«انى أمدك بحمايتى يا ابنى ، يا أيها الثور القوى الذى يسطع فى طيبة ، الذى أنجبته أعضائى الآلهية ، تحوتمس المخلد أبدا ، الذى عمل لى كل ما تتوق اليه نفسى (كا) ، لقد أقمت لى بيتا ، وهو عمل سيبقى أبدا ، وجعلته أطول وأعرض مما كان عليه من قبل ، والبـاب العظيم (من خبر رع ــ أعياد أمون رع) ، ان آثارك أعظم من آثار كل ملك سلف، اننى راض عنها ، لقد ثبتك على عرش مصر لملايين السنين ، حتى ترعى الاحياء الى أبد الآبدين»[٢٣] .

---

(٢٣) احمد بدوى : المرجع السابق ص ٤٩٨ ــ ٥٠١ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٨٥ ــ ١٨٩ ، وكذا

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 286-288.
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 35-38.
A. Erman, Op-Cit, p. 254-258.

ثانيا : من ادب الملاحم

ملحمة معركة قادش (١٢٨٥ ق٠م)

بدأ ملوك الاسرة التاسعة عشرة يعملون على استرداد الامبراطورية المصرية المفقودة فى آسيا ، ومن ثم فقد بدأ «سيتى الاول» «١٣٠٩ — ١٢٩١ ق٠م» بحملات ثلاث فى فلسطين وسورية ، حتى اذا ما كانت الحملة الاخيرة حدثت المواجهة بينه وبين الحيثيين ، وطبقا لنصوص الكرنك ، فقد كتب لفرعون النصر ، كما حصل على كثير من الاسرى والغنائم ، وأجبر الحيثيين على العودة الى بلادهم ٠

وهكذا نجح «سيتى الاول» فى أن يجعل حدود امبراطوريته تمتد شرقا من نهر الليطانى ، وأن صوروممجدو ، وربما بيسان ، قد استمرت كقواعد عسكرية ، وأن الرجل وان لم يستطع أن يحرز تقدما بعيدا فى سورية ، فانه قد نجح فى أن يفرض هيبة النفوذ المصرى فى كل فلسطين ، وربما فى سورية الجنوبية ، وأن يهزم الجيش الحيثى ، وأن يسيطر على اقليم «بنتسينا ، أميرامور ، ومولى الحيثيين»[(١)] ٠

ويخلف «رعمسيس الثانى» (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق٠م) أباه « سيتى الاول» على عرش الفراعين ، ويبدأ حكمه بأن يوالى الانتصارات التى حققها أبوه فى فلسطين ، ثم مدها نحو الشمال ، الى سورية ، التى كان النفوذ الحيثى قد تغلغل فيها منذ أيام العمارنة ، ومن هنا بدأ الصدام بين مصر وخاتى ، وفى العام الخامس من عهد رعمسيس الثانى (حوالى عام ١٢٨٥ ق٠م) حدثت معركة قادش المشهورة ، حيث كتب النصر فيها لفرعون ، بعد أن تعرض لكمين كاد أن يقضى عليه وعلى جيوشه ، ولكنه استطاع بفضل شجاعته النادرة ، أن يحول الهزيمة الى نصر ، وان كانت النتائج السياسية للمعركة لم تكن فى مستوى النصر العسكرى ، ومن ثم

---

(١) أنظر :

R. O. Faulkner, JEA, 33, 1947, p. 37-38.
J H. Breasted, ARE, III, Parag. 140-141.

فان كثيرا من الباحثين انما يذهبون الى أن الحدود بين الدولتين بقيت فى موقعها عند نهر الكلب فى فينيقيا تماما ، كما كانت قبل المعركة(٢) .

هذا وقد سجل الفرعون نصره هذا فى ملحمة شعرية رائعة ، جعلته من قروم الحرب ، وأبطال المعارك ، وان نسبت خطأ الى كاتبها «بنتاؤر» الذى لم يفعل شيئا سوى تدوينها ، وهكذا أعطت الايام لـ «بنتاؤر» ما ليس من حقه ، بينما أخفت الايام شاعر الملحمة الاصيل ، فبقى محجوبا عن عيون التاريخ حتى اليوم .

هـذا وقد سجلت قصيدة معركة قادش هـذه ، على سبع واجهات وجدران مختلفة ، منها بوابة معبد الاقصر ، والجداران الجنوبى والشرقى لردهة المعبد ، والحائط الخارجى من الجدار الغربى لردهة أمنحتب الثالث من نفس المعبد ، والجدار الخارجى لقاعة العمد العظيمة بالكرنك ، وكذا على الجدار الخارجى من البوابتين التاسعة والعاشرة من معبد الكرنك ، وعلى الجدار الشمالى الغربى لمعبد رعمسيس الثانى فى أبيدوس ، وعلى البوابة الثامنة لمعبد الرمسيوم فى طيبة الغربية ، كما رسمت المعركة بتفصيلاتها فى الصالة الاولى من معبد أبو سمبل على الجدار الايمن(٣) .

هذا وقد اهتم بهـذه القصيدة كثير من العلماء ، فقاموا بنشرها وترجمتها ، والتعليق عليها ، ولعل من أهمهم كوينتز(٤) وسليم حسن(٥)

---

(٢) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ص ٧٤ ــ ٩٣ .

وكذا A. H. Gardiner, The Kadesh Inscriptions of Ramesses, II, Oxford, 1960, p. 7-9.

H. Goedicke, JEA, 52, 1966, p. 72-92.

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 38-39.

J. H. Breasted, A History of Egypt, p. 423-441.

A. Burn, JEA, 7, 1921, p. 5-7.

(٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٦٨/٢ ، ولعل من الجدير بالاشارة أن هناك نصا للملحمة على بردية اقتسمها متحف اللوفر والمتحف البريطانى ، ومازالت محفوظة بهما .

(٤) C. Kuentz, la Bataille de Qadech, Memoires de L'Institut Francais d'Archeologgie Orientale, Vol. 55, (Cairo, 1928-1934).

(٥) S. Hassan, Le Poeme did de Pentaour et la rapport officiel

=

وكتشـــن(٦) وبرستد(٧) وويلسون(٨) وفولكنر(٩) وجاردنر(١٠) وبرن(١١) وألت(١٢) وايدل(١٣) وشولمان(١٤) وجـــدكه(١٥) ، هـــذا الى جانب عـــدة ترجمات عربية(١٦) .

وفى الواقع فلقد سجل شاعر الفرعون ، الذى لا نعرفه على وجه اليقين ، أخبار معركة قادش فى ملحمة شعرية رائعة ، أشاد فيها بشجاعة الفرعون وبأسه ، وببطولته الفـــذة ، ثم بصبره وثباته وحسن بلائه ، فصوره لنا فى ساعة الكرب ، وقد اندفـــع فى صفوف العدو ، حتى اذا ما توسطها أو كاد ، أحاطت به عجلات الحرب ، يعلوها فوارس الأعداء من كل قرم ، وهنا يترك الشاعر فرعون يتحدث عن نفسه فيقول : «ولم يكن معى أمير ولا فارس ولا راجل ، فلقد تولى عنى فرسانى ورجالتى ، وتركونى نهبا للعدو ، اذ لم يستطع واحد منهم أن يثبت لضرباته .

وقد أرخت الملحمة : «السنة الخامسة ، الشهر الثـــالث من فصل الصيف ، اليوم التاسع من عهد جلالة الملك رع دار أختى ، الثور القوى،

=

sur la Bataille de Qadesh, Cairo, 1929 .

(٦) K. A. Kitchen, Ramesside Inscriptions, Historical and Biographical, Oxford, 1969, II, p. 2-124

(٧) J. H. Breasted, ARE, III, Chicago, 1907 (Reprint N.Y, 1962), Parag. 298-327.

(٨) J. A. Wilson, AJSL, 43, 1927, p. 266-287.

(٩) R. O. Faulkner, MDIK, 16, 1958, p. 93-111.

(١٠) A. H. Gardiner, The Kadesh inscriptions of Ramses, II, Oxford, 1960.

(١١) A. H. Burne, JEA, 7, 1921, p. 191-195.

(١٢) A. Alt, ZDPV, 55, 1932, p. 1-25, 66, 1943, p. 1-20.

(١٣) E. Edel, ZA, 15, 1949, p. 195-212, AEO, I, 188-189.

(١٤) A. R. Schulman, JARCE, I, 1962, p. 47-53.

(١٥) H. Goedicke, JEA, 52, 1966, p. 71-80.

وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, II, p. 57-70

(١٦) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٨٦٠ ــ ٨٧٥ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٩٢ ــ ٢١٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٢٩ ــ ٢٣٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩ .

محبوب معات ، ملك مصر العليا والسفلى ، وسر ماع رع ، ستب ان رع ، ابن رع ، رعمسيس ، محبوب أمون ، معطى الحياة أبدا ، والان فـان جلالته فى زاهى فى حملة نصره الثانية ...».

وأما القصيدة فتبدأ كالتالى :

«بداية انتصارات ملك مصر العليا والسفلى ، وسر ماع رع ، ستب ان رع ، ابن رع ، رعمسيس ، محبوب أمون ، معطى الحياة أبدا ، التى أحرزها على بلاد خاتى ، ونهرين ، وبلاد أرزاوا وبداسا ، ودردنى ، وبلاد ماسا ، وبلاد كاركيشا ولوكا ، وقرقميش وكدى وبلاد قـادش ، وبلاد أوجاريت وموشانت» .

«وكان جلالته شابا يافعا نشيطا لا نظير له ، قوى الذراعين ، جسور القلب ، قويا كمونتو فى وقته ، كامل كآتوم ، يعم السرور عند رؤية بهائه، عظيم الانتصارات على كل البلاد ، لا يؤسر فى القتال ، جدار قوى حول جنوده ، ودرعهم فى يوم المعركة ، رام لا نظير له ، وقوته تفوق الكثيرين، وهو الزاحف قدما ...»

وتستمر القصيدة فى وصف المعركة ، ولعل من أروع أجزائها أن يكون وصف الشاعر لموقف رعمسيس الثانى فى محنته الكبرى ، عندما أحاطت به قوات العدو ، فأخذ يستغيث بأبيه وربه «أمون» ، ويطلب منه العون، ولما استبطأ معونته ضاقت نفسه ، وأخذ يناجيه معاتبا اياه ، عتابا يصور ما فى نفسه الملتاعة من صراحة وايمان .

«وقام جـلالته مثل مونتو ، واندفع وسط العـدو ... الحيثيين الادنياء ... وكان وحيدا ، ولم يكن معه أحد ، والتفت الملك خلفه ، فوجد حوله ٢٥٠٠ عجـلة حربية ، وكل جيـوش الحيثيين الادنياء بكل حلفائهم ... ولم يكن معى أحد من قوادى ، بينما كان كل ثلاثة منهم على عجلة معا ، لم تكن معى عجلة واحدة ، أو راكب عجلة ، أو ضابط من الجيش أو خيال ، فسألت أمون ربى : ما معنى هذا يا أبى أمون ؟ هل من شأن الوالد أن يتخلى عن ولده ، هل أتيت أمرا من وراء علمك ، ألم

أمش وأقف بوحى من ارادتك ، وطبقــا لأوامرك ، ما أجــل رب مصر العظيم ، حين يسمح للاجانب أن يقتربوا من حماه ، ما الذى غير نفسك يا أمون ، وما قيمة هؤلاء الاجانب يا أمون ، وهم يكفرون بالرب ؟» •

«أو لم أقم لك الآثار الكثيرة ، وأملأ معابدك بالعبيد والاماء ، انى بنيت لك البيت العظيم الخالد ، ونحرت لك فيه عشرات الالوف من الاضحيات، وتركت الفلك تجرى بأمرك ، ووضعت بين يديك الكنوز الكثيرة ، اننى ادعوك واستنصرك أبى أمون ، وأنا بين أجانب كثيرين لا أعرفهم ، وقد تضافرت الاقطار الاجنبية ضدى ، وأصبحت وحيدا وما من أحد حولى ، أنا حارس نفسى وليس معى أحد ، تركنى جنودى الكثيرون ، ولم يلتفت الى واحد من خيالتى ، أنادى على عرباتى ورجالى فلا يرد واحد على ندائى ، فدعوتك أنت ربى يا أمون ، مؤمنا بأنك أجدى على من ملايين المشاة ومن مئات الالوف من الفرسان ، ألا انى أدعوك يا أمون من تلك البقاع النائية ، مؤمنا بأن دعائى سوف يبلغك فى طيبة» •

ويستجيب أمون الى دعوات ابنه رعمسيس ، ويسمع الملك صوت أمون ، وهو يهتف به ملبيا ، آمرا اياه أن «أقدم ، وانى لأبوك ، وانى لأكثر نفعا لك من مئات الالوف من الرجال ، أنا رب النصر الذى يحب الشجاعة» ، ويتشجع الفرعون عندما يحس أن ربه أمون معه يدفعه الى الجهاد ، فينحط على جماعات كثيرة من الاعداء ، ويبدى شجاعة خارقة فى تلك اللحظات العصيبة ، ويستطيع أن ينقذ نفسه من هذا المأزق الخطير، الذى وضعه فيه ملك الحيثيين وجنده ، عندما أحاطوا به من كل جانب ، فى وقت تفرق عنه جنوده وتركوه وحيدا فى ساحة الوغى •

وقد تمثل عون أمون لولده الفرعون فى فرقة «نعرين» الذين أتوا عن طريق أرض أمور ، واقتحموا الميدان ، وكانت قلوبهم واثقة من قــوة الفرعون ، «وكان هو لهم كجدار من النحاس ، وكجدار من الحديد» ، وشدد فرعون هجومه ، فلم يجد أعــداءه أمامهم سوى النهر ، وألقوا أنفسهم اليه ، وغرق بعضهم فيه ، والى هــذه اللحظات العصيبة يشير رعمسيس بقوله : «هناك وجدت نفسى ، ففاضت نفسى غبطة وسرورا ،

وأحسست أنني قادر على الجهاد ، فغدوت مثل اله الحرب مونتو ، وأخذت أرمي باليمين ، وأضرب بالشمال ، كأنني «بعل» في ثورته ، وبدت لي الخمسمائة وألفا (٢٥٠٠) عجلة من عجلات الحرب التي أحاطت بي ، وكأنها حطام عديم الخطر أمام خيلي ، وأولئك أعدائي قد أصبحوا عاجزين فلا يستطيعون حربا ، لقد وهنت نفوسهم ، وكلت أيديهم ، فما يستطيعون أن يطلقوا سهامهم ، أو يقذفوا رماحهم ، فدفعتهم الى اليم يغوصون فيه كالتماسيح ، بعد أن كبكوا على وجوههم ، فاضطربوا وأخذ بعضهم يموج في بعض ، وأخذت أتصيد من جمعهم كيف أشاء ، ووقف الملك الحيثي ينظر ذلك كله ، فاستدعى كل قواده وأحلافه ، واتجهت نحوهم أسرع من النار ، وحملت عليهم مثل مونتو وأذقتهم طعم يدي في لحظة ، وكان الواحد منهم يصيح لاخيه ، ما هذا بشرا ، ان هذا الا «سوتخ» انه بعل مجسدا ، وانه لذو قوة طاغية ، وفعاله لا تتفق لبشر ، ألا فلننقذ أنفسنا ، وننجوا بحياتنا ، ألا ترون كيف يأخذ الشلل أبدان من يقتربون منه»

«وانطلق وراءهم وكاد يقتلهم ، وكان يصيح بالجند وراكبي العجلات ألا فلتثبتوا ، ولتثبت قلوبكم ، أي جندي وعرباتي ، أنا وحدي ، وأمون سندي ، وتحدث «منننا» الى جلالته يمتدح شجاعته ، ويثبت الملك قلب «منننا» قائد عربته ، وهو يقول : ماذا في قلبك عن هؤلاء الاسيويين ؟ سوف أذبحهم وألقي بهم في الرغام ، أقسم بأمون انهم أشرار ، لانهم ينكرون الاله (الله) الذي سوف لا يضيء وجهه على ملايين منهم ، واخترق الملك صفوف العـدو ست مرات ، وكان يذبحهم ، ولم يفلت من أراد قتله منهم» .

وهنا أقبل جند الفرعون ، وأخذوا يحفـون بركابه ، هنالك خاطبهم بأغلظ القول ، ووجـه اليهم أعنف اللوم ، لمـا كان من انصرافهم عنه وانفضاضهم من حوله ، ومحاولا في الوقت نفسه أن يستفزهم الى حسن البلاء ، أنظر اليه اذ يقول متحسرا : «من هم اذا عظمائي وفرسـاني ورجالتي الذين يعرفون القتال ؟ أوليس يجدر بالرجل أن يسعى الى المجد ليلقاه جزاء ما يبدى بين يدي سيده من شجاعة ، فيغدو بذلك طيب السيرة

لانه قاتل بما فى وسعه من شدة وبأس ، ولان الشجاعة حلية الرجل منذ القدم ، كانى لم أعمل صالحا ترضونه ، حتى نبذتمونى وحيدا بين جموع البدو ، وكأنكم استمرأتم طيبات الحياة أو استمتعتم بنعيمها من دونى ، ألا ترون أنى سياجكم القوى ؟ لسوف يتحدث الناس بترككم اياى وحيدا لا يؤنسنى رفيق ، ولا يؤيدنى محارب.ولكنى حاربت الملايين من الاجانب وحيدا ، لا أملك غير فرسى ، وسائق ركابى ، ومن كانوا فى معيتى من خدام قصرى» •

ثم يتعمد الفرعون أن يذكرهم بما وفره لهم فى مصر من مآثر طيبة ، ومعاملة حسنة ، ثم كيف قربهم اليه وأحبهم ، وقال لهم : «لعله ما من أحد منكم الا أسديت له فضـــلا فى وطنى ، اذكـــروا انكم كنتم فقراء فأغنيتكم ، بأفضالى المستمرة ، وأقمت الابن منكم على أملاك أبيـــه ، وحرصت على أن أبعد كل شر عن مصر ، وتجاوزت عن ضرائبكم ، ولم يحدث أن اغتصب أحد شيئا منكم ، وكل من أعلن منكم شكايته زكيته تماما ، تذكروا أنه ما من مولى قدم لجنوده ما قمت به لارضائكم ، فقد سمحت لكم بالاستقرار فى بيوتكم ومدنكم ، كلما أعفيتم من القيام بمهام الجيش ، وهكذا كان شأن خيالتى يسرت لهم السبل الى قراهم» ••• ثم يقول : ها أنتم أولاء سوف تعودون عودة تعسة ، كلكم جميعا لا يعود أحد منكم ، فيقف ليمد يده الى ••• لقد كنت أحارب ، وأقسم على ذلك بـ «كا» أبى أمون ، الذى عاد فرآنى فوق مصر ، كما كان آبائى من قبل ، أولئك الذين لم يرو السوريين •••» ثم يختم حـــديثه بقوله : «انى حاربت وحدى ملايين البشر ، لا أملك غير فرسى هذين (النصر فى طيبة — والالهة موت) ، وانى لجاعل علفهما بين يدى وتحت عينى ، عندما أعود الى طيبة ، وذاكر منا سائق عجلتى ، لانه بقى الى جانبى مع خدم قصرى، كل هؤلاء شاهدوا الموقعة معى ، تأمل : لقد وجدت أنهم أظهروا لجلالتى الشجاعة والنصر ، بعد أن خذلت بساعدى القوى مئات الالوف مجتمعين معـــا » •

وفى اليوم التالى يوالى رعمسيس وجنده هجماتهم على الحيثيين ، «ولما انفلق الصبح واصلت الحرب ، وكنت مستعدا للمعركة مثل الثور

اليقظ المتأهب للنزال ، وقد ظهرت عليهم وكأنى «مونتو» ، ومعى محاربون أقوياء ، وقد اخترقت وسط المعمعة مثل الصقر عند انقضاضه على الفريسة ، والصل الملكى على جبهتى ينفث النار فى وجه أعدائى ، وأما أنا فكنت مثل «رع» عندما يشرق فى الصباح ، فكانت أشعتى تحرق أوصال العدو ، وكان الواحد منهم ينادى الاخر : خذوا حذركم ، اجمعوا أنفسكم ، تأملوا فان «سخمت» معه على جواديه ، فاذا اقترب منه أحد ، فان لهيب النار يمتد اليه ويحرقه» •

ويرسل ملك الحيثيين الى فرعون قائلا : «انك رع حار أختى ، وأنت سوتخ العظيم البطش بن نوت ، وان «بعل» فى أوصالك ، والفزع سرى منك الى أرض خاتى ، وقد كسر الى الابد ظهر أمير خاتى» ، ثم يرسل ملك الحيثيين رسوله يستعطف فرعون بعبارات لا تخلو من ألم ومذلة : «هل من الخير أن تبطش بعبيدك ، ووجهك الكريم يلحظهم دون أن ترحم، تذكر ما فعلته بالامس حين قتلت منا مئات الالوف ، أتأتى اليوم أيضا ، ولا تبقى من رجالنا باقية ، لا تكن قاسيا فى حكمك أيها الملك الهمام ، فالسلام خير من الحرب» ، «هناك فاض قلب فرعون اشفاقا ورحمة ، ولكنه قبل أن يقبل ضراعة العدو ، أراد أن يعرف رأى رجاله ، الذين أجابوه فى صوت واحد : الصلح خير عظيم ، وليس فى السلام من بأس ، ان أنفذته ، ومن الذى لا يهاب يوم نقمتك» ، وسرعان ما غلبت على الفرعون سماحة المصرى ، «فأذن فرعون بالاستجابة الى دعاء العدو ، وبسط يديه من أجل السلام ، وقفل راجعا مع جنوده فى أمان الى أرض مصر» •

«ووصل سالما الى «بيت رعمسيس عظيم الانتصارات» (العاصمة قنتير) ، ومكث فى قصره ممتلئا حياة مثل «رع» على عرشه ، وقد رحبت الآلهة بحضوره قائلين : مرحبا بابننا المحبوب ، رعمسيس محبوب أمون»، ثم منحوه آلاف آلاف الاعياد والخلود على عرش والده «أتوم» وكل البلاد والاراضى الاجنبية أصبحت تحت قدميه»(١٧) •

---

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٨٦٨ ـ ٨٧٤ ، سليم حسن :

بقيت الاشارة الى أن هناك بعضا من الباحثين انما يتهمون الفرعون بالمبالغة فى وصفه لدوره فى معركة قادش هذه،بل ان هناك آخرين يذهبون الى أبعد من ذلك ، حيث يرون أن الفرعون لم يحقق نصرا فى معركته هذه•

وأما أن هناك مبالغة فى وصف دور الفرعون ، فنحن لا نبرأ النص من ذلك ، وأما أن الفرعون لم يحقق نصرا فى معركة قادش هذه ، فتلك مبالغة من الذين يتهمون الفرعون بالمبالغة ، ذلك لان نصر الفرعون فى المعركة انما هو حقيقة ، لا ريب فيها ، وأن هنـــاك عوامل كثيرة من وراء نصر الفرعون ، منها :

أولا : تباطؤ جيش الحيثيين ، وانهماكهم فى جمع الاسلاب والغنائم من فيلق رع •

ثانيا : وصول فرقة «نعرين» الى ميدان المعركة فى الوقت المناسب •

ثالثا : شخصية الملكين ـــ المصرى والحيثى ـــ كقائدين •

والرأى عندى أن أهم الاسباب جميعا ، انما كانت شخصية الفرعون الشاب ـــ والذى لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره بالكاد ، ان لم يكن قد وصلها ـــ فلقد لعبت شجاعة رعمسيس الثانى النـــادرة ، وصموده أمام أعدائه ، واستبساله فى القتال ، قبل وصول فرقة نعرين ، الدور الاساسى والحاسم فى النصر •

والا فخبرنى بربك : ماذا ستكون فائدة قوة فرقة نعرين ، لو أن الفرعون الشاب قد تخاذل عن القتال ـــ كما فعل كثير من جنده ـــ ومن

=

المرجع السابق ص ٢٠١ ـ ٢١٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٣١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، وكذا

H. Goedicke, Op-Cit, p. 71-80.

J. A. Wilson, Op-Cit, p. 266-287.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 62.

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 93-111.

A. H. Burne, Op-Cit, p. 191-195.

هنا فانني أميل الى أن موقف رعمسيس الثانى ، النادر الشجاعة ، انما كان العامل الاول والحاسم فى احراز النصر ، وأما الملك الحيثى ، فلم يكن كفؤا لادارة المعركة ، يبدو ذلك واضحا ، عندما نراه يقف عاجزا ، دون أن يرسل مشاته ، بعد أن قضت عجلاته على فيلق رع ، نتيجة الكمين الذى أحكم تدبيره ، بل وكاد أن ينشر الرعب فى قلوب المصريين ، وأن يشيع روح الهزيمة بينهم ، وأن يجعل الفرعون محصورا بين جنود الحيثيين .

وقد ناقش الميجر «برن» ذلك ، وخلص منه الى أنه ربما كانت مخاضة «شبتونا» (التى أعد الكمين فيها للقضاء على الجيش المصرى) أعمق مما يجب على المشاة ، وأن الملك الحيثى لم يستطع أن يقنع مشاته بعبورها ، وربما كان الرجل يفقد تلك الهبة فى القائد ، فضلا عن الحزم وحسن التصرف فى اللحظات الحاسمة ، ومن ثم فان فرقة خيالته التى كثر عددها قد اختفت فى غبار التراب ، وأصبح الموقف مظلما ، وضاع النصر ، ومع ذلك كله ، وكما أشرنا من قبل ، فان النتائج السياسية لم تكن فى مستوى النصر العسكرى ، حتى أن الحدود بين الدولتين بقيت فى مكانها عند نهر الكلب فى فينيقيا تماما ، كما كانت قبل المعركة ، وعلى أية حال ، فان الفرعون طالما أرجع النصر الى عون ربه آمون أولا ، ثم الى شجاعته وجهده الشخصى ثانيا[١٨] .

---

(١٨) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ص ٨٤ ــ ٩١ ، وكذا

A. Burn, JEA, 7, 1921, p. 194-195, The Art of War on Land, p. 36-47.

A. Gotz, LDZ, 32, 1929, p. 832-838.

J. Kuentz, BIFAO, 55, p. 14.

F. Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 409.

A. Weigall, Op-Cit, p. 157-159.

وانظر عن «نعرين»

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, p. 263.

J. A. Wilson, ANET, p. 256.

H. Goedicke, Op-Cit, p. 79-80.

A. Burn, Op-Cit, p. 194.

ثالثا ـ من ادب الغزل والغناء

أولا : اغانى الغــــزل

عرف المصريون القدامى على أيام الدولة الحديثة (١٥٧٥ ــ ١٠٨٧ ق٠م) لونا من الادب يتمثل فى أغانى الحب التى يتغزل فيها الحبيب بمحبوبته ، غزلا ساذجا مرسلا ، خاليا من التكلف والصنعة ، وعلى أية حال ، فلدينا مجموعات كاملة من قصائد الحب ، ورغم قلتها ــ بالنسبة الى غيرهــا من فنون الادب الاخرى ــ فانهــا تبين فيما يرى بعض الباحثين[1] ، أن شعر الغزل قد وصل الى شكل ربما يدل على ممارسة ، ليست ، على أية حال ، قصيرة ، كما يشير الى ذلك ، اختيار اللفظ وتكوين العبارة ، واذا قارنا لغة الشعر بلغة النثر ، لوجدنا أن الاولى ، انما تتميز على الثانية برقة اللفظ وموسيقيته وانسجامه ، وأما الصورة الشعرية فربما قد وصلت الى مستوى قريب مما وصلت اليه الصورة فى الشعر الحديث غير المقفى ، وليس من المستبعد أن ذلك الشعر ، بما فيه من قوة المعنى وجمــال الاسلوب وصــدق التعبير ، انما كان يؤثر فى عــواطف السامعين ويشجيهم ، عندما يسمعونه غناء يوقع المغنون والجوارى أنغامه على أوتار العود ، وأى نغم تشجى النفوس ، وتحرك فيها العواطف ، أقوى من تلك النغم التى يغنيها الرجل الذى يضنيه الحب ، فيلتمس منها شفاء الروح فى عينى حبيبته ، ويستقطر الدواء من شفتيها ، وأى وصف أجمل وأوفى من ذلك الذى يخلعه الحبيب على من يحب ، فهو يجد فى طلعتها طلعة الزهراء فى باكورة العام السعيد ، تضىء باشراقها دنياه ، وتجعلها جميلة وضاءة ، ويرى الجمال فى عينيها ينبعث منها كلما مدت الطرف اليه ، ويرى الحلاوة فى شفتيها سيالة بكلماتها العذاب اللطاف ، وهى ــ الى كل ما ذكر من محاسنها ــ طويلة الجيد ، ناعمــة الثدى ، سوداء الشعر ، يلمع سواده فى عينيه فيبهره ، وعلى ذراعيها طلاوة تفوق

---

(١) منير مجلى : الجزيرة المسحورة ـ نصوص من الادب المصرى القديم ص ٢٣ ٠

طلاوة الذهب(٢) ، ثقيلة الردف ، دقيقة الخصر ، فى ساقيها جمال يزيدها رشاقة ، كلما تهادت على الارض(٣) .

وهناك مجموعة من أشعار الحب مكتوبة على بردية هيراطيقية من عصر الاسرة التاسعة عشرة (١٣٠٩ - ١١٨٤ ق.م) ، وهى محفوظة الان بالمتحف البريطانى برقم ١٠٠٦٠ ، وتعرف عند العلماء باسم « بردية هاريس رقم ٥٠٠ »(٤) ، وان كان البعض يفضل تسميتها باسم «مجموعة منف» لذكر اسم المدينة فيها ، وعنوانها «بداية الاغانى الجميلة لحبيبتك التى يحبها قلبك والتى تأتى اليك من المرج» ، وتتحدث فيها الفتاة التى وقعت فى الحب عن الطائر والشرك والطعم والعبير والتعويذة وصيحات الطير والطيب الذى يحمله فى مخالبه(٥) ... الخ ، هذا وقد تعرض كثير من الباحثين لاغانى الحب ، نشرا وترجمة وتعليقا(٦) .

---

(٢) كان ذلك اللون القمحى الفاتح هو لون النساء فى مصر الفرعونية ، وهو مايزال كذلك بين سكان الريف حتى اليوم - وخاصة فى الصعيد - ولولا الذى أدخل على دماء المصريين من مختلف الشعوب التى صاهرتهم منذ نهاية العصور الفرعونية ، لاستطاع القوم أن يحتفظوا بالوان بشرتهم القديمة التى تبدو لنا فى صور القبور ورسومها ، ولم ير الشاعر المصرى طلاوة يكسو بها جمال مايبدو من لون بشرة الحبيب خيرا من لون الذهب (أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٩ ، هامش ٢) .

(٣) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٨ - ٩٢٩ .

(٤) انظر : منير مجلى : المرجع السابق ص ٢٧ - ٤٨ ، وكذا
A. Erman, LAE, 1927, p. 244-246.
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 189-192.

(٥) منير مجلى : المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٧ .

(٦) E. F. Wente, in JNES, 21, 1962, p. 118-128.
وكذا H. Briner, JNES, 25, p. 130-131.
وكذا M. Lichtheim, in JNES, 4, 1945, p. 178-212.
وكذا W. K. Simpson, The Literstture of Ancient Egypt, London, 1977, p. 296-326.
وكذا M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976, Vol. II, p. 179-193.
وكذا S. Schot, Altaggptische Liebeslieder, Zunch, 1950, p. 39-69.
وكذا P. Gilliert, La Poesie egyptienne, Brussels, 1949, p. 42-79.
هذا الى جانب عدة ترجمات عربية للاساتذة : سليم حسن واحمد بدوى وأحمد فخرى ونجيب ميخائيل وعبد العزيز صالح وعبد الحميد زايد ومنير مجلى وغيرهم .

١ ـ ومن اغانى هذه المجموعة :

حبيبى قلبى يتمنى حبك
وكل ما تفكر فيه هو لك
انظر ماذا فعلت
جئت اصطاد بشرك فى يدى
تهبط طيور بونت محملة بالطيب فى مصر
وأول طائر يهبط يأكل طعمى
وأظافره فيها عبير
لكم أود أن نطلقها معا
وحيدة أنا بجوارك
حتى تسمع صيحات طائرى المعطر
كم يحلو لى أن تكون معى وأنا أنصب الشرك
فما أطيب الذهاب للمرج مع المحبوب
سأسحب شباكى وأعود ، ولكن ماذا أقول لأمى
وكل مساء أعود اليها محملة بالطيور
لسوف تقول لى : ماذا ألم تنصبى اليوم أى شراك ؟
آه أدار حبـــك رأسى
اوز البرى يطير ويهبط جميعا
وهاهى الطيور ، ولكنها لا تهمنى
فلدى حبك ، لى أنا وحدى
وقلبى يوائم قلبك تماما ولن أبعد عن جمالك
يا حبيبى يتوقف قلبى فى الكعك اللذيذ أمامى
ولكن مذاقه كالملح فى فمى
الشراب الذى كان حلوا له الان طعم مرارة الطير
عبير أنفاسك ، هو ما يحيى قلبى
يا أجمل كل الناس كم أود أن أشاركك بيتك
زوجة لك ، كى تضع على ذراعى ذراعك
ولكنك أدرت عنى حبك

أقول لقلبى بداخلى
غاب عنى حبيبى هذه الليلة
وأصبحت كمن فى القبر
ألست أنت الصحة والحياة
ألا تأتى الى ومعك الفرح ، ألا تهمك صحة قلبى
أظل على باب دارى أنظر ، أيأت حبيبى الى
عيناى على الطريق وأذناى تسمع
حب حبيبى لى هو همى الوحيد
وقلبى معه لا يسكت
ها هو ذا يبعث لى رسولا
يجىء ويمضى مهرولا ليقول أصابنى مكروه
قل انك وجدت حبيبة أخرى
لماذا تجعل قلب امرأة أخرى يتألم وأموت أنا
ويسترجع قلبى حبك ، وبنصف شعرى مصفف
اهرع لأبحث عنك لا يهمنى تصفيف شعرى
لسوف أصففه ان كنت ماتزال حيا
حتى أكون على استعداد لك ، فى أى وقت

٢ ــ ومن اغانى هذه المجموعة :

تسعد قلبى فافعل بى ما تريد
حينما أكون بين ذراعيك
حبيبى دواء عينى ، رؤياك نور عينى
أسكن بجوارك هادئة لانى أرى حبك
يا من تسكن قلبى ، يا أعظم الرجال
يا لهناء ساعتى التى أرتاح فيها معك
آه لو دامت الساعة الدهر كله
أنت حياة قلبى ، ولكنى حزينة فقد يهجرنى
أنا حبيبتك الاولى ، حديقتك
زرعت فيها الزهور والنباتات ذات العبير

يصفو جدولها الذى حفرته يداك
حين تهب ريح الشمال المنعشة فهو المكان الجميل
الذى أتنزه فيه ، وعلى يدى يدك
جسدى مستريح وقلبى منتعش
عندما نسير معا عذب أن أصغى لصوتك
وأنا أحيا لانى أسمعه
عندما أراك كل نظرة
أطيب لى من أى طعام أو شراب
عندما تعود منتشيا وتنام على سريرك
أمسح قدميك ، فالصحة والحياة عندما ترجع

وهناك مقطوعة غزلية جاءت على «بردية شستر بيتى الاولى» يتغزل فيها فتى بفتاة فيقول :

حبيبتى درة فريدة لا مثيل لها فى حسنها
هى أكثر جمالا من كل النساء
انها كنجمة الزهراء فى مطلع العام السعيد
ضياؤها ساطع وبشرتها وضاءة
جميلة العينين حين تنظر ، عذبة الشفة حين تتحدث
تتلكأ على شفتيها الكلمات المحرضة
طويلة العنق ، جميلة الثديين ، شعرها أسود فاحم
ذراعاها أبدع من الذهب فى طلاوته
أصابعها مثل براعم اللوتس
ثقيلة الارداف ، نحيلة الخصر
ينبىء ساقاها عن جمالها
ما أرشق قدها عندما تسير
سلبت قلبى مع قبلتها
انها تجعل أعناق الرجال تنثنى
مستديرة نحوها عند رؤيتها

ما أسعد من يلثم فاها ، انه يصبح أقوى من غيره[٧]

وهناك أغنية جاءت على «أوستراكا» فى متحف القاهرة ، برقم٢٥٢١٨ يتناجى فيها فتى وفتاة ، حيث تقول الفتاة له «ياأخى» ، وهـو يناجيها بـ «يا أختى»[٨] ، ويبث كل منهما الآخر ما يعتمل فى نفسه من شوق ، وما يلاقيه من لوعة ، حتى يحين وعد الزواج •

وقد جاء فى هذه الاغنية :

تقول الفتاة :

«أخى : انه لجميل أن أذهب الى البحيرة لاستحم أمامك ، حتى ترى مفاتنى فى ثوبى الكتانى الجميل ، وهو مبتل ملتصق بجسدى ، أنزل معك الى الماء ، ثم أعود اليك بسمكة حمراء وقد استقرت جميلة بين أصابعى ، تعالى وانظر الى»

ويجيب الفتى :

«هناك على الشاطىء الاخر حب اختى (حبيبتى) ، وبينى وبينها الماء وتمساح على الشاطىء الاخر،ولكنى حين أنزل ، فان قلبى تملؤه الشجاعة واذا الماء أرض لقدمى ، فحبها يقوينى ، هى تعويذة سحر لى فى الماء»

«عندما أرى حبيبتى قادمة ، تنفتح ذراعى لاحتضانها ، ويفرح قلبى فى مكانه مثل ••• عندما تأتى سيدتى الى ، وعندما أعانقها ، وتفتح لى

---

(٧) A. H. Gardiner, The Chester Beatty Papyri, No. I, p. 227-228. Miriam Lichtheim, Op-Cit, P. 182.

(٨) كان المصريون القدامى يطلقون على الزوجة فى لغتهم ــ فضلا عن «حمة» و «ست حمة» ــ لفظ «الاخت» أى «سنة» أو (سونة) (ولعلها تشبه اللفظ العربى صنو) ، وكان ذلك نوعا من التعبير عن المحبة والاعزاز للزوجة ، وكان الزوج يوصف بالنسبة لزوجته «هى» بمعنى «البعل» ، و «نب» أى ولى الامر ، و «سن» أى أخ ، وكانت الانثى بالنسبة لزوجها «رحمه» أى حرمه ، و «مره» أى حبيبة و «سنة أو سونة» اى اخت ، واذا تحدث الناس عنها قالوا «نبت بر» ، بمعنى سيدة البيت (عبد العـزيز صالح : الاسرة فى المجتمع المصرى القديم ص ٦)

ذراعيها ، أحس كأنني فى «بونت» محاطا بالعطور ، وعندما أقبلها وتنفرج شفتاها ، انتشى بلا شراب ، وددت لو كنت جارية بين يديها ، حتى أرى لون جسدها كله ، ليتنى كنت غاسل ثيابها ، لاغسل العطر الذى فى ثيابها، وددت لو كنت خاتما فى أصبعها ..»(٩)

وأخيرا هذه القصيدة من أغانى الغزل :

«سبعة أيام حتى أمس لم أر فيها اختى (حبيبتى)»
«تملكنى الداء ، وثقلت أطراف ، وصرت أنسى نفسى»
«اذا عادنى مهرة الاطباء لا يرتاح قلبى الى علاجهم»
«اذا عادنى مهرة السحرة فمرضى لا يستجيب لسحرهم»
«ان ما يحيينى هو أن يقولوا لى : انها هنا فاسمها هو منقذى»
«ان رسولها يأتى ويذهب ، لينعش قلبى»
«أختى أنفع لى من كل علاج ، انها أنفع لى من كل دواء»
«ان حضورها لى هو تعويذتى»
«لو نظرت لى اخضر جسمى ، واشتد ساعدى»
«حديثها يقوينى ، وحضنها ينعشنى»
«ولكنها مضت منذ سبعة أيام»(١٠) .

---

(٩) M. Lichtheim, Op-Cit, p. 193.
وكذا A. Erman, Op-Cit, p. 243-244.
W. M. Muller, Liebesposie der altem Aegypten, Leipzig, 1899.

(١٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٣٤ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٢٦ ، وكذا
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 185.

ثانيــا ـ الغنــاء

اغنية الضارب على العـود

توجد لدينا نسخة من هذه الاغنية محفوظة فى «بردية هاريس رقم ٥٠٠» ، والتى توجد الان فى المتحف البريطانى فى لندن (تحت رقـم ١٠٠٦٠) ، وترجع الى حوالى عام ١٣٠٠ ق٠م[١] ، وهناك نص آخر وجد فى مقبرة «با ـ أتون ـ حب» فى سقارة ، وترجع الى أيام العمارنة،وهى الان بمتحف ليدن[٢] ، وان كانت تختلف عن الاولى الى حد ما •

هذا والبردية مكتوبة كذلك بمقبره «نفـر حتب» فى طيبة الغربية (رقم ٥٠) ، وترجع الى الفترة (١٣٥٠ ـ ١٣٢٠ ق٠م) على رأى «جون ويلسون»[٣] ، وان كان الدكتور أحمد فخـرى يرجع بمقبرة «نفر ـ حتب» هذه الى الاسرة الحادية عشرة[٤] (الدولة الوسطى) ، وهناك كذلك رواية للاغنية منقوشة على قبر الملك «أنتف» من الاسرة الحادية عشرة ، ويذهب «جيمس هنرى برستد» الى أن أنشودة كاهن أمون «نفر حتب» من طيبة ، لاتكاد تماثل مقبرة «أنتف» ولا تعادلها فى التأثير ، وان كانت تحتوى على بضعة أسطر قيمة يجب الالتفات اليها[٥] •

هذا وقد قام بنشر هذه الاغنية وترجمتها وشرحها والتعليق عليها كثير من العلماء من أمثال ـ جاردنر[٦] ، وميلر[٧] ، وشتياندورف[٨]

---

(١) J A. Wilson, ANET, 1966, p. 467.
(٢) Ibid., p. 467.
(٣) Ibid., p. 467.
(٤) احمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٢٢
(٥) J. H. Breasted, The Dawen of Conscience, New York, 1939. p. 166.
(٦) A. H. Gardiner, in PSBA, 35, 1931, 165-170.
(٧) W. M. Muller, Die Liebespoesie der alten Aegypter, Leipzig. 1932.
(٨) K. Sethe, Op-Cit, p. 94.
=

وزيتــة[٩] ، وارمان[١٠] ، وويلسون[١١] ، وسمبســون[١٢] ، وان كان (Miriam Lichtheim) من أكثر العلمــاء اهتمــاما بهذه الاغنية[١٣] ، هذا وقد كتبت «أغنية الضارب على العود» على أيام الدولة الوسطى ، وكانت من الاغانى المحبوبة لدى المصريين القدامى حتى أخريات الدولة الحديثة ، حتى أننا نجد لها نسخا من عهد الدولة الوسطى ، ومن عهد الدولة الحديثة سواء بسواء •

وهى تعتبر ، دونما ريب ، من أجمل الاغانى المصرية ، وتمثل نوعا من الاناشيد الدينية ، وكانت تنشد بمصاحبة «الجنك» فى حفلات الامراء ، وهى على نقيض الدعوة الى السرور والابتهاج ، تدعو الشاربين الى تذكر الموت القريب ، وقد جاء فى المصادر اليونانية انه كان يعرض فى مجالس الشرب فى مصر صور لمومياء ، حثا على الاستمتاع بالحياة القصيرة عن طريق تذكر الموت ، وليس من شك فى أن أغنية الضارب على العود ، انما تصور لنا هذه الفكرة تصويرا فنيا جميلا[١٤] •

وأما أهمية الاغنية ــ كمصدر تاريخى ــ فهى تصور لنا ناحيــة من التفكير الجديد الذى بدأ ينتشر فى تلك الحقبة من تاريخ البلاد ، منذ أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، ذلك التفكير الجديد ، هو الشك ، فلقد بدأ القوم يتشككون فى العقائد التى توارثها القوم عن الاجداد ، جيلا اثر جيل ، والتى كانت تجعل من الوسائل المادية طريقا للخلود ، ووسيلة للسعادة فى الآخرة ، وربما دفعهم الى ذلك ما أصاب جبانة الجيزة الفخمة

---

(٩) G. Steindroff, in ZAS, 32, 1894, p. 123-126.

(١٠) A. Erman, LAE, 1927, p. 253-254.

(١١) J Wilson, in ANET, p. 33-34.

(١٢) W. K. Simpson, Op-Cit, p. 306-307.

(١٣) M. Lichtheim, JNES, 4, 1954, p. 178-212, Pls. 1-VII.

وكذا M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, I, 1975, p. 193-197. II, 1977, p. 115.

وانظر : سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٢١ ــ ٤٢٣ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ١/٢٧٧ ــ ٢٧٨ •

(١٤) ارمان ورانكه : مصر والحيــاة المصرية فى العصــور القديمة ص ٤٣١ •

ومعابدها الرائعة ، من تخريب ، حتى أصبحت خرائب مهجورة ، حتى من كهانتها ، فضلا عن الذين أوكل اليهم أمر العناية بها •

ولم يقف الشك عند زعزعة الايمان بقيمة هذه الاضرحة المفخمة ، بل تعداها الى الشك فى الحياة الآخرة نفسها ، وكما كانوا يقولون : وهل عاد الينا واحد من الراحلين •

وهنا قامت دعوة جديدة تنادى بأن يترك القوم لأنفسهم الحرية فى أن يتمتعوا بالدنيا — ما استطاعوا الى ذلك سبيلا — فان الواحد منهم لن يأخذ معه الى الآخرة شيئا مما اقتناه فى دنياه ، ومن ثم فقد كان شعارهم : «امرحوا ولا ترهقوا النفس ، هل للانسان أن يأخذ شيئا مما اقتناه معه» ، وهكذا كانت هذه الاغنية تدعو القوم الى الاستمتاع بالدنيا ونبذ الهموم ، بل والتشكيك فيما ينتظر الناس فى العالم الآخر(١٥) •

وهكذا فان أغنية الضارب على العود ، انما تمثل عصرا بعد كل البعد عن عهد التسليم بالعقائد التقليدية ، دون معارضة فيها ، كما ورثت عن الآباء ، فان عقيدة الشك انما تعنى تجربة طويلة للعقائد الموروثة ، وبحثا مستمرا فيما كان معترفا به حتى ذلك الحين دون تفكير ، ثم الشعور بالمقدرة الشخصية على الاعتقاد فى الشىء وانكاره ، وهى تعد خطوة مميزة الى الامام نحو نمو الوعى النفسى ، والوازع الشخصى ، على أن عقيدة التشكيك هذه لا تنمو الا بين أفراد شعب له مدنية ناضجة ، ولا تنبت فى الاحوال الفطرية ، ولذا فان هذا العصر (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) والذى يمثل قمته المتشككون الذين جاءوا عقب سقوط الوحدة الثانية ، يعد عصرا هاما فى تاريخ التقدم العقلى عند البشر(١٦) ، وفى أغنية الضارب على العود ، دعوة الى أننا لا نعرف شيئا عن الحياة فيما وراء الموت ، لان واحدا من الراحلين لم يأت ليقص علينا ما رآه هناك ، واذن فلا طريق أمامنا سوى أن نمتع أنفسنا بأكبر قدر من الملذات

---

(١٥) انظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢١ — ٢٣ (رسالة ماجستير) •

(١٦) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939, p. 162

الحسية ، ذلك لاننا لن نأخذ من ممتلكاتنا فى هذه الدنيا شيئا معنا الى الآخـــرة(١٧) •

تقول أغنية الضارب على العود :

«هذا خير للامير النبيل ، فقد مر بالنهاية السعيدة ، تمر أجيال وتأتى فى مكانها أجيال منذ زمن الاوائل ، يوقظه الاله رع عند الصباح،ويغيب الاله أتوم فى الغرب ، يتناسل الناس ، وتحمل النساء ، وتستنشق كل أنف من الهواء ، وعندما يشرق الصباح ترى أولادهم فى أماكنهم» •

«الآلهة الغابرون (الملوك القدماء) يستقرون فى أهراماتهم ، وكذا يستقر الاشراف الامجاد فى مقابرهم ، لقد شادوا القصور التى لا أثر لها اليوم ، فماذا حل بهم ؟ لقد استمعت الى كلمات «ايمحوتب» و «حور-ددف» اللذين يتغنى الناس بأقوالهما فى كل مكان ، أين مكان كل منهما الان ، لقد تهدمت جدرانهما ولا أثر لمكانهما بعد ، كأنهما لم يعيشا على هذه الارض على الاطلاق» •

«لا أحد يعود من هناك (من عند الموتى) حتى يقص علينا ماذا فى الآخرة ؟ وحتى يحدثنا عما هم فى حاجة اليه لتطمئن قلوبنا ، حتى تلك اللحظة التى نرحل فيها نحن أيضا ، الى حيث «ذهبوا»

«ألا فلتبتهج ، ارم بكل الاحزان وراء ظهرك ، افرح وفكر فى السرور ولتشبع رغباتك طالما أنت حى ، ادهن رأسك والبس الكتان الجميل ، وتعطر بالروائح الزكية ، دع الغناء والموسيقى أمام ناظريك ، أكثر مما لديك من ملذات ، اعمل ما أنت فى حاجة اليه على الارض ، ولا تضجـر قلبك الى أن يدركك وقت الندب» •

«ان القلب الساكن (أوزير) لا يسمع عويلا ، والبكاء لا يوقظ أحدا من عالم الموت ، لذلك فلتبتهج لليوم السعيد ، ابتهج دائما ، ولا تشعر بكلل من ابتهاجك ، استمع الى : لا يستطيع أحد أن يأخذ أمواله معه ، ولا أحد من الراحلين يعود ثانية» •

---

(١٧) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٦٦ ـ ١٦٨ •

الفصل السادس

من أدب الحــــوار

عرف الادب المصرى القديم من فنون الحوار محاورة الانسان للانسان ، ومحاورة الانسان لروحه أو ذاته ، ومحاورة بعض جسم الانسان للبعض الآخر ، ومحاورة الحيوان للحيوان ، والطير للطير ، والنبات للنبات ، فضلا عن محاورة المعبودات للمعبودات ، ولنأخذ مثالا لهذا النوع من الادب «بردية اليائس من الحياة» •

بردية اليائس من الحياة

لاريب فى أن «بردية اليائس من الحياة» انما تمثل نوعا من أدب الحوار ، كما أنها تمثل واحدة من أهم وثائق عصر الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية ، وتسمى أحيانا «نزاع رجل مع روحه» ، وأحيانا «شجار بين انسان سيئم الحياة وبين روحه» ، وأحيانا « حديث نسو مع روحه» ، وعلى أية حال ، فالبردية محفوظة فى متحف برلين تحت رقم (٣٠٢٤) •

هذا ، وكان «أدولف ارمان» أول من نشر البردية فى عام ١٨٩٦م[١]، ثم أعاد ترجمتها ، مع ادخال تحسينات فى كتابه عن أدب المصريين القدامى،الذى نشره بالالمانية عام ١٩٢٣م ، والذى ترجمه الى الانجليزية «بلاكمان» فى عام ١٩٢٧ م[٢] ، كما نشر فولكنر فى عام ١٩٥٦[٣] ، و «بارتا» فى عام ١٩٦٩[٤] ، وهانز جدكه فى عام ١٩٧٠[٥]م•

وقد اهتم أيضا بترجمة البردية وتحليلها كثير من العلماء من أمثال :

---

(١) A. Erman, Gesprach eines Lebensmuden Mit Seiner Secle, APAW, Berlin, 1896.

(٢) A. Erman, LAE, London, 1927, p. 86-92.

(٣) R. O. Faulkner, JEA, 42, 1956, p. 21-40.

(٤) W Barta, Das Gesprach eines Mannes Mit Seinem Ba, Munchner agyptologische Studien, 18, Berlin, 1969.

(٥) H. Goedicke, The Report about The Dispute of a Man With His Ba, Baltimore, 1970.

الكسندر شـــارف[٦] ، وجيمس هنرى برستد[٧] ، و هـ• هــرمان[٨] و دى بك[٩] وريموند فيى[١٠] ، وهرمــان يونكر[١١] ، وجاكبسون[١٢] وفون بسنج[١٣] وجون ويلسون[١٤] و س• هرمان[١٥] و ر• وليـــامز[١٦] وفولكنر[١٧] وغيرهم[١٨] ، فضلا عن ترجمات عربية عدة[١٩] •

هذا ويرجع تاريخ النسخة التى تحت أيدينا الى الاسرة الثانية عشرة (١٩٩١ ــ ١٧٨٦ ق•م) ، وهناك اتجاه الى أنها منقولة عن نص أقدم ، يرجــع الى ما قبــل أيام الدولة الوسطى ، وربما الارجـــح الى وقت الاضطرابات فيما بين الدولتين القــديمة والوسطى ، أى عصر الثورة الاجتماعية الاولى (نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد)[٢٠] •

وتتكون البردية من مقدمة طويلة بليغة ، ثم أربع قصائد شعرية ،

---

(٦) = A. Scharff, SBAW, Munich, 1937.

(٧) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 168-181.

(٨) H. Hermann, OLZ, 42, 1939, p. 141-153.

(٩) A. de Buck, EX. Oriente Lux. 7, 1947, p. 9-32.

(١٠) R. Weill, in BIFAO, 45, 1947, p. 89-154.

(١١) H. Junker, AOAW, Phi-hist, KI, 1948, No. 17, Vienna, 1949.

(١٢) H. Jacobsohn, in Zeitlise Dokumente der Seele Studen aus dem C. G. Jung Institut Zurich, Vol. 3, 1952, p. 1-48.

(١٣) F. W. Von Bissing, Altagyptische Lebenweisheit, Zurich, 1955, p. 124-128.

(١٤) J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 405-407.

(١٥) S. Hermann, Untersuchungen Zur Uberliefungsgestalt Mittelagyptischer Literaturwerke, Berlin, 1957 p. 62-79.

(١٦) R. Williams, JEA, 48, 1962, p. 49-56.

(١٧) R. O. Faulkner, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 201-209.

(١٨) Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, Londo, 1975 I, p. 163-169.

وكذا F. Brunner-Traut, ZAS, 94, 1967, p. 6-15.

وكذا G. Thausing, MDIK, 15, 1957, p. 262-267.

(١٩) سليم حسن : المرجع السابق ٢٨٢/٢ ــ ٢٨٩ ، نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية ص ٥١٨ ــ ٥٢٥ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٧ ــ ٤٤٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٤ ــ ٣٤٧ •

(٢٠) J. A. Wilson, Op-Cit, p. 405.

يذكر صاحبها فى الاولى ، كيف قل تقدير الناس للرجل الفقير ، ثم يروى فى الثانية بعضا من مأساته ، مبينا مدى ضيقه بالناس وبدنياهم ، ورأيه هذا لاشك فى أنه ملىء بالتشاؤم ، جدير بتشخص يئس من حياته ، وصمم على ازهاق روحه ، وأما فى الثالثة ، فاننا نرى «نسو» (صاحب القصيدة) انما يشيح بوجهه عن شرور الدنيا ، ثم يتامل الموت كمنجاة مباركة له ، وهذا الجزء الثالث من القصيدة ، انما هو — فيما يرى الدكتور أحمد فخرى[21] — أجمل ما فى البردية ، وأما فى القصيدة الرابعة فنرى «نسو» يضيف امتيازات الموتى الذين لهم القدرة على مقاومة الشر ، وحرية الاتصال بالالهة .

وأما أهمية البردية — كوثيقة تاريخية — فيرجع الى انها انما تقدم للباحث صورة لهذا العصر — عصر الثورة الاجتماعية الاولى — الذي ساده الشك واليأس ، فصاحب البردية (نسو) انما يدعو الى ترك الحياة، والالتجاء الى الموت ، نتيجة لما لاقاه فى حياته من ظلم وقسوة ، ومن ثم فهو فى الواقع انما يصف الحالة الفعلية والتجارب الباطنية لنفس معذبة، تتالم مما حاق بها من الظلم وسوء الطالع ، وانطلاقا من كل هذا ، فان «جيمس هنرى برستد» ، انما يذهب الى أن هذا الموضوع ، انما يعد أقدم قطعة أدبية تتناول موضوع الخبرة ، والتى تعد أقدم مثال يمثل لنا صورة مما ورد فى سفر النبى «أيوب» — كما جاء فى توراة يهود المتداولة اليوم[22] — وقد كتبت بردية «اليابس من الحياة» هذه ، قبل أن تظهر التجربة المماثلة المتضمنة هذا الشعور فى سفر مماثل بين العبرانيين بنحو ألف وخمسمائة سنة[23] .

هذا ويدعو «نسو» كذلك الى الاستغناء عن الطقوس الجنازية المعتادة ، كما تدعو روحه الى أن يعيش الانسان ناسيا حزنه ، منغمسا فى السرور الى أذنيه ، ولعل هذه الدعوة التى تنادى بأن يأكل الانسان

---

(٢١) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٨ .

(٢٢) أنظر عن «سفر أيوب» — كما جاء فى التوراة — (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٣/٦٧ — ٧٣) .

(٢٣) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 168-169.

ويشرب ، وأن يكون فرحا فى يومه ، لانه سيموت فى غده ، انما تتفق مع ما نادت به من قبل «أغنية الضارب على العود» ، وان اختلفت معها فى أمر هام وخطير ، اذ أخذت تبين أن الحياة فوق أنها ليست فرصة للسرور، والاسراف فى الملذات ، فهى عبء أثقل حملا من الموت ، وهكذا دار حديث «نسو» حول السؤال الخالد عن معنى الحياة ، وهو سؤال يبرز للمرة الاولى — فيما نعلم — فى تاريخ الآداب عامة ، وحديث الرجل ، على أية حال ، قطعة أدبية من خير القطع الادبية التى حفظت لنا من تاريخ مصر القديمة[٢٤] .

هذا فضلا عن أن قصيدة «نسو» هذه ، والتى مدح فيها الموت ، انما أقدم صيغة وصلت الينا ، عبر الفرد عما أصابه من العذاب ظلما وعدوانا، وأول صرخة من متألم برىء وصلتنا فى عصور ذلك العالم القديم ، وهى تعد بحق ذات فائدة فريدة ، ولا تخلو من جمال حقيقى بما احتوته من حرارة نفسية خلابة[٢٥] .

وموضوع البردية حوار فلسفى بين «نسو» وبين روحه ، ذلك أن «نسو» انما قد يئس من حياته بعدما أصابه فيها من نكبات ، وبعد أن تنكر له أقرب الناس اليه ، وبعد أن حرم من الدفاع عن نفسه ، وبعد أن حكم عليه ظلما ، وصار اسمه نتنا فى أنوف الناس ، وبعد أن خربت الذمم ، وفسدت الضمائر ، وكفر الناس بالله وصدوا عن سبيله،منصرفين عن جد الامور لينغمسوا فى الشهوات ، وليتورطوا فى كبائر الاثم ، وقد قست القلوب وأنكر الناس ما قدم لهم ربهم من خير ، وفى لجج هذه الغمرة النفسية أخذ الرجل يسبح فى ظلمات اليأس ، ويلتمس منها المخرج ويبحث عن أسباب الراحة ، فلا يكاد يهتدى اليها الا بالانتحار،والتخلص من هذه الحياة التعسة .

غير أن روحه قد التزمت جانب الرضا بدنياها ، والتغاضى عما وراءها ومن ثم فقد احتدم الجدل بينهما ، حتى تحدثه بأن يقدم على الانتحار

---

(٢٤) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٧٥/١ .
(٢٥) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 173-174.

حرقا ، ان كانت عازفا عن الدنيا ، راغبا فى الموت ، فما جرؤ صاحبها فى بداية الامر ، ولما امتنع عليها فى الحالتين ــ الرضـــا بالواقع أو الرضا بالموت ــ امتنعت هى الاخرى عن مناقشته ، ولكنه سرعان ما عاود التفكير ثانية فيما دعته اليه ، واعتزم أن ينتقل هو واياها الى عالم الآخرة ، وبدأ يستدرجها فى الحديث عساها تشجعـــه ، وأشهد عليها جمعـــا تخيله من الناس ، فما جاوبته بغير رد مقتضب عاتبها فى اثره قائلا :

«عزيز على الا تجاوبنى روحى فى يومى هـــذا ، أنها تهرب فى يوم الشقاء ، أى روحى انه لغباء أن تصدى امرا يملؤه الشجن ليحيا ، خذينى الى الموت قبـــل أن يأتينى ، واجعلى من الغـــرب (عالم الآخرة) مكان سرورى ، فقد يثيبنى فى الآخرة «تحوت» ، مرضى الارباب بقضـــائه ، وينافح عنى «خونسو» الكاتب بعدالة ، ويستجيب «رع» لابتهالاتى ، فعنائى قد ثقل وطؤه»•

وتصنعت الروح الغضب مرة أخرى ، وأجابته مرة ثانية باقتضاب وهى تؤنبه «ألست رجلا ؟ لقد ابتغيت الحياة من قبل ، فماذا أنجزت ، ثم تأخذ الان تتأسى على الحياة شأن رب النعمة ؟ فأجابها : «اذا أصاخت لى روحى ، ولا خطيئة لى ، وكان فؤادها معى ، فلسوف تهنأ ، ولأجعلنها حينذاك تبلغ الغرب ، شأن من أقام فى هرمه ، ووسده وريثه ••• ، فاذا حلت بينى وبين الموت على هذا الوضع ، فلن تجدى ما تحطين عليه فى عالم الغرب ، تجلدى اذن روحى ، وقومى منى مقام الوريث ، يقـــدم القربان ، وينهض على مثواى يوم الدفن ، ويهيىء مضجع الآخرة[٢٦] •

وقد يبدو ذلك غير متوقع من رجل اتضح أنه يشك كثيرا فى فـــائدة المعدات المادية التى كانت تعمل للمتوفى ، حين ينتقل الى العالم الآخر ، الا أننا نكتشف السر بعد ذلك ، فنرى أن ذلك حيلة أدبية ، أراد الكاتب عن طريقها أن يندد بالمعدات الجنازية[٢٧] ، ثم أخذت روحه تتردد فى

---

(٢٦) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ٣٤٤/١ ـــ ٣٤٥ •

(٢٧) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939, p. 169.

الموافقة على مرافقته ، ثم تحاول أن تنفره عن الموت ، فأخذت تصف له فظائع القبر ، «ثم فتحت روحى فمها وأجابت : اذا تذكرت الدفن فانه حزن ، وذكراه تثير الدمع ، وتفعم القلب حزنا ... فهو ينتزع الرجل من بيته ، ويلقى به على الجبل ، ولن يصعد ثانية ليرى الشمس»[٢٨] .

وهكذا لم تستقر الروح على رأى ثابت فى فكرة الخلود التى كانت تسيطر على القوم وقت ذاك ، فنراها تشككه فى تلك الفكرة الخالدة فى أذهان الناس ، فهؤلاء الذين بنوا لانفسهم مقابر فخمة ، انما هم والذين لم يبنوها سواء بسواء ، فلكل تحت حرارة الشمس ، والكل تعقد معه الاسماك الاحاديث « عندئذ فتحت روحى فمها لتجيبنى : لن تعود ثانية لتشهد الشمس ... ان من شادوا المبانى الفخمة من أحجار الجرانيت الصلبة ، وخصصوا لأنفسهم قاعة فى الهرم ، وقدمت لهم كل الخدمات المجيدة ... أصبحت موائد قرابينهم خالية ، بعد أن صاروا آلهة (أى ماتوا) ، وأصبحوا سواء ، والمتعبين الذين قضوا على ضفاف القنوات ، نال الفيض مقصده منهم ، وكذا حرارة الشمس ... أما الاسماك على ضفة النهر ، فتجلس اليهم تعقد معهم الاحاديث»[٢٩] .

وتتجه روحه اليه بعد ذلك ، ناصحة اياه بأن ينس الهموم ، ويأخذ من اللهو نصيبه «اصغ الى وانه لجدير بالناس أن يصغوا ، تمتع بيوم المسرة ، وانس الهموم»[٣٠] ، ولكنها بعد ذلك توافق على البقاء بجانبه — حتى ولو انتحر — ذلك أن الحياة — بجانب أنها فرصة للسرور والملذات — فهى عبء أثقل من الموت نفسه ، وأنها سيئة لدرجة تجعل الموت خلاصا للانسان من سيأتها ، ولذا فهى ترحب بالموت ، « مرحبا

---

(٢٨) A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, London, 1927, p. 87-88.

(٢٩) R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 203-204.
وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, p. 165.
وكذا A. Erman, LAE, 1927, p. 88.

(٣٠) R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 204.

بالموت ، اننى فى شوق للقائه ، كشوق الرجل الى بيته ، بعد أن يقضى سنينا طوالا فى الاسر والعناء» •

وهكذا نرى الروح التى حاولت أن تبعد صاحبها عن الموت ، لم يكتب لها نجحا فى مسعاها ، بل على العكس هو الذى نجح آخر الامر فى أن يضمها الى رأيه ، مما يدل على مدى ضيقه بالحياة ، ورغبته فى التخلص منها ، ولكن علينا ألا نتوهم أن ما دفع «نسو» الى كره الحياة ومحاولة التخلص منها ، انما كانت آلامه الشخصية ، وما لاقاه من عناء فى حياته ، ذلك لان الرجل انما قد استطاع أن يسمو على آلامه الشخصية ، ويلم بأطراف المجتمع اذ ذاك ، ويحيط بأحواله ، وبذا لم تكن الامه الشخصية الا نموذجا لما يلاقيه المجتمع الذى يعيش فيه ، ويؤيد ذلك قوله : لمن أتحدث اليوم ، فليس هناك عدول ، والارض قد تسلمها الظالمون»[٣١] ، وأن هؤلاء الظالمين قد أجرموا فى حق كل مقدس ، وداسوا بأقدامهم القانون ووطئوا مجد وتاريخ مصر ، ومن ثم فهو لا يود أن يعيش فى هذا الجو ، ولعل فى هذا شبه بما جاء فى تحذيرات الحكيم المصرى «ايبو ـــ ور» «آه لو يفنى الناس ولا يعود هناك حمل ولا ولادة ، ليت العـــالم يتخلص من الغوغاء ، وتنقضى المشاحنات»[٣٢] •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هذا الحوار بين «نسو» وبين نفسه (روحه) انما يتناول السؤال عن معنى الحياة من ناحيتين ، تتعلق احداهما بما اذا كان هناك معنى للحياة اذا اختفى كل ما كان من شأنه أن يجعل الحياة سعيدة ، والاخرى أكثر عمقا وأوسع مدى ، فلم يكتف الكاتب فيها باستعراض ذلك العراك بين الافكار والرغبات ، وانما عمد الى موازنة بين وجهتى النظر المختلفتين اللتين سادتا الحياة فى ذلك العصر بينما نجد روح «نسو» تلتزم الدفاع عن متع الحياة الرخيصة وتدعـــوه ألا يفكر كثيرا فى الآخرة ، وأن يتقبل برضى كل ما تقدمه الحياة ، ويمثل الكاتب ذلك الفـــريق من المصريين الذين احتفظوا بجـــأشهم ، والذين

(٣١) Ibid., p. 207.
(٣٢) J. A. Wilson, ANET, p. 442.

محصتهم الآلام والنكبـات ، وطهرتهم من أردانها ، فاكسبتهم بصـيرة وزادتهم ايمانا بالآخرة ، وبقيمة أعمالهم الصالحة فى الحياة الدنيا .

وانطلاقا من كل هذا ، انما يبدو واضحا أن ما حـدث انما يتكرر حدوثه فى الانسانية ، وان فرط النكبات والمساوىء الاجتماعية المنتشرة ، وازدياد البلاء ، انما يحدث أثرا مزدوجا ، ففريق ممن تصيبهم النكبات ــ وهم أكثرية ــ يجرفهم تيار الاحداث ، بينما يفترض أن تدعـو تلك الاحداث الى التبصر ، وأحيانا الى التشكك))[٣٣] .

وعلى أية حال ، فالنص فريد فى نوعه بين النصوص المصرية ، حتى ذهب بعض الباحثين الى أنه غير مصرى فى روحه ، فهو يدعو الى ترك الحياة ، والالتجـاء الى الموت ، كما أنه غـير مصرى فى استغنائه عن الطقوس الجنازية المعتادة وما يتبعها من أثر نفسى ، وفيما أباح فيه الفرد لنفسه من حرية فى مناقشة العقيدة السائدة ، وأن من حق الانسان أن يجد حلا فرديا فى أخطر المشكلات .

غير أننا لو بحثنا فى آداب الامم الاخرى لما وجدنا أصلا له فيهـا ، وطبيعة ((الباء)) مصرية صرفة ، كما أن الوثيقة تتفق وروح العصر الذى كان يخيم عليه روح التشاؤم (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) ، انه غير مصرى لان مصر لم تعرف ذلك اليأس الروحى والمادى ، وربما كان ذلك بالمصادفة ، وربما كذلك أن المصريين ــ فيما تلا ذلك من عصور ــ لم يحبوا هذا النوع من اليأس عند ظهور العقبات ، وأنهم اهتدوا الى حلول أخرى للتغلب على ما أصابهم من مآزق[٣٤] .

هذا وتتكون الوثيقة ــ كما أشرنا من قبل ــ من مقدمة بليغة ، فيها حوار بليغ ، كما رأينا فى السطور السابقة ، يرى فيها صاحب الوثيقـة (نسو) الموت منقذا من حياته البغيضة الشقية ، بعد أن ذاق مرارة البؤس ، وهجره خلانه ، وأزرى به الهوان ، فأشرف على الانتحار ليضع

---

(٣٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٧٥/١ ــ ٢٧٦ .
(٣٤) J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1954, p. 113.

بيده خاتمة لحياته فيحرق نفسه ، فلقد دفعته حياته الى أن يخطو هذه الخطوة ، ولكنه عاد فأحجم عنها ، فلا قبر يأويه ، ولا عقب يتردد عليه بالقرابين ، ومن ثم فسوف يقضى هناك جوعا وبردا ، وهكذا نراه يحرض روحه على ألا تتخلى عنه عند الموت •

« ثم فتحت فمى لروحى حتى أجيب عما قـالت ••• ان روحى ستسندنى هناك ، انها تهرب فى يوم الشقاء ، ان روحى تعطلنى ، وأنا لا أكترث بها ، وتجذبنى الى الموت قبل أن ألقاه ، وتلقى بى فى النـار لتحرقنى ••• أى روحى انه لغباء أن تصدى أمرا يملؤه الشجن ليحيا••• وينافح عنى «خونسو» الكاتب بعدالة ، ويستجيب «رع» لابتهالاتى ، فعنائى قد ثقل وطؤه» •

«وأجابت روحى : أنت بمثابة لا شىء ، ثم تتحدث عن الاشياء الطيبة كما لو كنت تملك الكنوز»

«قلت : سوف لا أذهب طالما هذه روحى ، باقية على الارض ، ان نصيبك الموت ، لو أن روحى تصغى الى ستكون منعمة ، سأجعلها تصل الى الغرب ، كروح من دفن فى الهرم ، وفتحت روحى فاها وأجابت : اذا تذكرت الدفن فانه حزن ، وذكراه تثير الدمع ، وتفعم القلب حزنا ••• فهو ينتزع الرجل من بيته ، ويلقى به على الجبل ، ولن يصعد ثانية ليرى الشمس ، أين بناة الاهرام من زينوا الابهاء ، وشادوها بأحجار الجرانيت الصلبة ، وخصصوا لأنفسهم قاعة فى الهرم ، وقدمت لهم كل الخدمات المجيدة ، أصبحت موائد قرابينهم خالية ، بعد أن صاروا آلهة (أى ماتوا)، وأصبحوا سواء هم والمتعبين الذين قضوا على ضفاف القنوات ، نال الفيض مقصده منهم ، وكذا حرارة الشمس ••• أما الاسماك على ضفة النهر فتجلس معهم تعقد الاحاديث ، استمع الى ••• فخـير للمرء أن يستمع •• تابع ملذات اليوم ، وانس الهم •••»•

وعندئذ فتحت فمى الى روحى لأقول :

القصـــيدة الاولى :

انظر : ان اسمى أصبح كريها أكثر من رائحـــة اللحم النتن فى أيام الصيف ، والسماء حارة

أنظر : ان اسمى كريه أكثر من صيد السمك فى يوم صيده ، والسماء حـــارة

أنظر : ان اسمى كريه أكثر من رائحه الطيور ، واشد من تل صفصاف مزدحم بالأوز

أنظر : ان اسمى كريه أكثر من رائحة الصيادين ، وأكثر من شطئان المستنقعات حين يصيدون

أنظر : ان اسمى كريه أكثر من رائحة التماسيح وأكثر من الجلوس حيث تكون

أنظر : ان اسمى كريه أكثر من زوجة ردد عنها الناس البهتان ازوجها

أنظر : ان اسمى كريه أكثر من مدينة ••• وأكثر من ثائر مدبر

القصـــيدة الثانية :

لن أتحدث اليوم ، فلقد اصبح الرفاق شرارا ، وأصدقاء اليوم غير جديرين بالحب

لن أتحدث اليوم ، فالقـــلوب ملأى بالجشع ، وكل شخص يأخـــذ متـــاع جاره

لن أتحدث اليوم ، وقد وقر الناس على السوء ، واهملت الحسنى فى كل مكان

لن أتحدث اليوم ، وقد استحال الرجـــل الطيب الى شرير ، والخير مكروه فى كل مكان

لن أتحدث اليوم ، فمستثير الحليم بشروره ، يدع الناس يسخرون منه حين تشتد وطأة عسفه

لن أتحدث اليوم ، فالناس يسرقون ، وكل امرىء يغتال متاع جاره

لن أتحدث اليوم ، فليس للمريض صديق يوثق به،وأخوه أصبح عدوه

لن أتحدث اليوم ، فلا أحد يذكـر الامى ، وليس هناك اليـوم من يجازى بالخير من قدمه

لن أتحدث اليوم ، وما عاد أحد يذكر الماضى ، ولا معونة لأحـد فى هذه الايام

لن أتحدث اليوم ، فالأخوة شر،والمرء يعامل كعدو ، رغم نقاء سريرته

لن أتحدث اليوم ، فالوجوه محجـوبة ، وكل امرىء يولى وجهـه عن اخوانه

لن أتحدث اليوم ، وما من أحد رضى الفؤاد ، ومن كان يرافـق لم يعد له وجود

لن أتحدث اليوم : فليس هناك عدول ، والارض قد تسلمها الظالمون

لن أتحدث اليوم ، فالصديق الصـدوق قد اختفى ، والمرء يعـامل كمجهول رغم اعلان نفسه

لن أتحدث اليوم ، فليس هناك مسالم ، والصاحب لا وجود له

لن أتحدث اليوم ، وأنا مثقل بالتعاسة ، وفى حاجة الى صديق صدوق

لن أتحدث اليوم،والخطيئة التى تحل بالارض تبدو وكأنما لانهاية لها

القصـيدة الثالثة :

الموت أمامى اليوم يبـدو كالبرء للسقيم ، والخـروج الى الفضـاء بعد حجز

الموت أمامى اليوم كعبير «المر» وجلسة تحت ظله فى يوم ريح صر

الموت أمامى اليوم كرائحة اللوتس تخدرنى كما لو كنت جالسا على شاطىء الانشراح

الموت أمامى اليوم كالسماء عندما تصفو ، وكحصول المرء على ما لم يكن يتوقعه

الموت أمامى اليوم كشوق الرجل الى بيته بعد قضاء سنين طوال فى الاسر والعناء

القصـــيدة الرابعة :

ويم الحق من وصل هناك ، سيكون ربا يحيا ، يرد الشر على من أتاه

ويم الحق من وصل هناك ، سيقف فى قــارب رع ، وسيعين الاشياء المختارة للمعبد

ويم الحق من وصل هنــاك ، سيكون عالما بالامــر ، ولن يصرف عن شكواه لرع اذا ناجاه

ثم تستمر القصيدة بعد ذلك ، وتأخذ الروح تخفف آلام صاحبها ، فتطلب منه أن يترك الحــزن والاسى ، وتؤكد له أنهمــا سيكونان معا : «سيهدأ بالى بعد أن يستقر أمرك (فى الموت) وسنعيش معا»(٣٥) .

---

(٣٥) نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ٥١٩ ـ ٥٢٢ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٧ ـ ٤٤٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٤ ـ ٣٤٧ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٨٤ ـ ٢٨٩ ، وكذا

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 202-209.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 164-169.

A. Erman, Op-Cit, p. 86-92.

J. A. Wilson, ANET, p. 405-407.

J H. Breasted, Op-Cit, p. 168-181.

R. Williams, Op-Cit, p. 49-56.

الفصل السابع

من أدب الحكمة والنصائح

كانت كتب الحكم والنصائح — ومازالت حتى اليوم — من أحب الاشياء الى قلوب المصريين ، كما كانت تحتل مكانة عظيمة بين كتب القدماء لانها تقدم للناس خلاصة تجارب الحياة ، وترسم لهم طريق السعادة ، وتضع بين أيديهم المثل العليا لكل من يبغى النجاح فى هذه الدنيا ، فضلا عن الآخرة ، كما أنها تنظم صلات الناس بعضهم بالبعض الاخر ، واذا تصفحنا هذه الكتب ، فاننا نقبل عليها بنفوس راضية ، سواء أكانت مما أتت به الاديان ، أم وردت فى كتب الحكماء ، وذلك لانها تكشف لنا عما فى قرارة النفس البشرية ، نقرؤها ثم نقف قليلا لنتأكد من صداها فى نفوسنا ، وكثيرا ما نجد — مهما بلغت الشقة بيننا وبين زمان كتابتها — أننا مازلنا فى حاجة اليها ، وأننا نتعلم منها الكثير ، وكان المصريون القدامى يهتمون كثيرا بهذا النوع من الادب الذى كان يكتبه الحكماء على لسان أب ينصح ابنه ، ويرشده الى حسن السلوك ، كيما يصل الى أعلى المراتب ، أو على هيئة تعاليم ووصايا يوجهها فرعون — أو واحد من رجاله البارزين — معتمدا على تجاربه وخبرته الى ابنه أو أحد تلاميذه •

وليس هناك من ريب فى أن هذا النوع من الادب ، انما هو أرفع أنواع الادب المصرى القديم ، ولدينا منه ، على سبيل المثال ، كتاب الحكم والنصائح للوزير «بتاح حوتب» الذى عاش فى الاسرة الخامسة ، وقد اتخذ المصريون هذا الكتاب أساسا لقواعد السلوك وأصول التربية ، ثم استمرت الاجيال تتناقله حتى العصر اليونانى الرومانى ، والواقع أن من يقرأ هذه النصائح ، وتلك التعاليم ، انما يستطيع أن يحكم فى ضوئها على أهداف الادب الفرعونى فى هذا العهد ، وأن يرى فيه ما يشير الى ارتفاع مستوى الحياة المصرية ، وتقدير هذا الشعب النبيل الاصيل لبناء القيم الانسانية النبيلة •

وهناك من عهد الدولة الوسطى كنز ضخم من البدائع والروائع من تلك التعاليم والنصائح النبيلة ، جاءت اثر حوادث الايام ، فاصطبغت بصبغة سياسية كان لها أثرها فى حياة الشعب المصرى القديم ، ومن ذلك تلك النصائح التى وجهت للملك «مرى كارع» ، ثم ما جاء على لسان الملك

«أمنمحات الاول» ــ مؤسس الاسرة الثانية عشرة ــ من تلك الدرر التى تركها لولده وولى عهده «سنوسرت الاول» ، لتكون لديه بمثابة دستور يسترشد به فى حكم البلاد وسياستها ، أضف الى ذلك ، ماذخر به أدب الدولة الحديثة والعصر الذى تلاها ، بالتعاليم والحكم ، ومن أهمها تعاليم «آنى» من الاسرة الثامنة عشرة ، وتعاليم «أمنمؤوبى» والتى ترجع فى الغالب الى أيام الاسرة الثانية والعشرين ، ولنتحدث الان بشىء من التفصيل عن أهم أدب الحكمة والنصائح •

١ ـ تعـاليم بتـاح حـوتب

لاريب فى أن من أروع وأشهر أدب الحكمة والنصائح ، انما كانت «تعاليم بتاح حوتب» وزير الملك «جـد كارع ــ اسيسى» من الاسرة الخامسة (٢٤٨٠ ــ ٢٣٤٠ ق•م) وله مقبرة معروفة فى جبانة سقارة[1]، هـذا وقد توفر لهذا الوزير «بتاح حوتب» نصيب واسـع من الشهرة، وقدر لاسمه أن يخلد فى عالم الادب المصرى القديم قرونا طويلة ، وسجل له خلفاؤه نصائحه فى آداب المعاملة والسلوك نصح ولده بها ، وابتغى أن يتأدب بها بقية الشبان فى مثل سنه ، وحاول خلالها أن ينظم علاقة ولده بقرارة نفسه وأسرته وعمله ومجتمعه ، وأن يجعله على تقى من ربه ، فيما دعاه ، الى أن يراعى التوسط فى اختيار مناسبات صمته ومناسبات كلامه ، ويراعى التوسط فى معاملته لنفسه ومطالب بدنه ، ويراعي التوسط فى معاملة رئيسه ومرؤسيه •

---

(١) يذهب بعض الباحثين الى أن «بتاح حوتب» انما كان مربيـا للملك «جد كارع» ، كما يظهر أنه كان من أفراد العائلة المالكة ، وربما كان عمـا للملك ، كما كان رائدا له ورأى بعضهم انه كان وزيرا للملك «وناس» ، ورأى فريق ثالث أنه كان وزيرا ، ولكن دون تحديد للملك الذى عمل له وزيرا ، وان كان هناك شبه اجمـاع على انه كان وزيرا للملك «جد كارع اسيسى» ، وقد تميزت مقبرته ــ كما تميزت مقبرة «تى» أحد رؤساء الكتاب فى عصره ، وغيره من أفراد الطبقة العليا فى عصر الاسرة الخامسة ــ بما يدل على ما كان ينعم به أفراد هذه الطبقة من حياة رغدة، ومن رعاية الخدم والاتباع ، ومن أمتع ما يستشهد به من مقابرهم من حيث أسلوبها المعمارى والفنى ، ومن حيث تنوع مصدرها التى تصور الحيـاة اليومية داخـل البيوت وخـارجها (نجيب ميخـائيل : مصر ١/١٩٤ عبد العزيز صالح حضارة مصر القديمة وآثارها ١/٣٧٦) •

هذا ويبدو أن تعاليم «بتاح حوتب» هذه ، انما تمثل أقــدم نص موجود فى آداب العــالم كله ، عبر فى قوة وبلاغة عن قــواعد السلوك المستقيم ، وهى ، بما فى مادتها من غزارة ، تلخص لنا مقدارا كبيرا من أدب ذلك العصر ، وقد وصلت الينا هذه التعاليم فى أكثر من نص واحد ، أقدمها من الاسرة الثانية عشرة ، أى بعد موت مؤلفهـا بأكثر من ستة قرون ، ونرى فيها كثيرا من الكلمات والتعبيرات التى لم تكن معروفة على أيام الدولة القديمة ، ولهذا يرجح الاثاريون أنه قد دخل على البردية الاصلية اصطلاحات واضافات كثيرة ، ولكنهم ظلوا ينسبونها الى الوزير «بتاح حوتب» .

وتتكون هذه التعاليم من ٣٧ حكمة ، والنسخة الكاملة من هذه البردية موجــودة الان فى متحف اللوفــر فى باريس ، وتعرف باســم Papyrus Prisse ، وكان هذا العالم الفرنسى «ابريس» Prisse D'Avennes قد اشتراها من أحد الفلاحين فى الاقصر ، وأهداها الى المكتبة الاهلية بباريس عام ١٨٤٧م ، ويبلغ طولها نحو ثمانية أمتار ، وهى فى حالتها الحاضرة تتكون من ثمانى عشرة صفحة ، مكتوبة كتابة واضحة بالقلمين الاسود والاحمر ، بالخط الهيراطيقى . وهى من الاسرة الثانية عشرة ، شأنها فى ذلك شأن برديتين أخريين فى المتحف البريطانى فى لندن ، برقمى (١٠٣٧١ ، ١٠٤٣٥) من الدولة الوسطى ، ولكن هناك بردية أخرى فى المتحف البريطانى أيضا برقم (١٠٥٠٩) من الدولة الحديثة ، وتوجــد مقتطفات منها على ألواح بعض التلاميذ[٢] .

وكان أول من اهتم بنشر هذه التعاليم هو العالم الفرنسى «جيكيه»[٣] ثم «زابا»[٤] و «وزيته»[٥] ، وان كان (Devaud) [٦] أول من درسها

---

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ ، احمد فخــرى : المرجع السابق ص ٤٣١ ـ ٤٣٢ ، وكذا
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 61-62.
R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 159.

(٣) G. Jequier, Le Papyrus Prisse et ses Variantes, Paris, 1911.

(٤) Z. Zala, les maximes de Ptahhotep, Prague, 1965.

(٥) K. Sethe, Agyptische Lesestucke, Leipzig, 1924, p. 36-42.

(٦) E. Devaud, Les Maximes de Ptahhotep, Fribourg, 1916.

دراسة وافية ، وقارن بين نصوصها المختلفة ، كما اهتم بترجمة الوثيقة وتحليلها والتعليق عليها كثير من العلماء من أمثال جن[٧] وارمان[٨] ولكسا[٩] وويلسون[١٠] وشبيجل[١١] وفون بسنج[١٢] وفولكنر[١٣] وجدكه[١٤] وفولتن[١٥] وغيرهم[١٦] ، هذا الى جانب بعض الترجمات العربية — كليا أو جزئيا —[١٧] .

---

(٧) B. Gunn, The Instruction of Ptah-Hotep and the Instruction of Kegemni, The Oldest Book in The World, London, 1909.

(٨) A. Erman, LAE, 1927, p 54-67. and The Ancient Egyptians, p. XXVI, 54-66

(٩) F. Lexa, Enseignement de Ptahhotep et fragment de L'enseignment de Kagemni, Parague, 1928.

وكذا F. Lexa, Quelques Corrections, Griffith Studies, p. 111-118.

وكذا F. Lexa, in Archiv Orientalni. 7, 1935, p 200-207.

(١٠) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 412-414.

(١١) J. Spiegel, Das Warden der Altagyptischen Hochkulture, Heidelberg, 1953, p. 455 F.

(١٢) F. W. Von Bissing, Altagyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, p. 45-51.

(١٣) R. O. Faulkner, in Agyptologische Studien, p. 81-84.

وكذا R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 159-176.

(١٤) H. Goedicke, JARCE, 5, 1966, p. 130-133, 6, 1967, p. 97-102.

(١٥) A. Volten, in Miscellanea Gragoriana, p. 371-373

(١٦) G. Fecht, Der Habgierige und die Maat in der lehre des Ptahhotep, 1958

وكذا G. Fecht, Literarische Zeugnisse..., Heidelberg, 1965, p. 125-130

وكذا P. Seibert, Die Charakteristik, I, Wiesbaden, 1967, p. 71-84.

وكذا M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, I, London, 1975, p. 61-80

وكذا T. E. Peet, A Comparative Study of The Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamis, London, 1931, p. 100 F.

وكذا J. H. Breasted, The Dawen of Conscience, N Y, 1939, p. 129 F.

وكذا Mever, The Oldest Books in The World, N. Y. 1900.

(١٧) محرم كمال : الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء — القاهرة ١٩٦٢ ص ١٧ — ٤٢ ، احمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٣١ — ٤٣٥ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٧٦ — ١٨٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٩ — ٥١١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ — ٣٧٨ .

وأما عنوان هذه البردية ــ كما جاء فى النسخة القديمة ــ فهو «تعاليم حاكم المدينة ، الوزير بتاح حوتب ، فى عصر ملك مصر العليا والسفلى ، اسيسى ، المستمتع بحياة خالدة أبدية» .

وأما فى النسخة الحديثه فتبدأ : «هكذا قال بتاح حوتب للملك مصر العليا والسفلى ، اسيسى ، لقد أقبلت الشيخوخة ، وبدأ خرفها ، وسرت الالام فى الاعضاء ، وتبدى الهرم وكانه شىء جديد ، بصرى يضعف ، وأذناى تكاد تتوقف عن السمع ، قوتى تضمحــل ، وذهنى يكل ، فمى يخرس ولا يتكلم ، وذاكرتى تهرب منى ، ولا تقوى على استذكار الامس الدابر ، عظامى تتوجع ، والسرور ينقلب فى نفسى الى غم ، ورائحة كل شىء تتلاشى» .

«فمرنى حتى اتخذ لى سندا فى شيخوختى ، وحتى أجعل من ابنى خليفة لى ، يحتل مكانى ، فأعلمه عظات من يسمعون ، وآراء من سبقوا ، وهم الدين خدموا السلف فى العصور الماضية ، ليتهم يعملون لك مثل ذلك حتى يزول النزاع من بين الناس» .

«فأجاب جلالته : علمه العظة أولا ، حتى يكون قدوة لأولاد العظماء، ويتحلى بالطاعة ، ويدرك كل رأى صائب ممن يتحدث اليه ، فليس هناك من أوتى الحكمة من تلقاء نفسه» .

وهنا تبدأ الحكم والعظات ، حيث يقدم فيها «بتاح حوتب» خلاصة تجاربه ، وثمرة تفكيره لولده ، حتى يغدو حكيما ، حين يرث منصبه بعد موته ، وهى ليست مرتبة ترتيبا منطقيا ، أو مبوبة ، وانما سجلت كما وردت عفو الخاطر ، ومن ثم فكثيرا ما نراه يذكر أمرا من الامور ، ثم ينتقل منه الى ثان وثالث ، ثم يعود من جديد الى الموضوع الاول ، مما ينقص من قيمة هــذه النصائح كعمــل أدبى ، ذلك لان محتويات هذه النصائح ، فيما يرى بعض الباحثين ، الذين عنوا بدراسة هذه البردية ، أقرب الى مقالة خطيب يتحدث مرتجلا ، مايرد على خاطره ، متنقــلا من موضوع الى آخر ، هذا فضلا عن أن هذه الحكم والنصائح ، رغم أنها

كتبت للخاصة من الناس ، فان الاقبال عليها فى عهد الدولتين — الوسطى والحديثة — فضلا عن املائها لتلاميذ المدارس كمحفوظات يتدربون على حفظها وكتابتها ، الى جـانب تناولها لموضوعات عـامة يتعرض لها كل انسان — أيا كانت طبقته — انما جعلتها حكما عامة •

وأيا ما كان الامر ، فهى لاشك انما قد شملت أهم ما أراد «بتاح حوتب» أن يلقنه لولده من وصـايا ، وما اراد أن يتصف به من سجايا حميدة ، حتى يكون جديرا بمنصب الوزير — أعلى المناصب وأسماها — والذى سوف يشغله بعد وفاة أبيه ، أو اعتزاله الخدمة ، ومن المعروف أن منصب الوزير انما كان منتهى آمال الموظفين الكبار طوال العصـور الفرعونية ، كما كان الوزير أكثر موظفى الدولة محبة فى نفوس الشعب ، ذلك لان القوم انما كانوا يعتقدون أنه هو الذى يقوم الحق ، ويمحق الباطل ، وكان الشاعر اذا وصف قصر الملك لم ينس أن يضيف الى وصفه «أن فيه وزيرا يتولى الحكم ، عطوفا على مصر» •

يقول «بتاح حوتب» فى نصائحه لولده :

«لا تزه بمعارفك ، ولا تحسبن نفسك عالما ، ولكن اجعل الامر شورى مع الجميع ، خذ نصيحة الجاهل ، كما تأخذ نصيحة العالم ، لان حدود العالم لا نهائية ، وليس هناك من يبلغ الكمال فى أحاديثه ، والقول الحكيم أشد ندرة من الحجر الاخضر ، ومع ذلك فقد تجده الاماء اللائى يجلسن الى الرحى» •

«اذا وجدت رجلا يتكلم ، وكان أكبر منك وأسدى حكمة ، فاصغ اليه ، واحن ظهرك أمامه ، ولاتغضب الا اذا تفوه بالسوء ، وعندئذ سيقول عنه الناس : تبا له من جاهل — اذا وجدت رجلا مساويا لك يتجادل ، وأثار حديث السوء فلا تسكت ، بل اظهر حكمتك وحسن أدبك ، فـان الكل سيثنون عليك ، وسيحسن ذكراك عند العظماء — اذا وجدت رجلا فقيرا (ليس مساويا لك) يتكلم فلا تحتقره لانه أقل منك ، بل دعه وشأنه ، ولا تحرجه لتسر قلبك ، ولا تصب عليه جام غضبك فاذا بدا لك أن تطيع أهواء قلبك فتظلمه ، فاقهر أهواءك ، لان الظلم لايتفق مع شيم الكرام»•

«اذا كنت فى صحبة جماعة من القوم ، وكنت رئيسا عليهم فعاملهم بالحسنى حتى لا تلام ، وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص ، ما أعظم الحق ، فان قيمته خالدة ، ولم ينل منها أحد منذ أيام الاله «أوزير» . من يخالف الحق يعاقب ، ومن استحل حقوق الناس حراما ، أخذ الحرام معه الحلال وذهب ، الحق خير وجزاؤه دائم ، وقد تجنى ثراء من وراء الشر ، ولكنه لا يدوم كما يدوم الخير ، فالحلال بين والحرام بين ، والمرء يفعل ما تعلمه من أبيه» .

«ولا تحاول أن تنشر الرعب بين الناس ، فهذا أمر يعاقب عليه الرب ، ولا تحاول أن تخدع الناس ، فذلك لا جدوى منه ، فما أراده الله سيكون ، فعش آمنا مطمئنا ، راضيا بحاضرك ، واثقا بمستقبلك ، فسوف يأتى اليك رزقك من حيث لا تدرى ولا تحتسب» .

«اذا دعيت الى مائدة عظيم من العظمـــاء ، فخذ مما يقـــدم اليك ، ولا تمدن عينيك الى ما هو أمام غيرك ، بل انظر الى ما قدم اليك ، ولا تصوب اليه نظراتك ، لان النفس (كا) تشمئز عندما يصطدم المرء بها ، غض من بصرك حتى يحييك ، ولا تتحدث اليه الا اذا حياك ، اضحك عندما يضحك ، فان هذا مما يبهج قلبه ويجعل ما تفعله مقبولا لديه ، لان المرء لا يعلم ما فى القلب» .

«اذا جلس الرجل العظيم الى الطعام ، فان مسلكه وأعماله تجىء من وحى روحه ، فقد تمتد يده بالطعام الى من يجـلس بجواره ، وقد تتجاوزه الى البعيد بوحى من الروح (كا) والخبز يرزقه الرب لمن يشاء» .
«اذا كلفك نبيل برسالة الى نبيل آخر ، فأدها كما أخذتها تماما ، دونما أى تحريف أو تبديل ، ولا تثر عداوة بكلماتك ، ولا تؤلب نبيلا على نبيل ، بقلب الحقائق والباس الباطل ثوب الحق ، ولا تكن نماما فالنميمة تمجها النفس ، وتأباها الروح» .

«اذا كنت مزارعا فاحصد نتـــاج حقلك ، وسيبارك لك الرب فيه ، ولا تملأ فمك على مائدة جارك » .

«لا تجعل الرجل الذى لا ولد له حسودا ، ولا تنبذه وتجعله مغموما محسورا من أجل ذلك ، فالرجل ذو الولد قد يعتريه الهم ، رغم عظم مكانته ، وأم الاولاد نصيبها من راحة البال قليل ، والرب هو خـالق الانسان ، وهو الذى يقدر له نصيبه فى الحياة» •

«اذا كنت فقيرا وتعمل تابعا لرجل مشهور ممن يشملهم رضـا الاله (الملك) ، فلا تحـاول أن تعرف شيئا عن ماضيه عندما كان مغمورا ، لا تجعل قلبك يتعالى عليه بسبب ما تعرفه عن ماضى أيامه ، احترمه بقدر ما صار اليه ، ان الثروة لا تاتى وحدها ، انها تفد على من يريدها ويعمل لها ، فاذا عملت لها وسعيت وراءها ، فان الرب ينيلك اياها ، أمـا اذا قعدت وتوانيت وتمسكت بأهداب الكسل والخمول ، فان الرب لك بالمرصاد ينزل عليك غضبه وعقابه» •

«اذا أصبحت عظيما ، بعد أن كنت وضيعا ، وصرت غنيا بعد أن كنت فقيرا ، فلا تنس ما كنت عليه فى الماضى ، ولا تفخر بثروتك وتستكبر ، فانك لست بأحسن حالا من رفاقك الذين حل بهم الفقر» •

«اذا كنت رجلا عاقلا ، فليكن لك ولد تقوم على تربيته وتنشئته ، فذلك أمر يسر الآلهة ، فاذا اقتدى بك ، ونسج على منوالك ، ونظم من شئونك ورعاها ، فاعمل له كل ما هو طيب ، لانه ولدك ، وقطعة من نفسك وروحك ، ولا تجعل قلبك يجافيه ، فاذا ركب رأسـه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغى وبغى ، وتكلم بالافك والبهتان ، فقـومه بالضرب حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله ، وباعد بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد ، أما اذا تحدى قولك فاطرده ، لانه ليس ابنك ، ولم يولد لك» •

«اذا كنت تقف فى بهو أحد العظماء فانتظر حتى يأتى دورك ، وانتبه للخادم الذى يعلن الحاضرين بالدخول ، فالبهو تقاليده المرعية ، وعندئذ كن مستعدا للدخول ، دون دفع أو تزاحم ، فالمكان رحب ، وقاعة المجلس يسيطر عليها نظام دقيق ، انه هو الرب الذى يهب المرء مقعدا فيها يجزى به المستحقين ، ولا يناله المعتدون» •

«اذا كنت بين جماعة من الناس ، فاجعل حب الناس هدفك ومنيتك، ومبتغى قلبك وهواك ، فيقول من يراك ، هذا رجل ناجح وغنى ، فسوف أقلده ، فيحسن ذكرك دون أن تتكلم ، ويعلو قدرك بين جيرانك ، ويكتمل من أمرك ما ينقصه ، أما من قسى قلبه وضل فؤاده ، وأطاع جسده فانه يكون قد أحل صغاره محل حبه ، وتعس عقل صاحبه ، وساء وجهه بما جرته عليه نفسه ، ولقد غرت نفوس أتباع الرب ، فالقلب انما يشعر بالدفء من فضل الرب وحده ، ومن أطاع بدنه كان عدو نفسه» .

«كن صريحا ولا تخف من أعمالك شيئا ، بل صارح بها رئيسك فى مجلسه ، حتى ولو كان يعلم بها ، فلا يضير المرء أن يقال له : ان هذا شيء أعلمه» .

«اذا كنت سيد قوم فتصرف فى شئونهم طبقا للقوانين والانظمة ، وانظر الى مستقبل الايام ، حين يأتى وقت لا يفيد فيه الكلام» .

«اذا كنت فى منصب بحيث يتقرب الناس اليك ، فكن مؤدبا واصغ الى شكاة الشاكى فى رفق ، ولا تعترض كلماته ، حتى يخرج كل ما فى قلبه ، وكل ما جاء ليقوله ، فالرجل المهموم يحب الموظف الذى يتقبل شكاته ، ويتحدث عن متاعبه كلها له ، فالكلمة الطيبة تضيء قلبه ، ولكن اذا تردد فى أن يفضى اليك بما يجيش فى صدره ، قيل ، ان القاضى يظلم من لا يستطيع لظلمه دفعا» .

«اذا كنت ترد أن تعيش موفور الكرامة فى أى منزل تدخله ــ سواء أكان منزل عظيم أم أخ أم صديق ــ فاحذر مخالطة النساء ، فما طاب مكان حللن فيه ، ومن سوء الرأى أن يتلصص عليهن انسان ، وكم من امرىء ضل عن رشاده حين استهواه جسم براق ، ثم تحول عنه الى هباء ، وأصبحت فترات استمتاعه القصار أضغاث أحلام ، وأفضت به الى الهلاك ، ان الرجال ليفتتنون بأعضاء النساء البراقة ، ولكن سرعان ما تصبح بعد ذلك مثل أحجار «هرست» (وكان يعد رمزا للكرب والبلاء) والموت يأتى فى النهاية» .

«اذا أردت أن يكون سلوكك حسنا ، وأن تباعد بين نفسك وبين الشر، فاحذر الجشع ، فانه مرض وسقم ، ولا دواء له ، ومن المستحيل أن يجد صاحبه صديقا ، فهو يحيل حلاوة الصديق الى مرارة،ويبعد المرء المخلص عن سيده ، بل انه ليسىء الى الاب والام ، والاخوة والاخوات ، ويبذر بذور الشقاق بين الرجل وزوجه وقد يجعل الامر ينتهى بهما الى الطلاق، انه جماع الشر ، ان الرجل ذا الاخلاق الحميدة ، الذى يسير على الطريق المستقيم ، يطول عمره ، ويحظى بالثروه ، لكن الرجل الجشع لا يجد له قبرا» .

«لا تكن شرها فى القسمة ، فلا تأخذ منها ما ليس لك ، ولا تطمع فيما هو لأقاربك ، والكلمة الطيبة اللينة خير من القوة وأجدى ، والطماع يخرج صفر اليدين من بين أقاربه وأخلائه ، لانه حرم موهبة الكلام الرقيق ، وان القليل الذى يختلس يولد العداوة ، حتى عند صاحب الطبع اللين».

«اذا كنت رجلا عاقلا ، فاسس لنفسك بيتا ، وأحبب زوجتك حبا جما ، وخذها بين ذراعيك ، اشبع جوفها ، واستر ظهرها ، وعطر بشرتها، بالدهن العطر ، فان الدهن ترياق بدنها ، واسعدها ما حييت ، فالمـرأة حقل نافع لصحبه ، ولاتتهمها عن سوء ظن ، وامتدحها يضعف شرها ، فان نفرت راقبها ، واستمل قلبها بعطاياك ، تستقر فى دارك ، وسوف يكيدها أن تعاشر علة فى دارها» .

«أوصيك بأمك التى حملتك ، هى ارسلتك الى المدرسة حتى تتعـلم الكتب ، وهى تشغل نفسها طول النهار،وهى التى تعطيك الطعام والشراب من البيت ... والان وقد كبرت وتزوجت وأصبحت سيد بيتك ، التفت الى تلك التى ولدتك ، وزودتك بكل شىء ... هى أمك ، لا تدع لها فرصة لتوبيخك ، لا تدعها ترفع يدها غضبا بسببك لان الله تعالى سيستمع اليها دونما ريب» .

«أشبع خدمك الاجراء بما لديك ، مما أفاء الرب عليك ، فهذا واجبك ولو أنه من الصعب ارضاء الخادم الاجير ، فواحد يقول : انه مسرف ،

ولا يعرف المرء ماذا يأتى منه فى قابل الايام ، وفى الغد يقول : انه قانع وباق حيث هو ، وعندما تطوق الخدم بفضلك وكرمك يأتون اليك يقولون : نريد أن نذهب ونتركك ، ألا فلتذهب الرحمة من مدينة يقيم فيها خـدم خبثاء تعساء» •

«أتبع اصدقاءك بما افاء الرب عليك من خير وحظوة ، فالحكمة تقضى بذلك ، فما من انسان يعرف مصيره ، اذا فكر فى الغد ، واذا حـل سوء الطالع بمن كان ذا حظوة ، فان أصدقاءه هم الذين يقولون له : مرحبا ، فاستبق مودتهم لوقت الشدة الذى يتهدد الانسان» •

«لا تردد كلاما قيل فى ساعة غضب ، ولا تصغ اليه ، لانه خرج من جسد أحمته ثورة الغضب ، واذا أعيد عليك هذا الكلام فلا تستمع اليه ، بل انظر الى الارض ، ولا تتكلم بشأنه ، فيخجل من هو أمامك ويعرف الحكمة ــ اذا امرت باقتراف سرقة ، فعليك أن تتفادى الامر ، لان السرقة شنيعة ، طبقا للشريعة» •

«اذا كنت رجلا ذا شأن ، وجلست فى مجلس سيدك ، فثق أن الصمت خير وأجدى لك من الثرثرة فى الكلام ، لا تتكلم الا اذا كان لديك ماتريد أن تقول حقا ، وعندئذ يجب عليك أن تكون فنانا فى الحديث ، فالكلام فن أشق من العمل الشاق ، فجاهد لتعرف كيف ومتى تتحدث ــ واذا كنت ذا بطش وسلطان فدعهم يوقرونك من أجل علمك ورقة حاشيتك ، ولا تصمت،ولكن حذار من أن تقاطع أحدا وهو يتكلم ، واياك أن تجيب وانت فى فورة غضبك» •

«اذا كان أميرا منهمكا فى عمل فلا تثر ما يعـوقه ، ولا تغضب قلبا مثقلا بالهموم ، انه لينصرف عمن يعطله ولكنه يفضى بدخيلة نفسه الى من يحبه ، ان تآلف الارواح من عمل الرب الذى يحب خلقه ، انطلق اذن بعد شجـار مرير ، وتصـافى مع من كان لك خصما ، فمثل هـذه الاحاسيس هى التى تقوى الحب» •

«اذا كنت أستاذا ومربيا تقوم على تعليم ابن أحد النبلاء ، فعلمه

الاشيا، التى تعود عليه بالنفع ، ودعه يختلط بالناس ، ويقر بالفضل لاستاذه ، اذ أن رزقك ياتيك منه ، فانت من خيره تتسبع بطنك ، وتكسو ظهرك . ودعه يحبك حتى يعمر بيتك ويعلو شرفك ، ولسوف يمد يده فى رفق اليك ، ويعطيك فترضى ، ولسوف يغرس حبك فى قلوب اصدقائك» .

«اذا كنت ابن أحد رجال الدين ، ورسول سلام بين جموع الناس ، فتكلم دون أن تحابى طرفا على آخر ، ولا تجعلهم يقولون : ان شأنه شأن النبلاء يحابى طرفا فى كلامه ، وليكن هدفك اصدار أحكام دقيقة» .

«اذا كنت تسامحت فى سالف الايام ، مصفحت عن شخص بغية هدايته ، فدعه وشانه ، ولا تذكره بفضلك فى الغد — واذا كنت رجلا عظيما ، وكنت من قبل صغيرا ، واذا صرت غنيا ، وكنت من قبل فقيرا ، فلا تتكبر لانك بلغت هذه المرتبة العالية ، فما أنت سوى قيم على الحسنات التى أعطاها الرب لك ، ولست أنت الاخير . فسرعان ما يبلغ سواك المرتبة التى بلغتها ، فيكون مساويا لك ، يأتيه من الثروة والجاه ما أتاك» .

«احن ظهرك لمن هو ارفع منك ، الى رئيسك الذى فى القصر ، وبذلك تطمئن على مرتبك ، ودخل بيتك ، وتكون مكافأتك ما يجب أن تكون ، ان المعارضة للرئيس تجلب المتاعب ، لان الانسان يحيا طالما كان رقيق الطبع» .

«لا تسلب منازل المزارعين ، ولا تسرق متاع صديق ، حتى لايتهمك فى مواجهتك فينقبض قلبك واذا علم بأمرك ، فانه لن يتوان عن أذاك وضررك» .

«ما أحمق الخصام بدل الصداقة» .

«اذا أردت معرفة أخلاق صديق ، فلا تسال أقرانه عنها ، ولكن اختلط به ، وامتحن قلبه فى معرض كلام ، فاذا كشف لك عن ماضى حياته، فقد هيأت لك الفرصة ، لتخجل منه أو تكون صديقا له ، لا تكن متحفظا عندما يبدأ الحديث ، ولا تجبه بخشونة ، ولا تتركه أو تقاطعه ، حتى

ينهى حديثه ، فقد يفيدك ما يقول ، أما اذا أفشى شيئا يكون قـد رآه، أو فعل شيئا يغضبك ، فكن حذرا حتى فى اجابتك» •

«كن سمح الوجه ، وضاح الجبين ، مشرق الطلعة ، مادمت حيا ، ولا تحزن على ما فات ، والمرء يذكر بأعماله بعد موته» •

«اعرف جيدا من يعاملك من التجار ، فاذا ساءت حالك ، فان سيرتك الطيبة بين أصدقائك ستكون خير عون لك ، انها خير من الالقاب ومن الغنى ، فالغنى يزول ، والمال ينتقل من فرد لآخر ، والذكرى الطيبة باقية للانسان مفخرة له ، ان الخلق الحسن يبقى شيئا مذكورا» •

«ألا فلتعلم أن الرذيلة يجب أن تمحـق ، حتى يتأتى للفضيلة أن تعيش وتبقى» •

ثم تلى ذلك خاتمة تمتدح ما فى هذه النصائح من فوائد ، ينبغى أن يتناقلها الخلف من السلف ، جيلا اثر جيل ، للانتفاع بما فيها من موعظة حسنة وقول حكيم •

ثم يحثه على الافادة من هذه الحكم فيقول :

«ان حكمى وأمثالى ستعلم المرء كيف يتكلم ، بعد أن يسمعها ويعيها، ومن ثم يصبح عبقريا فى كلامه ، وفى سمعه وطاعته ، وسيكون النجاح حليفه ، يعلو شأنه ، وينبه ذكـره ، وتسمو مرتبته ، ويصل الى أعلى عليين ، وسيظل فاضلا كريما حتى آخر أيامه فى هذه الدنيا ، يملأ الرضا نفسه ، وتهديه حكمته الى مكان الامان ، حتى يعيش فى طمأنينة وسعادة على وجه الارض ، وسوف يكون العالم راضيا بما أوتيه من علم» •

«أما الامير فسيكون سعيدا ، ولسانه مستقيما ، لان هـذه الحكم والامثال ، سوف تحل عقدة لسانه فيفهم الناس قوله ، وسوف تفتـح عينيه ، وتسمع أذنيه ، وتوقفه على كل ما هو مفيد لولده ، فينصلح حاله، ويستقيم أمره» •

«ما أجمل طاعة الابن ، يأتى ويستمع مطيعا ، انه عبقرى فى سمعه،

عبقرى فى كلامه ، ذلك الذى يطيع كل ما هو خير وطيب ، وطاعة المطيع شيء نبيل ، ان الطاعة هى خير ما فى الوجود ، انها تكون الرغبة الحسنة، وما أجمل أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته اليه تجارب شيخوخته ، ان ما يريده الرب هو الطاعة ، أما العصيان فهو بغيض الى الرب ، حقا ان القلب هو الذى يجعل صاحبه يطيع أو يعصى ، لان حياة الانسان الحقة من وحى قلبه ، ان من يطيع يطاع» .

«ما أجمل ان يستمع المرء الى أبيه عندما يتكلم ، أما الغبى الذى لا يسمع فلن يلقى نجاحا ، لانه ينظر الى العلم ، كما لو كان جهلا ، والى الخير ، كذا لو كان شرا ، ويجلب على نفسه اللوم كل يوم ، لانه يفعل ما يكره الناس ، ويعيش على ما يسبب الموت ، ان قالة السوء هى طعام فمه ، ولهذا سيعرف أولو الامر حقيقة خلقه ، وسيموت كل يوم وهو حى وسيتحاشاه الناس لكثرة مساوئه التى تزداد يوما بعد يوم» .

«ان الابن الذى يسمع ويطيع كأحد أتباع حور،يبلغ سن الشيخوخة، ويصل الى أعلى مراتب الشرف والسؤدد ، وهو يرد على مسامع أبنائه وبناته نصائح أبيه وتعاليمه . حتى تظل خالدة متجددة ، ينقلها الآباء الى الابناء ، جيلا اثر جيل ، واياك أن تتناولها بالتحريف» .

«كن حذرا فى الكلام حين يسمع اليك رجل علم ، واحرص على أن تعلو سمعتك فى أفواه من يسمك ، واذا دخلت فى أمر كخبير . فلا تجعل لسانك ينطق الا بما هو حق ، حتى يكون مسلكك حسنا» .

«نفذ وصية سيدك ومولاك التى أوصاك بها ، فما أجمل نصيحة الاب لابنه الذى أنجبه ، حقا ان الابن النجيب هبة من الرب ، فهو يعمل أكثر مما يؤمر به ، ويفعل الخير ، ويضع قلبه فى كل أعماله» .

«فاذا وصلت الى مركزى ، وقدرت ما أوصيتك به ، فسيكون جسمك سليما معافى ، وسيسر الملك بكل ما تعمل ، وستبلغ من العمر ما لا يقل عما بلغت من سنوات أمضيتها على الارض ، فقد بلغت العاشرة بعد المائة ، وأغدق على الملك من وفير نعمائه ما يفوق آلاءه على أجدادى، لانى أقمت الحق والعدل للملك حتى شيخوختى» .

٢ ـ نصـــائح الى كاجمنى

وردت هذه النصائح فى الصفحتين الاولبين من بردية بريس ، الآنفة الذكر ، والمحفوظة بمتحف اللوفر فى باريس ، وعنوانها «نصائح موجهة الى كاجمنى» (كايجمنى أو جمينــكاى) ، وهى ـــ فيما يرى أســتاذنا الدكتور أحمد فخرى[1] ـــ من انتشاء الدولة الوسطى (الاسرة الثــانية عشرة) ، ولكن كاتبها نسبها الى أيام الدولة القديمة ، وربط بينها وبين اسم الملك «سنفرو» مؤسس الاسرة الرابعة ، والذى اشتهر أمره شهرة كبيرة على أيام الاسرة الثانية عشرة ، وألهه القوم ونسبوا الى أيامه كثيرا من قصصهم •

هذا ولم يعثر على الجزء الذى يحتوى نهاية البردية ، ونعرف منها أن مؤلفها (ربما كان يدعى كاارسو) كان حاكما للعاصمة ووزيرا للملك «حونى» آخر ملوك الاسرة الثالثة ، وقد أدركته الشيخوخة فكتب هذه النصائح ليسير عليها أبناؤه ، وبخاصة «كاجمنى» الذى تولى وظائف أبيه فى عهد الملك سنفرو •

غــير أننا لم نعثر أبدا على اسم موظف يدعى «كاجمنى» من عهد سنفرو ، وربما اختلط الامر على كاتبها فى الاسرة الثانية عشرة ، فاعتقد أن الوزير الشهير «كاجمنى» الذى عــاش على أيام الاسرة السادسة وصاحب القبر المعروف فى سقارة ، انما قد عاش على أيام الملك سنفرو ، وربما كانت هناك نصائح كتبها هذا الوزير أعادوا كتابتها فى الاسرة الثانية عشرة ، كما حدث لنصائح «بتاح حوتب» ، وعلى أية حال ، فسواء أصح هذا الاحتمال أم لم يصح ، فالذى لا شك فيه أن النص الذى بين أيدينا انما يرجع الى أيام الدولة الوسطى •

هذا وقد اهتم بنشر هذه النصائح وترجمتها والتعليق عليها ، كثير

---

(١) أحمد فخــرى : تاريخ الحضـــارة المصرية ـ العصر الفرعونى ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦ •

من العلماء ، منهم جيكيه[٢] ، وشارف[٣] وجاردنر[٤] وزيته[٥] وجن[٦] واردان[٧] وفون بسنج[٨] وفيدرن[٩] وبونز[١٠] ويويوت[١١] وايدل[١٢] وسمبسون[١٣] وغيرهم[١٤] ، فضلا عن بعض الترجمات العربية[١٥] .

هذا وقد جاء فى هذه النصائح والتعاليم :

«السلامة فى التواضع ، والشريف فى معاملته ممدوح ، ومن يتخذ الاستقامة اساسا لعمله يمتدحه الناس ، والحذر الفطن فى حديثه تنفتح له الابواب ، ولكن السكين تشحذ لمن يحيد عن الطريق المستقيم» .

«اذا جالست قوما على مائدة طعام ، فتعفف عن الطعام ولو كنت تشتهيه ، فانها برهة قصيرة تقهر الرغبة فيها ... وقد خسىء من شره جوفه ، ان قدحا من الماء يروى غلة الظامىء ، وملء الفم من حشائش

(٢) G. Jequier, Papyrus Prisse et ses Variantes, Paris, 1911
(٣) A. Scharff, in ZAS, 77, 1941, p. 13-21.
(٤) A. H. Gardiner, JEA, 32, 1946. p. 71-74, JEA, 37, 1951, p. p. 109-110.
(٥) K. Sethe, Agyptische Lesestucke, Leipzig, 1928, p. 42-43
(٦) B. Gunn, The Instruction of Ptah-Hotep and The Instruction of Ke'gemni, The Oldest book in The World, London, 1912, p. 62-64.
(٧) A. Erman, LAE, 1927, p. 66-67
(٨) F. W. Von Bissing, Altagyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, p. 52-53.
(٩) W. Federn, in JEA, 36, 1950, p. 48-50.
(١٠) G. Posener, in CdE, 6, 1951, p. 32-33.
(١١) J Yoyotte, in BSFE, 11, 1952, p. 67-72.
(١٢) E. Edel, in MIO, I, 1953, p 210-226.
(١٣) W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 177-149.
(١٤) M. Lichtheim, Ancient Egyption Literature, London, 1975, p. 59-61
(١٥) احمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٤٣ ـ ٤٥ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٢ ، سليم حسن : المرجع السابق ١/١٨٨ ـ ١٨٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١١ .

الارض يقيم أود القلب ، ورب حسنة تقوم مقام الخير كله ، ونزر يسير يغنى عن الكثير كله ، وتعس رجل شره من أجل بطنه» •

«اذا جالست نهمـا فكل عندما تنتهى شهيته ••• واذا شربت مع سكير ، فشاركه حين يبلغ كفايته» •

«لا تتكالب على اللحم فى حضرة ••• ، واذا أعطـاك شيئا فخذه ولا ترفضه ، فان ذلك يرضيه» •

«اذا كان المرء غير مألوف العشرة ، فما من قول يفيد فيه ، انه يقطب وجهه أمام من يحسنون اليه ، وهو نكبه على أمه وأصدقائه ، وكل الناس تقول عنه : ان فمه لا يستطيع الكلام عندما يخاطبه أحد» •

«لا تفاخر وتزهو بقوتك بين من هم فى سنك ، وكن على حذر من كل انسان ، حتى من نفسك ، ان المرء لا يدرى ماذا سيحدث ، كمـا انه لا يدرى ما الذى سيفعله الله عندما ينزل عقابه» •

ثم تختتم التعاليم بالنص التالى :

«ثم نادى الوزير أولاده بعد أن انتهى من مقاله عن قواعد سلوك بنى الانسان وأحوالهم ، كما عرفها بنفسه ، وقال لهم :

«اصغوا واعوا كل ما أوردته فى هذا الكتاب طبقا لما قلته» •

«عندئذ خروا سجدا على بطونهم ، وقرأوه ، طبقا لما هو مكتوب ، وكان فى قلوبهم أحسن من أى شىء آخر فى البلاد كلها ، وقاموا وقعدوا متبعين ما جاء فيه» •

«وعندما وافى الملك «حونى» الاجل ، واعتلى جلالة الملك «سنفرو» عرش البلاد ، عين «كاجمنى» محافظا للعاصمة ووزيرا» •

٣ ـ تعاليم خيتى بن دواوف لابنه بيبى

ظلت هذه التعـــاليم تعرف باسم «تعـــاليم دواوف» الى أن برهن الاستاذ «جاردنر» على أن اسم كاتبها انما هو «خيتى بن دواوف» ، وأن «خيتى» هذا انما كتبها لولده «بيبى» •

هذا وقد وصلت الينا نسخ كثيرة من هذه التعاليم ، بعضها على أوراق بردية ، وبعضها الاخر على لوحات خشبية ، فضلا عن فقرات على قطع الخزف ، وشظيات من الحجر الجيرى الابيض الاملس ، كما وجدت كاملة فى برديتى ســالييه الثانية ، وانسطاسى السابعة ، المحفــوظتين بالمتحف البريطانى فى لندن • وأما أقدم فقرات وصلت الينـــا من هذه التعاليم فهى التى اهتدى الى حلها «بيانكوف» ، ويرجع عهدها الى أوائل الاسرة الثانية عشرة ، وقد كتبت على لوح من الخشب بقى لنا بعض أجزاء منه وهى بلاشك ترجع الى عصر الثورة الاجتماعية الاولى،كغيرها من قطع الادب ، ولا غرابة فى ذلك فهو العصر الذى ازدهر فيه الادب بدرجة عظيمة •

ولعل من الاهميه بمكان الاشارة الى أن هذا النوع من التعاليم الذى سنقدم بعضـــا منه ، انما كان محببا بصفـــة خاصة عند مدارس عهد الدولة الحديثة «١٥٧٥ ــ ١٠٨٧ ق•م» ، ومن ثم فقد نال مكانة ممتازة عند القوم ، غير أن الطريقة التى عبث بها التلاميذ فى المتون كانت معيبة لدرجة يقصر أمامها كل وصف، فلا يكاد القارىء يتم قراءة فقرات منها حتى يتساءل بيأس عما كان مكتوبا فى الاصل ، ذلك لان معظم ما كتبه التلاميذ انما هو فى الغالب كلمات لا معنى لها ، ولعل السبب فى ذلك أن التلاميذ كانوا ينقلون ما لا يفهمون ، أو أنهم كانوا يجبرون على نقل فقرات من هذه التعاليم ، دونما أية رغبة فى نقلها ، وفى كلتا الحالتين كانت النتيجة أن ترجمة هذه الفقرات انمـــا أصبحت أمرا لا يخلو من الصعوبة ، ولكن من حسن الحظ أن القطع التى عثر عليها «بيانكوف» ، وقرنها بما يقابلها من النسخ الاخرى قد حلت لنا بعض معضلات هــذه

التعاليم ، وان كان الجزء الاكبر منها لايزال غامضا بعض الشيء في نقاط ، ومغلقا تماما في أخرى •

هذا ويرجع السبب في حظوة هذه التعاليم وانتشارها في مدارس عصر الرعامسة الى أنها انما كانت تتغنى بفضل المدارس والتربية المدرسية ، فضلا عن امتداحها لمهنة الكاتب ، وسخريتها من المهن الاخرى ، وهي بالضبط كالرسائل التي كان يتبادلها المدرسون على أيام الدولة الحديثة •

وتمتاز هذه التعاليم بأن كاتبها لم يكن وزيرا ينصح ولده الذي سيتولى وظيفة أبيه من بعده ، وانما كان رجلا عاديا من عامة القوم يدعى «خيتي بن دواوف» كتبها لينصح بها ولده المدعو «بيبي» عندما عقد العزم على ارساله للعاصمة ليلتحق بالمدرسة (بيت الكتب) ليتلقى العلم مع أبناء كبار الموظفين •

وقد اهتم بنشر هذه التعاليم كثير من علماء المصريات ، منهم « جودوين » في عام ١٨٨٥ م ، ثم بيبر[١] وبييت[٢] وبيانكوف[٣] و ارمان[٤] و هلك[٥] وسمبسون[٦] وغيرهم[٧] ، فضلا عن بعض الترجمات العربية[٨] •

هذا ويفتتح «خيتي» هذه التعاليم كالعادة بذكر اسمه واسم ابنه الذي من أجله كتبت هذه النصائح فيقول «تعاليم ألفها مسافر في حجرة سفينة اسمه «خيتي بن دواوف» لابنه «بيبي» حينما سافر مصعدا في النهر الى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين أولاد الحكام» •

---

(١) M. Pieper, Die Agyptische Literature, p. 30.
(٢) E. Peet, Op-Cit, p. 104 F.
(٣) Piankoff, in Revue d'Egyptologie, 11, 1933, p. 51-74
(٤) A. Erman, LAE, 1927, p. 67-72.
(٥) W. Helck, Die Lehre des DW-HTJJ, 2 Part, Wiesbaden, 1970.
(٦) W. K. Simpson, Op-Cit, p. 329-336.
(٧) G. Maspero, Genre Epistolaire, p. 48 F.
(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٠٧ ـ ٢١٦ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٥٤ ـ ٦٠ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص٤٣٧ـ٤٣٨ •

ويكشف لنا هذا العنوان عن حقائق خطيرة من الوجهة التعليمية والتاريخية . فمنه نعرف أنه كانت توجد مدرسة جامعة يتعلم فيها أولاد علية القوم ، فى عاصمة الملك ، وأن العاصمة كانت وقتئذ فى الصعيد ، لانه كان على خيتى أن يقلع بسفينته مصعدا فى النهر ، وربما كانت فى «اهناس المدينة»(بمحافظة بنى سويف) أو فى «طيبة» (الاقصر الحالية) هذا فضلا عن أن هذه المدرسة انما كان يتعلم فيها أبناء حكام الاقاليم ومن فى طبقتهم ، وسنرى أن «خيتى» يقول لولده : وستكون رئيسا لمجلس «قنبت» وهو ذلك الجمع الذى كان يدير حكومة البلاد فى العهد الاقطاعى ، وكان معظمه وقت ذاك من حكام المقاطعات .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن أول ما يلقى «خيتى» على ولده من النصائح ، هو أن يرسم له صورة قبيحة للجاهل ، ثم يغريه بحب العلم أكثر من حبه لأمه ، ويقول انه عجز عن تصوير جماله له ، ثم يشير اليه بأن صناعة الكتابة تفوق كل صناعة ، وأنه لو تعلمها فان القوم سيهنئونه على ذلك ، فيقول : «انى قد رأيت من ضرب ، فعليك أن توجه قلبك للكتب ، انى قد رأيت من أطلق من الاعمال الشاقة ، فانظر ، فلا شىء يعلو الكتب ، وأنت اذا قرأت فى خاتمة كتاب «كمت» (ربما كان اسم كتاب قديم) فانك لواجد فيه هذه العبارة : ان الكاتب ينفسح أمامه كل مجال فى العاصمة ، ولن يعانى فيها فقرا ، والرجل الذى يسير وراء رأى غيره لا يصيب نجحا ، ليتنى استطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك ، وليتنى أستطيع أن أريك جمالها ، انها أعظم من أى شىء آخر ، ان الطالب اذا بدأ فى طريق النجاح ، فان الناس تعلى من شأنه ، ويوفد لتنفيذ الاوامر ، ولا يعود الى البيت ليرتدى ثوب العمل» .

ثم يصف الاب لابنه بعد ذلك ، الفرق بين مهنة الكاتب ، وما ينال صاحبها من الشرف ، وبين المهن الاخرى التى يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله ، وتعرض محترفيها للاخطار فيقول : «على أننى لم أر قط نحاتا كلف برسالة ، ولا صائغا أرسل فى مهمة »» .

ثم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من متاعب ، وازدراء لصاحبها ،

اذا قورنت بمهنة الكتابة ، ويقدم لولده درسا فى الحيـاة الاجتماعية ، ويستعرض أمامه أهم أنواع الحرف فى مصر الفرعونية وقتئذ ، ونصيب كل صاحب حرفة من متاعبها ، يذكر ذلك فى شىء قليل أو كثير من المبالغة، ولكنه يكشف لنا فى الوقت نفسه عن نوع الحرف التى كان يتخذها أبناء العصر المظلم الذى يتحدث عنه ، فيتحدث عن صانع المعـادن فيقول : «لقد رأيت صـانع المعادن يعمل عند فوهة موقدة ، وأصابعه متيبسة مجعدة مثل جلد التمساح ، ورائحته أنتن من فضلات السمك ، وكل صانع يقبض على الازميل يصيبه من الاعياء أكثر مما يصيب من يفلح الارض، لان حقله هو الخشب ، وفأسه هو المعدن ، وحـين يحل الليل ويطلق سراحه ، يعمل على ضوء السراج أكثر مما تطيق ذراعاه» .

ثم ينتقل الى الكلام عن البناء ، وما يناله من التعب الجسمانى ، فيقول : «والبناء يعمل فى كل صلب من الاحجار ، وعندما ينتهى منه تكون قد تكسرت ذراعاه ، وانهدت قواه ، فاذا ما جلس عند الغسق ، يكون فخذاه وظهره قد تحطمت» ، ثم يتناول بعد ذلك حرفة الحلاق ، فيظهر لابنه أنها حرفة مضنية ، صاحبها لابد أن يجول فى الشارع ليبحث عن عمل يسد رمقه بما يكسبه منه ، فيقول : «والحلاق يظل يحلق متأخرا الى الغروب ، وهو يتجول من شارع الى شارع بحثا عمن يحلق له وهو ينهك ذراعيه من أجل لقمة عيش يملأ بها بطنه ، كالنحلة التى تأكل وهى تعمل وتكد» ، وكذا يظهر له المتاعب التى يلاقيها التاجر الجوال» الذى يسافر الى الدلتا ليحصل على ثمن بضاعته ، ويعمل فوق طاقته ، على حين يقتله البعوض» .

ويتناول بعد ذلك صناعة اللبن ، فيقول : «وضارب الطوب من طمى النيل ، يقضى حياته بين الماشية ، ملابسه خشنة جـامدة ، وهو يعمل بقدميه» ، والظاهر أن حرفة البناء كانت شاقة حتى أن حكيمنا هنا انما يعود اليها مرة أخرى ، فيقول : «ودعنى أعود الى ذكر البناء الذى يشيد الجدران ، فهو غالبا ما يكون مريضا ، وملابسه قذرة ، ولا يغتسل الا مرة واحدة فحسب ، وهو تعس تعاسة تفوق حد الوصف ، فهو كقطعة

حجر فى غرفة ، طولها عشر أذرع ، وعرضها ست أذرع ، وأطفاله يضربون ضربا)) •

ثم يصف الحكيم لابنه حالة البستانى (ولعله يقصد به زارع الخضر والفاكهة سواء بسواء) فيقول : ((والبستانى يحضر أحمــالا تنوء بها ذراعاه ورقبته ، وفى الصباح يقوم بارواء الكــرات وفى المساء يروى الكروم ، فهو أسوأ حالا من غيره)) •

ثم ينتقل الى وصف حالة الفلاح ، فيصفه بان الامراض تفتك به ، وصاحب الاملاك يستنفذ كل محصوله ، فهو كالحيوان الذى يعيش بين الاسود ، فهو لابد مأكول ، فيقول : ((أما الفلاح فحسابه مستمر الى الابد (ربما مع مالك الارض) وصوته أعلى من صوت الطائر ((ابو)) (أى كثير الشكوى) ، وهو أيضا يناله الاعياء بما يجل عن الوصف ، وهــو يعيش كمن يعيش بين الاســـود ، وطالما يعتريه المرض ، وعندما يقفل راجعا الى منزله فى المساء ، فان كثرة المشى تكون قد أنهكت قواه)) •

ثم يتحدث عن ((النساج)) الذى يعمــل وهو جالس طول اليوم ، فيشبهه بقعيدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقب دائما ، فاذا تباطأ عن العمل يوما ضرب بالسوط ، واذا أراد الخروج من مصنعه ليستنشق الهواء ، فلا يصل الى ذلك الا بالرشوة ، فيقول : ((أما النساج فى مصنعه فامره أسوأ من أمر النسان (اللائى يجلسن أيضا فى المنازل) فخذاه تكونان على بطنه ، فلا يستطيع استنشاق الهواء ••• وهو يعطى حارس الباب خبزا ليمكنه من الخروج فى ضوء النهار)) •

وبعد ذلك يصف حكيمنا هذا المحنك لابنه حرفة من الحرف التى كانت شاقة فى ذلك الوقت ، ولكنها قد اختفت فى عهدنا الحاضر بانتشار المدنية، وأعنى بها ((صناعة السهام)) ، وقد كانت من أهم أسلحة الحرب وقت ذاك فيتحدث عنها،وكيف يتحتم على صاحبها أن يذهب الى الصحارى والجبال حيث الظران الذى تصنع منه السهام ، وما فى ذلك من بعد المسافة وما يعانيه هو وحماره ، وما يستلزمه من المال لمن يرشده الى الطريق فى وسط

تلك الفياف والقفار ، وما يتطلب ذلك من وقت ونصب ، فيقول : «أما صانع السهام فما أسوأ حـالـه حينما يخرج الى الصحراء ، فهو يعطى الكثير لحماره ، ويعطى الكثير لما فى الحقل ، وعندما يعود الى منزله فى المساء ، فان السير يكون قد هده» .

ثم يتناول بعد ذلك حرفة أخرى أخذت تتلاشى الان فى مصر ، وأعنى بها نقل البريد برجال خصصوا لذلك . فيصف لنا كيف أن عامل البريد عند ذهابه الى بلد أجنبى يترك وصيته خوفا من عدم عودته الى أهله ، لما فى رحلته من المخاطر ، وحتى اذا عاد الى مصر ثانية ، فانه لا يعـود مرتاح النفس ، هادىء البـال ، لان التعب يكون قد أضناه ، فيقول : «وحامل البريد عندما يرحل الى بلد أجنبى ، يوصى بأمواله لاولاده ، خوفا من الاسود والاسيويين ، وحينما يعود الى بيته يكون السير قـد قطعه اربا» .

ثم يصف حرفة الاسكاف بالتعاسة ، وكيف أن هذا التعس يحمل أوانيه التى فيها أدواته وجلده ، وكيف أن صحته تسوء ، وجسده يهزل، وقد يضطر الى قطع الجلد باسنانه ، فيقول : «ويالسوء حال الاسكاف فهـو دائم الاستجداء ، وما عليه هو الجلد» ، ثم يتحـدث عن حرفة «الغسال» ومجازفة صاحبها بنفسه أمام خطر التماسيح ، مما يدل على كثرة هذا الحيوان فى ذلك العصر فى النيل ، وما يلاقيه بسببها من تعب جسمانى ، فيقول «والغسال يعمل على شاطىء النهر ، فهو جار قريب للتمساح» .

ثم يتحدث عن حرفة لهو ، تجعل صاحبها يهمل عمـله ، وأعنى بها «حرفة صيد الطيور» ، فيقول : «وصائد الطيور تراه تعسا حينما يرى الطيور فى السماء ، ويقول : ليست عندى شبكة هنا ، ولكن الله لا يهىء له سبل النجاح ، ودعنى أنتقل بك الى صائد السمك ، فان حرفته أسوأ حالا ، فهو يعمل فى النهر حيث تكثر التماسيح ، والخوف يعميه» .

وهنا يصل الحكيم الى بيت القصيد ، وهو تمجيد مهنة الكتابة فيقول :

«أنظر انه لاتوجد مهنة من غير رئيس لها ، الا مهنة الكاتب ، فهو رئيس نفسه ، وان رحلتى تلك التى أقوم بها معك الى العاصمة تستهدف الخير لك ، وأقوم بها حبا فيك ، فان يوما تقضيه فى المدرسة يعود عليك بالنفع ، وما تفعله فيه يبقى مثل الجبال» •

ثم تلى ذلك فقرات غير مترابطة ، منها :

«اذا دخلت على رب البيت وكان فى منزله مشغولا بآخر حضر من قبلك ، فاجلس ولا تطلب شيئا» •

«لا تتحدث بكلمات خفية ، ولا تجعل الالفاظ النابية تخرج من فمك» •

«اذا أرسلك عظيم برسالة ، فانقلها وبلغها كما نطق بها ، ولا تنقص فيها شيئا ، ولا تضف اليها جديدا» •

«اقنع بطعامك ، فاذا أشبعتك ثلاثة أرغف ، وشربت قدحين من الجعة ، ولم تكف لاشباع بطنك ، فقاوم ذلك الشعور» •

«من الخير أن تبتعد عن جمهرة الناس ، وتستمع وحدك الى أقوال العظماء ••• ولتتخذ لنفسك صديقا من أبناء جيلك» •

«ما من كاتب ينقصه الزاد الوفير ، وان الآلهة لترعاه وتضعه على رأس هيئة الموظفين » •

«أنظر : فان هذا الذى أنصحك به ، هو ما أضعه أمامك وأمام أولاد أولادك» •

وفى النهاية نرى «خيتى» يقول لابنه : انه قد وضعه على الطريق الالهية ، وان ربه «حصاد الكتاب» على كتفه منذ يوم مولده — بمعنى أنه لن يقاسى آلام الحاجة ، وأنه بفنه يصل الى أعلى وظيفة فى البلاط ، وذلك بأن يصبح عضوا فى المجلس الاعلى لحكام الاقاليم (قنبت) ، بل قد يكون رئيسه بما أوتى من علم وحكمه ، ثم يخبره بأن هذا الطريق ممهد له ولأولاده ، فيقول :

«أنظر : انى قــد وضعتك على طريق الاله ، وأن «رننوت» (ربة الحصاد) قد أصبحت على كتفه منذ يوم مولده ، وهــو يصل الى باب مجلس «قنبت» عندما يصل الى سن الرجولة ، تأمل : انه لا يوجد كاتب قد حرم القوت ، الذى هو متاع ببيت الملك ، عاش فى صحة وفلاح ، وأن «مسخنت» (المهة الكتابة) هى سعادة الكاتب ، وهى التى تضعـه على رأس المجلس الاعلى (قنبت) ، ويجب على المرء أن يشكر والده ووالدته اللذين وضعاه على طريق الاحياء ، والان تأمل : فان هذا (أى الذى نصحتك به) ما أضعه أمام وجهك ووجه أولادك،وقد انتهى هذا بسلام».

٤ ـ نصائح الحكيم آنى

توجد هذه النصائح الموجهة من الحكيم «آنى» لولده «خونسو حتب» فى بردية محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة (بردية بولاق رقم ٤) ، وترجع الى عهد الاسرة الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين ، ويبدو ان التلميذ الذى قام بنسخها ونقلها عن أصل أقدم عهدا ، لم يفهم الكثير من محتويات النص ، فوقع فى عدة أخطاء فى كتابة معظم الكلمات ، بحيث جاءت جمل باكملها مضطربة ، لا يستطاع فهمها ، وبالتالى ترجمتها •

وفى الواقع أن النص قد كتب فى الاصل باللغة المصرية الحديثة ، وهى تختلف بعض الاختلاف عن اللغة التى تعود عليها هذا التلميذ فى عصره (فى الاسرة الثانية والعشرين) ، وأن فارق الزمن الذى يفصل بين العصرين انما كان له اثر فى مقدار فهم هذا التلميذ لما ينقله ، ويفسر الاخطاء الكثيرة التى وقع فيها •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن متحف برلين يمتلك أدوات كتابة خاصة بتلميذ عاش فى الاسرة الثانية والعشرين أيضا ، ومن بينها لوحة كتابة كتب عليها مقدمة هذا النص (أو الكتاب) نفسه ونظرا لان هذا التلميذ لم يفهم بعض الكلمات ، فقد وجد أن الواجب يقضى عليه بأن يضيف الى هذه الكلمات شرحا باللغة التى كانت مألوفة لديه ، وشائعة فى عصره ، وهذه هى المقدمة كما كتبها هذا التلميذ على لوحه :

(فاتحة تعاليم النصح (أى مقدمة التعاليم الوعظية) التى ألفها الكاتب آنى (أى التى قام بتأليفها آنى) الذى ينتسب الى بيت «نفر كارع نزوى» (نفر كارع تارى») •

وعلى أية حال ، فان هذا اللوح محفوظ بمتحف برلين (برقم ٨٩٣٤)، كما أن هناك فقرات من هذه النصائح وجدت فى أجزاء من ثلاث برديات محفوظة فى (The Musse Guimet) وفى «بردية شستر بيتى الخامسة

بالمتحف البريطانى فى لندن ، وفى أربع قطع من أوستراكا فى دير المدينة فى طيبة الغربية •

ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن الحكيم «آنى» نسب نفسه الى بيت الملك «نفر كارع تارى» الذى ينسب الى الاسرة الثامنة ، رغم أنه سمى نفسه وسمى ابنه (خونسو حتب) باسمين من أعلام الدولة الحديثة ولعل السبب فى ذلك انما يرجع الى ما كان للادب القديم — وبخاصة أدب الامثال والحكم — من منزلة ، فكل ما كان قديما له فى نظر القوم روعته واحترامه ، ومع ذلك فقد كان من السهل كشف الحقيقة ، وذلك من التعابير والاصطلاحات اللغوية التى كان يتميز بها كل عصر من عصور الأدب •

وعلى أية حال فلعل من الافضل أن نشير أيضا الى أن نصائح آنى هذه انما كتبت فى عصر كانت مصر قد فقدت فيه كثيرا مما كان من قوة وزعامة على أيام الدولتين القديمة والوسطى ، فضلا عن سيادتها على الشرق الادنى القديم فى عهد الدولة الحديثة ، وبدأت الان عصرا من عصور الضعف ، علت فيه كلمة رجال الدين ، وطغت فيه فلسفة الامتثال لحكم القضاء والقدر ، والدعوة الى التدين والقيام بشعائر الدين — كما يقدمها الكهان — ومع ذلك فان النص انما يقدم لنا كثيرا عن آداب السلوك ، وما كان يراه المصريون فى ذلك العهد فى تكوين المجتمع ، وصلة الناس بعضهم ببعض[1] •

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر البردية وترجمتها ، والتعليق

---

(١) انظر : محرم كمال : المرجع السابق ص ٨٦ ــ ٨٧ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٣ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٢١٩ ، M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976, p. 135

عليها ، ومنهم مرييت[٢] وسايس[٣] وجاردنر[٤] وبونز[٥] وفولتن[٦] وارمان[٧] وبرستد[٨] وويلسون[٩] وغيرهم[١٠] ، فضلا عن الترجمات العربية للبردية[١١] .

هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن نصائح (آنى) لولده (خونسو حتب) ، انما تكاد تشبه تعاليم (بتاح حتب) ، فهى على نسقها ، وتكاد تعالج نفس الموضوعات ، حتى ليذهب بعض المؤرخين الى ارجاعها الى عصر الانتقال الاول ، ومن البدهى أن ذلك أمرا بعيد الاحتمال ، وعلى أية حال ، فان (آنى) انما يطلب من ولده أن يكون حريصا فى حديثه ، حذرا من اتيان ما يؤذى الناس والا يزهى بفتوته ، وأن يؤسس له بيتا ، وان يكون تقيا ورعا ، وأن لا يمد نظره الى بيوت الاخرين ، وأن يتجنب الماهرات ، وأن لا يكون سلوكه موضع ريبة ، فلا يفرط فى شراب ، ولا يسعى وراء حياة دنسة ، وأن يكون حديثه فى مجلس القضاء موجزا ، وأن يذكر الموت دائما ، وأن يعرف كيف ينتقى أصدقاءه ، وكيف يحترم

---

(٢) A. Mariette, Les Paprus egyptiens du Musee de Boulaq, Paris, 1871, Pls, 15-28.

(٣) E. Suys, La Sagesse d'Ani, Texte traduction et Commentaire, Analecta Orientalia, 2, Rome, 1935.

(٤) A. H. Gardiner, Hieratic Papyri, I, S and II, 27, p. Chester Beatty V, Verso 2, 6-11 (= P. Boulaq 4, 3, 1-3 and 6, 1-4.
A. H. Gardiner, JEA, 45, 1959, p. 12-15.

(٥) G. Posener, Ostr. Hier, Nos, 1063, 1257, 1258, 1259.

(٦) A. Volten, Studien Zum Weisheitsbuch des Ani..., Copenhagen, 1937-1938.
A. Volten, Agyptische Nemesis-Gedanken, Miscellanea Gragoriana Rome, 1941, p. 373-374.

(٧) A. Erman, LAE, 1927, p. 234-242.

(٨) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 319 F.

(٩) J A. Wilson, in ANET, 1966, p. 420-421

(١٠) M. Lichtheim, Op-Cit, p. 135-146

(١١) محرم كمال : المرجع السابق ص ٨٦ ـ ٩٥ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٢١٩ ـ ٢٣٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١٤ ـ ٥١٥ .

ذاته ، ثم يوصيه بتوسيع أفقه العلمى ، وبرعاية أمه واحترامها ، وبحسن معاملة زوجته ، وباحترام رؤسائه ، وبالابتعاد عن الشغب[١٢] •

ولنتحدث الآن عن نصائح «آنى» هذه بشىء من التفصيل •

يقول آنى لولده «خونسو حتب» فى فاتحة نصائحه هذه :

«سأحدثك بكل ما هو حسن ، لكى يعيه قلبك ، فاتبع ما أقول ، حتى تكون محمود السيرة ، بعيدا عن كل شر ، ويقول عنك الناس : انك اعلى خلق عظيم ، ولا يقولون : انك فاسد بليد ، واذا اتبعت ما أقـول فانك ستتجنب كل شر ، وتبتعد عن مواطن الزلل» •

وفى الزواج المبكر والحض عليه يقول آنى لولده «خونسو حتب» :

«تخير لنفسك زوجة منذ الصبا ، عساها تنجب لك طفلا ، فانها ان أنجبته وأنت شاب ، استطعت أن تربيه وتجعله رجلا ، وطوبى للرجل اذا أصبح كثير الاهل ، وأصبح يرتجى من أجل أبنائه» •

وفى آداب الزيارة يقول :

«لا تكن سليطا ولا متطفلا ، ولا تدخل بيت غيرك (من غير اذن) ، وعندما تكون فى منزل أناس آخرين ، وترى عينيك شيئا فالزم الصمت ولا تبح به لأى شخص كان فى الخارج ، حتى لا تكون لك جريمة كبرى ، عندما يصل أمره الى الاسماع» •

وفى تحذير ولده من النساء الغريبات وارتكاب الفاحشة يقول آنى :

«كن على حذر من المرأة المجهولة ، لا تطل النظر اليها عندما تمر بك ، ولا تقضى منها وطرا ، فقد تراودك عن نفسها ، لا تستجب لها حتى فى غفلة من الناس ، انها جريمة يستحق صاحبها الموت عندما يشيع أمرها بين الناس» •

وفى التحذير من الثرثرة يقول آنى لولده :

«لا تكثر من الكلام ، والزم الصمت فهو خـير لك ، ولا تكن ممن

---

(١٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١٤ ٠

يحبون الخوض فى الحديث عن الناس ، كن حريصا فى كلامك ، اذ أن هلاك المرء فى لسانه ، ان جسم الانسان أوسع من مخزن الغلال ، وهو ملىء بأنواع الاجابات ، فاختر منها الطيب الجيد وقله ، واحتفظ بالخبيث السىء حبيسا فى جسمك» •

وفى تقوى الله واحترام بيوته يقول آنى لولده :

«ان شر ما يحدث فى بيت الله هو احداث الصخب فيه ، فصل بقلب يملؤه الحب ، ولا ترفع صوتك بكلماتك ، أدع ربك بقلب ودود ، وبكلمات خفية ، فسوف يجيب الرب سؤلك ، ويسمع قولك ، ويتقبل قربانك ، اعرف قيمة ربك ، واحترم اسمه ، وقدم قربانك له ، ولا تتعد على حدوده» •

وفى البر بالوالدين يقول :

«قدم الماء لأبيك وأمك اللذين انتقلا الى قبرهما فى الصحراء ، واياك أن تغفل عن هذا الواجب ، حتى يعمل لك ابنك بالمثل» •

وفى التحذير من شرب الخمر يقول :

«لا تفرط فى الشراب ، فانك اذا تكلمت خرجت من فيك عبارة أخرى (غير التى تريدها) ، وانك لتسقط فتتهشم أعضاؤك ولا يمد اليك أحد يده ، ويقوم رفقاؤك ويقولون : ألا بعدا لهذا الاحمق ، واذا جاء من يبحث عنك ليستجوبك،فانهم يجدونك على الارض ملقى مثل طفل صغير»•

وفى التذكير بالموت يقول :

«أقم لنفسك قبرا يثوى فيه جسمانك ، فذلك أمر جد هام ، لان رسول الموت سيأتيك ، واذا أتاك ، فانك لن تستطيع أن تقول له : انى مازلت صغيرا ، فانك لا تدرى متى تحين ساعة رحيلك عن هذه الدنيا ، فالموت يأتى على حين غفلة ، وهو يختطف الطفل الذى يرقد بين ذراعى أمه ، كما يختطف الرجل الذى بلغ من الكبر عتيا» •

وفى حسن اختيار الصديق يقول :

«ابتعد عن الرجل الشرير ، ولا تتخذ منه صديقا ، وتخير اخوانك ،

بعد أن تبلوهم ، وتتحقق من صدقهم واستقامتهم ، وتجنب من كان سىء السيرة» •

وفى عدم الغرور بكثرة المال ، والدعوة الى الاعتماد على النفس يقول :

«وقد تملك قطعة أرض ، أحيطت بسياج جميل من الأزهار ، وتنمو فيها أشجار الجميز ، وقد تمتلىء يدك بأجمل الازاهير وأنضرها ، ومع ذلك فقد تكون شقيا ••• ، لا تعتمد على مال غـيرك ، ولا تتكل على ما يملكه شخص آخر» •

وفى احترام الغـــير يقول :

«لا تجلس ، على حين يقف من هو أكبر منك سنا ، أو أرفع مقاما»•

وفى الادب ومكانته فى المجتمع يقول :

«اذا كنت راسخا فى الادب ، فان الناس ستعمل بكل ما تقوله لهم ، ادرس الادب (الكتابة) وضعه فى قلبك ، فيطيب كل ما تقول» •

«اذا عين الكاتب فى وظيفة ، فانه سيرجع حتما الى الكتب (حتى يحالفه النجاح)» •

وفى فضل الام ومحبتها يقول آنى لولده :

«ضاعف كمية الخبز لأمك ، واحتملها كما احتملتك ، انها عندما ولدتك بعد شهور من حملك ، استمرت تحملك حـول عنقها ، ثم أعطتك ثدييها سنوات ثلاث ، انها لم تتقزز يوما من قذرك ، انها لم تقل لك يوما : لم فعلت ذلك ؟ لقد أخذتك الى المدرسة ، الى حيث تتعلم الكتابة ، وانتظرتك هناك كل يوم ، ومعها الطعـــام والشراب الذى أحضرته من البيت ، فاذا ما شببت واتخذت لك زوجا ، وأصبح لك بيت خاص ، فلا تنس أمك التى حملتك وزودتك بكل شىء ، فانك ان نسيتها كان لها الحق فى أن تغضب عليك ، وأن ترفع يديها شاكية الى الله الذى سوف يستمع الى شكواها»•

وفى الرحمة والبر بالناس يقول :

«لا تأكل خبزا بينما يقف آخر على مقربة منك ، دون أن تمد اليه

يدك بالخبز ، فهناك الغنى وهناك الفقير ، ومن كان فى عام مضى غنيا ، صار فى هذه السنة ضاربا فى الآفاق (أى فقيرا)) •

وفى دوام الحال من المحال يقول :

«ان النهر الذى كان يجرى فى العام الماضى قد يتحول مجراه هـذا العام الى مكان آخر ، وان البحار التى كانت تتدفق بالمياه قد تصـبح أماكن جـافة» •

وفى شر البطنـة يقــول :

«لا تكن شرها فى ملء بطنك» •

وفى آداب دخول بيوت الناس يقول :

«لا تدخل الى بيت انسان ، الا بعد أن يؤذن لك بدخوله ، ويقول لك صاحبه : أهلا بك»

وفى حسن معاملة الزوجة يقول آنى لولده :

«لاتقس على زوجتك فى دارها ، ان أدركت صلاحها ، ولا تسأل عن شىء أين موضعه ؟ اذا تخيرت له وضعه الملائم ، افتح عينيك وأنت صامت تدرك فضائلها ، وان شئت أن تسعد فاجعل يدك معها وعاونها ، حاول أن تمنع أسباب الشقاق فى دارك ، ولا تعمل على خلقــه ، واعمل على الاستقرار فى دارك ، بأن تتحكم سريعا فى نزعات نفسك ، ولكن احذر أن تمشى فى طاعة امراة ، وأن تسمح لها بأن تسيطر على رأيك» •

وفى معاملة الرؤساء يقول :

«لا تجب رئيسا وهو غاضب ، بل ابتعد عن طريقه ، واذا خاطبك شخص بألفاظ جارحة ، فخاطبه بكلام عذب ، وهدئ من ثورته ، فللاجابة المثيرة للنزاع ضرب السياط (لقائلها) فاذا مرت ساعــة غضبه ، فان الرئيس سيتحدث اليك ، لان كلماتك الودودة قد استوعبها قلبه» •

وفى الحض على العمل يقول :

«كن مجتهدا ، لان الرجل العاطل يصبح خـاملا ، ولايكون شيئا مذكورا» •

وفى ختام النصائح يقول آنى لولده «خونسو حوتب» :

«ليتنى كنت مثلك ، حتى أسير على هدى نصائحك ، ويرقى الابن الى منصب أبيه ، انك لرجل عال الهمة ، وان كلماتك درر مختـارة ، تريح قلبى ، ويستوعبها عقلى ، ويفرح بها فؤادى» •

٥ ـ تعـــاليم أمنمؤوبى

وجدت هذه التعاليم التى وجهها «أمنمؤوبى» بن «كانخت حور ماخر» مكتوبة كاملة على بردية محفوظة الان فى المتحف البريطـانى فى لندن (رقم ١٠٤٧٤) ، كما وجدت فقرات قليلة منها فى بردية فى «استكهولم»، وفى ثلاث لوحات من تورين وباريس وموسكو ، وفى أوستراكا فى متحف القـــاهرة .

وقد ظلت هـــده البردية منذ أن حصـــل عليهـــا «سير ارنست الفرد واليس بدج» فى عام ١٨٨٨م منسية تماما ، الى أن بدأ علماء الآثار منذ عام ١٩٢٢م يهتمون بأمرها ، فتولوا شرحها وترجمتها والتعليق عليها عدة مرات ، ومن هؤلاء العلماء بدج(١) ولانجه(٢) وارمان(٣) وجريفث(٤) ولكســـا(٥) وفون بسنج(٦) وويلســـون(٧) وسمبسون(٨) ووليـــامز(٩)

---

(١) E. A. W. Budge, The Teaching of Amen-em-opt, Son of The British Museum, Second Series, London, 1923, p. 9-18, 41-51, Pls. 1-14.
E. A. W. Budge, Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in Kanekht, London, 1924, p. 93-234.

(٢) H. O. Lange, Das Weisheitsbuch des Amenemope, Dansk Videns-Kabernes Selskab, historisk-filologiske meddelelser, xi, 2, Copenhagen, 1925.

(٣) A. Erman, OLZ, 27, 1924, Columns, 241-252.
A. Erman, Eine Agyptische Quelle der Spruche Salomos, SPAW, 1924, p. 86-93.

(٤) F. L. Griffith, in JEA, 12, 1926, p. 191-231.

(٥) F. Lexa, Archiv Orientalni, I, 1929, p. 14-49

(٦) F. W. Von Bissing, Altagyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, p. 80-90.

(٧) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 421-424.

(٨) W. K. Simpson, in The Literature of Ancient Egypt, 1975, p 241-265.

(٩) R. J. Williams, in JEA, 47, 1961, p. 100-106

وبترسون(١٠) وبوزنر(١١) وأنش(١٢) وبرستد(١٣) وغيرهم(١٤) من العلماء الاجانب ، الى جانب الترجمات العربية للبردية(١٥) •

هذا وترجع نصائح «أمنمؤوبى» هذه – والتى وجهها لولده الاصغر «حور ماخر» (حار مع خر) الى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد ، فى الفترة الممتدة من الاسرة الحادية والعشرين الى الثانية والعشرين ، هذا ويكاد العلماء يتفقون الان على أن نصائح «أمنمؤوبى» هذه انما هى الاساس الذى اعتمدت عليه الحكم والامثال التى نسبت الى سليمان عليه السلام – كما جاءت فى توراة يهود المتداولة اليوم •

وقد كتبت هذه النصائح فى أسلوب شعرى ممتع ، كل أربعة أسطر وحدة مستقلة ، وتحوى مقدمة وثلاثين فصلا ، تبدأ بواجبات التلميذ ، ثم تتناول بعد ذلك نصائح مختلفة ، من بينها الحزم فى المناقشة،والتفرقة بين المجهول والحكيم ، وبين الرزانة والتهور فى المعبد ، وبين سوء مصير التعدى على الغير ، أو الطمع فى ثروته ، أو قول السوء ، ثم التحذير من معاشرة الاحمق ، والحض على الاخلاص والامانة فى معاملة الناس ، وضرورة احترام المسنين وأصحاب العاهات ، وأدب معاملة الغير •

هذا وتتضمن مقدمة تعاليم أمنمؤوبى تلخيصا لما ورد فيها ، وتعريفا

---

(١٠) P. J. Peterson, in JEA, 52, 1966, p. 120-128.

(١١) G. Posener, in RdE, 18, 1966, p. 45-62.
G. Posner, in ZAS, 99, 1973, p. 129-135.

(١٢) R. Anthes, in Galling Festschrift, p. 9-18.

(١٣) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 320-282.

(١٤) D. C. Simpson, in JEA, 12, 1926, p. 232-239.
M. Lichtheim, AEL, 1976, p. 146-163.
I. Grumach, Unterzuchungen Zur Lebenslehrs des Amenope, Munchner Agyptologische Studien Heft, 23, Munich, 1972.
P H. Humbert, Recherches sur les Sources egyptiennes de la Litterature Sapientiale d'Israel, Neuchatel, 1929.

(١٥) سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٣١ – ٢٨٠ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ١٠٩ – ١٢٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٥ – ٤٤٧ •

بمحتوياتها ، وحصرا للفوائد التى تهدف الى تحقيقها ، فهى تتضمن «دروسا فى الحياة ، وارشاد الى الخير ، ومجموعة من القواعد التى تتبع فى معاملة الموظفين ، حتى يتعرف المرء على ضوئها ، فترشده الى سبل الحياة ، وتكفل له النجاح فى حياته ، والراحة لقلبه ، وتبعده عن الشر وتجنبه ألسنة السوء ، وتجعل ذكراه حسنة عاطرة فى أفواه الناس» •

ثم هى تتحدث عن مؤلفها ، فتذكر عنه أنه «كاتب مصرى ماهر فى عمله ، اشتغل ملاحظا للغلال ، ومديرا للمكاييل ، وواضعا لعلامات حدود الارض المزروعة ، وحافظا لذكرى الملك بنقوتسه،وماسحا للارض السوداء (الزراعية) . الكاتب الذى يقرر الاوقاف للآلهة ، والذى يمنح الايجار لمن يشاء ، القابض على زمام الاطعمة ، الثاوى حقا فى «تاو — ور» (أبيدوس) ، المذكور فى «آبو» (أخميم) ، صاحب القبر الهرمى فى «سنوت» (غربى أخميم) ، وصاحب الضريح فى أبيدوس ، أمنمؤوبى بن كانخت ، المبرأ فى «تاو — ور» •

ثم تنتقل التعاليم الى التعريف بولده الذى وصفته بأنه أصغر ابنائه «حور ماخر» (حار مع خر) ثم تورد الكثير من صفاته •

هذا ويبدأ الفصل الأول بتفصيل واجبات التلميذ :

«املء أذنيك لتسمع أقوالى ، واعكف قلبك على فهمها ، لانها شىء مفيد اذا وضعتها فى قلبك ، ولكن الويل لمن يتعداها ، فاذا أمضيت مدة حياتك ، وهذه الامور فى قلبك ، فانك ستلقى بها نجحا ، وستجد فى كلماتى ذخيرة الحياة ، وسيفلح جسدك على الارض» •

وتضمن الفصل الثانى نصائح منوعة ، تحذر المرء «من أن يسلب فقيرا يائسا ، أو أن يكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح ، وألا يمد يده ليمس رجلا مسنا بسوء» •

ويتناول الفصل الثالث : البحث فى الحزم عن اجابة الخصم ، فهو يوصى «بأن لا يشتبك المرء فى جدال مع أحمق ، وأن لا يحرجه بألفاظ وأن يعرض عنه ، ويطيل التفكير قبل أن يتكلم ، واذا تكلم الاحمق فى

ساعة غضب ، فيجب أن يتركه الانسان وينصرف من أمامه ، فان الله سيتولى جزاءه» •

ويتحدث الفصل الرابع عن الرجل الاحمق والرجل الحليم ، «فيشبه الاول بشجرة نبتت فى غابة ، تفقد خضرتها فى لحظة ، ويكون مصيرها مرفأ الاخشاب » ، على حين «يشبه الثانى بشجرة باسقة فى حديقة تنمو يانعة ، تقوم أمام سيدها ، ثمرها حلو ، وظلها ظليل ، وينتهى مصيرها فى الحديقة» •

وينقسم الفصل الخامس الى ثلاثة أقسام :

أولها : يحض على احترام أملاك المعبد

وثانيها : يذكر الانسان بأن الامور تتقلب كالنيل

وثالثها : توصى المرء بالرزانة والثقة بالله تعالى

ويحذر الفصل السادس من التعدى على أملاك الغير

«لا تزخر من علامات حدود الحقول ••• ولا تكونن شرها من أجل ذراع أرض ، ولا تتعدين على حدود أرملة» •

وينسقم الفصل السابع الى اربعة اقسام :

الاول : يحرض على ضرورة التسليم بالقدر خيره وشره

والثانى : عن الثروة التى لا تدوم

والثالث : عن مزية القناعة

والرابع : عن صلاة الرجل القنوع

وهذه أمثلة مما ورد فيها : «لا تتعبن نفسك فى طلب المزيد حينما تكون قد حصلت على حاجتك ، واذا جلب اليك المال بالسرقة ، فانه لا يمكث معك سواد الليل ، وعندما ياتى الصباح لا يكون بعد فى منزلك ، بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة وطار الى السماء» •

«الفقر فى يد الله خير من الغنى فى الهرى (المخزن) ، وأرغفة (تحصل عليها) بقلب فرح ، خير من ثروة (تحصل عليها) فى تعاسة ، والثناء على

الانسان كشخص محبوب عند الناس ، خير من الغنى فى المهرى (المخزن)•

وينقسم الفصل الثامن الى ثلاثة أقسام :

أولها : عن أهمية الذكرى الطيبة ، «اغرس طيبتك فى قلوب الناس ، حتى يحبيك كل انسان» •

وثانيها : يحض على اجتناب القول الخبيث ، «كن رصينا فى تفكيرك ، وثبت فؤادك ، ولا تتعود على أن تجدف بلسانك حتى تكون مفضلا عند الآخرين ، ومحترما فى شيخوختك ، وآمنا من بطش الاله (الله)» •

وثالثها : عن حفظ السر ، لا تفضح انسانا بهتك سره ، واذا عرض عليك أمر لتحكم فيه ، فكون رأيك فى نفسك ، واجعل الحسن منه على لسانك ، وأما القبيح فاخفه فى بطنك» •

ويحض الفصـل التـاسع على تجنب الاحمـق وسبله ، وهذه أمثلة مما ورد فيـه :

«لا تصاحبن رجلا حـاد الطبع ، ولا تلحن فى محـادثته ، واحفظ لسانك من مقاطعة من هو أرفع منك مقاما ، وخذ الحيطة لنفسك من أن تذمه ، ولا تجعله يرمى بكلام يوقعك فى شركه» •

«والرجل الاحمق يقول قولا مقذعا يستحق عليه الضرب ، وجوابه ملىء بالشر ، وهو يثير النزاع بين الاخوة ، واللهيب يتقد فى جـوفه ، فحذار أن تنضم الى هذا الرجل» •

ويتحـدث الفصل العاشر عن الاخلاص ، وفى ذلك يقول الحكيم :

«لا تقرىء أحدا السلام رياء ، وأنت تحقد عليه ، لا تتحدث بالافك والبهتان ، فان الكذب يمقته الله ، وأكبر ما يكرهه الله انما هو النفاق ، كن ثابتا أمام غيرك من الناس ، فالانسان فى مأمن أمين عندما يكون فى يد الله» •

ويوصى الحكيم فى الفصل الحادى عشر بالقناعة ، وأن يرضى المرء بنصيبه من هذه الدنيا :

«لا تطمع فى متاع انسان آخر ، ولا تتطلع لخبزه ، فان متاع الغير لا خير فيه» •

ويتحدث فى الفصل الثانى عشر عن ترك متاع الغير ايضا :

«لا تطمع فى متاع شريف ، واذا عينك الشريف مدير لاعماله فتجنب ما يخصه حتى يثمر ما تمتلكه» •

ثم ينصحه قائلا :

«لا تشارك رجلا أحمق ، ولا تخالط رجلا خائنا ، واياك أن تهتك ستر الرجل فى أمر حقير ، لان ذلك يعوق استخدامه لك مرة أخرى» •

ويقول فى الفصل الثالث عشر :

«لاتضرن رجلا بجرة قلم ، لان ذلك يمقته الله ، ولا تقولن قد وجدت حاميا ، والان يمكننى أن أهاجم الرجل المفوت ، ضع نفسك فى ذراعى الاله يهزمهم صمتك» •

لا تشهد زورا ، ولا تستعمل قلمك فى الباطل ، واذا وجدت فقيرا عليه دين كبير ، فسامحه فى ثلثيه ، وخذ الثلث ، ونم بعد ذلك نوما عميقا، فاذا أصبح الصباح فستجد كل مافعلته على ألسنة الناس ، ان حب الناس ومدحهم للانسان خير من الثروة التى فى المخازن ، وخير للانسان أن يأكل خبزه بقلب سعيد ، من الثراء الذى يصحبه النكد» •

ويتحدث فى الفصل الرابع عشر عن الكرامة فيقول :

«كن ثابتا أمام غيرك من الناس ، فالانسان فى مأمن فى يد الرب ، والرب يمقت من يزور الكلام ، وكبر مقتا عند الله النفاق ، لا تجعل كل عنايتك لمن اقتنى بثوب قشيب ، ولا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ ، ولا تظلم مقصور اليد من أجله ، فالعدل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشاء ، ان الرب يحب اسعاد الفقير ، أكثر مما يحب تعظيم النبيل» •

وفى الفصل الخامس عشر يتحـــدث الحكيم عن الكاتب وحامية الاله «تحوت» ـ اله الكتابة والعلم ـ فيقول :

«لا تغمس قلمك فى المداد لتضر شخصا آخر ، فان عينى الاله تحوت ترقبان كل شىء حول الارض ، واذا رأى الاله من يسعى فى الشر ، فانه يرمى بطعامه الى اللجة العميقة ، والكاتب الذى يضر الاخرين باصبعه ، فلن يكون لابنه من بعده ذكرا» •

ويتحدث الفصل السادس عشر عن التطفيف فى الميزان :

«لا تتلاعبن بكفتى الميزان ، ولا تطففن الموازين ، ولا تنقصن المكاييل فان الاله تحوت يراقب الميزان ، واذا رأيت انسانا يغش فابتعـــد عنه ، وما فائدة ثوب من نسيج كتانى فاخر ، اذا كان ضلالا أمام الله» •

وفى الفصل السابع عشر يتحدث عن كيل الغلال فيقول :

«لا تطفف فى الكيل ، وأوف المكيال بالدقة الواجبة ، لا تتخذ لنفسك مكيالا ذا حجمين ، لا تغش فان الاله يمقت الرجل المدلس» •

ويتحدث فى الفصل الثامن عشر عن ترك الهم ، فيقول :

«لا تقل اليوم أشبه بالغد ، فالغد آت واليوم منقض ، وقد تصبح اللجة الغائرة حافة للامواج ، ولا تقض الليل وأنت قلق من الغد ، فما يعلم انسان ما سيكون عليه الغد ، والله دائما فى فلاح تدبيره ، والانسان دائما فى خيبة ظنونه ، كن حازما فى قلبك ، وثابتا فى عقلك ، وحافظ على لسانك ، لان لسان الانسان هو الذى يسيره ، ورب العالمين هو الآمر الناهى»

وفى الفصل التاسع عشر يقول عن المحكمة :

«لا تدخل المحكمة وتزيف كلماتك ، لا تردد فى جوابك ، عندما يكون شهودك قد وقفوا ، قل الصدق أمام القاضى ، ولا تجعل لأحد سلطانا عليــك» •

وفى الفصل العشرين يتحدث عن الامانة فى الوظيفة :

«لا تظلم رجلا فى قاعة المحكمة ، ولا تظلم صاحب حق ، ولا تهتم برجل بسبب ملابسه البيضاء الناصعة ، على حين تترك من يرتدى خرقا بالية . ولا تقبل هدية رجل قوى لتظلم الضعيف دن اجله ، فالعدل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشاء ، لا تستعمل الوثائق المزيفة ، حتى لاتفسد تدبير الاله ، سلم الامتعة لأصحابها ولا تغتصبها ، والا هلكت» .

وفى الفصل الحادى والعشرين يتحدث عن الصمت فيقول :

«انك لا تعرف تدابير الله ، ولا تعرف ما ياتى به الغد ، فاجلس بين يدى الله ، وبالحلم ستتغلب على الجميع ، ان التمساح الصامت يحدث الفزع فى النفوس ، لا تفض بسرك لانسان ، ولا تدع أقوالك لآخرين ، ان الرجل الذى يحتفظ بأخباره فى قرارة نفسه ، خير من الذى يفشيها فيصيبه الضرر» .

وفى الفصل الثانى والعشرين يتحدث عن آداب المناقشة ، فيقول :

«لا تتآمر ضد زميلك فى المحاورة ، بل انظر ماذا يفعل ، وسوف تفهم من جوابه ، كن هادئا وعندئذ تأتى معارفك ، دعه حتى يفرغ ما فى قرارة نفسه ، ثم خفه ولكن لا تهمله ، أنت لا تعرف تدابير الله ، ولا ما سوف يأتى به الغد ، اجلس بين يدى الله ،وسوف يتغلب حلمك عليهم» .

ويحض فى الفصل الثالث والعشرين على آداب المائدة مع العظماء ، وعلى تجنب اكل الحرام :

«لا تأكل الخبز فى حضرة رجل عظيم ، ولا تعرض فمك فى حضرته ، واذا شبعت من طعام محرم ، فان ذلك ليس الا لذة ريقك ، وانظر فقط وأنت على المائدة الى الوعاء الذى أمامك ، وكن مكتفيا بما فيه» .

ويتحدث الفصل الرابع والعشرون عن الرجل الامين :

«لا تصغ الى أجوبة رجل شريف فى بيت ، ثم تنشرها الى آخر فى الخارج ، حتى لا يتألم قلبك ، وقلب الرجل (أى ضميره) هو منقار الاله تحوت (اله الحكمة) ، فاحذر أن تهمله» .

ويتحدث الفصل الخامس والعشرون عن احترام أصحاب العاهات :

«لا تسخر من أعمى ، ولا تهزأ من قصير ، ولا تحتقر أعرج ، لاتعبس فى وجوههم فالانسان قد خلق من طين ، والله وحده خالقه ، وهو قدير يهدم ويبنى كما يشاء كل يوم ، ويخلق الالوف بأمره ، ما أسعد الرجل الذى انتقل الى الغرب (أى مات) وهو آمن فى يد الله تعالى» •

وفى الفصل السادس والعشرين يتحدث عن معاملة من هم ارفع مقاما فى المجتمع :

«لا تجلس فى مجلس تراب . ولا تخالط من هم أكبر منك مقاما ، وصاحب من هم فى مرتبتك ، ولا تلعن من هم أسن منك ، مد يد المساعدة للمسن اذا كان قد ثمل من الجعة ، واحترمه كما يحترمه أولاده ، فالظهر لا يُكسر عندما ينحنى ، والفقر لا يصيب الرجل الذى يقول الشىء السار ، ولا يأتى له الغنى عندما يكون قولك من القش ، والنوتى الذى يرى من بعيد لا يغرق قاربه» •

وفى الفصل السابع والعشرين يتحدث عن الخضوع للرجل المسن :

«لا تسبن رجلا أكبر منك سنا ، حتى لا يشكوك الى الاله رع عند شروقه ، فان مما يؤلم الاله رع أن يسب شاب رجلا مسنا ، فان ضربك بيده فى صدرك فالزم السكون ، فانك ان حضرت أمامه فى اليوم التالى ، فسوف يعطيك خبزا بلا عدد» •

ويتحدث فى الفصل الثامن والعشرين عن كرم الاخلاق :

«لا تسأل عن شخصية أرملة عندما تقبض عليها فى الحقل ، ولايفوتك أن تتذرع بالصبر عند سماع اجابتها ، لا تمر على غريب باناء زيتك ، بل اجعله يتضاعف أمام اخوانك ، ان الله يحب سعادة المتواضع ، أكثر من احترام الشريف» •

وفى الفصل التاسع والعشرين يتحدث عن التعدية (عبور النهر) :

«لا تمنعن أناسا من عبور النهر ، عندما يكون فى قاربك مكان ، خذ الاجر من الرجل الغنى ورحب بمن لا يملك شيئا» •

وفى ختام الفصول ، وهو الفصل الثلاثون ، يقول :

«تبصر نفسك فى هذه الفصول الثلاثين ، حتى تكون مسرة لك وتعلما، يفوقان ما فى الكتب جميعا ، فهى تعلم الجاهل وتطهر نفسه من الخبائث، فاستوعبها وضعها فى قلبك ، لتكون بها عليما ، ولأمرها عارفا ، فان الكاتب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه كفؤا لان يكون من رجال البلاط» •

وهذه هى نهاية المقال •

سفر الامثال وتعاليم امنمؤوبى :

رغم أن العـالم البريطانى «السير ارنست الفرد واليس بدج» (١٨٥٧ — ١٩٣٤) هو الذى نشر فى عام١٩٢٤[١] «تعاليم أمنمؤوبى» (The Instruction Of Amen - Em - Opet) والمحفـوظة الان بالمتحف البريطانى ضمن بعض أوراق البردى الهيراطيقية[٢] ، الا أن العـالم الالمانى «أدولف ارمان» (١٨٥٤ — ١٩٣٧) ، انما كان اول من أشار فى مايو من عام ١٩٢٤ م ، الى ان تعاليم أمنؤوبى (أمن — أم — ـت) هى الاساس الذى اعتمدت عليه حكم سليمان ، كما جاءت فى سفر الامثال من العهد القديم (التوراة)[٣] •

وفى عام ١٩٢٥م قام «لانج» بنشر البردية كذلك ، ثم قام فى عام ١٩٢٦م العالمان «فرنسيس للولين جـريفث» (١٦٨٢ — ١٩٣٤)[٤] ،

---

(١) اشتريت هذه البردية من احد تجار الاقصر ، ولهذا كثيرا مانقرا أنه قد عثر عليها فى جبانة طيبة ، ولكننا لو وضعنا فى اذهاننا أن صاحبها وهو «أمنمؤوبى» كان من أهل اخميم ، وان قبره كان فى جبلها الغربى ، لرجحنا العثور عليها هناك ، وشراء تجار الاقصر لها من تجار أخميم ، كما يحدث دائما ، وهى على اى حال ، محفوظة الان بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٤٧٤ (أحمد فخـرى : تاريخ الحضـارة المصرية ــ العصر الفرعونى ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٤٤٥ •

J. A. Wilson, in ANET, 1965, p. 421.

(٢) Sir Ernest Alfred Wallis Budge, The Teaching of Amen-Em Opet, Son of Kanakht, London, 1924.

(٣) Adolf Erman, Eine Aegyptische Quelle der, "Spruche Salomos", SPAW, May, 1924, p. 86-93.

(٤) F. L. Griffith, JEA, 12, 1926, p. 191-123

و «د. س. سمبسون»[٥] بترجمه الوثيقة التى تحوى هذه التعليمات من جديد ، ثم عمل مقارنة بين بعض نصوصها وبعض نصوص سفر الامثال ، اثبتا فيه أن سفر الامثال انما قد اعتمد على تعاليم امنمؤوبى الى حد كبير ، نظرا لما وجدناه بينهما من مشابهة قوية فى الافكار وفى الاساليب .

وهناك ترجمه أخرى للوثيقة نشرت فى عام ١٩٢٩م[٦] ، الا أن البحث المستفيض فى هذا الموضوع انما قام به العالمان الكبيران « هوجو جرسمان»[٧] و «جيمس هنرى برستد»[٨] .

وكان من البدهى أن نتوقع الا يرحب المحافظون من اليهود بالرأى القائل بأن أجمل ما فى كتابهم المقدس نقل عن آداب الامم الاخرى ، فقام بعضهم — كما كان الامر بالنسبة الى المزمور (١٠٤) ونشيد اخناتون — يزعم أن برديه أمنمؤوبى هى التى نقلت عن سفر الامثال ، ومن هؤلاء «كفين»[٩] ، ولكن اعتراض «كفين» لا يغير من حقيقة الامر شيئا ، ذلك لان هناك اجماعا بين العلماء الجادين فى كافة أنحاء الارض ، على أن جزءا من سفر الامثال (من الاصحاح ٢٢ : آية ١٧ وحتى الاصحاح ٢٥ : آية ٢٢) منقول نقلا يكاد يكون حرفيا من بردية أمنمؤوبى كما أن أجزاء كثيرة من حكم هذه البردية ، انما قد اقتبسه العبرانيون فى مواضع كثيرة من التوراة فى غير سفر الامثال[١٠] .

---

(٥) D. C. Simpson, JEA. 12, 1926, p. 232-239.

(٦) H. J. Cadbury, Egyptian Influences on the Book of Proverbs, JR, 1929, p. 99-108.

(٧) Hugo, Gressmann, Dis Neugefundene Lehre des Amen-Em-Ope, und die Vorxilische Spruchdichtung Israels, in ZOW, XLII, 1924, p. 273-296.

(٨) James Henry Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y. 1939, p. 370-381.

وانظر H. O. Lange, Das Weisheitsbuch des Amenemope. Copenhagen, 1925.

(٩) R. O. Kevin, The Wisdom of Amen-em-apt and its possible Degendence Upon the Hebrew Book of Proverbs, Philadelphia, 1931.

(١٠) أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى — الادب المصرى ٤٤٥ ، (القاهرة ١٩٦٢) .

هذا فضلا عن أن سفر الامثال نفسه انما يبتدىء بنسبة السفر الى سليمان فى مطلع الاصحاح الاول ، ثم تتكرر النسبة فى بداية الاصحاح العاشر، والامر كذلك بالنسبة الى المجموعة التى تبدأ بالاصحاح الخامس والعشرين . فى حين أن الاصحاحين الاخرين انما ينسبان الى مؤلفين آخرين مجهولى الاسم ، وأحدهما منسوب الى امرأة ، مما يدل على أن العهد القديم نفسه يشهد بأن سفر الامثال هو مجرد مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة .

أضف الى ذلك اننا نجد فى الآية (٢٣) من الاصحاح الرابع والعشرين ما يكشف لنا عن عنوان جديد بهذا النص «هذه أيضا للحكماء» ، ثم يلى ذلك جزء قصير ، يجوز أنه ماحق وضعه مؤلف مجهول ، كما نجد فى ثنايا الاصحاح الثانى والعشرين ما هو بالتأكيد جزء آخر — ان لم يكن عنوانا له — (١٢ : ١٧) يسمى «كلام الحكماء» ، الامر الذى تكرر فى الاصحاح الرابع والعشرين[١١] .

ولعل سؤال البداهة الان : من هم هؤلاء الحكماء الذين كتبوا هذا الجزء الذى يبلغ اصحاحا ونصف اصحاح من سفر الامثال ؟

فى الواقع ان هذا السؤال انما قد عجز عن الاجابة عنه كل الباحثين ، حتى نشرت بردية «أمنموؤبى»[١٢] (والتى كانت محفوظة بالمتحف

=

وكذا M. F. Unger, Op-Cit, p. 896.

وكذا O. Elssfeldt, Einleitung in des Alt Testment, Tubingen 1956. p. 525.

وكذا W. F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel. Baltimore, 1942, p. 5.

(١١) أمثال ١ : ١، ١٠ : ١، ٢٢ : ١٧، ٢٤ : ٢٣، ٢٥ : ١، ٣٠ : ١، ٢١ : ١

وكذا M. F. Unger, Op-Cit, p. 897.

وكذا J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, p. 370-371.

وكذا G. R. Burry, The Book of Proverbs, Philadelphia, 1906.

(١٢) يختلف الباحثون فى الفترة التى كتبت فيها «تعاليم أمنموؤبى» هذه ، فذهب البعض الى أنها الفت فيما بين القرنين العاشر والتاسع ق.م ،

=

البريطانى منذ حصل عليها «السير ارنست ألفرد واليس» (١٨٥٧ — ١٩٣٤) للمتحف فى عام ١٨٨٨م ، فأصبح جميع العلمــاء بكتاب العهد القديم (التوراة) ، الذين يعتد بآرائهم وأبحاثهم يجزمون بأن «تعاليم أمنمؤوبى» انما كانت الاصل الذى نقل عنه ادماج ونحف على الاقل من سفر الامثال ، بل ربما كانت للنسخة العبرية ترجمة حرفية عن الاصل الهيروغليفى العتيق ، بل ان حكم أمنمؤوبى انما كانت شائعة فى أسفار التوراة ، حيث نراها مصدرا لتلك الافكار والتشبيهات والمقاييس الخلقية، وبخاصة لروح الشفقة الانسانية العارة ، لا فى سفر الامثال فحسب ، بل وفى القوانين العبرية[١٣] .

ولنحاول الآن تقديم بعض الامثلة على اعتمــاد سفر الامثال على تعاليم أمنمؤوبى :

=

وذهب آخرون الى انها كتبت فيما بين عامى ١٠٠٠ ، ٦٠٠ ق.م ، وذهب فريق ثالث الى أنها كتبت فى القرن السابع قبل الميلاد .

واما عن تاريخ انتقالها الى العبرانيين فربما كان بعد فترة قصيرة من تاليفها ، وربما بعد ذلك ، لان سفر الامثال انما يرجع فى وضعه النهائى الى القرن الخامس ق.م ، وان كانت الامثال ترجع فى بداءتها الى عصر سليمان، الذى ربما يكون هو الذى وضع نواتها الاصلية، اذ تنسب اليه التوراة حوالى ثلاثة آلاف مثل (ملوك الاول ٤ : ٣٢) ، حبيب سعيد : المرجــع السابق ص ٤٤٦ ، وكذا

M. F. Unger, Op-Cit, p. 896-897.

(١٣) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 370-371

تعاليم امنمؤوبى المصرى	سفر الامثـــال العبرانى
(١) أمل أذنيك لتسمع أقــوالى ، واعكف قلبك على فهمها لانه شيء مفيد اذا وضعتها فى قلبك ولكن الويل لمن يتعداها ٠	(١) أمل أذنك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك الى معرفتى،لانه حسن ان حفظتها فى جوفك ، ان تثبتت جميعا على شفتيك (سفر الامثال ٢٢ : ١٧ ـ ١٨)
(٢) لأجل ان ترد على تقرير لمن أرسلك	(٢) لأعلمك قسط كلام الحق ، لترد جواب الحق لمن أرسلوك (سفر الامثال ٢٢/٢١)
(٣) لا تزحزحن عـلامات حـدود الحقول ٠٠٠ ولا تكونن شرها من أجـــل ذراع أرض ، ولا تتعدين على حدود أرملة	(٣) لاتنقل التخم القديم،ولاتدخل حقول الايتام[١٤] (سفر الامثال ٢٣ : ١٠)
(٤) لاتتعبن نفسك فى طلب المزيد، حينما تكون قـد حصلت على حاجتك،واذا جلب اليك المال بالسرقة ، فانه لايمكث معك سواد الليــل ، وعندما ياتى الصباح لايكون بعد فى منزلك، بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة كالأوز ، وطار الى السماء	(٤) لاتتعب لكى تصير غنيا٠٠[١٥] لأنه انما يصنع لنفسه أجنحة، كالنسر يطير الى السماء (سفر الامثال ٢٣ : ٤ ـ ٥)
(٥) الفقر فى يد الله خير من الغنى فى النهرى (المخزن) ، وأرغفة (تحصل عليها) بقلب فرح ، خير من ثروة (تحصل عليها)	(٥) القليل مع محافظة الرب خير من كنز عظيم مع هم ، اكلة من البقول حيث تكون المحبة، خير من ثور معلوف ومعهبغضه

(١٤) ذهب نقاد العهد القديم ، قبل الكشف عن بردية أمنمؤوبى ـ الى أن كلمة «القديم» التى تشبه فى اللغة العبرية كلمة «أرملة» ، هى بلا شك غلطة فى النسخة الخطية صحتها «أرملة» ، ومن ثم فقد اتفقـوا على أن تكون الفقرة (أمثال ١٠ : ١) كالاتى : «لا تزحزحن حدود الارملة، ولا تدخلن فى حقول اليتامى» ٠

(J. H. Breasted, Op-Cit, p. 373)

(١٥) النص المحذوف من سفـــر الامثال (٢٣ : ٤ ـ ٥) (كف عن فطنتك ، هل تطير عينيك نحوه وليس هو) ، مشوه فى الاصل العبرى ، وربما يمكن اصلاحه بفحص النص الاصلى لبردية أمنمؤوبى ٠

(J. H. Breasted, Op-Cit, p. 374)

سفر الامثـــال العبرانى	تعاليم أمنمؤوبى المصرى
(أمثال ١٥ : ١٦ ــ ١٧) لقمة يابسة ومعها سلامة،خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام (سفر الامثال ١٧ : ١)	فى تعاسة،والثناء على الانسان كشخص محبوب عند الناس ، خـــير من الغنى فى المـــرى (المخزن)
(٦) لاتستصحب غضوبا،ومع رجل ساخط لا تجىء . (سفر الامثال ٢٢ : ٢٤)	(٦) لا تصاحبن رجلا حاد الطبع، ولا تلحن فى محادثته
(٧) لا تقل انى اجازى شرا ، انتظر الرب فيخلصك ، لاتقل أجزى على الشر ، بل انتظر الرب فيخلصك(سفر الامثال٢٠:٢٢)	(٧) لا تقولن قد وجدت حاميا ، والآن يمكننى ان اهاجم الرجل الممقوت،ضع نفسك فى ذراعى الاله يهزمهم صمتك
(٨) اذا جلست تاكل مع متسلط ، فتامل ما هـــو امامك تاملا ، وضع سكينا لحنجرتك ان كنت شرها ، لا تشته أطايبه ، لانها خبز الاكاذيب (سفر الامثال ٢٣ : ١ ــ ٣)	(٨) لا تاكل الخبز فى حضرة رجل عظيم ، ولا تعرض فمك فى حضرته،واذا شبعت من طعام محرم ، فان ذلك ليس الا لذة ريقك ، وانظر فقط وانت على المـــائدة الى الوعـــاء الذى أمامك ، وكن مكتفيا بما فيه٠
(٩) ارأيت رجلا مجتهدا فى عمله، أمام الملوك يقف (سفر الامثال ٢٢ : ٢٩)	(٩) الكاتب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه كفؤا لان يكون من رجال البـــلاط
(١٠)الم اكتب لك ثلاثين فصلا[١٦] من جهة مؤامرة ومعروفا (سفر الامثال ٢٢ : ٢٠)[١٧]	(١٠) تبصر نفسك فى هذه الفصول الثـــلاثين،حتى تكون مسرة لك وتعلما

(١٦) قارن النص العربى ، حيث يقول «ألم اكتب لم أمورا شريفة» ولكن النص الانجليزية (Have I not Written the Thirty) ــ وعلى أى حال ، فان هذا يشير الى وجود ترجمة عبرية كاملة أمام مؤلف سفـــر الامثال لنصائح «أمنمؤوبى المصرى» ، بمعنى أنها تحتـــوى على ثلاثين فصلا ، والا لكانت كلمة «ثلاثين» فى سفر الامثال لا تدل على أى معنى ، ولكى يحافظ الناقل العبرانى على المعنى نراه ، مع نقله للثلاثين فصـــلا التى يحويها الاصل المصرى القديم برمتها ــ قـــد استعمل بالضبط لفظـــة «ثلاثين» فى نسخته العبرية المختصرة (أمثال : ١٧ : ٢٤ : ٢٢ : ٢٢) (انظر (J. H. Breasted, Op-Cit, p. 380)

(١٧) (J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939

=

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هناك تاثيرات مصرية أخرى فى التوراة منها (أولا) ما يرويه سفر الامثال من أن «فعل العدل والحق، أفضل عند الرب من الذبيحة»[١٨] ، فليست هذه الكلمات التى تفضل العدالة والاخلاق الحميدة على مجرد الشعائر الدينية ، الا صدى لما آمن به المصريون منذ عصر الثورة الاجتماعية الأولى أن الوسائل المادية ، ليست وحدها هى وسيلة السعادة فى الآخرة ، وانما أصبح للاخلاق فى هذا العصر شأن عظيم فى تقرير مصير الانسان بعد مماته ، وبذا أصبحت الاهمية الكبرى للوصول الى الخلد ، انما عن طريق العمل الصالح •

ومن ثم كانت الكلمات التى وجهها الملك الاهناسى لولده «مرى كارع» قبل عهد سليمان بحوالى ١٥٠٠ عام — والتى ظهر أثرها فى سفر الامثال، وذلك حين يقول «اجعل الناس يحبونك فى الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى الانسان»[١٩] ، ثم يعلن فى صراحة ووضوح ، أن الخلق الطيب أفضل عند الله من القرابين التى تقدم لاستعطافه ، «ان خلق الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الشرير» (أى الثور الذى يقدمه كقربان الى الله)[٢٠] •

ومنها (ثانيا) ما جاء فى سفر الامثال من أن «الرب وازن القلوب»[٢١] ، حيث يبدو واضحا أن الحكيم العبرانى انما كان مقتفيا

=

p. 372-280.

وكذا J. A. Wilson, The Instruction of Amen-Em-Opet, ANET, 1966, p. 421-423.

(١٨) أمثال ٢١ : ٣

(١٩) Sir Alan H. Gardiner, pap. petersburg, 116A, JEA, 1, 1914, p. 26.

J. A. Wilson, The Instruction for King Meri-Ka-Re, in Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testment, princeton, 1966, p 417.

(٢٠) J. A. Wilson, Op-Cit, p. 417.

Sir Alan H. Gardiner, Op-Cit, p. 27.

A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptions, London. 1927, p. 77.

(٢١) أمثال ٢١ : ٢

أثر المفكر المصرى القديم اذ لم يكن فى الشرق القديم الا عقيدة انسانية واحدة تقول بأن الاله يزن القلب الانسانى ، وهى الديانة المصرية القديمة، مما تشتمل عليه من المحاكمات الاوزيرية[٢٢] .

وهكذا بدأ المصريون يعتقدون — منذ عصر الثورة الاجتماعية الاولى — فى «محكمة أوزير» ، حيث يقف الناس أمامها جميعا ، يؤدون امتحانا عسيرا عما قدموه فى دنياهم — خيرا كان أم شرا — ولن ينجح فى هذا الامتحان الالهى أصحاب الثروة والجاه ، وانما أصحاب العمل الصالح ، وذو النفوس الطيبة ، لان أعمال كل انسان ستوضع مكدسة بجواره[٢٣] .

وقد رأينا من قبل أن ذلك التمييز بين قيمة الخلق ، ومجرد الشعائر الدينية الظاهرية ، كان دون ريب نتيجة للخبرة الاجتماعية فى مصر،فهذه الخبرة الاجتماعية نفسها ، انما كانت سائرة فى تكوينها بين الاسرائيليين بخطى سريعة ، ويرجع ذلك الى الارث الادبى والخلقى الذى ورثه العبرانيون ، اذ وجدوا تلك الحقائق الاساسية فى كتابات وتجارب جارتهم الكبرى ، مصر العظيمة ، وأخذوا يعملون بسرعة أيضا على تهيئة هذه الخبرة لتكون ملكا لهم[٢٤] .

ومنها (ثالثا) ما جاء فى سفر ملاخى — والذى كتب فى أخريات القرن الرابع قبل الميلاد — «لكم أيها المتقون اسمى ، تشرق شمس البر، والشفاء فى أجنحتها»[٢٥] .

ومن المعروف أن العدالة — فيما يرى المصريون — انما كانت ممثلة فى شخص الالهة «ماعت» التى كان يعتقد القوم أنها «بنت اله الشمس» وبما أن شمس العدالة (أو البر) العبرانية قد وصفت بأن لها أجنحة ،

---

(٢٢) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 356-357.
(٢٣) A. Erman, Op-Cit, p. 77.
وكذا J. Wilson, Op-Cit, p 416.
وكذا A. J. Gardiner, JEA, I, 1974, p. 26-27.
(٢٤) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 357.
(٢٥) ملاخى ٤ : ٢

فلا يمكن أن يكـــون المراد بذلك سوى الاشـــارة الى اله الشمس ذى الاجنحة ، لانه لم يكن يوجد بين جميع التصورات العبرانية القـــديمة للاله «يهوه» أى صورة تمثله بأجنحة(٢٦) .

هذا وقد دلت الحفائر الحديثة فى «السامرة» على أن هذه التصورات المصرية لاله الشمس العادل كانت شائعة الانتشار فى الحياة الفلسطينية، فقد كشف الحفارون فى خرائب قصر ملوك بنى اسرائيل فى «السامرة» بعض ألواح من العاج منقوشة نقشـــا بارزا كانت تستعمل يوما ما فى التطعيم الزخرفى الذى كان يحلى به أثاث الملوك العبرانيين ، ومن بين تلك القطع قطعة نقشت عليها صورة الهة العدالة «ماعت» يحملها الى أعلى ملاك شمس هليوبوليس فى وضع نفهم منه أنه كان على ما يظهر يقدم تلك الصورة لاله الشمس ، وتصميم الرسم مصرى فى كل نواحيه ، الا أن صناعته تدل بوضوح على أن نقشه من صنع أياد فلسطينية .

ومن ذلك يتضح أن الصناع العبرانيين كانوا على علم ومعرفة بمثل تلك الرسوم المصرية القديمة ، وأن وجهاء العبرانيين التى يجلسون عليها، ينظرون كل يوم الى هذه الرمـــوز التصويرية الدالة على اله الشمس المصرى وهى تزين نفس الكراسى التى يجلسون عليها ، ولم يكن اله الشمس ذات الاجنحة المتأصلة فى وادى النيل معروفا عند العبرانيين بأنه اله عدالة فقط ، بل كان كذلك معروفا بأنه الاله الحامى لعبـــاده الرؤوف بهم ، وقد أشارت المزامير العبرانية أربع مرات الى الحماية الموجودة «تحت ظل أجنحتك»(٢٧) .

(٢٦) J. H Breasted, Op-Cit, p. 360.
(٢٧) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 360-61

الفصل الثامن

من أدب النقـــد والسياسة

لم يتخلف الادب المصرى القديم عن آداء دوره فى النقد والسياسة ، ووصف ما حل بالبلاد فى فترة من فترات تاريخها ، ومن ثم فقد قدم لنا على سبيل المثال ـ وصفا للحالة السيئة ــ من النــاحية السياسية ــ التى وصلت اليها البلاد فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، هذا فضلا عن أن كثيرا من الملوك قدموا لأولياء عهودهم تجاربهم السياسية ، حتى يكون لهم من تجارب الآباء ما يفيدهم فى ادارة شئون البلاد ـ ومن النوع الاول كان الحكيمان «ايبو ــ ور» و «نفرتى» ، ومن النوع الثانى تلك النصائح التى قدمت للملكين «مرى كارع» و «سنوسرت الاول» ، ولنقدم الان نماذج مختلفة من أدب النقد والسياسة :

١ ـ تحذيرات الحــكيم ايبــو ـ ور

تعتبر هذه الوثيقة التاريخية من اهم الوثائق التى تسترعى النظر بين كافة مجموعة تلك المقالات الاجتماعية والخلقية التى كتبت فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى (عصر الانتقــال الاول) ، وتوجد تلك الوثيقة الادبية فى «متحف ليدن» ، وتعرف باسم «بردية ليدن رقم ٣٤٤» ، بعد أن نقلت الى متحف ليدن فى عام ١٨٢٨م ، وكان قد اشتراها هذا المتحف فى نفس العام من «أنستاسى» الذى اكتشفها فى «منف»[(١)] .

هذا والبردية بحالتها الراهنة غير الكاملة تبلغ من الطول ٣٧٨سم ، ومن العرض ١٨سم ، وقد كتبت بالخط الهيراطيقى ، كتبها حكيم مصرى يدعى «ايبو ــ ور» (أو ايبو العجوز) ، وصور فيها حالة البلاد على أيامه ـ وما انتهت اليه من ضعف ودمار ، وذلك فى خطبــة طويلة أمام فرعون عصره الذى يكاد كثير من المؤرخين يجمعون على أنه «ببى الثانى» وان كان « سير ألن جاردنر » يذهب الى أنه ربما كان آخر خط الملوك

---

(١) A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Liepzig, 1909, p. 1.

المؤيين[٢] ، وهذا ما نميل اليه ونرجحه[٣] •

ويرجع تاريخ هذه التحذيرات لفترة ليست أسبق قدما من الأسرة التاسعة[٤] ، ولكنه منقول عن نص لا يمكن أن يكون قد كتب الا فى فترة الاضطرابات نفسها ، على أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، اى ربما فى اخريات أيام الاسرة السادسة ، وذلك اعتمادا على أجروميتها ، فضلا عن بعض المميزات الادبية من كتابات ذلك العصر[٥] •

ومن أسف أن البردية — شأنها فى ذلك شأن كثير من المخطوطات المصرية القديمة — قد فقدت بدايتها ، كما فقدت نهايتها كذلك ، هذا الى جانب فجوات فى وسطها ، ومن هنا لاقى الباحثون صعوبة فى معرفة موضوعها ، حتى ظن البعض — بادئ ذى بدء — انها ورقة تعليمية ، فمثلا نشر «لوث» فى عام ١٨٧٢م ترجمة للصفحات التسع الاولى منها ، الا انه نظر اليها كمجموعة من الحكم والامثال التى قيلت للاغراض التعليمية أو الارشادية[٦] •

وفى عام ١٩٠٣م فتح «لنجه» الباب لعلماء الآثار للقيام بدراسات عن هذه الوثيقة ؛ ومن ثم فقد قام بعد ذلك كثير من العلماء بابحاث عنها[٧] ، غير أن الدراسة الكاملة للوثيقة انما قام بها «سير ألن جاردنر» بنشر هذه الوثيقة فى كتاب مستقل تحت عنوان :

A. H. Gardiner, The Admonitions of An Egyptian Sage, Liepzig, 1909.

وقد كانت دراسة جاردنر للوثيقة مثلا يحتذى ، فهى دراسة كاملة لها ، كما أنه قدم كذلك ترجمة دقيقة للوثيقة •

---

(٢) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 109.

(٣) انظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٥ — ٨ •

(٤) A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, p. 2.

(٥) احمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٥٩ •

(٦) A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 2

(٧) انظر M. Pieper, Die Agyptische Literatur, p. 23.
T. E. Peet, A Comparative Study of The Literature of Egypt Palestine and Mesopotamia, p. 118-119.

وفى عام ١٩٢٣م أخرج «أدولف ارمان» كتابه عن «أدب المصريين القدامى» باللغة الالمانية ، ويحوى ترجمات كاملة لأهم القصص المصرية، وكتب الحكم والاناشيد والاغانى وغيرها مما كان معروفا ، وسبق أن ترجمه علماء الابحاث الاثرية حتى ذلك الوقت ، وقد ترجم فيه لهـــذه الوثيقه ، هذا وقد نقل كتاب ارمان هذا الى اللغـــة الانجليزية الاثرى الانجليزى «ادوارد بلاكمان» فى عام ١٩٢٧[٨] .

وفى عام ١٩٣٣م أخـــرج المؤرخ الامريكى الكبـــير «جيمس هنرى برستد» كتابه «فجر الضمير»[٩] ، وقد حلل فيه الوثيقة تحليلا ممتازا ، وفى عام ١٩٥٠م قامت مجموعة من العلماء الاجـانب بترجمة «نصوص الشرق الادنى القديم»،وقد ترجم فيه «جون ويلسون» لهذه الوثيقة[١٠]، ولعل من أحدث الترجمات والدراسات الحديثة عن«تحذيرات ايبو ـــ ور» هذه ، ما قام به «فولكنر»[١١] و « Lichtheim »[١٢] .

وتتلخص البردية فى أن الحكيم المصرى «ايبو ـ ور» انما يتقدم فى خطبة طويلة ، باتهام مرير يصف فيه حالة البلاد أبان عهـــد الثورة الاجتماعية ، أمام فرعون عصره الذى أوقع عليه كثيرا من اللوم لضعفه

---

(٨) A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, Translated into Engiish by, A. M. Blackman, London, 1927, p. 92-108.

(٩) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1933, p. 192-200.

وانظر الترجمة العربية (جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ـ ترجمة سليم حسن ـ القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٠٧ ـ ٢١٤) .

(١٠) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 441-444.

(١١) R. O. Faulkner, in JEA, 50, 1964, p. 24-36.

R. O. Faulkner, in JEA, 51, 1965, p. 53-62.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 210-229.

(١٢) M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 149-163.

وأما أهم الترجمات العربية فانظر : سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٩٤ ـ ٣١٧ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٨ ـ ٣٦٢ ، حضارة مصر القديمة وآثارهـا ٣٩٣/١ ـ ٣٩٥ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٤٦ ـ ٥٣ .

وكسله ، وقــد ألقى «ايبو ــ ور» اتهامه هــذا أمام مليكه ، وبحضور آخرين ، ربما كانوا من حاشية ذلك الفرعون ورجال بلاطه ، وربما كان ذلك فى اجتماع لامر من الامور عقد فى القصر الملكى ، وينتهى الحكيم بالنصح والتحذير من الاهمال والاخذ بالاصلاح ، ثم يلى ذلك رد قصير من جانب الملك ، ثم ينتهى المقال بتعقيب قصير من الحكيم «ايبو ــ ور» على الرد الملكى[١٣] .

هذا وتقع البردية فى أربعة عشرة صفحة ، يشغل الاتهام منها ما لا يقل عن الثلثين ، اذ يستمر النص فى نحو عشر صفحات فى صيغ متجددة لفكرة واحدة : الارض تدور كعجلة الفخار[١٤] .

ويذهب الدكتور عبد العزيز صالح الى أن «ايبو ــ ور» انمــا كان على صلة بالدلتا ، كما كان كذلك مصلحا ، وكان يدرك مفاسد الحكم فى عصره ، ولكنه كان من طبقة ارستقراطية قديمة ، وكان يتمنى اصلاحها من داخلها ، أو بوحى من فرعون حازم مصلح ، ولم يكن يهضم أن يفرض عليها التغيير فرضا عن طريق طبقة أقل منها منزلة ، أو عن طريق الشعب ــ فى حدود تعبيراتنا الحديثة ــ ولهذا اختلط الاخلاص فى روايته بالمبالغة واختلط التحسر بالامل ، واختلط الخيال بالواقــع[١٥] ، ومع ذلك فان روايته انما تعبر عن الحالة السائدة وقد ذاك ، من وجهة نظره ــ ذلك لان كل الاحداث انما تدل على أنه شاهد منصف ، فان حالة البلاد التى تناولها بالوصف لا يمكن أن تكون من وصف خيال قصاص أو راوية[١٦] .

هذا ورغم الجهد الذى بذل فى تنسيق البردية ، فلم يراع فى عناصرها الترتيب المنطقى ، وقد قسمها صاحبها الى فقرات تبدأ كل مجموعة من فقراتها ببدايات متشابهة .

---

(١٣) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 194.

(١٤) ادولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ــ ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ــ القاهرة ١٩٥٣ ص٤٢٨

(١٥) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ٣٨٣/١ــ٣٩٤

(١٦) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 109.

وليس هناك من ريب فى أن «تحذيرات ايبو ــ ور» ، الى جانب أنها قطعة أدبية ممتازة ، فهى أيضا مصدر من أهم مصـادرنا التاريخية فى دراسة أحداث الثورة الاجتماعية الاولى ، تلك الثورة التى قامت بدور هام فى تاريخ مصر الفرعونية ، وفى تغيير كثـير من معتقـدات القوم وأفكارهم ، فهى اذن واحدة من النصوص التاريخية الهامة ، وذلك لان صاحبها قد عاصر الاحداث المريرة التى كتب على كنانة الله فى أرضه أن تعيشها حينا من الدهر ، فهو شاهد عيان فى وصفه للفترة اللاحقة لانهيار الاسرة السادسة ، وربما كان قد شارك بوسيلة أو بأخرى فى أحداث الثـورة .

هذا فضلا عن أن الوثيقة ترسم لنا صورة عن مفكرى ذلك العصر (حوالى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد) فصاحب البردية ، حكيمنا «ايبو ــ ور» أنما يوجه نقده اللاذع المر الى الملك نفسه ، بشجـاعة منقطعة النظير ، لصدورها من مصرى يخاطب فرعون مصر ، ذلك الفرعون الذى كان يعتبر نفسه ــ كما كان يعتبره رعاياه ــ الها فـوق البشر ، فيتهمه بأنه سبب البلايا التى حاقت بالبلاد ، ثم يزيد من جرأته حتى نراه يتمنى للفرعون أن يتذوق بعض هذا الباس بنفسه ، ثم يرسم بعد ذلك صورة للحاكم الامثل الطاهر النقى ، الذى يعز عشيرته ويحميها ، ويسحق الاشرار ، أضف الى ذلك أن البردية ، كما قلنـا ، قطعة أدبية ممتازة ، وأسلوبها قوى ممتاز يجمع بين النظم والنثر(١٧) .

وتحذيرات ايبو ــ ور هذه انمـا تتكون من قول منثور ، ومن ست قصائد شعرية فيها جوهر الموضوع نفسه ، وهى تبدأ بوصف ما حـل بالبلاد من فساد واضطراب ، فيقول :

«يقول حراس الابواب : فلننطلق ولننهب ، وتتحى الغسال عن حمل حمله ، وأعد صيادو الطيور أنفسهم للمعركة ، وحمل آخرون من الدلتا

---

(١٧) محمد بيومى مهـران : الثـورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية ص ٧ ــ ٨ .

الدروع ، ومن يزاولون أهدأ الحرف ، كصانعى الحلوى والجعة ، ثاروا ، وصار المرء ينظر الى ولده نظرته الى عدوه ، وأصبح الرجل الكريم فى حزن وأسى لما أصاب البلاد ، وغدا الاجانب مصريين فى كل مكان» •

القصيدتان الاولى والثانية :

ويصف الحكيم المصرى «ايبو ــ ور» فى هاتين القصيدتين ما حل بالبلاد من فساد واضطراب ، وكيف انقلبت الامور ، وتحول القوم الى عصابات ، وأصبح كل فرد مسلحا بدرعه ، لان المجرمين قد انتشروا فى البلاد يعيثون فيها فسادا ، وكل بيت من هذه القصيدة يبدأ بكلمتين هما : حقا لقد •

وليس فى وسعنا سوى أن نسوق الى القارىء غير آثار من تلك الصورة التى رسمها الحكيم المصرى من حياة الناس فى ذلك العصر ، يقول الحكيم «ايبو ــ ور» :

«تدور البلاد كما تدور رحى الفخار ، حقا لقد تغيرت صورة البلاد ، وتبدلت أحوالها ، وامتلأت بالعصابات ، ويذهب الرجل الى حقله ومعه درعه ، حقا لقد شحب الوجه ، وقد تنبأ الاجداد بذلك حقا لقد شحب الوجه ، وحامل القوس أصبح مستعدا ، والمجرمون فى كل مكان ، ولايوجد رجل من رجال الامس ، حقا ان الناهبين فى كل مكان» •

«حقا ان النيل يوافينا بفيضه مباركا ميمونا ، ولكن ما من أحد يحرث الارض ، لانهم لا يعرفون ما يطلعهم به الغد من شرور وأهوال» •

«حقا لقد غدت النساء عاقرات ، ألا ليت ذلك يكون نهاية الناس ، فلا يحدث حمل ولا ولادة ، وليت الاله خنوم لا يشكل الناس بسبب ما أصاب البلاد» •

«حقا ان القلوب قد ثارت ، والوباء قد انتشر ، والدم قد سال فى كل مكان ، ولفائف الموميات تتكلم ، وان لم يقترب أحد منها ، حقا لقد أصبح النهر قبرا لرجال كثيرين دفنوا فيه ، وصار المكان الطاهر مجرى» •

«حقا ان الارض تدور كعجلة الفخار ، واللص أصبح صاحب ثروة . حقا ان النهر قد امتلأ بالدم ، فأصبح الرجل يعاف الشرب منه . حقا ان البلاد قد أصابها الدمار ، وأصبح الصعيد خاويا» .

«انظر لترى قلائد الذهب والجواهر على نحور الجوارى ، على حين تشتهى الحرة كسرة من خبز ، وتقول «اما من شىء نأكله» .

«أنظر : لقد حدث هذا بين الناس ، فمن لم يكن فى قدرته أن يقيم فى حجرة ، أصبح الآن يملك فناء مسورا ، أنظر : ان الفضيلات الشريفات يرقدن على الفراش الخشن ، والامراء ينامون فى المخزن ، ومن لم يكن ميسرا له أن ينام على الجدران ، أصبح صاحب سرير ، ان الرجل الغنى أصبح يمضى الليل وهو ظمآن ، ومن كان يستجدى منه الحثالة ، أصبح يمتلك الجعة القوية ، أنظر : ان أولئك الذين كانوا يمتلكون الملابس أصبحوا فى خرق بالية ، أنظر : ان الذى لم يصنع أبدا قاربا ، أصبح الآن يملك سفنا ، وأصبح صاحبها ينظر اليها ، غير أنها لم تعد ملكا له ، أنظر : ان الذى لم يكن يملك ما يظله من حرارة الشمس ، أصبح الآن يملك ظلا ، والذين كانوا يملكون ما يأويهم ، أصبحوا عرضة للعاصفة» .

«أنظر لترى المناصب وقد خلت من أربابها ، ولترى الناس يهيمون كالانعام ، بل هم أضل سبيلا ، حقا لقد عز الذليل ، وذل العزيز ، وطمع الغرباء فى البلاد ، فهاهم ينتشرون فى الارض ، ويعيثون فيها فسادا» .

«أنظر : لقد عم الحزن البلاد من أقصاها الى أقصاها ، والناس يستغيثون ولا مغيث ، ويستجيرون ولا مجير ، أنظر : لقد أصبحت الحياة مرة حتى عافها الناس ، رخيصة حتى هانت على الناس ، يقول الكبير : يا ليتنى مت قبل هذا . وكنت نسيا منسيا ، ويقول الصغير : ليت أمى لم تلدنى ، انظر : كيف يضحك الوضيع من بكاء العظيم» .

« أنظر : لقد أصبح الناس يأكلون الحشائش . ويشربون الماء ، ولا توجد فاكهة ، كما لا يوجد عشب يأكل منه الحيوان والطير ، وأصبحت القاذورات تخطتف من أفواه الخنازير ، ولم يعد أحد يقول : هذا لى

فخذه بدلا عنى ، لان القوم صاروا جياعا ، أنظر : لقد ضاع محصول القمح ، وأصبح القوم لا يجدون لباسا أو عطورا أو زيوتا ، وأصبحت مخازن الحبوب خاوية ، وألقى حارسها على الارض» •

«أنظر لقد قل الود ، وانقطع الرجاء ، وانعدمت الرحمـــة ، وفقدت المروءة ، حتى أصبح المرء لا يتورع عن قتل أخيه ، أنظر : لقد سلبت قاعة المحاكمة الفـــاخرة ، وأصبح المكان السرى مكشوفا ، أنظر : لقد فتحت الادارات العامة ، ونهبت قوانينها ، وسلبت كشوف الاحصـــاء واتلفت سجلات كتبة المحاصيل» •

«أنظر : لقد ألقيت قوانين دار القضاء فى البهو ، ووطئت بالاقدام فى الشوارع ، ومزقها الغوغاء فى الازقة ، وأخذ العوام يروحون ويجيئون فى دار القضاء الكبيرة ، ونفى القضاة فى الارض ، واحترقت البوابات والاعمدة والاسوار» •

«أنظر : ان الناس يثورون ضد حية التاج التى كانت تهدىء الارضين لقد عرف سر البلاد التى لا يعرف أحد حدودها ، ان القصر الملكى يمكن أن يهدم فى ساعة ، وتصبح أسرار ملك مصر العليا والسفلى معروفة» •

«أنظر : ما عاد يبحر الى «جبيل» ، فما الذى سوف نفعله بأخشاب الارز التى اعتدنا أن نصنع منهـــا توابيتنا ، والزيوت التى يحنــط بها الامراء ، وكانت ترد من هناك ، ومن مجاورات «كفتيو» ، ما عاد يأتى من ذلك شىء ، حتى أصبح مجىء أهل الواحات بمنتجاتهم البسيطة شيئا ذا بال» •

«أنظر ما الذى جعل الارض الحمراء تنتشر فى طول البلاد وعرضها، خربت الاقاليم ، وجاءت قبائل قواسة غريبة الى مصر ، ومنذ أن وصلوا لم يستقر المصريون فى مكان ، وأصبح الاجانب مصريين فى كل مكان ، وأولئك الذين كانوا مصريين أصبحوا غرباء ، وأهملوا جانبا» •

«أنظر : حقا لماذا لم تدفع اليفانتين وثنى — وهما من ممتلكات مصر

العليا الضرائب بسبب الحرب ، وهناك حاجة الى الفاكهة والقمح وكل أنواع التجارة ، وكل ما ينتجه الصناع ، فما فائدة الخزانة بدون دخل».

ويبلغ الاسى بالحكيم «ايبو — ور» نهايته : أسفا على ما أصاب البلاد من اضطراب لا يعرف له علاجا ، فيفقد الامل فى انقاذ شىء ، ويزداد تأثره بالكارثة التى لحقت بالبلاد ، حتى أنه يطلب من الاله أن تكون هذه نهاية الحياة نفسها ، ثم يتجه بعد ذلك الى نفسه فيوجه اللوم اليها ، ويحملها جزءا من الوزر الذى ارتكبه حين سكت على الشر ، وامتنع عن أن يقول الحق ، فينصح وينتصح ، يقول : «ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت ، حتى أنقذ نفسى من الالم الذى أنا فيه ، فالويل لى : لان البؤس قد عم فى هذا الزمان» .

هذا وقد سادت البلاد فى تلك الفترة المظلمة موجة غير دينية ، وان لم تكن الحادية ، فقد تخلى المصريون الى حين عن ألحق صفاتهم بهم — وأعنى بها صفة التدين والورع المطبوع فى نفوسهم — حتى وصل الامر ببعضهم أن ينكروا وجود الاله نفسه ، يقول الحكيم «ايبو — ور»:

«حقا ان الرجل الاحمق يقول : اذا عرفت أين يوجد الاله ، فانى أقدم له قربانا» .

وتسود المجتمع المظالم ، ويفقد القوم ثقتهم فى العدالة ، اذ تنحرف عن طريقها المستقيم ، يقول «ايبو — ور» : «والعدالة موجودة باسمها فقط ، وما يعمله الناس حين يلتجئون اليها هو الظلم» ، ولم يكن لدى الثوار وازع من دين أو خلق يحميهم من نبش قبور الموتى ، حتى قبر الملك الاله نفسه ، كتب عليه ذلك المصير الاليم ، يقول «ايبو — ور» . «أنظر الآن ، فلقد حدث شىء لم يحدث أبدا منذ زمن بعيد ، فان العامة سرقوا الملك ، أنظر : ان الذى دفن كصقر الهى ، صار اليوم فوق خشبة نعش ، وأصبح ما فى الهرم خاويا» .

القصيدتان الثالثة والرابعة :

لم يبق منهما سوى القليل ، وأهم فقراتهما :

«ان الدلتا تبكى ، ومخازن الملك أصبحت مشاعا للجميع ، والاضرائب للقصر مما هو مستحق له من شعير أو قمح أو سمك ، وذلك بالرغم مما يستحق له من قماش أبيض وكتان رقيق ، ونحاس وزيت وحصير وسجاد وما عداها من المستحقات الجيدة» •

القصيدة الخامسة :

تتضمن مقدمتها حديثا عن عبادة الآلهة ، وكيف كانت تعبد فيما مضى وكيف يجب أن تعبد فى المستقبل ، وتبدأ بكلمة «تذكر» وقد جاء فى هذه القصيدة :

«تذكر كيف يضمخ بالطيب والبخور ، وكيف يقدم الماء من ابريق فى بكرة الصباح •

تذكر كيف يجلب الاوز السمين ، ويقدم هو والبط والقرابين المقدسة للآلهـــة •

تذكر كيف يمضغ النطرون (ليطهر الكاهن فمه) ، ويجهز الخـبز الابيض فى اليوم الذى يبلل فيه الرأس •

تذكر كيف تقام أعمدة الاعلام ، وتنقش أحجـار القربان ، ويطهر الكاهن المعابد ، ويبيض بيت الله كاللبن ، ويعطر الافق (أى المعبد) ، ويخلد خبز القربان •

تذكر كيف تراعى القواعد ، وتنظم أيام الشهر ، ويعزل الكهنة الاشرار

تذكر كيف تنحر الثيران ، ويوضع الاوز على النيران ، ويقدم قربانا»

ثم يلى ذلك جزء كبير غامض تعتوره بعض الفجوات الكثيرة ، وأهم ما هو ظاهر فيه عن الحاكم العادل المنتظر ، والذى وصفه « ايبـو ـــ ور» بأنه :

«انه يطفىء لهيب (الحـريق الاجتماعى) ، ويقــال عنه انه راعى الانسانية ، ولا يحمل فى قلبه شرا ، وحينما تكون قطعانه (بمعنى رعيته)

متفرقة فانه يصرف يومه فى جمعها ، وقلوبها محمومة ليته عرف أخلاقها فى الجيل الاول ، فحينئذ كان فى مقدوره أن يضرب الشر ، وكان فى قدرته أن يمد ذراعه ضده (أى الشر) ، وكان فى مقدوره أن يقضى على بذرتهم هناك ، وعلى ورثتهم ، فأين هو اليوم ، هل هو بطريق الصدفة نائم ، أنظر : بأسه لا يرى ...» .

ثم يستطرد «ايبو ــ ور» الى بيت القصيد ، وهو توجيه النذر الى الملك نفسه فيقول :

«لديك الحكمة والبصيرة والعدل ... ومع ذلك تترك الاضطرابات وضوضاء المتعاركين تنتشر فى البلاد ، أنظر اليهم ان كل واحــد منهم يضرب الآخر ، ولا يعبأ بالاوامر ، فهل تلقى راعيا يحب الفناء» .

«لقد كذبوا عليك ، فالبــلاد تشتعل كالقش ، والنــاس على شفا الهلاك ... وهذه كلها سنوات حرب أهلية ، فالرجل يقتل على ســطح منزله ، حينما يكون مراقبا فى حدود بيته ، ولكنه ان كان قويا ، فانه ينجى نفسه بنفسه ، ويبقى حيا ...» .

«ليتك تتذوق بعض هذا البؤس بنفسك ، وعندئذ يمكنك أن تقول..»

وعندما يرد الملك بأنه حاول حماية شعبه ، نظر اليه وقال : ان الملك أحسن القصد ، ولكنه لم يصل الى الغرض بسبب جهله ، وعدم كفايته «اذا كنت تجهل ذلك ، فقد يكون الجهل شيئا مريحا للنفس ، وربما فعلت شيئا طيبا لقلوب الناس وأحببتهم،ولكنك تغطى وجوههم فزعا من الغد».

القصيدة السادسة :

وفيها وصف للوقت السعيد الذى يدخره المستقبل .

«على أنه من الخير أن تسير السفن متجهة نحو الجنوب

على أنه من الخير أن تنصب الشباك وتمسك الطيور

على أنه من الخير أن تبنى أيدى الرجال الاهرام ، وتحفر البرك ،
وتقام للالهة مزارع فيها أشجار

٢ ـ نبــوءة نفــرتى

كان اسم صاحب هذه البردية «نفرتى» هذا ، ينطق الى عهد قريب «نفر ــ روهو» (نفر ــ رحو) ، وهو ــ فيما تروى البردية ــ كاهن مرتل من «بر ــ باست» (بــوباستس ، وهى تل بسطة الحــالية ، فى مجاورات مدينة الزقازيق ، عاصمة محافظة الشرقية) ، وعلى أية حال ، فالبردية محفوظة فى « متحف لينجراد » فى الاتحــاد السوفيتى (برقم ١١١٦ ب) ، وقد عثر عليها «فلاديمير ساميو نوفتش جولينشف» الذى قام بنشرها فى عام ١٩١٣م[١]ثم نشرها أيضا «هلك» فى عام١٩٧٠م[٢].

هذا وقد قام «سير ألن جاردنر» بترجمة البردية فى عام ١٩١٤م[٣]، ثم ترجمها «أدولف ارمان» فى عام ١٩٢٣م[٤] ، كما قام «جيمس هنرى برستد» بتحليل البردية تحليلا ممتازا[٥] ، كما قام بترجمتها والتعليق عليها كثير من العلماء ، من أمثال «جــون ويلسون»[٦] و «جــوستاف لوفيفر»[٧] و «بونز»[٨] و «بارتا»[٩] و «فولكنر»[١٠] وغــيرهم[١١] ؛

---

(١) V. S. Golenischeff, Les Papyrus Hicratiquces, N. 9, PA, 1116B, de L'Ermitage Imperial, ast-Petersbourg, 1913, Pls. 23-25.

(٢) W. Helck, Dic Prophezciung des Nfr-ti, Wiesbaden, 1970.

(٣) A. H. Gardiner, in JEA, I, 1914, p. 100-106.

(٤) A. Erman, LAE, 1927, p. 110-115

(٥) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 200-206.

(٦) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 444-446.

(٧) G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de l'epoque Pharaonique, Paris, 1949, p. 95-105.

(٨) G. Posener, Litterature et Politique dans L'Egypte de la XII dynastie Paris, 1956, p. 21-60 and 145-157.

(٩) W. Barta, in MDIK, 21, 1971, p. 35-45.

(١٠) R. O. Faulkner, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 234-240.

(١١) B. Gunn, in JEA, 12, 1926, p. 250 F.
وكذا T. E. Peet, Op-Cit, p. 120 F.
وكذا M. Pieper, Op-Cit, p. 15 .
وكذا M. Lichtheim, Op-Cit, p. 139-145

على أنه من الخير أن يكون الناس سكارى ، وأن يشربوا ••• فرحى القلب •

على أنه من الخير أن يبدو الفرح فى أفواه الناس

على أنه من الخير أن تكون الاسرة وثيرة ، ومساند رؤوس العظماء تحميها التمائم ، ويهيأ لكل انسان سرير خلف باب مغلق ، فلا يحتاج الى النوم فى الاعشاب •••» •

هذا الى جانب عدة ترجمات عربية للبردية[١٢] •

وترجع البردية الى أوائل عهد الاسرة الثانية عشرة ، وربما الى عهد مؤسسها الملك «أمنمحات الاول» (١٩٩١ — ١٩٦١ ق•م) ، أو على الاقل ليس بعد عهده بفترة طويلة ، ولكن كاتبها نسبها الى عهد قديم ، فلقد زعم أنها ألقيت فى حضرة الملك «سنفرو» مؤسس الاسرة الرابعة ، أى قبل عصر الاسرة الثانية عشرة بفترة طويلة •

ويذهب «برستد» الى أن ذلك انما هو مجرد وضع تمثيلى ليسبغ على كلمات «نفرتى» الهامة قوة التأثير ، ومن حسن الحظ أن كاتبا من عهد الدولة الحديثة ، ممن عاشوا فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، قد ظهرت له أهمية هذه الوثيقة ، حتى أنه عندما لم يجد برديا جديدا ينقل فيه نص الوثيقة ، أخذ جزءا من بعض أوراق مستعملة فى تدوين حساباته ، ونقل تلك النبوءة على ظهرها ، وهكذا بقيت «نبوءة نفرتى» فى تلك الصورة التى وصلتنا عفوا ، بما تحويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التى حدثت عند نقله لها بطريق المصادفة كما أشرنا آنفا[١٣] •

وليس هناك الى سبيل من شك فى أن الدافع الى كتابة هذه النبوءة ، انما الدعوة الى تمجيد الملك «أمنمحات الاول» ، ووصفه بالصفات التى يتمناها الناس فى العاهل الجديد ، والذى كان الحكيم «ايبو — ور» ينتظر قدومه ، وافهام الناس أن «امينى» (وهو اختصار اسم امنمحات) انما سيتولى العرش بناء على ارادة الآلهة ، وأن الحكماء قد تنبأوا بذلك أمام الملك «سنفرو» ، ذلك الفرعون الذى كان له فى قلوب الناس مكانة لا تعادلها مكانة فرعون آخر ممن سبقه من الفراعين ، حتى أنه كان يوصف بأنه «الملك المحسن» و «الملك الرحيم» و «الملك المحبوب» و «الملك الفاضل» ، كما صورته الوثائق متواضعا ، يميل الى المعرفة ،

---

(١٢) أنظر : سليم حسن : المرجع السابق ص ٣١٨ ـ ٣٢٤ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٥٢ـ٣٥٤•

(١٣) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 201.

ويكرم العلماء ويحسن الاستماع ، ويكتب بنفسه ، ولا يبالى أن يسأل عما لا يعرفه[١٤] .

وتشتمل البردية على موضوعين رئيسيين ، أولهما : الحالة السيئة التى آل اليها أمر البلاد ، ابان الثورة الاجتماعية الاولى — شأنها فى ذلك شأن تحذيرات ايبو — ور ، وثانيهما : الاعلان عن مليكه الجديد الذى سيخلص البلاد مما نزل بهـا من شر ، وسيسعد من يعيشون فى عصـره .

وفى الحقيقة أن كلا الموضوعين قد تحدث عنهما «ايبو — ور» ، فلقد وصف الخراب والدمار الذى حل بالبلاد ، كما تنبأ بقرب ظهور الملك الامثل ، وهكذا ياتى «نفرتى» فيتحدث عن ذلك كله ، ولكنه يزيد على «ايبو — ور» بأن يحدد اسم المخلص الجديد ، وأنه «امينى» ، وهذا هو الهدف من البردية ، ولهذا فهى دعاية للملك «أمنمحات الاول» (امينى) ما فى ذلك من ريب ، وأما ما جاء من وصف الخراب الذى حل بالبلاد ، فصحيح يتفق وعصر الثورة الاجتماعية الاولى،ما فى ذلك من ريب أيضا، ومع ذلك فمكانة نبوءة نفرتى كوثيقة تاريخية ليست فى مكانة تحذيرات ايبو — ور ، لان الاخير انما كان شاهد عيان يدفعه الى كتابة ما كتب دوافع عليا،وأهداف سامية ، حتى اننا نجده يلوم نفسه لتأخره فى اسداء النصح لمليك عصره ، «ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت ، حتى أنقـذ نفسى من الالم الذى أنا فيه ، فالويل لى لان البـؤس قد عم فى هذا الزمان[١٥] ، كما أنه لم يكن فى دعوته هذه مدفوعا الى الدعاية لحـاكم بذاته ، وانما كان يطلب الحاكم الامثل فحسب ، أيا كان هذا الحاكم .

وأما «نفرتى» فلم يكن شاهد عيان ، وانما ينسب تأليفها الى عهد قديم ، الى عهد الملك «سنفرو» ، كما يظهر فى نبوؤة نفرتى بوضوح مظهر

---

(١٤) أنظر G. Posener, Op-Cit, p. 32.
B. Gunn, JEA, 12, 1926, p. 250-251.

(١٥) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا
J. A. Wilson, ANET, p. 449.

الدعاية للملك «أمنمحات الاول» ، بل ان بعض المؤرخين انما يرى أنه لا يستبعد مطلقا أن يكون الحديث (يعنى النبوءة) من وضع الملك «أمنمحات الاول» نفسه[١٦] ، وفى كلتا الحالتين انما يعتبر كاتب هذه النبوءة شبه شاهد عيان ، لقرب عهده من أحداث الثورة الدامية نفسها •

ولنقدم الآن صورة مجملة لهذه النبوءة التى جاءت فى «بردية نفرتى» :

١ ـ وصف حال البلاد :

يقول «نفرتى» فى نبوءته بعد المقدمة :

«لقد أصبحت البلاد خرابا ، فلا من يهتم بها ، ولا من يتكلم عنها ، ولا من يذرف الدمع عليها ، لقد حجبت الشمس فلا تضىء حتى يبصر الناس»

«لقد جف نيل مصر حتى ليخوضه الناس بالقدم ، وسوف يبحث الناس عن الماء لتجرى عليه السفن ، فيجدون أن الطريق صار شاطئا ، كما صار الشاطىء ماء»

«ان البلاد فى كرب وعويل ، لقد حدث ما لم يحدث من قبل ، سيحمل الناس أسلحة الحرب ، حتى تعيش الارض فى قلق واضطراب،وسيصنع الناس أسلحة من النحاس حتى يلتمسوا الخبز بالدم ، ويضحكوا ضحكة الموت ، لن يبكى الناس من الموت ، ولن يهتم أحد الا بنفسه»

«لن يعنى أحد بترجيل شعره،ويجلس المرء فى مكانه لا يحرك ساكنا، بينما يرى الناس يقتل بعضهم بعضا ، سأريك حالة البلاد ، وقد أصبح الاب خصما ، والاخ عدوا ، الرجل يقتل أباه ، واختفى كل شىء طيب ، وخربت البلاد ، وأصبحت أملاك الرجل تغتصب للغريب ، وغدا المالك فى حرمان ، والاجنبى فى شبع ورفاهية»

---

(١٦) احمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٤ •

«لقد أصبح للكلام فى قلوب الناس وقع كوقع النار ، ولم يعد أحد يصبر على النصيحة ، لقد نقصت الارض وتضاعف حكامها ، وأصبحت الحقول عارية ، غير أن ضرائبها كثيرة ، وغلتها قليلة ، مع أن المكيال صار كبيرا ، وكانوا يملؤنه حتى يطفح ، لقد ظهر الاعداء فى الشرق ، واقتحم القبليون مصر ، ولكن ما من مدافع يسمع أو يجيب» .

«لقد تباعد الاله رع عن الناس ، واذا ظهر أشرق ساعة ، ولا يكاد أحد يعرف أوان الظهر لانه ما من ظل يدل عليه ، لم تعد الابصار تبهر عند التطلع اليه ، ولم تعد العيون تبلل بالماء ، اذا أصبحت الشمس فى السماء شبيهة بالقمر»

«سأريك البلاد ، وقد أصبحت شذر مذر ، لقد أصبح الكليل صاحب سلطة وسلاح ، وصار القوم يبجلون من كان يبجلهم ، سأريك البلاد ، وقد أصبح فى القمة من كان فى الدرك الاسفل ، وسيعيش الناس فى الجبانة ، وسيتمكن المعدم من الثراء ، وسيأكل المتسولون خبز القرابين، بينما يبتهج الخدم بما حدث» .

٢ ـ الدعوة الى الملك الجديد :

وهنا يصل المتنبىء الى هدفه ـ وهو الدعوة للملك الجديد (امينى) :

«سيأتى ملك من الصعيد ، يدعى «امينى» له المجد ، ابن امرأة من «تاستى» (جزيرة أسوان) ، ويولد فى الصعيد فى «خن نخن» (البصيلية مركز ادفو بمحافظة أسوان) ، وسوف يتلقى التاج الابيض ، ويتتوج بالتاج الاحمر ، فاسعدوا اذن يا أهل عصره ، ولسوف يعمل ابن الانسان على تخليد سمعته الى الابد ، أما الذين كانوا قد تآمروا على الشر ، ودبروا الفتنة ، فسيطبقون أفواههم خوفا منه،وسوف يسقط الاسيويون بسيفه ، والليبيون أمام لهيبه ، وسيستسلم الثوار أمام غضبه ، والعصاة أمام جلالته ، وسيخضع المتمردون للصل الذى على جبينه ، وسوف يبنى حائط الامير ، ولن يستطيع الاسيويون أن يدخلوا مصر عنوة ، وانما سوف يستجدون الماء منها لتشرب ماشيتهم ، كمألوف عادتهم ، وسوف

تعود العدالة الى مكانها ، ويقضى على الظلم ، ولسوف يسعد من يرى ؛ ومن سيكون فى خدمة الملك» •

وهكذا يصف «نفرتى» مليكه المنتظر بانه سيحقق كل ما فقده القوم أثناء الثورة ، فهو سيقضى على الفتن الداخلية ، وسيحمى البلاد من شر جيرانها الليبيين والاسيويين ، وأنه سيبنى سور الحاكم لحماية الدلتا من تسلل البدو ، وهكذا يستطيع المخلص الجديد أن يقضى على شرور الناس وأن يبدأ عصرا جديدا •

ولعـــل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن «نفرتى» انما يصرح فى نبوءته بأن مليكه الجديد ، ليس من سلالة البيت المالك القديم ، فهو اذن ليس بالاله كغيره ممن سبقوه من الفراعين المؤلهين ، وانما هو ابن امرأة من جزيرة أسوان (اليفانتين) وانه قد ولد فى البصيلية (نخن) ، وربما قد دفعــه الى ذلك ضــياع الهالة القديمة التى كان يتمتع بها الفراعين من قبل ، وربما دعاه الى ذلك كثرة المطالبين بالعرش أو المدعين له ، تلك الكثرة التى جعلت ملكه الجديد ، ليس بدعا بين المدعين أو المطالبين ، وربما كان «امنمحــات» (امينى) نفسه قد لجــأ الى الدعاية لنفسه ، فاخترع تلك النبوءة المعروفة ، فأمر ذلك جائز ، وقد دعــا اليه بعض المؤرخين ، ذلك لان الظروف التى أحاطت به قد ألجأته الى ذلك ، فهو لم يكن أميرا ، ولم ينتسب الى بيت امارة ، ولانه انما كان قد فطن بذكائه وسعة ادراكه وتجاربه الواسعة الى أن الناس قد سئموا المدعين من فلول الامراء الذين ينتسبون الى بيت الملك ، وكرهوا سلطانهم ، وبذلوا ما فى وسعهم فى سبيل الخلاص من تلك الاسر التى رفعت نفسها الى مجال التأليه ، فكان من المنطق أن يلجأ «أمنمحات» الى الدعاية لنفسه بمــا يصادف فى نفوس الناس هوى وارتياحا ، ومن ثم فقد أخذ يبشر بظهور مخلص جديد ، أسماه «امينى» تارة ، وأسماه «ابن الانسان» تارة أخرى وكان يقصد بذلك الى اقناع الناس بأن مخلصهم وحاكمهم الجديد ، ليس من بيوت الملك والامارة ، وانما هو من الشعب ، صديق الشعب وربيب

الشعب[١٧] .

وهكذا أصبح الانتساب الى الشعب شرفا يدعيه الطامحون الى تبوأ عرش الكنانة ، فهاهو «أمنمحات» يذيع عن نفسه «انه ابن امرأة من تاستى ، وقد ولد فى «خن نخن» ، ولم يقل أنها ، أو هو ، من أصل ملكى، ومن البدهى أن ذلك لم يكن عن رغبة عن الانتساب الى الاصل الملكى ، ولكنها كانت رغبة العصر ، ذلك العصر الذى أعطته الثورة الاجتماعية الاولى مبادئها ، والتى كان منها أن الانتساب الى الشعب ميزة يفخر بها من يحاول التقرب اليه[١٨] .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن هذا المبدأ قد سرى بين أمراء الاقاليم كذلك ، ومن ثم فقد ادعى بعضهم ادعاءات عريضة عما قدموه من خير لأقاليمهم ، ثم يفخرون بعد ذلك أنهم انما كانوا محبوبين من مدنهم ، وهكذا رأينا الواحد منهم يفخر بأنه «الحاكم المحبوب فى مدينته»[١٩] .

---

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ١٢٠ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة ص ٢٠١ ــ ٢٠٣ .

(١٨) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٠٢ ، وكذا

A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 105.

(١٩) P. E. Newberry, Beni Hassan, I, Table, 8, p, 415.

٣ ـ ارشادات الى الملك مرى كارع

تعرف هذه البردية التى تحوى «ارشـــادات الى الملك مرى كارع» باسم «بردية بطرسبرج» ، وهى محفـــوظة الآن فى «متحف ليننجراد» تحت رقم رقم (A ١١١٦) ، غير أن هذه النسخة ليست هى النسخة الوحيدة ذلك لان النص انما قد جمع فى ثلاث برديات ، الواحـــدة فى لينغجراد ، والثانية فى «موسكو» (برقم ٤٦٥٨)،والثالثة فى «كوبنهاجن» ويرجع تاريخها جميعا الى حوالى نهاية الاسرة الثامنة عشرة ، وهى جميعا معقدة بسبب الفجوات والغموض من كل نوع ، ولو بقى الجـــزء الاول من النص ، وكان أكثر تماسكا وحفظا ، لكان أهمها جميعا ، مادام يقدم النصح بأنه من الافضل حسن معاملة الموالى العنيدين الذين يستمتعون بشعبية ملحوظة[١] •

هذا وقد اختلف المؤرخون فى صاحب هذه الارشادات أو النصائح ، لان اسم الاب (صاحب النصائح) مفقود ، ولكنه ربما كان «اختوى» ، وان لم يكن أول من يحملون هذا اللقب ، ومن هنا فقد ذهب فريق الى انه «اختوى» (خيتى) الثالث ، بينما رأى آخرون أنه «خيتى الرابع» ، هذا فضلا عن الخلاف لم يكن فى اسم الملك صاحب التعاليم ، وانما امتد كذلك الى الاسرةالتى ينتسب اليها ، ومن ثم فقد ذهب فريق من الباحثين الى أنه من الاسرة التاسعة ، بينما ذهب آخـــرون الى أنه من الاسرة العاشرة •

وعلى أية حال ، فهناك فريق كبير من الباحثين يكادون يجمعون على أن «نب كاورع» انما هو «خيتى الثالث» ، وهو نفسه صاحب الارشادات ــ موضوع بحثنا هذا ــ وأنه من ملوك الاسرة التاسعة ، على أن هناك وجها آخر للنظر ، يتزعمه بعض علمـــاء المصريات ، من أمثال الدكتور

---

(١) M. Lichtheim, Op-Cit, p. 97.
وكذا A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, p. 115.

أحمد فخرى[٢] ، ووليم هيز[٣] ، ووينلوك[٤] ، انما يرى أن صاحب الارشادات انما هو «خيتى الرابع» (واح كارع) من الاسرة العاشرة ، على أن «الكسندر شارف» انما يذهب الى أنه «خيتى الثالث» ، وأنه من الاسرة العاشرة ، حيث وضع الاب والابن فى هذه الاسرة العاشرة[٥] ، وانني لأميل الى أن صاحب الارشادات الموجهة الى الملك «مرى كارع» انما هو «خيتى الرابع» ، وانه كان من ملوك الاسرة العاشرة الاهناسية، وليس من الاسرة التاسعة •

هذا وقد اكتشف هــذه البردية فى عام ١٨٧٦م ، الاثرى الروسى «فلاديمير جولينشف» ، وكان أول من قام بنشرها[٦] ، ثم ظهرت لها بعد ذلك عدة ترجمات ، كان من أهمها ترجمة «جاردنر»[٧] و «ارمان»[٨] ثم تحليل «برستد» لها فى «فجر الضمير»[٩] •

وفى عام ١٩٣٦م ، قام «الكسندر شارف» بأهم ترجمة للوثيقة ، مع التحليل السياسى والنقد التاريخى لمحتوياتها[١٠] ، وفى عام ١٩٤٥م قام

---

(٢) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٦٨ •

(٣) W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, New York, 1953, p. 144.

(٤) H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947, p. 20.

(٥) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٧٣ •

(٦) Vladimir S. Golenischeff, Les Papyrus hieratiques, Nos. 1115, 1116A et 1116B de L'Ermitage imperial a St-Petessbourg, St-Petessburg, 1916, Pls. IX-XIV.

(٧) A. H. Gardiner, in JEA, I. 1914, p. 20-36.

(٨) A. Erman, in LEA, 1927, p. 75-84.

(٩) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 145-150.

وفى الترجمة العربية (جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ــ ترجمة سليم حسن ــ القاهرة ١٩٥٦ ص ١٦٧ ــ ١٧٣) •

(١٠) A. Scarff, Der historische Abschnitt der lehre fur Konig Merikare, in SPAW, 1936, Heft, 8, (Lines 69-110 and Most of Lines, 111-144).

«فولتن» بنشرها مرة أخرى[11] ، كما قام بترجمتها أيضـا والتعليق عليهـا كل من «بـوزنـر»[12] و «دريوتون»[13] و «وليامـز»[14] و «مـولر»[15] و «كيس»[16] و «ردفـورد»[17] و «بيكـرات»[18] و «لوبز»[19] و «سمبسـون»[20] وغـيرهم[21] ، فضـلا عن الترجمات العربية للوثيقة[22] .

وأما عن الظروف التاريخية للوثيقة ، فمن المعروف أن مصر قـد تعرضت فى أخريات أيام الدولة القـديمة لفترة ضعف سياسى ، وهى الفترة التى يطلق عليها المؤرخون «عصر الانتقـال الاول» أو «عصر الثورة الاجتماعية الاولى» ، والتى تقطعت فيها أوصال البلاد ، وتفرقت كلمتها ، وقد بدأت تلك الفترة منذ أخريات الاسرة السادسة (حوالى عام

---

(١١) A. Volten, Zwei altagyptische Politische Schriften, Analecta Aegyptiaca, 4, Copenhagen, 1945, p. 3-82, Pls. 1-4.

(١٢) G. Posener, Annuaire du College de France, 62, (1962), p. 290-295, 63, (1963), p. 303-305, 64, (1964), p. 305-307, 65, (1965), p. 343-346, 66, (1966), p. 342-345.
G. Posener, RdE, 7, 1950, p. 176-180.

(١٣) E. Drioton, RdE, 12, 1960, p. 90-91 (Line 92).

(١٤) R. Williams, in Essays in Honour of T. J. Meek, Toronto, 1964, p. 16-19.

(١٥) D. Muller, in ZAS, 94, 1967, p. 117-124.

(١٦) H. Kees, in MDIK, 18, 1962, 6, (Lines 88-89).

(١٧) D. Redford, in JEA, 51, 1965, p. 105-107.

(١٨) J. Von. Beckerath, in ZAS, 93, 1966.

(١٩) J. Lopez, in RdE, 25, 1973, p. 178-191.

(٢٠) W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, 1977, p. 180-192.

(٢١) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 414-418.
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 97-109.
P. Seibert, Die Charakteristik, I, Wiesbaden, 1967, p. 90-98, (Lines 91-94 and 97-98).

(٢٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٩٠ ــ ١٩٧ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٦١ ــ ٨٠ ، عبد العزيز صالح : المرجـع السابق ص ١٤١ ــ ١٤٢ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٠ ــ ٤٤٢ ، عبدالحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٠٥ ــ ٣٠٨ ، نجيب ميخائيل : مصر ٢٩٢/١ــ ٢٩٤ ، أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٢ ــ ٢٨ .

٢٢٨٠ ق٠م) ، واستمرت حتى قيــام الدولة الوسطى (حــوالى عام ٢٠٥٢ ق٠م) ٠

ولعل من أهم أحداث تلك الفترة سيطرة ملوك اهناسيا ، مكونين الأسرتين التاسعة والعاشرة ــ على الشمال ، ثم الصدام المرير بينهم وبين أمراء طيبة (الاقصر) ، ذلك أن اهناسية انما كانت تحس أن سلطانها على مصر لن يتم ، مادام هناك أسيوى فى الشمال ، وطيبى فى الجنوب ، وكل منهما يحتل جزءا من البلاد ، وكانت طيبة بدورها تحس أن استقلالها لن يمكنها من زعامة الصعيد والتحكم فى شئونه ، مادامت تدين بالولاء لاهناسية وتدفع لها الجــزية ، وكان كل من الفــريقين يتربص بالآخر الدوائر ، ويعمل علي تجميع أنصار له ، وهكذا دارت رحى الحرب بينهما نحوا من ثمانين عاما ، وانتهت بانتصار طيبــة على اهناسية ، رغم أن عوامل النصر كانت فى يد اهناسية أكثر منها فى يد طيبة ٠

وعلى أية حال ، فان هذا النصر لم يكن لأمراء طيبة ، وانما كان لمصر كلها ، حين وسعها الله تعالى برحمته ، فأعاد وحدتها ، التى أضاعها عصر الثــورة المضطرب ، ومن ثم فقــد بدأت مصر تتبوأ مكانها فى التاريخ الانسانى من جديد ، وذلك بقيام الدولة الوسطى ، تحت زعامة سادة طيبة الجدد ٠

هذا ولم يزدهــر الادب فى أى عصر من عصور التــاريخ المصرى القديم ، كما ازدهر فى هذا العصر ــ عصر الثورة الاجتماعية الاولى ــ فقد كتبت فيه كثير من البرديات ، التى وصل فيها فن الكتابة الى قمــة مجده ، مثل برديات : الفلاح الفصيح ، وتحذيرات ايبو ــ ور ، واليائس من الحياة ، وغيرها ، هذا فضلا عن أن هذه الفترة قد تميزت بالاعلاء من شأن الفرد واعتزازه بنفسه ، وتحطيم تلك الهالة التى كانت تجعل الشعب يذوب فى شخصية «الملك ــ الاله» ، والتى تجعــل المجــد فى الدنيا ، والسعادة فى الآخرة لمن ينال رضى الاله وعطفه ، وتكون له الثروة التى تمكنه من انشاء قبر كبير يعين له من الكهنة من يقومون بالصلاة على

روحه فى الاعياد ، ويقدمون له القرابين فى كل يوم ، ويوقف من أرضه ما يكفى للانفاق على ذلك كله .

وتقوم الثورة الاجتماعية فى أخريات أيام الاسرة السادسة ، وفيها لم يحطم الشعب دواوين الحكومة وقصور الاغنياء ومقابر الملوك وأصفائهم فحسب ، وانما يحطم كثيرا من التقاليد القديمة ، ويصبح المصريون يؤمنون بالمساواة الاجتماعية ، ومن ثم لم يعد تقدم الفرد فى حياته رهينا برضى الملك أو بنسبه أو ثرائه ، وانما أصبح متوقفا على جده واستقامته ، كما أصبحت الجنة لمن يحسنون فى الدنيا عملا ، وجانبوا المعاصى ، وصلحت سريرتهم ، كما أنها لم تعد وقفا على الملك ومن أحاطوا به من رجال بلاطه ، ومن اشتروا بثرواتهم قرابين تقدم لارواحهم بعد الموت ، يبدو هذا واضحا فى أدب ذلك العصر ، وبخاصة فى النصائح الموجهة الى الملك «مرى كارع» ، والتى سنحاول هنا تقديمها بايجاز ، مستدلين بفقرات منها على الافكار النبيلة التى تحتويها ، ونلاحظ أنه على الرغم من أنها نصائح سياسية فى الدرجة الاولى ، الا أن أسلوبها الادبى لا يقل جمالا وجودة عن أية قطعة أدبية أخرى ، ولنحاول الآن أن نقدم أهم ما جاء فى هذه الارشادات الموجهة للملك «مرى كارع» من أفكار :

تكاد تعاليم الملك الاهناسى هذه أن تكون مرآة لايام عهده ، فهو قد اصطدم فى حروب مع أهل الجنوب دارت رحاها حول اقليم «ثنى» ، وعلى مقربة من «أبيدوس» (مركز البلينا ـ بمحافظة سوهاج) ، احدى عواصم البلاد الدينية العريقة ، فقص علينا كيف انقض على المدينة المقدسة انقضاض الصاعقة ، فخر عليها وأخذها كما تأخذ الغمامة الماطرة ما تحتها من أرضين ، فاذا الديار خربت ، واذا القبور بعثرت ، ثم سرعان ما يحدثنا الفرعون عن ندمه الذى آذى نفسه ، ثم أخذ عواطفه فهزها هزا ، وهو يعود فيعتذر من هول ذلك الجرم ، حين ينسبه الى جهل عساكره ، ويبدو لى أن أمير طيبة قد اهتبل الفرصة ، فأخذ يؤلب القوم عليه ، ويثير النفوس ضده ، ويغرى به الناس ، وذلك حين اتخذ من انتهاك حرمات القبور فى أبيدوس ، سبيلا للضرب على عواطف المؤمنين ، وطرقها بمطارق من حديد .

وظاهر من تعاليم الملك الشيخ لولده «مرى كارع» أنه كان يعانى من فعلته هذه كثيرا من المرارة والالم بين الفينة والفينة ، ثم يعود فيعزى نفسه عن هولها ، معتذرا بأنها قد وقعت من وراء علمه ، وأنه لم ينبأ بالامر الا بعد وقوعه ، ولم يعلم بالكارثة الا بعد أن تمت ، ولم يعرف بأمر النكبة الا بعد فوات الاوان،أنظر اليه حين يقول لولده فى ارشاداته :

«ان مصر تحارب حتى فى الجبانة ، انى فعلت ذلك ، وحدث لى ما يحدث لمن يخالف أوامر الاله ، أنظر : لقد حدثت كارثة فى عهدى ، غزى اقليم ثنى بسبب ما فعلت ، غير انى لم أعرف الا بعد حدوثه ، أنظر : ان ما فعلته هو السبب فيما جوزيت به ، فالضربة ترد بضربة أخرى ، مضى جيل من الناس ، والله الذى يعرف القلوب لم يختبىء تعس هو الرجل الذى يطلب الحرب ، لان العدو وسط مصر ، ونحن نريد جندا لاخضاع المحاربين لكى تصدق النبوءة : هذه مصر تحارب وسط قبورها ، لا تؤذ القبور بالحرب ، لاننى فعلت ذلك ، ولهذا أستحق ماحل بى من عقاب الله» •

ثم يحمل الملك الشيخ هذه الحرب الاهلية ، ما حل بالبلاد من مصائب فهى التى مكنت الاجانب من دخول البلاد ، ثم ينصح ولده بأن يتخذ الاجراءات ضدهم : «اذا تعرضت حدودك للخطر ، فاعلم أن هذا يعنى أن حملة القوس الذين فى الشمال ، سيتمنطقون بعدة الحرب ، ابن حصونك فى الشمال» •

وحين يستعيد المصريون شعورهم بالسيادة على غيرهم من الشعوب نرى الملك الاهناسى يتحدث الى ولده باحتقار شديد عن الاسيويين : «أنظر الى الاسيوى اللعين (يعنى البدوى) ، أن الامور سيئة فى بلاده ، فماؤه آسن ، وطرقاته وعرة ، لذلك فهو دائم الترحال ، لا يستقر فى مكان واحد ، وانما ظل يشاغب منذ عهد الاله حور ، لا يغلب ولا يغلب ، لاتهتم بأمره ، فهو ليس الا بدويا ، شخص منبوذ على الشاطىء ، لا يغير الا على الموطن المنعزل ، ولا يجرؤ على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان ، أقم الحصون فى تخومك الشرقية ، وابن مدننا ، وعمرها بالسكان» •

ويصور الفرعون لولده «مرى كارع» الطريقة التى اتبعها فى اضعاف الاسيويين ، وفى اجلائهم من الدلتا ، ودعاه الى أن يترسمها ، وصور له هذه الطريقة فى شقين :

أولهما : بث الروح الحربية فى البلاد ، والعناية بجندها الشبان ، وقال له عنها : «اعل من شأن الجيل الجديد تحبك العاصمة ، وزد أتباعك من الرعية ، ان مصر بلد عامر بنشىء غض فى سن العشرين ، وان الجيل الناشىء انما يسعد بمن يستوحى ضميره ، فان فعلت ذلك قلدك العامة ، وأتاك رب كل أسرة بأبنائه راضيا ، فبهذه السياسة حارب القدماء من أجلنا ، ون.. رفعت أنا شأنهم ، فارفع أنت شأن نبلائك ، وعظم محاربيك، واسبغ الخير على جيل الشباب من أتباعك ، واحرص على أن يتزودوا بالعطايا ، ويطمئنوا بامتلاك الارض ، ويكافأوا بالانعام» •

وثانيهما : التضييق على الاسيويين والحد من سبل نشاطهم ، وذلك بانشاء مدن محصنة على حواف الوادى ، وتعميرها بخير الرجال ، يسكنونها ويزرعون ما حولها ، ويتحصنون بها حين الشدة ، ويصدون منها غارات الاسيويين ، وقال له فى ذلك : «لا تتهيب البدوى فهو لا يغير الا على الموطن المنعزل ، ولا يغير على المدن الآهلة بالسكان» •

ويحض الفرعون ولده على عمل الخير ، فيقول له : «هدى من روع الباكى ، ولا تظلم الارملة ، ولا تحرم رجلا من ثروة أبيه ، ولا تطرد موظفـا من عمله ، وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم ، لا تقتل فان ذلك لا يكون ذا فائدة لك ، بل عاقب بالضرب والحبس ، فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد ، اللهم الا من يثور عليك وتتضح لك مقاصده ، فان الله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، والله هو الذى يعاقب أخطاءه بدمه ، ولا تقتل رجلا تعرف جميع مزاياه ، رجلا كنت تتلو معه الكتابات (أى زميلا لك على أيام الدراسة)» •

ويوصى الشيخ الاهناسى ولده بتقريب ذوى المواهب ، «لا تفرق بين ابن النبيل وبين ابن فقير الاصل ، وتخير الفرد بكفاءته الشخصية»،

ولا ينسى الفرعون أن يحذر ولده من الاعتداء على آثار السابقين،فيقول له : «لا تحدث ضررا لمبنى أقامه غيرك ، اقطع أحجارك من طره ، ولاتبن قبرك من أحجار قبور غيرك ، أنظر أيها الملك الذى أريد له دوام الصحة والسعادة والحياة ، لا تتقاعس وتنم مطمئنا الى قوتك ، اعتمادا على ما فعلته أنا قبلك ، افعل أنت بنفسك » .

ولا ينسى الفرعــون الشيخ أن يوصى ولده بالاهتمــام بالفصاحة وحسن التعبير . ولعمرى أنه لم يكن فى ذلك مجددا ، ففى «تعــاليم بتاح ــ حتب» يظهر لنا مدى تقدير القوم للفصاحة تقديرا كبيرا ، وقالوا بأنها من الجائز أن توجد عند الفقيرات اللاتى يعملن على أحجار المسن، وفى «قصة القروى الفصيح» نرى أن هذه الفكرة مازالت سائدة عند القوم ، وأن أقل المصريين شأنا انما يستطيع أن يتكلم ، وأن يكون لكلامه الاثر المرجو ، وأنهم جعلوا هذا القروى يستمر فى حديثه مرة بعد أخرى ــ بعد أن أعجبوا بفصاحته ــ حتى بلغت شكاياته تسعا ، كما رأينا من قبل ، وأن الملك ورجاله انما كانوا جدا مسرورين من تلك الفصاحة ، وأخيرا نرى هذا القروى غير المثقف ، ينال ما يستحقه من تكريم،عندما أنهى كل ما فى جعبته من كلام ، وهكذا نرى الملك الاهناسى انما يقــدم لابنه النصح قائلا :

«كن فنانا فى الحديث حتى تسود ، فــان القوة فى اللسان ، وهــو كالسيف للرجل ، والحديث أمضى من أى سلاح ، اقتد بآبائك الذين ذهبوا من قبلك ، أنظر ان كلامهم الحكيم باق فى الكتب ، فافتح واقرأ واقتد ، كن فطنا فان الرجل الفطن لا يجد من يفحمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة فى زمانه» .

هذا وقد كانت عصور ما قبل عصر الثورة الاجتماعية تهتم كثــيرا ببناء وصيانة ضريح رائع يبقى خالدا على مر السنين ، لانه انمــا كان ــ فى نظر تلك الاجيال السالفة ــ ضمانا للخلود ، بل ان فقدان القبر انما كان فى نظر المصريين القدامى أعظم كارثة يمكن أن تحل بمصرى ، ولهذا فقد اتخــذها الملوك كأقسى عقــاب يمكن أن ينزله الفرعون بمن

يشك فى ولائه ، حتى أن أحد الحكام حذر أولاده هذا الجزاء الاليم لمن يخرج على الملك ، حيث يقول : «لا قبر لانسان خارج على الملك ، بل ان جثته سيلقى بها فى الماء» •

وتقوم الثورة وتبقى على مثل هـذه النصب ، ومن ثم نرى الملك الاهناسى ينصح ولده قائلا : «زين مثواك الذى فى الغرب ، وجمـل مقعدك فى الجبانة» ، غير أن عصر الثورة الاجتمـاعية لم يقتصر على الوسائل المادية ، كسبيل للسعادة فى الحياة الثانية ، وانما أصبح للاخلاق فى هذا العصر شأن عظيم فى تقرير مصـير الانسان بعد مماته ، وبذا أصبحت الاهمية الكبرى للوصول الى الخلد انما هو العمل الصالح ، بعد أن كان ذلك من قبل ، للثروة ، والقربى من الاله الملك •

ويقدم لنا الملك الاهناسى أمثلة كثيرة على ذلك ، ففى تعاليمه التى وجهها لولده «مرى كارع» جاء الحث على نبذ المادية فى فقرات ثلاث : «لا تكن شريرا ، فالصبر خير ، اجعل بيت ذكراك خالدا بحب الناس لك»، وذلك عندما أراد أن يقارن العمل الاخلاقى ، ببنـاء بيت الذكرى من الحجر «اجعل الناس يحبونك فى الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى للانسان»، ثم يعلن فى الفقرة الثالثة بوضوح ، أن الخلق الطيب أفضل عند الله من القرابين التى تقدم لاستعطافه ، فيقول : «ان خلق الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الشرير (أى الثور الذى يقدمه كقربان) •

وهكذا اعتقد القوم أنه يجب على الانسان أن يوجه عنايته لاقامة الشعائر الدينية لينال عطف الاله ، غير أن ذلك لن يغنى عنه من الله شيئا، ما لم تسنده أعمال صالحة ، وخلق كريم ، وفى جملة الملك الاهناسى التى تنص على أن الاله يسر للخلق الفاضل ، أكثر مما يسر للقرابين الكثيرة ، والتى تعد من أنبل ما جاء به التفكير الخلقى عند المصرى القديم ، وفى هذه الجملة دلالة على أن للفقير ما للغنى من حق فى رعاية الله ، ذلك لان أكرمهم عند الله أتقاهم وأفضلهم خلقا ، وليس أكثر قربانا ، وأشدهم سلطانا •

وهكذا فان السعادة فى الاخرة لم تعد تتوقف على قبر يبنى ، أو

على قرابين تقدم ، ولكنها فى العمل الصالح،والعدل بين الناس ، والعطف على الفقراء والعناية بشئونهم ، فهناك من تعاليم الملك الاهناسى قوله : «أقم العدل تخلد فى الارض ، واسى الحزين ، ولا تحرم رجلا من ميراث أبيه ، ولا تضرن شريفا فى مركزه» .

هذا وقد كان المصرى القديم يعتقد أن الميت سوف يحاكم أمام اله الشمس ، وذلك استجابة لطلب انسان كان الميت قد أخطأ فى حقه ، وليس حسابا على شيء ، فان لـم يطلب الانسان للمحاكمة بهذه الصفة ، فمن المحتمل ألا يتعرض فى الحياة الثانية لمحاكمة أخـرى ، ثم ما لبثت أن ولـدت محاكمة الاله «أوزير» التى تنتظر كل انسان لتحاكمه على ما قدمت يداه من عمل ، وفقا لقواعد الاخلاق ، وهكذا أصبح من مستلزمات عصر الثورة الاجتماعية أن الانسان لابد ، وأن يجتاز امتحانا جادا أمام هذه المحكمة لينال السعادة المنشودة فى العالم الآخر ، وفى تعاليم الملك الاهناسى اشارة الى ذلك ، فهو يقول :

«انك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون المذنب ولا يرحمون الشقى يوم المحاكمة ، وتسوء العاقبة ان كان المتهم هـو الواحد العاقل (ربما تحوت رب الحكمة الذى سيدير المحاكمة يوم الحساب) لا تضع ثقتك فى طول السنين ، فهم ينظرون الى مدة الحياة كساعة ، ثم يبعث الانسان ثانية بعد الموت ، وتوضع أعماله بجانبه كأكوام ، لان الخلود مثواه هناك (أى العالم الآخر) ، والغبى من لا يهتم بذلك ، أما من يأتى اليهم دون أن يرتكب اثما ، فانه سيثوى هناك ، ويمشى مرحا مثل سـادة الابدية (اسم للابرار المتوفين) .

وهكذا يحذر الفرعون الاهناسى ولده من يوم الحساب ، فهو لاينفع فيه مال ولا بنون ، خاصة اذا كان الذى سوف يحاسب الناس هو الواحد العاقل ، ويحذره من أن يغتر بطول السنين ، فانها فى نظر القضاة وكأنها ساعة ، ثم يبعث ثانية ليجد أعماله كلها ــ خيرا أو شرا ــ مكدسة بجواره «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمـل مثقال ذرة شرا يره» ، وهكذا تكون نتيجة المحاكمة ، فالذى يصل الى الآخرة ، وقد عمل الخير

فى دنياه ، فانه سيثوى هناك فرحا مع الابرار المتوفين ، ومن لا يكترث لذلك فهو غبى أحمــق ، وسيكتب له سوء المصـير ، وهكذا استطــاع المصريون القدامى أن يتقربوا الى حد ما من المبدأ الذى قررته الكتب السماوية ، وهو أن الآخرة نتيجة عمل الدنيا «فمن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد» •

ويرى الملك الاهناسى أن الحياة الصالحة فوق الأرض ، انما هى العماد الحق الذى ترتكز عليه الحياة فى العالم الآخر ، حيث يقول : «ان الروح تذهب الى المكان الذى تعرفه ، ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها» ، وليس هناك من ريب فى أن الملك الاهناسى انما يعنى طريقتها المعتاد للخلق الكريم ، والعمل الصالح •

وكان المصريون القدامى يؤمنون بأن أهم ما فى حياة الانسان ، انما هو علاقته بربه فى الحياة الدنيا ، وفى الحياة الآخرة ، ومن هنا رأينـــا حكيمنا ينصح ولده «مرى كارع» قـــائلا : «يمر الجيل متنقلا الى جيل آخر بين الناس ، والله العليم بالاخلاق قد أخفى نفسه ••• انه الواحد الذى يبهر بما تراه الاعين ، فاجعل الاله يخدم بالصورة التى سوى فيها، حجرا كريما كانت أم نحاسا ، لانه كالمـــاء الذى يحل محـــله الماء ، اذ لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئا ، بل يكتسح الذى يخفيه»•

وهذه الكلمات الهامة التى جاءت على لسان رجل من قادة الفكر فى مصر ، منذ أكثر من أربعة آلاف عام مضت ، ليست الا محاولة منه ليميز بين الاله والصنم التقليدى الذى يوجد فى المعبد ، ويظهر فى الاحتفالات، ويهتف له الشعب ، ولكن كينونة الاله كالماء يكتسح السد أمامه ، ولايمكن أن يبقى فى الصورة المحسوسة (أى الصنم) ، بل يبهر الناس بما تراه العيون ، وهذا الاله العليم بالاخلاق قد أخفى نفسه ، فلا يمكن ادراكه، كجسم من الماء يمتزج فى جسم آخر مثله من الماء ، ومن الجـــائز أن حكيمنا الاهناسى يريد بعبارة «كالماء الذى يحل محله الماء»•• أن الاله الذى شبه بالماء ، اذا دخل فى أى جسم ، سواء أكان من الاحجار الكريمة أو من النحاس ، أو من أية مادة أخرى ، لابد أنه واجد لنفسه منفــذا

يخرج منه ، أو يظهر قوته ، ولذلك فان تصوير الاله فى أى شىء مادى ليس بالامر الهام •

هذا وتحتوى ارشادات الملك الاهناسى هذه ، لولده ، مرى كارع ، سلسلة من الافكار عن اله الشمس ، نجد فيها الفكر المصرى القديم يقترب من عقيدة التوحيد ، فكاتب النصائح يعترف بوجود طائفة من الآلهة يقومون مقام القضاة فى العالم الآخر ، وبذلك يبتعد بعدا واضحا عن الاعتراف بوحدانية الاله ، على أنه من جهة أخرى ، انما يقترب قربا واضحا من الاعتراف بالتسلط الخلقى لاله واحد ، لدرجة أن كلمة «اله» صارت فى مواضع — مع شىء من التناقض — تدل على مدلولها الحقيقى•

على أنه فى امكاننا أن نلاحظ صوغ هذه التأملات فى صيغة التوحيد، زيادة على ما ذكرنا ، فى الصورة التالية ، والتى صور فيها الحكيم الاهناسى الخالق والحاكم الرؤف فى خاتمة تأملاته ، حيث يقول :

«ان الله قد رعى الناس ، وهم قطيع الله ، وهو راعيهم ، وقد خلق السماوات والارض كما يرغبون ، وخفف من حدة الظمأ بالماء ، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم ، وانها لصورة منه خرجت من أعضائه ، وهو يصعد الى السماء حسب رغبتهم ، وقد خلق لهم النبات والماشية والطيور والاسماك غذاء لهم ، ولكنه يعاقب كذلك ، فقد قتل أعداءه ، وعاقب أبناءه بسبب ما دبروه عندما انقلبوا عليه ، وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون ، وجعلهم كذلك ينامون ، وهو يسمعهم عندما يبكون ، وجعل لهم حكاما وهم فى البيضة (أى قد وهبوا الحكم قبل الولادة) ليحموا ظهور الضعفاء منهم ، وجعل لهم من السحر سلاحا يتقون به الحوادث، وهو الذى قتل عاتى القلب فيهم ، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه ، ان الله عليم بكل اسم (أى بكل انسان)» •

والاشارة هنا الى أن الاله قد ذبح أعداءه توجيه الى «أسطورة هلاك البشر» التى سبق لنا أن ذكرناها فى باب الاساطير ، ونجد فى تلك الاسطورة ناحية خلقية فى منتهى الاهمية ، ذلك لانها انما تدل على حرمان

الانسان من العطف الالهى ، حين يعصى أمر ربه ، كما نتعرف فيها على سيادة اله الشمس (رع) سيادة خلقية مطلقة •

ويحاول الملك الاهناسى فى نصائحه لولده «مرى كارع» أن يوازن بين تصوره السامى للزاد الخلقى ، وبين التقاليد الموروثة الخاصة بقيمة المتاد المادى ، ولذلك يقول لولده :

«أقم آثارا خالدة للاله ، لانها تحيى ذكرى اسم بانيها ، وعلى المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه ، باقامة الشعائر الدينية كل شهر ، وليس النعال البيضاء ، وزيارة المعبد ، والكشف عن الاسرار المقدسة ، والدخول فى قدس الاقداس ، وأكل الخبز فى المعبد ، املأ موائد القربان ، وقدم الخبز الكثير ، وضاعف عدد القرابين الدائمة ، فان فى ذلك الخير كل الخير لمن يقوم به ، اعل من شأن آثارك ونمها ، مادمت تملك القوة على ذلك ، وان يوما واحدا (أى من عمل مجيد) قد يؤدى الى الخلود ، ورب ساعة واحدة تحقق نفعا للمستقبل ، ان الله عليم بمن يعمل من أجله» •

على أن محاولة الموازنة بين ما يحتاج اليه الانسان من مادة ، وما يحتاج اليه من خلق كريم ، حد ظاهر فى الكلام الذى اقتبسناه من قبل ، عندما كان الملك الشيخ يقول «ان فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم ، ومع ذلك افعل شيئا للاله حتى يجازيك بالمثل ، بقربان تمتلىء به المائدة ، وبنقش يخلد به اسمك ، والله عليم بكل من يعمل شيئا من أجله» ، وهكذا يبدو واضحا أن هناك اعترافا صريحا بقيمة الحياة الصالحة فى نظر الاله ، وهو الذى لا يقبل أن تقــوم القرابين والهدايا عنده مقام الاخلاق الكريمة •

هــذا ومن الواضح أن الملك الاهنــاسى لا يريد أن ينتهى من تلك النصائح السياسية والخلقية والاجتماعية ، دون أن يوصى ولده بقول الصدق ، فيقول له : «قل الصدق فى قصرك يرهبك أمراء البلاد وحكامها فى الاقاليم ، وأن من صلحت نيته صلحت أحــواله ، والبيت مرهوب بمن فيه» •

ويبدو أن الملك الشيخ كان كلما تقدمت به الايام ، كلما كثر تفكيره فى ماضيه ، وما أنفــق فيه من تقتيل وتشريد ، فى سبيل تأمين ملكه ، وتحقيق ما كان يطمح اليه من نفوذ وسلطان ، وكأنما كان يشعر أنه قتل كثيرا ، وظلم كثيرا ، فأخذ يذكر الله كثيرا ، ويحــذر ولده من ارتكاب جريمة القتل ، أو الوقوع فى خطيئة الظلم ، لان الله انما يرقب الجانى فيملى له ، ثم يأخذه من وراء ذلك بعذاب أليم ، يقــول الاله : «انى المنتقم ، وسآخذ كل بذنبه ، فلكل امرىء ما سعى ، وحسابه فى الآخرة، يوم يأخذ قضاؤها من الظالم للمظلوم» ، ثم يمضى الرجل فى وصاياه فيختمها بمثل هذه النصائح التى تصور الرجل مستغفرا تائبا ، خــائفا مترقبا ، منتظرا مصيره عند قضاة يوم القيامة •

وأما أهمية البردية كوثيقة تاريخية ، فهى تقدم لنا صورة عن الحكام الاهناسيين الذين كانوا يتمتعون بقسط وافر من الثقافة ــ أو على الاقل تعطينا فكرة عن أن صاحب هذه الارشادات انما كان ملكا حكيما ــ وهو رجل ذو عقل راجح ، وفكر قويم ، وهو فى نفس الوقت رجل قلق ، متعب أنهكته الشيخوخة ، وأضعفته أحداث السياسة القاسية ، التى مر بها فى حياته ، والتى لم تعد سنه تطيق احتمالها ، كما أنها تعطينا صورة عن الحالة السياسية على أيام الاسرتين التاسعة والعاشرة (العصر الاهناسى) أو على الاقل تعطينا فكرة ــ وان كانت غير كاملة تماما ــ عن الحــرب الاهلية التى دارت رحاها بين ملوك اهناسية (احــدى مراكز محافظة بنى سويف) وبين امراء طيبــة (الاقصر) ، على الارض المقدســة فى أبيدوس ، كما تعطينا فكرة عن مدى نجاح الملك الاهناسى فى طرد البدو الاسيويين من الدلتا •

هذا وتمدنا الوثيقة بأفكار نبيلــة ، وجديدة على التفكــير المصرى القديم ، لعل من أهمها : نغمة التواضع الجديدة فى حديث الملك المؤله ، والمناداة باختيار الموظفين على اساس من الكفاءة الشخصية ، وليس على أساس من حسب ونسب ، وهى فى نفس الوقت تنادى بعدم اهمــال الاسرة الشريفة القديمة ، ثم هناك الدعــوة الى العمل الصالح ، فهو

ــ وليس الوسائل المادية التقليدية ــ طريق السعادة فى الآخرة ، كما نادت الارشادات بوجود محكمة بعد الموت لن ينقذ المرء منها ــ مهما كان منصبه وثراؤه ــ الا عمل صالح ، وخلق كريم ، كذلك حثت هذه التعاليم الملك «مرى كارع» ، على أن يكون قدوة حسنة لموظفيه ، وذلك بقول الصدق لميهابه أمراء البلاد والحاكمين فى أقاليمها •

ثم هى تحذر «مرى كارع» من زعماء الحركات السياسية ، وتغريه بمعاملتهم بمنتهى القسوة ، تغريه بقتلهم ، ومحو ذكراهم ، وذكــرى انصارهم جميعا ، وأخيرا ، فرغم أنها وثيقة سياسية فى الدرجة الاولى ، غير أنها قطعة أدبية ، لا تقل جمالا وجودة عن أية قطعة أخرى من قطع ذلك العصر الذى وصل فيه فن الكتابة درجة عالية ، حتى أن الادب فى ذلك العصر ، انما يعد أروع ما انتجته مصر الفرعونية من أدب •

ولنقدم الآن ترجمة لأهم نصوص هذه الارشادات الموجهة الى الملك «مرى كارع» :

«كن فنانا فى الحديث حتى تسود ، فان القوة فى اللسان ، واللسان للرجل كالسيف ، والحديث امضى من أى سلاح ، اقتد بآبائك الذين ذهبوا من قبلك ، أنظر ان كلامهم الحكيم باق فى الكتب ، فافتح واقرأ واقتد ، كن فطنا فان الرجل الفطن لا يجد من يفحمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة فى زمانه ، والصدق يأتى اليه طائعا مختارا مصفى ، حسب ما جاء فى كلام الاجداد السابقين» •

«لا تكن شريرا ، فالصبر خير ، من الخير أن تكون رحيما عطوفا ، اجعل بيت ذكراك خالدا بحب الناس لك ، وعندئذ يحمد الناس الله من أجلك ، ويمتدح الناس طيبة قلبك ، ويتمنون لك الصحة والعافية ، مجد العظماء ، واعمل على سعادة شعبك ، فكم هو جميل أن يعمل المرء من أجل المستقبل ، ولكن افتح عينيك ، فقد يمتلىء المرء بالثقة ، ثم يتكشف الامر عن حسرة ، لثقة جاءت فى غير موضعها» •

«ارفع من شأن مستشاريك ، واغدق عليهم من الثروة ما يكفيهم ، حتى يقوموا على تنفيذ قوانينك بالعدل ، لان الرجل المغنى فى بيتـــه لا يميل مع الهوى ولا يتحيز ، اذ يكون عنده من المال ما يغنيه ، ان الرجل الفقير (فى وظيفته) لا يتكلم طبقا للحقيقة ، ان الذى يقول : اننى أريد ، ليس عادلا ، انه متحيز للذى يحبه،انه يميل للذى يملك الهدية (الرشوة)•

«العظيم من كان مستشاروه عظماء ، والحاكم القــوى من كانت حاشيته قوية ، قل الصدق فى قصرك يرهبك أمراء البـــلاد وحكامها فى الاقـــاليم ، وأن من صلحت نيته ، صلحت أحـــواله ، والبيت مرهوب بمن فيه» •

«أقم العدل تخلد على الارض ، وهدىء روع الباكى ، ولا تظلم الارملة ، ولا تحرم رجلا من ثروة أبيه ، ولا تطرد موظفا من عمله ، وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم ، لا تقتل ، فان ذلك لا يكون ذا فائدة ، بل عاقب بالضرب والحبس ، فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد، اللهم الا من يثور عليك ، وتتضح لك مقاصده ، فان الله يعـــلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، والله هو الذى يعاقب أخطاءه بدمه ، لاتقتل رجلا تعرف جميع مزاياه ، رجلا كنت تتلو معه الكتابات (أى زميلا لك على أيام الدراسة)» •

«ان الروح تذهب الى المكان الذى تعرفه ، ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها ، ان السحر لا يقوى على منعها ، ولكنها تأتى الى أولئك الذين يعطونها ماء» •

«انك تعلم أن القضاة يحاسبون المذنب ، ولا يرحمون الشقى يوم المحاكمة ، وتسود العاقبة ان كان المتهم هو الواحد العاقل (ربما تحوت رب الحكمة الذى سيدير المحاكمة يوم الحساب) ، لا تضع ثقتك فى طول السنين ، فهم ينظرون الى مدة الحياة كساعة ، ثم يبعث الانسان ثانية بعد الموت ، وتوضع أعماله بجانبه كأكوام ، لان الخلود مثواه هناك (أى فى العالم الآخر) ، والغبى من لا يهتم ، أما من يأتى اليهم دون أن يرتكب

اثما : فانه سيثوى هناك ، ويمشى مرحا مثل سادة الابدية (اسم للابرار المتوفين) .

«اعل من شأن الجيل الجديد تحبك العاصمه ، وزد أتباعك من الرعية، ان مصر بلد عامر بنشىء غض فى سن العشرين ، وأن الجيل الناشىء انما يسعد بمن يستوحى ضميره ، فان فعلت ذلك قلدك العامة ، وأتاك رب كل أسرة بابنائه راضيا ، فبهذه السياسة حارب القدماء من اجلنا ، منذ رفعت أنا شأنهم ، فارفع أنت شأن نبلائك ، وعظم محاربيك ، واسبغ الخير على جيل الشباب من اتباعك ، واحرص على أن يتزودوا بالعطايا ، ويطمئنوا بامتلاك الارض ، ويكافؤا بالانعام» .

«لا تفرق بين ابن النبيل وبين ابن فقير الاصل ، وتخير الفرد لكفاءته الشخصيه ، اذا تعرضت حدودك للخطر ، فاعلم أن هذا يعنى أن حملة القوس الذين فى الشمال سيتمنطقون بعـدة الحرب ، ابن حصونك فى الشمـال .

«احسن علاقتك مع البلد الجنوبى (ربما يعنى طيبة) فيحضر اليك حملة الاكياس بالهدايا ، لقد فعلت مثلما فعل الاجداد ، واذا لم يكن لديه من القمح ما يعطيه ، فقابل الامر بالرضى ، مادام وا مستضعفين ، واكتفى بخبزك وجعتك» .

«ان الجرانيت الاحمر يأتيك دون عوائق ، فلا تحدث ضررا لمبنى أقامه غيرك ، اقطع أحجارك من طره ، ولا تبن قبرك من أحجار قبـور غيرك ، أنظر أيها الملك الذى أريد له دوام الصحة والسعادة والحياة ، لا تتقاعس وتنم مطمئنا الى قوتك ، اعتمادا على ما فعلته أنا قبلك ، افعل أنت بنفسك ، اعمل الفكر فيما فعلت ، وانسج على منواله ، فلا يكون لك عدو داخل حدودك» .

«ثم قام رجل حاكم فى المدينة ، وقد امتلأ قلبه بالأسى بسبب الدلتا»

«فنشرت السلام فى غربى الدلتا جميعه ، حتى حدود البحيرة (ربما

يعنى مستنقعات الدلتا) ، كما كانت الامور سيئة على شرقى الدلتا ، فلقد انقسمت الى أقاليم ومدن ، وأصبحت سلطة رجل واحد فى أيدى عشرة، ولكنهم الآن يقدمون كشفا كاملا بجميع أنواع الضرائب ، ويدفعون الجزية اليك ، كما لو كانوا عصبة واحدة ، وسوف لا يكون بينهم أعداء أشرار ، ولا خوف عليك من أن لا يجرى النيل ، فاطمئن على حصولك على حاصلات الدلتا ، ان الحد الشرقى للملكة أصبح الآن آمنا ضد البدو الاسيويين» •

«أنظر : لقد دققت أربطة السفينة وثبتها على الشاطىء فى الشرق (يعنى وصلت الى الشرق) ، وأصبحت المحدود من مدينة «هبنو» (فى مصر الوسطى) الى طريق حور (ويبدأ عند الفرع البيلوزى للنيل) عامرة بالمدن ، ومليئة بقوم من خيرة أهل البلاد حتى يدفعوا أسلحة الاسيويين وغاراتهم ، اننى أتوق الى رجل شجاع يساوينى فى هذا ، ويعمل أكثر مما عملت» •

«أنظر الى الاسيوى اللعين (يعنى البدوى) ، ان الامور سيئة فى بلاده ، فمأوه آسن ، وطرقاته وعرة ، لذلك فهو دائم الترحال ، لايستقر فى مكان واحد ، وانما ظل يشاغب منذ عهد الاله حور ، لا يغلب ولاينلب، لا تهتم بأمره ، فهو ليس الا بدويا ، شخص منبوذ على الشاطىء ، لايغير الا على الموطن المنعزل ، ولا يجرؤ على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان ، أقم الحصون فى تخومك الشرقية ، وابن مدنا وعمرها بالسكان» •

«أنظر : لقد جعلت الدلتا تضربهم ، وأسرت أهليهم ، ونهبت ماشيتهم ، فلا تجشم نفسك مشقة فى شأنهم» •

«أنظر : لقد عمرت مدينة «كموى» (ربما كانت تل أتريب فيما بعد)، انها فى نقطة مركزية ، لقد حصنت جدرانها للقتال ، وزاد عدد جنودها ، وكثر أهاليها» •

«لقد كثر سكان اقليم «دد ــ اسوت» (ربما يقع على مقربة من منف) ، حتى بلغ عدد سكانه عشرة آلاف رجل من المواطنين ، يستمتعون

بحق الأعفاء من الضرائب والمكوس ، وقد تعود كبار رجاله على الذهاب الى العاصمة ، منذ عصر الاله حور» •

«أنظر : ما قاله الملك «اختوى» (رأس البيت الاهناسى) فى تعاليمه : ان من يسكت على اساءة المتبجح يضر بنفسه ضررا بليغـا ، وان الله يهاجم من يسىء الى المعبد» •

«قدم فروض الطاعة والاجلال لله ، ولا تقل انه ينسى» •

«لا تقترب بضرر الى الآثار التى أقامهـا الملوك الاخرون ، حتى لا يجىء ملك بعدك ، فيضر بالآثار التى أقمتها ، تذكر أنه لايوجد انسان ليس له عدو» •

«أنظر : أن حاكم شاطىء النهر عليم بكل شىء ، وليس هناك ملك طائش ، مادامت تقوم من حوله حاشية صالحة ، وهو فطن حكيم منذ اليوم الذى خرج فيه من بطن أمه» •

«ان الحكم مهنة شريفة وعظيمة ، ان الحاكم اذا لم يكن له ولد ، أو أخ ، يحيى ذكراه ويخلده ، فلا مانع من أن يقوم الحاكم باحياء آثار غيره ، فكل حاكم يجب أن يفعل ذلك لمن سبقه ، اذا أراد لما أقامه هو أن يعنى به الخلف الذين يأتون من بعده» •

«أنظر : ان مصر تحارب حتى فى الجبانة ، انى فعلت ، وحدث لى ما يحدث لمن يخالف أوامر الله ، أنظر : لقد حدثت كارثة فى عهدى ، غزى اقليم «ثنى» بسبب ما فعلت ، غير أنى لم أعرف الا بعد حدوثه ، أنظر : ان ما فعلته هو السبب فيما جوزيت به ، فالضربة ترد بضربة أخرى ، مضى جيل من الناس ، والله الذى يعرف القلوب لم يختبىء ، تعس هو الرجل الذى يطلب الحرب ، لان العدو وسط مصر ، ونحن نريد جنـدا لاخضاع المحاربين لكى تصدق النبوءة : هذه مصر تحارب وسط قبورها لا تؤذ القبور بالحرب ، لاننى فعلت ذلك ، ولهذا استحق ما حل بى من عقاب الله» •

«يمر الجيل متنقلا الى جيل آخر بين الناس ، والله العليم بالاخلاق قد أخفى نفسه ... انه الواحد الذى يبهر ما تراه الاعين ، فاجعل الاله يخدم بالصورة التى سوى فيها — حجرا كريما كانت أم نحاسا — لانه كالماء الذى يحل محله الماء ، انه لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئا ، بل يكتسح الذى يخفيه» .

«زين مثواك الذى فى الغرب (عالم الآخرة) ، وجمل مقعدك فى الجبانة ، ولكن اياك أن تكون شريرا ، فالصبر خير ، فاجعل ذكراك خالدا بحب الناس لك ، اجعل الناس يحبونك فى الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى للانسان ، تذكر أن فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم الشرير (أى الثور الذى يقدمه كقربان) ، ومع ذلك افعل شيئا للاله حتى يجازيك بالمثل ، بقربان تمتلىء به المائدة ، وبنقش يخلد به اسمك ، والله عليم بكل من يفعل شيئا من أجله» .

«ان الله قد رعى الناس ، وهم قطيع الله ، وهو راعيهم ، وقد خلق السماوات والارض كما يرغبون ، وخفف من حدة الظمأ بالماء ، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم ، وانها لصورة منه خرجت من أعضائه ، وهو يصعد الى السماء حسب رغبتهم ، وقد خلق لهم النبات والماشية والطيور والاسماك غذاء لهم ، ولكنه يعاقب كذلك ، فقد قتل أعداءه ، وحارب أبناءه بسبب ما دبروه عندما انقلبوا عليه ، وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون ، وجعلهم كذلك ينامون ، وهو يسمعهم عندما يبكون ، وجعل لهم حكاما وهم فى البيضة (أى قد وهبوا الحكم قبل الولادة) ليحموا ظهور الضعفاء منهم ، وجعل لهم من السحر سلاحا يتقون به الحوادث ، وهو الذى قتل عاتى القلب فيهم ، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه ، ان الله عليم بكل اسم (أى بكل انسان)» .

ثم تنتهى الارشادات بنصيحة عامة يفهم منها :

«ليتك تصل الى (أى فى العالم الآخر) دون أن يتهمك أحد ، لاتقتل

أحدا ممن يقفون قريبا منك ، بعد أن تكون قد امتدحته ، والله يعرفه — دع الدنيا كلها تحبك» •

«أنظر : لقد حدثتك بخير ما فى نفسى من أفكار وآراء ، فاعمل حسب ما تقرر أمامك» •

٤ ـ تعاليم الملك امنمحات الاول لولده سنوسرت

فى أوائل القــرن العشرين قبل الميـلاد ، جلس «امنمحات الاول» (١٩٩١ — ١٩٦٢ ق•م) على عرش الكنانة مؤسسا الاسرة الثانية عشرة والتى تمثل فترة من أزهــر فترات التاريخ المصرى القــديم (الدولة الوسطى) ، ورغم أن الملك «أمنمحات الاول» (سحتب ايب رع) انما كان على نشاط جم فى تدبير أمور مملكته ، وحسن تنظيمها ، ولم يدخر وسعا فى نشر الامن والسلام فى ربوعها ، فلقد دبرت مؤامرة لاغتياله ، بتدبير من الحريم ، فى أكبر الظن ، وقد اختلف المؤرخون فى نتائجها ، فذهب فريق الى أنها أودت بحياة فرعون ، بينما ذهب آخرون الى أن الرجل قد أصيب فيها ، ولكنه لم يلق حتفه ، ومن ثم فقد أشرك معه ولده «سنوسرت الاول» فى العرش ، ثم زوده بنصائحه فى الاثر المعروف باسم «التعاليم التى ألفها الملك «سحتب أيب رع» ، ابن رع ، أمنمحات متحدثا برسالة صدق لولده سيد الجميع» ، وهى قطعة أدبية ممتازة ، تشتمل على خلاصة تجاربه الشخصية الواسعة ، يصف فيها أعماله ، وما لقيه من جحود ، وسوء تقدير •

وكانت تعاليم «أمنمحات الاول» هذه ، من أحب القطع الادبية الى قلوب المصريين القدامى ، ومن ثم فقد كان لها نصيب كبير من الشهرة فى عهد الدولة الحديثة ، وتوجد من هذه التعــاليم أربع نسخ فيها النص الكامل ، كما وردت أجزاء منها على نحــو تسع قطع من «اللخــاف» (الاستراكا) ، يرجع تاريخها الى عصور مختلفة ، تبدأ فى الاسرة الثانية عشرة ، وتنتهى فى الاسرة العشرين ، أى خلال فترة لا تقل عن أربعة قرون ، وان كان كثير منها انما هو تمارين كتبها طلبة المدارس فى عهد الاسرة التاسعة عشرة ، ومن ثم فهى حافلة بالاخطاء •

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر هذه التعاليم ، لعل من أهمهم :

«جريفث»[1] و «ماسبيرو»[2] و «فولتن»[3] و «هلك»[4] و «لوبز»[5] ، كما ترجمها وعلق عليها كل من «برستد»[6] و «ارمان»[7] و «ويلسون»[8] و «جاردنر»[9] و «دى بك»[10] و «فولكنر»[11] و «أنثيس»[12] و «جدكه»[13]، وغيرهم[14] ، وهذا فضلا عن الترجمات العربية للتعاليم[15] .

ويقول الملك «أمنمحات الاول» (سحتب ايب رع) فى نصائحه لولده «سنوسرت» :

---

(١) F. L. Griffith, The Millingen Papyrus, in ZAS, 34, 1896, p. 35-51.

(٢) G. Maspero, Lesenseigenments d'Amenemhat Ier d Son fils Sanoudsrit Ier, Cairo, 1914.

(٣) A. Volten, Zwei aliagyptische Politische Schriften, 1945, p. 104-128.

(٤) W. Helck, Der Text der Lehre Amenemhets, I fur Seinen Sohn, Wiesraden, 1969.

(٥) J. Lopez, les Papyrus Millingen, in RdE, 15, 1963, p. 29-33, Pls. 4-8.

(٦) J. H. Breasted, in ARE, I, Parag. 474-483.

(٧) A. Erman, in LAE, 1927, p. 72-74.

(٨) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 418-419.

(٩) A. H. Gardiner, in Melanges Maspero, I, p. 479-496.

(١٠) A. de Buck, in Melanges Maspero, I, p. 487-852.
A. de Buck, in le Museon, 59, 1946, p. 183-200.

(١١) R. O. Faulkner, in Griffith Studies, p. 69-73.
R. O. Faulkner, The Literature of Ancient Egypt, p. 193-197.

(١٢) R. Anthes, in JNES, 16, 1957, p. 176-190, 17, 1958, p. 208-209.

(١٣) H. Goedicke, in JARCE, 7, 1968, p. 15-21.

(١٤) M. Malinine, in BIFAO, 34, 1934, p. 63-74.
M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, 1975, p. 135-139.

(١٥) احمد بدوى : المرجع السابق ص ١٢١ ــ ١٢٣ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٨١ ــ ٨٥ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٦٧ــ ١٦٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٢ ــ ٤٤٣ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢٦ ــ ٣٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٩٨ ــ ٢٠٦ ، محمد بيومى مهران : مصر ٣٣٧/٢ ــ ٣٤٨ (الاسكندرية ١٩٨٨)، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٦٠ ــ ٣٦٢ .

«أنت يا من غدوت ملكا ، استمع لما أقول ، حتى تصبح ملكا على البلاد ، وتحكم على ضفاف النهر ، وتسيطر على العالم ، وحتى يمكنك أن تحقق الخير ، خذ الحذر من عمالك ، فما أطاع الناس الا من أرهبهم، واياك أن تدنو منهم وحدك ، لا تثق بأخ ، ولا تصطفى لنفسك صاحبا ، أو تتخذ خليلا ، فلا خير فى ذلك ولا جدوى منه» •

«لتكن حارس نفسك عندما تنام ، حرصا على حياتك ، فلا صديق لامرىء فى ساعة الشدة ، فأنا قد أعطيت السائل ، وربيت اليتيم ، وأعنت المعدم ، ومع ذلك ، فالذى أكل خبزى هو الذى استعدى الناس على ، والذى مددت له يد المعونة ردها بالمكيدة ، والذين اكتسوا بكتانى الفاخر نظروا الى كخيال ، والذين ضمختهم بعطورى قد أنتنوا أنفسهم بطيبها ، فدخلوا مخدعى ليغدروا بى» •

«ان تماثيلى وصورى قائمة بين الاحياء ، وأعمالى ذائعة بين الناس، ومع ذلك فقد دبروا مؤامرة ضدى لم يسمع بها أحدا ، وأقاموا صراعا كبيرا لم يره أحد (أى لم يفش أحد الى بسره) ، لقد قاتل الرجال فى مكان الصراع ، ونسوا ما كان بالامس ، ان حسن الطالع لا يكون من نصيب من يجهل ما دبر له» •

«كان ذلك بعد العشاء ، حينما أقبل الليل ، وكنت قد اضطجعت فى فراشى بغية أن أحظى بساعة من هدوء ، فقد كنت مجهدا مكدودا،فسعت نفسى وراء النوم ، ولكنى بصرت بأسلحة تبرق ، وسمعت من يذكر اسمى ، فظللت فى مكانى كثعبان الصحراء ، ثم سرعان ما قمت لاحارب وحدى ، وقد أدركت أن هذا هجوم دبره الحرس ، ولو كان فى يدى سلاح لشتت أولئك المخنثين شذر مذر ، لولا أنه ما من شجاع بليل ، وما استطاع انسان أن يحارب وحيدا ، وليس هناك نجاح بغيرك أنت الذى تقوم على حمايتى »•

«أنظر : كيف أريق الدم ، وأنت بعيد عنى ، وها أنذا أعهد اليك بالملك ، قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط ، وانى لفاعل ما تريد ، ومن قبل

لم آخذ الحيطة لشر تلك المؤامرة ، لانى لـم أكن أتوقعها ، ولم تفطن نفسى الى تراخى الحرس» •

«أنظر : أكانت المؤامرة بفعل الحريم ، أنبتت بذورها فى أركان بيتى، أم خدع الخدم فيما فعلوا ، ان سوء الطالع لم يلزمنى منذ ولادتى (كما لزمنى اليوم) ، ولم يحدث شىء من قبل يعدل بسالتى واقدامى ، ومع ذلك فهذه خاتمة كل شىء» •

«لقد شققت طريقى حتى «اليفانتين» (آبو = جزيرة أسوان) ، وطويت الارض حتى أخوار الدلتا ، ووقفت عنـد أطراف الارض ، وخبرت أواسطها ، وبلغت معاقل الحدود بقوة يمينى ، وبما قمت به من جلائل الاعمال» •

«لقد زرعت القمح ، وأحببت الاله «نبر» (اله الحبوب) ، وحيانى النيل فى كل واد ، ولم يشعر أحد بالجوع أو الظما فى عهدى ، وكان كل الناس راضين عما فعلت ، والجميع يقولون : لقد أجبت كل رغبة ، لقد قهرت أهل «واوات» ، وأسرت «المجاى» ، وجعلت الاسيويين يفرون كالكلاب» •

«لقد أقمت لنفسى بيتا مزينا بالذهب ، وحلى سقفه باللازورد،وكانت لجدرانه أسس عميقة ، واتخذت أبوابه من النحاس ، ومتاريسهـا من البرونز ، وقد صنعت للخلود ، وتحدى الابدية» •

ثم يختم الملك امنمحات نصائحه لولده سنوسرت بقوله :

«أيها الملك سنوسرت ••• لتسر أقدامك ••• أنت قلبى ، وعيناى ترمقانك ، ان الاطفال أنفسهم يحسون النشوة حتى يقفون الى جانب الخـلق الذين يقدمون لك المديح •••» تأمل اننى مهدت وجهدت فى البداية ، وأنت تسيطر فى النهاية ••• هناك بهجة فى قارب رع فالتماثيل قد أقيمت ، وقبرك سيكون فاخرا» •

الكتـــاب الثـــانى

العـــــــلوم

الفصل الأول

المراكز الثقافية ودور الحياة

١ ـ تقـــديم

لاريب فى ان الثقافة والعلم والمعرفه انما قد كانت فى عقيدة المصريين القدامى اسمى ما يمكن أن يصل اليه المرء فى حياته ، كما كانت سبيل الخلود بعد مماته ، فاسم العالم فوق الاسماء ، وعلمه من نور السماء ، ومن ثم فليس غريبا أن يجعل شعب مصر أصحاب العلم والمعرفة فى المكان الاول من دنياهم وأخراهم ، وذلك لانهم يعلمون وغيرهم يجهلون ، وهم الذين رسموا لأهل زمانهم ، ولمن جاء من بعدهم من أجيال البشر ، صور الحياة باشكالها وأسمائها ، وهم الذين تخيلوا مصائر الناس ، ورسموا لها ـــ ما توهموا ـــ من صور ، ثم هم الذين خالوا ، وصورا ما خـــالوا من عوالم السماء ، ومكان عرش الله تعالى منها ، وجعلوا عنده خزائن العلم وأسراره ، يهبط بها «تحوت»[١] ـــ فيما يظنون ـــ ليهدى من يشاء من علم السماء ما يعمرون به الارض ، ويملأونها خيرا ونورا •

هذا وقد مجد المصريون القدامى ـــ والحمد لله ـــ أبطال الفكر ، لم يدفعهم الى ذلك خوف أو ملق ، ولكنهم فعـــلوا ذلك عن ايمان ويقين ، وحسبنا أنهم رفعوا رسل العلم والثقافة فوق مراتب البشر العاديين ، ولدينا من سير أولئك على سبيل المثال «ايمحوتب»[٢] ، ذلك الذى ملأت شهرته آفاق الدنيا ، واستطاعت أن تفرض نفسها على الايام من مطلع الاسرة الثالثة (فى أوائل القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد) حتى أدرك التاريخ بمصر زمان البطالمة (فى القرن الثالث قبل الميلاد) الذين عرفوا سيرة الرجل فأبلغوه مراتب الالهة ، وكانوا قد سمعوا بما له من معرفة بالطب •

وهكذا فقد شاد مريدو «ايمحـــوتب» ـــ بصفته ربا للشفاء ـــ فى

---

(١) أنظر (تحوت» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ٢/٣١٣ ـ ٣١٥) •
(٢) أنظر عن (ايمحوتب» (محمد بيومى مهران : مصر ٢/١١٨ ـ ١١٢) •

العصر الاغريقى،مقصورة فوق السطح العلوى لمعبد الملكة «حتشبسوت» فى الدير البحرى،وشبهوه — فيما يرى مؤرخنا الوطنى مانيتو — بالمعبود الاغريقى «اسكلبيوس» — راعى الطب والحكمة — ومجدوه لمهارته فى الطب ، وفى الادب والكتابة ، فضلا عن استخدامه الحجر المنحـوت فى البناء ، ومن ثم فقد قدسوه فى «الاسكلبيون» المجاور للعاصمة المصرية «منف» ، وهو معبد أقاموه فوق ما ظنوا أنه قبره القديم ، جنـوبى السرابيوم ، وهكذا أصبحت سقارة من أهم المناطق التى تمتعت بشهرة فائقة فى عبادة «ايمحوتب» ، ولعل كل هذا انما يعنى أن المجد فى مصر الفرعونية لم يكن مقصورا على الفراعين وحدهم ، وانما كان للنوابغ من عامة القوم نصيب منه يزيد عن نصيب الفراعين أحيانا •

وهناك «أمنحتب بن حابو» الذى عاش على أيام «أمنحتب الثالث» من فراعين الاسرة الثامنة عشرة ، وقدسه القوم بعـد وفاته ، فكانوا يحجون الى مزاره فى الدير البحرى بجبانة طيبة ، التماسا للشفاء ، ولما كان زمان البطالمة ألهوه ، كما ألهوا سلفه ، ومازالت الدنيا تذكر غـير هذين العظيمين من شيوخ العلم والحكمة فى مصر الفرعونية أبطـالا ، نذكر منهم على سبيل المثال «بتاح حوتب» ، و«ددف حور» و «كاجمنى» من زمان الدولة القديمة ، كل أولئك من الاسماء الخالدة فى تاريخ مصر، ويرجع الفضل فى ذلك الى رجاحة العقل المصرى الوفى الذى عرف كيف يمجد العلم وأهله •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن المصريين القدامى لم يروا أبدا فى التعليم لونا من ألوان الترف ، ولكن كان التعليم عندهم ضرورة من ضرورات الحياة ، بل ربما كان عندهم كالطعام والشراب ، وحسبنا أن نرى من صور حياتهم كيف أن الولد الجاهل قد كان حملا ثقيلا على كتفى أبيه ، كان له مصدر تعاسة وشقاء فى حياته ، يطأطىء الرأس خجلا من بنوته ، ويضيق به حتى ليتمنى له الموت أحيانا ، فى حين كانت الفضيلة — كل الفضيلة — فى تعليم الابناء،لينقذوا أنفسهم من الجهالة والضلالة، وليغسلوا عن ذواتهم قذر الجهل ، وليوقوا آباءهم وذويهم كل حـرج

وضيق ، ولينفعوا أنفسهم وأبناءهم ، وليؤدوا رسالاتهم فى الحياة ، وينتظروا الجزاء على ذلك فى الآخرة •

وعلى أية حال ، فلقد كانت دوافع التعليم فى مصر ثلاثة : دافع التعلم للانخراط فى سلك الهيئة الحاكمة ، ودافع التعليم لخدمة المطالب الدينية أو لاكتساب نصيب من العلم الدينى الشخصى ، ثم دافع التعليم تقديرا للعلم وكرامته •

هذا وقد اقتضت طبيعة الحياة وظروفها فى مصر الفرعونية أن يكون التعليم فيها أول الأمر مهنيا ، ونعنى تعليما يفى بحاجات البلاد من موظفين واداريين ، وعمال وفنيين ، كما كانت العلوم فيها تطبيقية ، أما العلوم النظرية التى تقتضى أصحابها البحث الدقيق ، والنظر الطويل ، والسعى المتصل ، بغية الوصول الى النتائج العلمية المرتقبة ، فلم تكن مما يهم العالم القديم فى شىء ، ذلك لان العالم القديم لم يكن قد فرغ بعد من بناء حياته العملية ، ليتجه الى العلم النظرى ، ومن ثم فقد كان طبيعيا ألا يتعدى نشاط المصريين العقلى — وهم يضعون القواعد ، ويرسون عليها بناء حياتهم — نطاق ما تقتضيهم مشاكل الحياة اليومية من حلول •

وهكذا مارس المصريون الفلك ليحددوا موعد الفيضان بغية الوصول الى مواقيت الزرع والحصاد ، وقد وصلوا عن طريق ذلك الى وضع تقويم شمسى ، هو تقويم عالمنا اليوم ، واهتموا بالحساب للانتفاع به فى ضبط حاجاتهم العملية فى البيع والتجارة والاحصاء وتحصيل الضرائب ، واقامة المشروعات العامة من سدود وجسور وقنوات ، واقتضتهم حياة الزراعة أن يمارسوا المساحة ليعرفوا ما يطرأ على أرضهم الزراعية من نقص وزيادة بسبب فيضان النيل كل عام ، ومارسوا علوم الهندسة ، وبخاصة المعمارية منها ، فأتقونها اتقانا لفت أنظار العالم وأثار اعجابهم قديما وحديثا ، ومازالت الدنيا ترى آيات براعتهم فيما بقى من آثارهم الخالدة ، من أهرام ومعابد ومسلات وقبور نحتت فى الصخر ، وغير ذلك من كل مبهر ومعجز •

وعرفوا التشريح لكثرة ما مارسوا من تحنيط أجساد الانسان والحيوان ، الذى أتاح لهم الاطلاع على أدق الاسرار فى بنية الاجساد، وأكسبهم خبرة بنوا عليها معارفهم الطبية ، وجعلهم يومئذ أبرع أطباء الدنيا ، واقتضتهم حياتهم الفنية فى مجال الرسم والتلوين والتصوير والصباغة ، وصناعة الادوية والعقاقير أن يمارسوا كثيرا من الصناعات الكيميائية حتى برعوا فيها ، وحتى نسبها التاريخ الى وطنهم العظيم ، وجعلهم فيها أئمة •

وهكذا حملت مصر القديمة مشعل العلم والحضارة فى مختلف مظاهره وتعهدته بالرعاية ، فظل دهرا طويلا يضىء العالم ، حتى تسلمته منها شعوب أخرى نقلت الشعلة الى بقية أرجاء العالم فأضاءته ، وكانت القبس الذى أخذت منه ، والمعين الذى نهلت منه •

هذا وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن المصريين القدامى كان لهم ــ بجانب معارفهم وعلومهم التطبيقية ــ علوم نظرية ، قامت على أسس دن الفكر الانسانى والبحث المنظم والمنهج التجريبى ، ولكنها لم تكن تعالج بنفس العمق أو على أساس من قواعد البحث العلمى المتبعة الان فى عصرنا هذا ، ولولا ذلك السياج القوى من السرية والغموض الذى أحاط به الكهنة المصريون علومهم ، لأمكننا التوصل الى الكثير من الآراء والنظريات العلمية التى كان لهم الفضل فى اكتشافها •

وقد قال « هيرودوت » فى أحاديثه عن مصر : « أما عن المصريين أنفسهم ، فهم أولئك الذين يعيشون فى الارضين المنزرعة ، ويهتمون دون سائر الناس اهتماما كبيرا بتمرين الذاكرة ، وهم فى العلم يتفوقون كثيرا على كل الشعوب التى خبرتها» ، ويقول : «لقد اكتشف المصريون من آيات الغيب أكثر من كافة الشعوب قاطبة ، وذلك لانه كلما حدثت معجزة خارقة ، راقبوا نتيجتها وسجلوها ، فاذا ما حدث شىء مشابه بعدئذ ، ظنوا أن عاقبته ستكون شبيهة بما سبقها» •

«والمصريون أول من عرف السنة الشمسية ، ووضعوا تقويما تفوقوا

به على اليونانيين ، وأول من سمى الآلهة بأسمائها وأول من أقـام لها المعابد والهياكل والتماثيل ، وأول من حفر الصور على الاحجار ، ثم هم أسبق الناس الى اقامة الاعياد العامة والمواكب ، وعنهم تعلم اليونانيون ذلك ، وهم أول العرافين ، وعنهم نقلت العرافة الى بلاد يونان» •

«وهم أول من راعى السنة التى تحرم مباشرة النساء فى المعابد ، ودخولها بعد ذلك دون اغتسال ، وهم أكثر الشعوب مراعاة للنظافة» •

هذا ولم ينس المؤرخون والفلاسفة من الاغارقة والرومان أن يذكروا بعض علوم المصريين ، التى اخذها عنهم اليونان ، ومنها علم المساحة ، وعـلوم الحساب والهندسة والفلك والرسم ، فضـلا عن الكتابة التى اعتبروها مصرية النشأة •

وهكذا فلئن كان العالم الغربى اليوم يقر بأن اليونان مصدر حكمته وعلومه وفلسفته ، فان اليونان أنفسهم ، انما قد أقروا من قبل بأن مصر انما كانت المورد الذى طالما لجأوا اليه ، ليغترفوا من نبعه ، وهكذا رأينا كثيرا من الفلاسفة والعلماء الهلينيين قد عبروا البحر المتوسط يلتمسون الاصول والمبادىء فى كل جديد من العلوم فى رحاب الكهان المصريين ، وكان الذين لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، يضيفون الى ما يسطرون من سيرهم من الوقائع بعض ما يشير الى وقوع هذه الرحلة التى أصبحت تقليدية ، بقدر ما كانت ضرورية فى حياتهم ، وكان من أول هؤلاء الرحالة Orphee الذى شارك فى الاحتفال بأعياد الاسرار الخاصة بالمعبـود «ديونيس» ، وكذا «هوميروس» و «سولون» و «افلاطون» وغيرهم •

ومن ثم فقد ظلت مصر ــ حتى وقتما آذن مجدها بأفول ــ تعتبر لدى أغلب من وفدوا عليها وكتبوا عنها من الاغريق ، مهد الرقى وكنز الحضارة ، وهكذا تحدثت «الاوديسة» عن مصر ، وكأنها «بلد الاطباء أحكم أهل العـالم» ، و «سولون» يشـير الى أن مصر كانت بفضـل تشريعاتها ملهمة له ، فيما قدمه للانسانية ، و «طاليس» يشير الى أنه درس مبادىء الهندسة عن المصريين ، وأنه نصح تلميذه «بيتاجوراس»

أن يدرس في مصر ، فقضى هذا بها اثنين وعشرين عاما يدرس الفلك والهندسة ، و «افلاطون» جاء الى مصر لينهل من المعرفة التى اشتهر بها حكماؤها ، واستعان على نفقات رحلته اليها بشحنة من الزيت ، ثم أوفد بعد عودته تلميذه «يودكسوس» الذى قضى بمصر حينا من الدهر يتعلم الفلك ، واليه ينسب عادة ترجمة بعض المؤلفات المكتوبة باللغة المصرية الى الاغريقية، وادخال بعض معلومات دقيقة الى بلده عن «سير الكواكب الخمسة» التى مازالت لم تحدد بعد بدقة ، والتى عرف الرجل ما عرف عن طبيعتها الحقيقية ابان اقامته بمصر ، وتلك في الغالب هى « نظرية الدائرة التى وسطها على محيط دائرة كبرى» .

هذا ويشير الكتاب الاغريق — في أغلب الاحوال — الى الهندسة والفلك ، عندما يذكرون كهان مصر ، وقد يضيفون الى ذلك أحيانا علم اللاهوت ، عندما يرضى الكهنة فيكشفون لضيوفهم عن أسرار هذا العلم، ويحدثنا «بروفيريوس» (٢٣٣ — ٣٤٠م) عن رحلة «فيثاغورث» الى مصر ، فيقول : «بعد أن استقبله الفرعون «أحمس الثانى» (٥٧٠ — ٥٢٦ ق.م) ملك مصر ، حصل منه على رسائل توصية لكهنة «هليوبوليس» (عين شمس) الذين أرسلوه بدورهم الى كهنة منف ، باعتبارهم أعرق منهم . وان كان المقصود بذلك ابعاده عنهم ، ومن ثم فلنفس السبب أرسله كهنة منف الى «طيبة» (ديوسبوليس) ، وهنا ، خوفا من الفرعون، ولعدم عثورهم على سبب مقنع لابعاده عن معبدهم ، ورغبة في التخلص منه ، فلقد أجبروه على الخضوع لنظام قاس ، وعلى أن ينفذ ذلك في غاية من الصرامة ، ولكنه صبر على ذلك وثبت له ، فكان ينفذ في همة ونشاط كل ما كان يطلب منه ، حتى نال اعجابهم ، فعدلوا عن سلوكهم نحوه ، وأخذوا يعاملونه باحترام ، لدرجة أن سمحوا له بالتضحية لآلهتهم ، وهو شرف لم ينله غريب قبله».

هذا وقد جاء الى مصر حكماء وفلاسفة آخرون من الاغارقة ليتعلموا في المعابد المصرية ، ونحن نملك من التفاصيل أحيانا ما يبين مراحل تدريبهم ، فهذا «أونوبيدس» مثلا أخذ عن الكهنة والفلكيين كثيرا من

الاسرار ، ومن ذلك : أن الشمس تدور فى شكل اهليجى (أى أن سمت الشمس المنحرفة يقع على خط الاعتدال فى السماء) ، وتتجـه اتجاها مضادا لاتجاه الكواكب الاخـرى ، أما «ديموقريط» فقد عاشر الكهنة خمس سنوات ليتعلم ما يتصل بالفلك والهندسة •

وأما الجغرافى «سترابون» فهو يروى لنا فى وصفه لمصر ، رحلته الى هليوبوليس ، فيقول : «لقد رأينا هناك الابنية التى كانت مخصصة فى الماضى لسكنى الكهنة ، كما أطلعونا على مسكن افلاطون ، و «يودكسوس» لان الاخير قد صاحب افلاطون الى هذا المكان» ، وفيما تلا ذلك من عصور قال أحد المتصوفين الرومان على لسان أصحابه : «اننا لنعلم أن الآلهة كانت والاتزال تقطن مصر» كما ناقش غيره السبب فى أن من ولدوا فى مصر المقدسة انما كانوا دائما أكثر فطنة ممن يولدون خارجها ، وغير هذا وذاك كثيرون •

وهكذا كانت الرحلة الى مصر ــ فى نظر الاغريق ــ رغم أنها تمت فى العصور المتأخرة من الحضـارة المصرية ، من الضروريات فى حيـاة الفلاسفة اليونان ، فقد كانت مصر تعتبر موطن العلم والحضارة ، وكان على شيوخ الحكماء أن يمضوا فيها وقت المران والدربة ، ولقد نجحت التقاليد فى تأكيد ذلك على الاقـل ، حتى لو كان البعض منهم لم تطأ أقدامه أرض الكنانة أبدا •

ولعل هذا كله انما يشير بوضوح الى أن الشهرة العامة للحكمة والعلم اللذين استقرا فى أذهان الاغريق من أهل العصور القديمة مرتبطين بطبقة كهنوت المعابد المصرية الكبرى ، ذلك أن فلاسفـة اليونان ــ مهما كانت شهرتهم ــ انما كانوا يكتسبون مزيدا من اعجـاب شعبهم ، اذ بينوا أن رحلتهم الى مصر ، انما كانت مصدرا من مصادر علمهم ، وذلك بسبب شهرة الكهنوت المصرى فى المعابد المصرية الكبرى بالحكمة والعلم ، وقد استمرت هذه الشهرة حتى كتابة «الانجيل» فى القرن الرابع الميلادى ، حيث جاء فى أعمال الرسل عن سيدنا موسى عليه السلام ، «وتهذب بكل

حكمة المصريين»[٣] .

٢ ـ المراكز الثقافية الكبرى

لعل أهم المراكز الثقافية فى مصر انما كانت فى عـين شمس والاشمونين وطيبة وصا الحجر :

١ ـ عين شمس : (اون = ايونو = هليوبوليس) :

كانت «أون» عاصمة الاقليم الثالث عشر من أقاليم مصر الد وتقع فيما بين عين شمس (أو فى مكانها) وبين المطرية شمالى الق ويشير «هيرودوت»[٤] (٤٨٤ ـ ٤٣٠ ق.م) الى أنها كانت بحق العلم والعرفان ، وكان علماؤها أحكم أهل مصر ، وأغزرهم علما يشار اليها وكأنما هى موطن الاسرار المقدسة التى تدرس فيها العقائد ، وتحوى مكتبتها ذخائر العلوم ، ويتخرج فيها المبرزو الاطباء والفلكيين والحكماء ، وقيـل أن المؤرخ المصرى «مانيـ (٣٢٣ ـ ٢٤٥ ق.م) قد جمـع تاريخه من سجـلاتها ، وكان د «سترابون» أن شاهد أطلال دور حـكمائها ، وان كان قد انقض الفلاسفة والفلكيين على أيامه ، بعد أن تخربت معاهدهم ، كما ي ويشير مؤلف بردية «ايبرس» الى أنه تلقى علومه فى «هليوبوليس أن يتجه الى سايس .

---

(٣) أنظر : نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ، أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم ف ص ٨٥ ـ ٨٦ ، ٢٣٧ ـ ٢٤٠ ، عبد العزيز صالح : التربية والتعليم ف القديمة ص ١٣١ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ، سيرج سونيرون : كهان مصر الق ص ١٢٣ ـ ١٣٠ ، هيرودوت يتحدث عن مصر : ترجمة محمد صقر خ وتقديم أحمد بدوى ص ٦٧ ـ ٧٢ ، ١٢٤ ، ١٥٩ ، ٢٢٦ ، ١٨٢ ـ أعمال الرسل ٧/٢٢ ، وكذا

ebvre, Romans et Contes Egyptians, Paris, 1949 p. 221.

Schubart, Die Greichen im Aegypten, 1927, p. 6-7.

(٤) أنظر عن «هيرودوت» (محمد بيومى مهران : مصر ـ الاول ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٧٤ ـ ٨٢) .

(٥) أنظر عن «مانيتو» (محمد بيومى مهران : المرجع الس ص ٦٥ ـ ٦٨) .

هذا وقد كفل لمدينة «عين شمس» شهرتها فى الفلسفة والدين قدم مذهبها فى نشأة الوجود ، ثم ارتباطها باله الدولة «رع» فقد تداخل مذهبها الذى اتخذ «رع أتوم» المكانة الرئيسية فيه فى أغلب فلسفات المصريين الدينية والاسطورية ، وأضحى موضعا لتأويلات وشروح المجتهدين ، هذا فضلا عن أن النشاط العلمى والفكرى فى عين شمس قد تعدى أصول الفلك والدين وفلسفته وأسراره وتدريس الحكمة وآداب السلوك ، الى الطب ، ومن ثم رأينا مؤلف بردية ايبرس الطبية يقول : «لقد تخرجت من أون مع كبراء القصر العالى ، أرباب الحماية وسادة الابدية»[6] .

٢ ـ منف (انب حج) :

لم تكن جامعة عين شمس اللاهوتية العلمية وحدها هى منار العلم فى مصر الفرعونية ، وانما كانت تنافسها ـ بل وتجهد أن تظهر عليها ـ منف[7] (وتقع تحت وبجوار قرية ميت رهينة ، بمركز البدرشين ، على مبعدة ٢٢ كيلا الى الجنوب من القاهرة) ، وقد كان لها مذهب ينافس أون فى نشأة الوجود[8] ، كما كان كبير كهنة الاله «بتاح» فيها يحمل لقب «عظيم الفنانين» .

وهناك مراكز أخرى عريقة للثقافة مثل «الاشمونين» (خمنو المصرية،

---

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٢ ـ ٣٥٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا

W. W. Tarn, Hellenestic Civilisation, 1930, p. 235-236.

CAH, VII, p. 260

Strabo, XVII, 29.

A. D. Nock, JEA, XI, p. 127.

(٧) انظر عن (منف» (محمد بيومى مهران : مصر ـ الجزء الثانى ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٧٨ ـ ٨٢) .

(٨) انظر عن نشأة الوجود فى نظرية عين شمس (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ـ الجزء الثانى ص ٢٤٣ ـ ٢٤٩) وعن نظرية منف (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٥٤ ـ ٢٦١) .

(٩) انظر عن الاشمونين (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٦٥) .

وتقع على مبعدة ١٠ كيلا شمال غرب ملوى بمحافظة المنيا) مركز عبادة «تحوت» رب الحكمة وعاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم مصر العليا (الصعيد)، ثم «طيبة» (الاقصر) عاصمة الامبراطورية، ولكل منهما نظريتها الخاصة بنشأة الوجود[١٠].

ثم هناك «أبيدوس»[١١] (ابجو = عرابة أبيدوس على مبعدة ١٠ كيلا غربى البلينا بمحافظة سوهاج)، المركز الديني الممتاز، حيث كان القوم يزعمون أن رأس معبودهم «أوزير» دفنت فيها، ثم هناك «سايس»[١٢] عاصمة الاقليم الخامس من أقاليم الدلتا (ساو المصرية، ومكانها الآن صا الحجر، على مبعدة ٧ كيلا شمال بسيون بمحافظة الغربية) ومدينة الطب فى عصر النهضة (الاسرة السادسة والعشرون ٦٦٤ — ٥٢٥ ق.م).

٣ ـ دور الحيـــاة

اختلف الباحثون فى «دور الحياة» (برو — عنخ)، فبينما ذهب فريق الى أنها معاهدة علمية، ذهب فريق آخر الى أنها لا تعدو أن تكون دورا للنسخ والتصنيف[١٣]، وقد عرفت «دور الحياة» فى مصر منذ الدولة القديمة، وكانت توجد فى الحواضر الهامة، وحيث وجدت المعابد الكبيرة، ففى دائرة معبد الاله «مين» فى مدينة «قفط» (على مبعدة ٢٢ كيلا جنوبي قنا) عاصمة الاقليم الخامس من أقاليم الصعيد، قامت دار حياة تواتر ذكرها من الدولة القديمة، كما تواتر من العصور المتأخرة.

هذا وقد وجدت دور الحياة أيضا فى المراكز الدينية الكبرى، مثل عين شمس ومنف، فضلا عن تلك التى كانت تنسب الى المعبود «خنوم»، والتى يحتمل وجودها فى مراكز عبادته، كما فى اليفانتين (جزيرة أسوان)

---

(١٠) أنظر عن نظريتى الاشمونين وطيبة فى نشأة الوجود (محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٢٤٩ — ٢٥٤، ٢٦١ — ٢٦٥).

(١١) أنظر عن «أبيدوس» (محمد بيومى مهران: مصر ٧٤/٢—٧٨)

(١٢) أنظر عن سايس (محمد بيومى مهران: الحضـــارة المصرية القديمة ص ١٧١).

(١٣) A. H. Gardiner, Onom., I, 1947, 35.

وكذا A. H. Gardiner, The House of Life, in JEA, 24, p. 167-177.

وادفو واسنا والطود ، هذا فضلا عن تلك التى وجدت فى غير أيام الدولة القديمة ، كما فى طيبة وأبيدوس والعمارنة والبرشا والحيبة واللشت (ايثت تاوى) ، وفى سايس وتل بسطة ، فمن الحقائق المفترضة أنه كان لكل معبد ذى مكانة ملحوظة «دار حياة» خاص به •

وكان خريجو «دور الحياة» يشغلون عادة مكانة ممتازة ، ومركزا مرموقا فى المجتمع المصرى القديم ، فالواحد منهم انما هو «كاتب دار الحياة» ، «ما من أمر يسأل عنه ، الا ويجد له جوابا مناسبا» ، وكان أبرز ألوان النشاط فى «دار الحياة» هو اعداد الكتب الدينية اللازمة للعبادة ، وذلك باعادة كتابة المخطوطات القديمة وتصحيح ما فيها من أخطاء ، وسد ما فيها من فراغ يتسبب عما لحق القراطيس من فعل الديدان الارضية ، كما كانت تعد هناك النصوص الدينية ، وبخاصة ما اتصل منها بأمور العبادة المتعلقة بكل معبد ، هذا فضلا عن تسطير الكتب السحرية الخاصة بالحماية من الشر ، الى جانب الجداول الفلكية كما كانت تنسخ من «كتاب الموتى» آلاف النسخ ، ويمكننا القول بصفة عامة ان كل ما كان ينقش على جدران المعابد ، وكل ما كان ينسخ من قراطيس البردى التى كانت تقتضيها شئون العبادة ، وسائر عناصر الثقافة الكهنوتية ، انما كان يخرج من «دور الحياة» •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن المتخرجين فى دور الحياة لم يكونوا كهنة بالمعنى المعروف ، فهم ألصق بالعلم منهم بالدين ، وألقابهم تشير الى تمسكهم بالالقاب الخاصة بالكتاب ، أكثر من التصاقهم بألقاب الكهنة ، وان كان هذا لم يحل أن يجمع بعضهم بين وظائف دور الحياة، ووظائف الكهانة فى آن واحد ، أو أن يتولى منصبا دينيا فى دار الحياة نفسها ، بحيث ظهر منهم من تلقب بلقب «الكاهن الاعلى لدار الحياة» ، ومن تلقب بلقب «الكاهن الاول لدار الحياة» ، ومن تلقب بلقب «الاب المقدس لرع أتوم فى دار الحياة» •

وتشير نصوص من العصور المتأخرة الى أن كتبة دور الحياة انما كانوا يفحصون بأنفسهم العلامات فى الحيوانات المقدسة ، والشرائط التى

يجب توافرها فيها ، تبعا لما تحت أيديهم من وثائق ، كما كان يعهد اليهم بكتابة أناشيد التعبد للملوك المتأخرين ، وكتابة نسخ منها لمختلف المعابد، وكانت مواكب أعياد الالهة تقصد بهو الاحتفالات فى دور الحياة ، فتقوم هيئة الدار بافتتاح الحفل ، وتفسير اسم المعبود •

وليس هناك من ريب فى أن من أهم واجبات دور الحياة تعليم الآداب والمعارف العامة ، اذ أنه كان يفترض فى كتبة دور الحياة التعمق فى العلم ، والسحر بصفة خاصة ، حتى كان يلقب المتخرج فيها بلقب «رئيس السحرة» ، وطبقا لما جاء فى الاساطير ، فهم يستطيعون معالجة الامور بسحر يستعصى فهمه ، قد يصل الى مرحلة اعادة الحياة الى الاوصال المقطوعة ، كما رأينا من قبل فى أسطورة خوفو والسحرة ، ومن المعروف أن السحر عند القوم انما كان شديد الصلة بالدين ، ومن ثم فلا غرو اذن اذا اجتمعت هذه الدراسات فى صعيد واحد ، وان صعبت التفرقة فى التخصص بينهما •

هذا وكانت هناك صلة وثيقة لدور الحياة بالطب والاطباء ، كما يشير الى ذلك الكاتب كبير الاطباء «وجاحررسنت» الذى عاصر «أحمس الثانى» (٥٧٠ — ٥٢٦ ق•م) و «بسمانتيك الثالث» (٥٢٦ — ٥٢٥ ق•م) وكان مقربا من «قمبيز» (٥٢٥ — ٥٢٢ ق•م) و «دارا الاول» (٥٢٢ — ٤٨٦ ق•م) فى نص جاء فيه : أن دارا أعاده الى مصر ، بعد أن كان قد اصطحبه الى فارس ، «لاصلاح أقسام دور الحياة الخاصة بالطب ، بعد أن تخربت» ، وقد وجه جهوده الى مدينة سايس ، عاصمة البلاد وموطنه الاصلى ، وفى هذا بطبيعة الحال تعزيز لما ذكره صاحب بردية ايبرس الطبية من أنه فى سايس ، حيث كان مع أمهات الآلهة ، كما فيه أيضا دلالة على أن هذه المدينة انما كانت مركزا هاما للدراسات الطبية فى مصر القديمة •

هذا ويبدو أن «دور الحياة» لم تكن دائما فى المعابد ، وانما كانت فى مبان ملحقة بالمعابد ، كما تشير الى هذه التفرقة بعض النصوص المتأخرة، وقد تعرف «بندلبرى» على أطلال دار حياة فى العمارنة بعد أن وجد

أختاما مرقومة باسمها على بعض قوالب اللبن التى بنيت بها ، وقد تبين أنها كانت على مبعدة ٤٠٠ مترا ، جنوبى معبد أتون الكبير فى العمارنة ، وعلى مبعدة مائة متر شرقى المعبد الصغير ، والضاحية الملكية ، هـذا ومما يؤيد تميز مبانى دور الاحياة عن المعابد — فيما يرى جاردنر — نص فى معبد ادفو وصف تنقلات الاله «حور» فى أحد أعياده ، فذكر : أنهم اتجهوا من المعبد الى بهو دار الحياة حيث يؤدى كل احتفال لدار الحياة، ثم قضوا ليلتهم فى هذا المكان[١٤] .

---

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١٩ ـ ٢٢٨ ، نجيب ميخـائيل : المرجع السـابق ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ ، ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، سيرج سونيرون : المرجع السابق ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ، وكذا

G. Posener, La Premiere domination Perse en Egypte, le Caire, 1936, p. 4, 7, 22.

J. Pendlelbury, The City of Achenaten, III, London, 1951, Pl. XLIX, 3, LXXXIII, VI, p. 115.

وكذا J. Pendlebury, JEA, Io, 1924, p. 134, XXIV, 1928, p. 160 F, 177.

وكذا Urk., I, p. 286, Io, p. 289.

وكذا B. Gunn, JEA, IV, 1917, p. 252,

وكذا G. Maspero, Les Contes Populaires de L'Egypte ancienne, Paris, 1916, p. 130.

وكذا A. H. Gardiner, JEA, 24, 1938, p. 177.

الفصل الثاني

الفلك

برع المصريون القدامى فى علوم الفلك ، كما برعوا فى غيره من العلوم، وقد دفعهم الى ذلك عدة أمور ، منها : صفاء سمائهم وخلوها من السحب والغيوم معظم أيام السنة ، ثم اتخاذهم بعض كواكب السماء ، وبخاصة الشمس ، أربابا ، ومنها : حرصهم على ضبط مواعيد النيل ، يربطون بينها وبين ظهور بعض الكواكب فى أوقات معينة ، يقصدون بذلك تحديد مواعيد الزرع والحصاد •

هذا وقد ميز المصريون القدامى فى السماء — غير الشمس والقمر — كواكب لا تعرف الفتور ، منها ما نسميه «عطارد» و «الزهرة» (نجمة المساء ونجمة الصباح) ثم «المريخ» (حور الاحمر) و «المشترى» (النجم الثاقب) وأخيرا «زحل» (حور الثور) ، وهم قد جعلوا هذه النجوم فى بروج (تختلف عن بروجنا التى استمدت من البابليين) ومن العسير معرفتها ، وان كان قد أمكن التعرف على الدب الاكبر (فخذ الثور) والبجعة (فى صورة الرجل ذى الذراعين المفتوحتين) والجوزاء (فى صورة رجل يعدو ، وهو ينظر من فوق منكبيه) ، و «الكاسيوبيا» (فى صورة آدمى ممدود الذراعين) والحوت والثريا والعقرب والحمل ، وكان النجم الابرق (والمعروف عند العرب باسم الشعرى اليمانية) ذا دور كبير فى حساب الزمن لدى القوم ، فقد كان شروقه الشمسى محددا للسنة الحقيقية (بمدى يبلغ ٣٦٥ يوما ، وربع اليوم) •

وقد صورت هذه البروج بأشكالها المألوفة فى سقوف بعض القبور ، وحيث كانت قبواتها تزين عادة بأشكال النجوم المألوفة فى الدوائر الفلكية التى ألفوها لدى الاغريق فى أواخر عصور حضارتهم ، وقد كان فى معبد دندرة (على مبعدة ٥ كيلا شمال غرب قنا ، عبر النهر) مثلا احدى هذه الدوائر الفلكية التى تصور السماء تموج بصور البروج المصرية فى أشكالها التقليدية ، وكواكبها السيارة ، وما يليها من العلامات التى استمدت وأضيفت للاسلوب النيلى — بصور البروج الاثنى عشر ، ثم مناطق البروج الست والثلاثين ، وقد نقلت الدوائر الاصلية الى فرنسا على أيام الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ — ١٨٠١م) واستقرت فى

متحف اللوفر فى باريس ، ثم وضعت مكانها صورة لها ، غير أن هنـاك أخرى مماثلة فى سقف مقبرة «سيتى الاول» ، ثم مقبرة «سننموت» فى طيبة الغربية ، ثم تلك التى ماتزال باقية فى معبد الملك «رعمسيس الثانى» الجنائزى ، والمعروف باسم «معبد الرمسيوم»[١] •

وهكذا فان شواهد الامور كافة انما تبين أن المصريين قد وصلوا فى بعض المجـالات الفلكية الى نتـائج ملحوظة ، فلقد استطاع القوم أن يتوصلوا الى حساب الزمن حسابا لا يكاد يختلف عن حسابنا له ، الا بقدر طفيف ، ومن ثم فليس غريبا بعد ذلك أن يكون تقويم عالمنا اليوم فى القرن العشرين الميلادى ، انمـا هو «التقـويم المصرى القديم»[٢] مباشرة وبلا تعديل ، فقد أعطى النيل التقويم لمصر ، وأعطته مصر للعالم، ذلك أن حياة القوم انما كانت مرتبطة بالزراعة ، وهذه بدورها مرتبطة بفيضان النيل ، الذى يرتبط بالشمس ، وليس بالقمر •

وهكذا وضع المصريون التقويم الشمسى ، لأول مرة فى التاريخ ، وانفردت به مصر عن سـائر المجتمعات المعـاصرة ، التى اعتمدت على التقويم القمرى ، وبينما جنح التقويم القمرى ببعضها الى التنجيم قبل الفلك ، وخاصة فى العراق القديم ، حيث كان الفيضان الجامح خطرا يصل الى حد الذعر ، كما فى قصة الطوفان المشهورة ، لم ينحرف الفلك فى مصر عن الاتجاه العلمى[٣] •

وهكذا فلقد لاحظ المصرى منذ أقدم العصور ، أن الفيضان يأتى منتظما كل عام ، وفى وقت معـين ، ثم حدث أن صـادف أول يوم فى الفيضان ظهور نجم «الشعرى اليمانية» (سوبدت) فى المجال الشمسى فى وقت الشروق ، مع الشمس فى الافق،تجاه مدينة «منف» ولما استقرت

---

(١) سيرج سونيرون : المرجع السابق ص ١٦٦ ـ ١٦٨ ، أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٨ •

(٢) أنظر عن التقويم المصرى (محمد بيومى مهران : مصر ١٧٧/١ـ ١٨٣ ـ الاسكندرية ١٩٨٨) •

(٣) جمال حمدان : شخصية مصر ـ القاهرة ١٩٧٠ ص ٩٢ ، وكذا
V. G. Childe, Man Makes Himself, London, 1955, p. 112.

هذه الظاهرة فى أذهانهم ولحظوها زمنا ، أصبحوا يترقبونها عن قصد ، وأطلقوا على نجم الشعرى لقب «جالبة الفيضان» ، واعتبروا ظهورها فى الفجر المبكر (حوالى ١٩ يوليه من التقويم الحالى) ، أول يوم فى أول فصل ، أى «بداية السنة» التى قسموها — على أساس الظواهر المتعلقة بنهر النيل وفيضانه — الى ثلاثة فصول •

على أن اتجاها آخر ، يذهب الى عدم الربط بين وصول المصريين الى اختراع التقويم الزمنى ، وبين ظهور نجم الشعرى اليمانية[٤] ، بل ان هناك وجها ثالثا للنظر ، لا ينفى ارتباط السنة المدنية فى بادىء أمرها ، بظهور نجم الشعرى اليمانية فحسب ، وانما يذهب كذلك الى أن التقويم القمرى ، انما هو الاساس فى توصل القوم الى تقويمهم الزمنى ، وأن الشهور القمرية انما هى الاساس لحساب الفترات الزمنية القصيرة فى حياة الناس ، وفى أكثر الاحتمالات ، أنهم ربما أخذوا متوسط السنة القمرية فى سنوات عدة ، ثم توصلوا بعد ذلك الى أن طولها انما هو ٣٦٥ يوما[٥] •

وأيا ما كان الامر ، فلقد قسم القوم السنة الى ثلاثة فصول : فصل الفيضان (آخت) ، ويبدأ من منتصف يوليه وحتى منتصف نوفمبر ، ثم فصل الزرع أو الشتاء (بروت) ، ويبدأ من منتصف نوفمبر ، وحتى منتصف مارس ، ثم فصل الحصاد أو الصيف (شمو) ، ويبدأ من منتصف مارس ، وحتى منتصف يوليه ، وكل فصل منها انما يتكون من أربعة أشهر وكل شهر من ثلاثين يوما •

ثم قسوا اليوم الى أربع وعشرين ساعة ، اثنتا عشرة ساعة للنور ، واثنتا عشرة ساعة للظلام ، وتحمل كل ساعة اسما معينا يحدد تأثيرها ، أى أن القوم انما قد استخدموا السنة الشمسية وليس القمرية ، كبقية

---

(٤) W. F. Edgerton, in JNES, I, 1942, p. 366-403.
وكذا E. Otto Neugebauer, in Acta Orientalie, 17, 1939, p. 169-195.
(٥) R. A. Parker, The Calendars of Ancient Egypt, Chicago, 1950, p. 53.

شعوب العالم(٦) وكانت تستخدم لحساب ساعات النهار ساعات شمسية يقاس فيها امتداد الظل ، ولحساب ساعات الليل ساعات مائية أو ساعات النجوم ، وأما الساعات المائية فأحواض كبيرة مدرجة من الداخل تشير الى التوقيت بانخفاض مستوى مائها بتسربه الى الخارج أو بارتفاعه بتسربه الى الداخل ، وكان تحديد الزمن بمثل هذه الساعة يحتاج الى عمليات حسابية لضبط حجم الماء ودرجة التبخر ، كما كان يراعى اختلاف طول النهار ، وأما ساعات النجوم ـ وقــد بدأ استعمالها منذ الدولة الحديثة ، ان لم يكن قبلها ـ فكانت تستخــدم فيها أداة لقيد مواقع النجوم فى جداول معينة تشير الى دخولها فى مناطق معينة ، وهى عملية كانت تقوم فى المعابد على الاغلب ، وتعتمد عملية الرصد على وجــود راصدين من الكهنة يسجل الواحد منهما موقع النجوم بالنسبة لجسد زميله ، وقد حفظت لنا فى مقابر ملوك الاسرة العشرين عدة قوائم من هذا النوع ، وهى تبين موقع النجوم خلال ساعات الليل الاثنى عشرة فى فترات تبلغ الخمسة عشر يوما ، وعلى أية حال ، فلقــد كانت ساعات المصريين القــدامى على اختلاف أنواعها صالحــة لقياس الزمن قياسا تقريبيا(٧) .

وكانت عدة أيام السنة فى نظر المصرى القديم ٣٦٥ يوما ، ولــكن مادامت السنة الفلكية تحوى أكثر بقليل من ٣٦٥¼ يوما ، فهذا يعنى أن السنة المدنية تتأخر يوما كل أربع سنوات عن السنة الشمسية ، أو بمعنى آخر ، ان اليوم الاول من السنة المدنية لا يتفق مع اليوم الاول من السنة الفلكية (الشمسية) الا مرة كل ١٤٦٠ سنة (٣٦٥×٤) ، وهذا ما يعرف باسم «دورة الشعرى اليمانية» .

ولم يكن هذا الفرق الضئيل واضحا فى بادىء الامر ، ولكن بمرور

---

(٦) A. Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, p. 7-8.

(٧) أدولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومحــرم كمال ، القاهرة ١٩٥٣ ص ٣٧٧ ـ ٣٧٩ ، نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ٤٥٣ ، أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٨٨ .

الزمن بدت فصول التقويم غير مطابقة للفصول الحقيقية ، كما يبدو ذلك واضحا من بردية من عصر الاسرة التاسعة عشرة ، يشكو صاحبها من أن الشتاء أصبح يجيء فى الصيف،والشهور تنعكس ، والساعات تضطرب[٨] ويقدم «مرسوم كانوب» (أبو قير) ، والمكتوب بلغات ثلاث فى مارس من عام ٢٣٧ ق٠م[٩] ، دليلا على أن المصريين بحرصهم الغريزى على التقاليد لم يسعوا الى علاج لذلك الموقف ، ففى هـذا المرسوم يعلن «بطليموس الثالث» (٢٤٦ — ٢٢١ ق٠م) ادخال يوم سادس الى أيام النسيء الخمسة ، كل أربع سنوات ، حتى يمنع الاعياد الوطنية التى تحدث فى الشتاء من أن تجيء فى الصيف ، فان الشمس تتغير يوما كل أربع ساعات ، وأن أعياد أخرى تقام الان فى الصيف يجب أن تأتى فى المرات القادمة فى الشتاء ، كما كان يحدث من قبل ٠

غير أن هذه المحاولة سرعان ما أهملت ، ولم يعمل بها أحد بعـده ، وبقى التقويم كما كان ، حتى اتخذ «يوليوس قيصر» (١٢٠ — ٤٤ق٠م) التقويم المصرى والاصلاح المقترح وطبقه فى روما ، وفى عام ٣٠ قبل الميلاد فرض الامبراطور «أغسطس» (٢٧ ق٠م — ١٤م) على المصريين التقويم اليونانى ، والمكون من ٣٦٥¼ يوما ، وان كان كل من «استرابو» و «ديودور الصقلى» انما نسب هذا التعديل الى المصريين أنفسهم ، ومع ذلك لم يستخـدم المصريون الوطنيون هذه السـنة التى أسموها «السنة اليونانية» ، الا بعد اعتناقهم النصرانية ، وبقى الامر كذلك حتى أصلحه البابا «جريجورى الثالث عشر» فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وأصبح التقويم هو المعروف الان بالتقويم الميلادى[١٠] ٠

---

(٨) J. Vercoutter and Others, The Near East, The Early Civilization 1967, p. 39.

وكذا A. H. Cardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 64.

(٩) E. Bevan, A History of Egypt under The Ptolemaic Dynasty, London, 1927, p. 208 F.

(١٠) نجيب ميخائيل : مصر ٥١/١ ــ ٥٢ ، وكذا

J. Vercoutter, Op-Cit, p. 39.

وكذا Strabo, XVII, 20.

وكذا =

هـذا ويذهب «لودفيج بورخـاردت» (١٨٦٣ – ١٩٣٨م) الى أن المؤرخ الرومانى «سانسريون» قد سجل ظاهرة اجتماع الشعرى اليمانية وطلوع الشمس فى عام ١٣٧م[١١] ، ومن ثم فقد أصبح هذا العام نقطة ارتكاز تتنوم على قرائن علمية فلكية ثابتة ، وما علينا الا أن نعود فى التاريخ فترة ١٤٦٠ عاما[١٢] الى الوراء ، لنعرف متى بدأت فترة الشعرى اليمانية هذه ، وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نحدد هذه الفترات بأعوام ١٣١٧ ، ٢٧٧٢ ، ٤٢٢٥ قبل الميلاد ، أى أننا نستطيع أن نتوغل فى أعماق التاريخ حتى عام ٤٢٢٥ ق٠م ، وهكذا يتجه بعض الباحثين الى أن يوم ١٩ يوليه من عام ٤٢٤١ قبل الميلاد ، انما أقدم توقيت ثابت فى تاريخ العـالم ، وهو بداية معـرفة المصريين للتوقيت[١٣] ، على أن تصحيحات «كارك شوك» تجعل أقدم تاريخ محدد فى العالم ، انما هو (٤٢٢٩ – ٤٢٢٦ ق٠م) ، وهذا كله مبنى على حسابات رجعية وليست لها أهمية خاصة[١٤] ٠

هذا وهناك وجه آخر للنظر ، يذهب الى أن اتباع توقيت فلكى دقيق، انما هو عمل عقلى عظيم ، يعتمد دون شك على مقدرة ممتازة فى الحساب

=

وكذا A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 64-65.

وكذا Diodorus, I, 50.

(١١) عبد المنعم أبو بكر : الموسوعة المصرية ١٨٥/١ – ١٨٦ ٠

(١٢) يذهب «كارل شوك» الى أن دورة الشعـــرى اليمانية ليست بالضبط ١٤٦٠ يوما ، بل هى أقرب الى أن تكون ١٤٥٦ يوما ، وقـد بنى تصحيحه هذا على زيادة سرعة الشمس على مر القرون ، وعلى الحركة الذاتية الكبرى للشعرى اليمانية ، وعلى حساب أدق لمدى القوس البصرية (جورج سارتون : مصر – ترجمة مصطفى الامير – القاهرة ١٩٦٣ ص ٨٩، وكذا Carl Schoch, Die Lange der Sothisperiode betragt, 1456, Jahre, Astorn, Abhandl, Erganzungshefte Astorn. Nachr, 8, No. 2, B 9-B10, 1930).

(١٣) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٣٤ – ٣٦ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, I, p. 30.

وكذا E. Meyer, Aegyptische, Berlin, 1904.

وكذا K. Sethe, ZAS, 1931, p. 1-7.

وكذا L. Borchardt, Die Mitel Zur Zetitichen Festlegyng, Kairo, 1935.

(١٤) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٠ ٠

والفلك ، لا نستطيع أن نتوقع حدوثه فى عصر مبكر لم يعرف الناس فيه القراءة والكتابة ، ومن ثم فربما كان من الافضل أن نحدد عام ٢٧٧٢ قبل الميلاد ، لمعرفة المصريين للتوقيت الزمنى ، وليس عام ٤٢٤١ قبل الميلاد ، ذلك لان هذا التوقيت لا يمكن أن ينشأ الا بعد فترة طويلة من الملاحظة والتدقيق ، ثم المقدرة على أن يستخلص الانسان من تلك التدوينات نظاما دقيقا ثابتا ، وأن ذلك ربما تم فى عهد الملك «زوسر» من الاسرة الثالثة[١٥] .

هذا وقد أشارت الوثائق المصرية الى «دورة الشعرى اليمانية» ثلاث مرات ، على أقل تقدير ، وعلى فترات متباعدة ، أولها : فى وثائق من العام السابع لحكم الملك «سنوسرت الثالث» حوالى عام ١٨٧٢ ق٠م ، وثانيها : فى العام التاسع من حكم الفرعون «أمنحتب الاول» ، حوالى عام ١٥٣٦ ق٠م ، وثالثها : خلال عهد الفرعون «تحوتمس الثالث» حوالى عام ١٤٦٩ قبل الميلاد[١٦] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن قدرة المصريين القدامى فى الفلك ، انما تتضح لا فى تقويمهم ، ولا من جداول عبور النجوم خط الزوال ، ولا من جداول ظهورها فحسب ، بل من بعض أدواتهم الفلكية ، من المزاول الشمسية البارعة ، وتركيب المطمار على العصا الفرجونية التى مكنتهم من تحديد سمت البداية ، ومن هذه الادوات بقايا محفوظة فى متحفى القاهرة وبرلين ، ويمكن اختيار نماذج دقيقة منها فى كثير من المجموعات الاثرية المصرية الفلكية[١٧] .

هذا وقد عرف الكهان المصريون أيضا ظاهرة الخسوف ، وهى التقاء

---

(١٥) أنظر :
J A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 30.
وكذا A. Scharff, HZ, 161, 1939, p. 3-32.
وكذا R. W. Sloley, The Origin of The 365 - day Egyptian Calendar, ASAE, XLVIII, p. 261 F.
وكذا W. S. Smith, in JNES, 11, 1952, p. 122-123.
(١٦) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ١/١٠٠ ٠
(١٧) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٠ ٠

الشمس بالقمر ، وقد جاء فى الخبر كيف أرعب الخسوف جنود الاسكندر الاكبر ، وهم يحاربون الفرس من جنود «دارا الثالث» (٣٣٥ — ٣٣٢ ق٠م) ، وكيف استدعى أحد الكهان المصريين ليذهب عن قلوبهم الرعب(١٨) ٠

هذا ورغم أن المصريين القدامى قد حددوا ، بوجه عام ، جهاتهم الاصلية على أساس مجرى النيل ، جاعلين الجنوب — وفيه منابع النيل — قبلتهم ، فوقع الغرب على يمينهم ، والشرق على يسارهم ، الا أن دقة تحديد اتجاهات أضلاع قواعد الهرم الاكبر ، وانطباقها على الجهات الاصلية الاربع وكذا اتجاهات ممراته ، تحملنا على التفكير فى جواز استعانة المصريين بنوع من المراصد الفلكية ، وان كنا لا نعرف كيف كانت ، ولا كيف استخدمت ، والى أين ذهبت(١٩) ٠

وأيا ما كان الامر ، فلقد أقيمت الاهرامات الكبرى عند خط عرض ٣٠ شمالا ، وأن أضلاع الهرم الاربعة مواجهة تماما للجهات الاربع الاصلية ، وربما كان ذلك ليجعلوا مدخل الهرم الذى كان فى الناحية الشمالية متجها نحو النجم القطبى (نجم الشمال) ، ولم يكن ليصعب على المصريين مثل هذا التدديد الصحيح لاتجاه أضلاع مربع الهرم ، وذلك لما كان لهم من دراية كافية بعلم الفلك(٢٠) ، كما أن ممرات الاهرام المائلة انما كانت تنطبق على المستوى الزوالى ٠

هذا وقد لاحظ «بروكتور» Proctor أنه خلال سبعة أشهر ونصف من السنة ، نصفها قبل ونصفها بعد الانقلاب الصيفى ، تضىء الشمس عندما تكون على خط الزوال الاربعة أوجه ، وقد استنتج «محمود باشا الفلكى» أن الممرات الداخلية كانت تستعمل كآلات زوالية لرصد الاجرام السماوية قبل غلق الاهرام ، وأن ضوء الشعرى اليمانية كان عموديا على

---

(١٨) سيرج سونيرون : المرجع السابق ص ١٧٠ ٠
(١٩) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص٨٩
(٢٠) أحمد فخرى : الاهرامات المصرية ـ القاهرة ١٩٦٣ ص ٢١ ٠

الوجه الجنوبى للهرم الاكبر ، حوالى عام ٣٣٠٠ قبل الميلاد ، واستنتج «دلمبير» Delambre أن المصريين القدامى لابد وأنهم قدروا سعة انحراف اتجاه الشمس عند المنقلبين — الصيفى والشتوى — •

هذاً وقد قام «كول» — وكان يعمل موظفا بمصلحة المساحة المصرية — بقياس أضلاع هرم خوفو وانحرافاتها عن الاتجاهات الرئيسية ، فوجد ما يأتى :

الضلع	طوله	الانحراف عن الاتجاهات الرئيسية	
الشمالى	٢٣٠ر٢٥٣	٢٨"	٢'
الجنوبى	٢٣٠ر٤٥٤	٥٧"	١'
الشرقى	٢٣٠ر٣٩١	٣٠"	٥'
الغربى	٢٣٠ر٣٥٧	٣٠"	٢'

وتدلنا هذه الدقة فى تعيين اتجاهات قاعدة هذا الهرم (الهرم الاكبر) وغيره من الاهرام على أن الكهنة المصرين الذين كانوا يشرفون على بناء الاهرام ، لابد وأنهم استعانوا بالارصاد الفلكية فى تعيين الاتجاهات •

أضف الى ذلك ، أنه فضلا عن هذه الدقة فى تعيين اتجاهات الاضلاع، نجد أنهم لابد ، وقد تخيروا مواقعها لتكون عند خط عرض ٣٠ درجة شمالا ، فقد أقيمت عند حافة المستوى الصخرى وليست بأعلى نقطة فيه ، وقد يوازى خط عرضها بأحدث الآلات الحديثة"٥١ ´٥٨ °٢٩ ±٣" وعزا الفرق الى تأثير الانكسار الضوئى •

ولتقدير أهمية الحقائق السالفة الذكر ، علينا أن نتذكر أن الرجل العادى فى عصرنا هذا لا يكاد يعرف غير أن الشمس تشرق من الشرق ، وتغرب فى الغرب ، مع أن هذا لا يقع فى خط عرضنا سوى مرتين فى السنة ، عندما تكون الشمس فى أحد الاعتدالين ، وتعيين هذه الاتجاهات بهذه الدقة ليس من الامور الهينة حتى فى عصرنا هذا الذى تقدمت فيه

صناعة الآلات الهندسية التى يستعان بها فى مثل هذه الاغراض[٢١] •

بقيت الاشارة الى أن هناك وثائق محدودة العدد تشير الى أن التنجيم ـ وهو الاعتقاد فى تأثير مواقع النجوم على نفوس البشر وصلة ذلك بمصائرهم ـ وقد كان معروفا ، وقد ذاع هذا الاعتقاد ولقى كثيرا من القبول فى أوساط المصريين ، وان كانت ظواهر الامور تدل على أن هذا الموضوع دخيل على مصر ، وغير أصيل فيها وفى تفكير أهلها ، وربما قد جاءهم من آسيا مع الغزو الفارسى فى أخريات العصور الفرعونية ، وقد يؤيد هذا الظن ما تردد فى أسلوب تلك الوثائق من شذوذ غير معهود فى اللغة المصرية •

وأما المذنبات من النجوم ، والتى كان يعتبر ظهورها من نذور الشؤم فيبدو أن معرفة المصريين بها لم تكن كافية ، وليس هناك من النصوص ما يشير اليها ، سوى واحد من عصر (تحوتمس الثالث) (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق٠م) ، يذكر مرور واحد من تلك المذنبات ، والذى يحتمل أن يكون ما أسماه القوم «هالى»[٢٢] •

وعلى أية حال ، فلقد ظن القوم أن للأبراج السماوية صلة بالناس ، فهناك أيام سعيدة ، وأيام منحوسة ، وهذه الايام تتصل فى أغلب الامر بأحداث معينة مترسبة فى نفوسهم من جراء ذكريات أسطورية أو دينية، فمثلا أيام الصلح بين المعبودين «حور» و «ست» أيام سعيدة من غير شك (وهو اليوم السابع والعشرون من هاتور) ، وأيام موت «أوزير» أيام نحس ، وكذا اليوم الرابع عشر من طوبة ، والذى ندبت فيه «ايزة» و «نفتيس» على «أوزير» كان يوما منحوسا ، بينما كان اليوم الاول من أمشير ، والذى رفعت فيه السماء ، فقد كان يوما سعيدا •

وكان القوم يمتنعون عن اقامة الحفلات فى أيام النحس ، حيث كانوا

---

(٢١) عبد الحميد سماحة : الفلك عند المصريين القدماء ـ كتاب تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى ٥٧٨/١ ـ ٥٧٩ (القاهرة ١٩٦٢) •

(٢٢) سيرج سونيرون : المرجع السابق ص ١٧٠ •

يتفادون الموسيقى والغناء مثلا فى يوم الحداد على أوزير (الرابع عشر من طوبة) ، كما أن الغسيل كان محرما فى اليوم السادس عشر من طوبة، وكان يفضل الامتناع عن السمك فى أيام معينة ، واجتناب ذكر اسم المعبود «ست» فى اليوم الرابع والعشرين من شهر برمودة •

وكان النحس والسعد يتصلان أيضا بمولد الاطفال كذلك ، فبعض الاطفال لا يعيشون ، ان ولدوا فى اليوم الثالث والعشرين من شهر توت، والبعض الاخر تحل بهم المكاره والامراض ، ان ولدوا فى أيام معينة كذلك ، فالذى يولد فى اليوم العشرين من شهر كيهك يصاب بالعمى ، والذى يولد فى الثالث من كيهك يكون الصمم من نصيبه[٢٣] •

---

(٢٣) أدولف ارمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٣ •

الفصل الثالث

العلوم الرياضية والهندسية

١ ـ العلوم الرياضية :

شغلت العلوم الرياضية والهندسة جانبا كبيرا من اهتمام المصريين القدامى ، وكانت تسير جنبا الى جنب مع تعلم القراءة والكتابة لأهميتها فى الحياة العملية ، وكانت الدراسة نظرية وعملية معا •

وقد برع المصريون فى بعض العلوم الرياضية بالنسبة لزمانهم ، ويعد عصر الدولة القديمة عصرها الذهبى ، والتى كانت ثمرة خبرة وتطور طويلين ومتصلين فى آن معا ، ومن المشكوك فيه أن تكون الرياضيات فى أيام الدولة الحديثة (١٥٧٥ ـ ١٠٨٧ ق•م) قد تقدمت عما كانت عليه من قبل ، فقد استخدمت نفس النظريات والاساليب التى كانت معروفة على أيام الدولة القديمة ، ومن ثم فقد استنتج بعض العلماء أن المصريين لم ينظروا الى هذه العلوم نظرة أكاديمية بالمعنى المفهوم ، ولم يحاولوا تطويرها بالبحث المتصل أو استقصاء أصولها النظرية ، بل ان اتجاههم حيالها كان عمليا يكاد يقتصر على الناحية التطبيقية ، على أن هذه العلوم ـ على علاتها ـ قد نفعت وأثمرت ، وأدت كل ما كان ينتظر منها،وسدت مطالب الشعب فى كل نواحى الحياة •

وليس هناك من ريب فى أن مقتضيات الحياة فى مصر ، وجهود المصريين فى حل المشاكل المتصلة ببيئتهم وحرصهم الشديد على ذلك ، كانت جميعا من وراء أسباب تقدمهم فى الحساب ، فتنظيم مياه النيل وقياسها وضبطها ، وتحديد مواسم الزراعة والحصاد ، وأعمال البدل والتجارة وجمع الضرائب العينية ، وتقدير أبعاد الاراضى الزراعية ، ومساحاتها عند بيعها وتأجيرها وتقسيمها باسم الدولة،وتنفيذ المشروعات العامة ، وما الى ذلك ، كتغيير حدود الارض الزراعية بعد موسم الفيضان مثلا اذا ما طاف طائف من الفيضان فأزال حدود الحقل ، فانه لا يمكن اعادتها الى ما كانت عليه على وجه محقق ، الا اذا كان المرء يعرف مقاييسه بالضبط[١] •

---

(١) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٩ ، ارمان ورانكه : المرجع السابق ص ٣٣٩ ـ ٤٠٠ •

وقد سبق أن عرفنا فى دراستنا السابقة أنه فى بداية الدولة الوسطى (٢٠٥٢ – ١٧٨٦ ق٠م) أن الملك «أمنمحات الاول» (١٩٩١ – ١٩٦٢ ق٠م) قد اتبع سياسة جديدة بين أمراء الاقاليم منعت التنافس بينهم ، وذلك عن طريق اقامة حدود ثابتة بين كل اقليم وآخر ، كما سن قانونا نظم به نصيب كل اقليم من مياه النيل الخاصة برى الارض الزراعية ، وهكذا «قام جلالته مشرقا كاله الشمس أتوم نفسه ، لكى يزهق الباطل ويعمر ما تخرب ويرده الى ما كان عليه ، ويعيد الى كل مدينة مااغتصبته الاخرى منها ، ويجعل لكل مدينة حدودها التى تفصلها عن الاخرى ، وقد أرسى أحجار الحدود ثابتة كالسماء» ، كما عين تبعية كل قناة بمفردها ، وثبت نصيب كل اقليم فى النيل ، ولما كان يحب الحق كثيرا ، فقد اتخذ أساسا لنفسه «ما هو موجود فى السجلات القديمة ، وما هو ثابت مقرر فى النصوص القديمة» ، وهذا يعنى انه منذ عهد الدولة القديمة ، على الاقل ، كانت حدود الاقاليم ثابتة ومدونة ومسجلة ، وهذا يعنى بالتالى افتراض وجود سجلات زراعية لاراضى المدن المختلفة ومناطقها .

هذا وقد قام «أمنمحات الاول» كذلك بتحديد الكمية التى يقدمها كل اقليم من المواد الغذائية ، وعدد السفن اللازمة للاسطول واعداد الرجال للجيش المرابط ، وذلك للمشروعات الملكية فى أقاليمهم أو خارجها ، ومن المعروف أن أمراء الاقاليم انما كانوا مكلفين بحشد الجند ، الذين كانوا يكونون فى ذلك الوقت الجزء الاكبر من القوات المسلحة[٢] .

هذا وكان يدخل ضمن اطار الواجبات الملقاة على عاتق المشرفين على حقول أو مخازن غلال المعابد السهر على صحة مقاييس ومساحة الاراضى التابعة لمعبدهم ، وهكذا يظهر السيد العظيم من الدولة الحديثة بعصا طويلة فى احدى يديه ، وفى الاخرى أدوات الكتابة ، يشرف على عملية

---

(٢) محمد بيومى مهـــران : مصر ٣٤٢/٢ (الاسكندرية ١٩٨٨) ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٥٧ ، أدولف ارمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٨٦ ، ٣٣٨ – ٤٠٠ ، وكذا ،

R. O. Faulkner, Egyptian Military Organization, JEA, 39, 1953, p. 36 F.

القياس التى يقوم بها خادمان ، ومعهم شريط قياس ، يظهر أن طوله نحو مائة ذراع ، قسم الى أجزاء بواسطة عقد عقدت فى أجزاء معينة لابد وأن تكون قد اختبرت دقته وصحته ادارة معبد أمون[٣] .

وكانت تلك كلها أمور تدعو الى استخدام الحساب ، فهم قد عرفوا العشرات والمئات والوف الالوف ، وعرفوا الجمع والطرح ، وأما الضرب فكان ضربا من الجمع وجمع الجمع ، أى مضاعفة العـدد المضروب فى جدول صغير مرات تعادل العدد المضروب فيه ، ثم تجمع حواصل ضرب المضاعفات التى تعادل فى مجموعها العدد المضروب فيه ، فمثلا ضرب ١١ × ١٤ يجرى على النحو التالى :

١	١٤
٢	٢٨
٤	٥٦
٨	١١٢

حيث يشير الجدول الى ما يبلغ مجموعه ١١ ، أى أنه يجمع حواصل الضرب فى ١ ، ٢ ، ٨ ، وهى ١٤ + ٢٨ + ١١٢ ، فيكون المطلوب ١٥٤

وأما القسمة : فكانت عملية تجرى عكس عملية الضرب ، أى أنها كانت تعتمد على مضاعفة المقسوم عليه حتى يتعادل مع القاسم ، وهو المبدأ الذى يقوم عليه تصميم الآلات الحاسبة فى عصرنا الحديث ، اذ تجرى قسمة ١٥٤ ÷ ١٤ بأعداد الجدول السابق ، ثم جمـع ما يقابل مجموع ١٥٤ ، أى ١+٢+٨ ، وهو ١١ ، فيكون ذلك خارج القسمة[٤].

هذا وقد توصل المصريون الى معرفة الكسور البسيطة ، واستعاضوا بها عن الكسور المركبة (التى لم تستخدم الا فى أحوال قليلة) ، وكذلك

---

(٣) ارمان ورانكه : المرجع السابق ص ٤٠٠ ، وكذا
L. Borchardt, AZ, 42, p. 70 F.

(٤) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٩ – ٩٠ ، أحمد عبد الحميد يوسف : الموسوعة المصرية ٢٥٦/١ – ٢٥٧ .

استخدموا بعض المعادلات الجبرية البسيطة ، هذا وقد اتبع المصريون فى جمع الكسور وضربها وقسمتها ، نفس ما كانوا يتبعونه مع الاعداد الصحيحة ، من حيث استخـدام الطريقة التجريبية عنـد الضرورة ، والاكتفاء بالحلول الذهنية ، كلما تيسر لهم استخدامها(٥) •

وتشير «بردية رند الرياضية» (كراسة عحموزة) الى جـدول يبين

---

(٥) عبد العزيز صالح : الرياضيات فى مصر القديمة ـ تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى ١/٥٩٠ •

(٦) بردية رند الرياضية : وتتكون من درجين من البردى ، محفوظة بالمتحف البريطانى فى لندن (رقم ١٠٠٥٧ ـ ١٠٠٥٨) ، وقد عثر الباحثون على جزء صغير يصل بينهما فى الجمعية التاريخية فى نيويورك ، وهى جميعا تكون درجا واحدا ، أو رسالة واحدة ، وطول البردية ٥٤٤ سم ، وعرضها ٣٣ سم ، ويرجع تاريخها الى عصر الهكسوس (١٧٢٥ ـ ١٥٧٥ ق٠م) ، ولكنها تذكر أنها نسخة من وثيقة اقدم منها ترجع الى أيام الاسرة الثانية عشرة (١٩٩١ ـ ١٧٨٦ ق٠م) ، وقد سجلت البردية على عنـوان صفحة منها اسم الملك «عاوسررع ـ أبوفيس الاول» من ملوك الهكسوس ، ويقول كاتب البردية فى الصفحة الافتتاحية منها : «قواعد للبحث فى الطبيعة وفى معرفة كل ما هو كائن وكل غامض ، وكل سر ، أشهد أن هذا الدرج كتب فى السنة الثالثة والثلاثين ، فى الشهر الرابع من فصل الفيضان ، زمن ملك مصر العليا والسفلى ، عا وسر رع ، له الحياة ، نقلا عن كتابة قديمة دونت أيام ملك مصر العليا والسفلى ، نى معات رع (أمنمحات الثـالث ١٨٤٣ ـ ١٧٩٧ ق٠م) ، وكتب هذه النسخة عحموزة الكاتب» •

وتوحى عبارة «عحموزة» أنه يدرك مدى أهمية عمله ، فهو يدون كتابا ، أى مبحثا مرتبا فى المعلومات المعروفة فى ميدان تخصصه ، اضطلع فيه بتدوين المسائل الاساسية فى الحساب والهندسة ، كما بدت لمعاصريه •

وهناك ترجمات للبردية بالانجليزية ، احداهما ترجمة «بيت» فى عام ١٩٢٣ ، والثانية ترجمة «تشيس» فى عام ١٩٢٩م هذا الى جانب ترجمات اخرى بلغات أخرى ، (أنظر

T. Eric Peet, The Rhind Mathematical Paprus, Liverpool, 1923.

وكذا A. B. Chace, L. Bull, H. P. Manning and R. C, Archibald, The Rhind Mathematical Papyrus, 2 Vols, Oberlin, Ohio, 1927-1929.

وكذا W. W. Struve, Mathematischer Papyrus des Staatlichen Museums der Schonen Kenste in Moskau, Berlin, 1930.

وكذا Otto Neugebauer, Vorlesungen uber Geschichte der ontiken Mathematischen Wissenschaften, I, Band Vorgriechische Mathematik, Berlin, 1934.

وتتضمن البردية مجموعة من الامثلة النموذجية لمختلف مسائل الحساب

=

نتائج قسمة العدد ٢ على المقامات الفردية من ٣ الى ١٠١ فى تفصيلات تشير الى صحة النتائج ، كما اشتملت على جداول لنتائج قسمة الاعداد من ١ الى ٩ على العدد ١٠ معبرا عنها بالكسر ذى بسط الواحد الصحيح، مستهدفا من ذلك غرضين ، أولهما : حفظ نتائج القسمة فى كسور مجردة، وثانيهما : تقديم مسائل عملية تستطيع عقلية التلميذ أن تسايرها بعد تقديم البرهان على صحة النتائج •

وقد اقتضت شئون الفلاحة ان يعرفوا علم المساحة ، وبخاصة أن النيل كان يغير المرقع الزراعية فى كل عام ، وكانت وحدة القياس المستعملة هى الذراع الملكى الذى يبلغ طوله حوالى ٣ر٥٢سم (أى يساوى ٦٢ر٢٠ بوصة) ، كما استخدموا ذراعا آخر يصغره قليلا ، ويستعمله الجمهور فى معاملاته العادية ، وقسموا الذراع الى سبع قبضات متوسطة (أو ست قبضات كبيرة) ، تألفت كل قبضة منها من أربع أصابع ، واستخدموا وحدة قياسية تبلغ مائة ذراع ، أطلقوا عليها اسم «خت» ، ووحدة مساحية للاراضى المتسعة تبلغ ٢٧٣٥ مترا مربعا ، أطلقوا عليها اسم (ستات) ، ووحدة طولية للمسافات الكبيرة تبلغ نحو كيلو مترين،أطلقوا عليها اسم «اترو» •

وأما الموازين (من الحجر أو المعدن) فكانت وحدتها «دبن» ، وزنته ٩١ جراما ، وجزؤه «قدت» ويعادل $\frac{1}{10}$ عشر الدبن ، وأما وحدة كيل الغلال فهى : «حقات» (حوالى ٧٨٥ر٤ لترا) ولها أجزاؤها ، ومضاعفاتها وأما وحدة كيل السوائل فهى : «هن» ويعادل $\frac{1}{10}$ من «حقات» (أو ٤٦ر٠ من اللتر)[7] •

=
والهندسة ، ومن ثم فهى توضح لنا معارف المصريين فى هذا الميدان ابان تلك العصور ، وهناك شك فى أن معارف المصريين فى الدول الحديثة قد زادت عن ذلك ، فبعد ١٥٠٠ عام ، نجد فى قوائم معبد ادفو نفس النظريات الهندسية المشابهة لما فى بردية رند هذه (جورج سارتون : المرجع السابق ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، ١٣٧ ـ ١٣٨ ، ارمان ورانكه : المرجع السابق ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣) •

(٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٨٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٥ •

٢ ـ الهندســـة :

أدت مشروعات المصريين العامة ، من حفر الترع ، وتخطيط المدن ، وبناء المعابد والاهرامات ، ونحت القبور فى الصخور ، الى نتائج مذهلة فى دراسة المساحات والمحيطات والزوايا والارتفاعات والاحجام ، وأخيرا الى تقدم كبير فى الهندسة النظـرية والعملية سواء بســواء ، فعرف المصريون القدامى محيط الدائرة وقطرها ، كما توصلوا الى مساحتها ، والى مساحة المثلث والمربع والمستطيل وغيرها من الاشكال الهندسية ، كما قدروا الاحجـام الاسطوانية والهـرمية ، واستخدموا فى مبانيهم الاقواس والسقوف المقبوة •

وليس هناك من ريب فى أن بناء الاهرامات ــ وأهرامات الجيزة بوجه خاص ــ انما يدل على أن التنفيذ لم يكن مرتجلا ، وانما كان قائما على نظريات هندسية وضع البناءون أسسها وقواعدها وتفاصيلها المعمارية فى ذلك العهد البعيد من أوائل عهد الدولة القديمة (حوالى أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد) ، وقد أثارت معارف المصريين الميكانيكية ــ وبخاصة ما يتعلق منها بنقل الكتل الحجرية الضخمة ورفعها واقامتها ، وفى مقدمتها المسلات ــ اعجاب العالم قديما ، ومازالت تثير مثل هذا الاعجاب حتى اليــوم[٨] •

وعلى أية حال ، ففى بناء الاهرامات ــ مثلا ــ تحتم على بناتها أن يقطعوا الحجر الجيرى على مقاسات مضبوطة قبل وضعها فى مواضعها المطلوبة ، وأكبر هذه الكتل هى التى رتبت ترتيبا معقدا فوق المقبرة الملكية بمثابة دعامات لتحويل الضغط عن سقفها ، ويوجد من هذه الدعامات ٥٦ دعامة لسقف المقبرة الملكية فى الهرم الاكبر[٩] ، ويبلغ متوسط وزنها

(٨) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص٩٠•

(٩) يشغل الهرم الاكبر مساحة تقرب من ١٣ فدانا (٥٤ الف متر مربع) ، وكان ارتفاعه ١٤٦م ، تهدم منها تسعة أمتار منذ بضعة قـرون فاصبح ارتفاعه الان ١٣٧ مترا ، واستخدم البناءون فى بنائه ، فيما يقال ، مليونين وثلاثمائة الف كتلة حجرية ، وزنة الواحدة ٢ر٥ طنا ، وبعضها =

٥٤ طنا ، وبلغت الدقة التى روعيت فى بناء الهرم الاكبر ، درجة لايمكن تصديقها ، يقول الاثرى الانجليزى « وليم ماثيوس فلندرز بترى »[١٠] (١٨٥٣ ــ ١٩٤٢) عن ذلك :

«ان متوسط الخطأ فى طول الجوانب ــ التى تبلغ الواحد منها ٧٥٥ قدما ــ هو $\frac{١}{٤٠٠٠}$ (واحد على أربعة آلاف) وهو خطأ يمكن أن ينشأ عن اختلاف فى درجة الحرارة بمقدار ١٥ درجة مئوية بين قضبان النحاس التى تستعمل فى المقاس ، والخطأ فى التربيع يبلغ دقيقة واثنتى عشرة ثانية من الدرجة ، والخطأ فى المستوى ٥ بوصات بين الجانبين ، أو ١٢ دقيقة ، أما الاطوال القصيرة التى تبلغ ٥٠ قدما ، فيبلغ الفرق ٠٫٠٢ من البوصة» •

« وبلغت الدقة التى روعيت فى ثلاثة توابيت من الجرانيت للملك «سنوسرت الثانى» (١٨٩٧ ــ ١٨٧٧ ق•م) أن متوسط الخطأ فيها لا يعدو ٠٫٠٠٤ من البوصة ، بخط مستقيم فى بعض الاجزاء ، ٠٫٠٠٧ من البوصة فى أجزاء أخرى ، كما بلغ مقدار انحناء الجوانب ٠٫٠٠٥ من البوصة فى ناحية ، ٠٫٠٠٢ من البوصة فى ناحية أخرى ، أما متوسط الخطأ فى نسب الابعاد المختلفة فى الاعداد الزوجية فهو ٠٫٠٢٨ من البوصة ، وهذا كله يشبه فى دقته عمل صناع العدسات البصرية ، وليس عمل البنائين» •

هذا ويدل قطع الاحجار التى تطلب تركيب بعضها الى بعض معرفة

=
يزن ١٦٫٥ طنا ، ويتضمن الهرم الاكبر ثلاث حجرات كبيرة للدفن ، حجرة سفلية نحتت فى باطن الصخر ، وثانية فى باطن الهرم تعرف خطأ باسم «غرفة الملكة» ، وقد هجرتا ، ثم حجرة ثالثة بنيت بالجرانيت فى منتصف الهرم العلوى ، دفن الفرعون فيها ، هذا ويصل بين حجرة الدفن الوسطى فى باطن الهرم ، دهليز صاعد يعتبر آية من آيات الفن المعمارى فى عصره، ويبلغ طوله ٥٣ قدما ، وارتفاعه ٢٨ قدما ، كسيت الاجزاء السفلى من جانبه بأحجار مصقولة ضخمة (محمد بيومى مهران : مصر ــ الجزء الثاني ــ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٣٩ ــ ١٤٠) •

(١٠) أنظر :
W. M. Flinders Petrie, The Wisdom of The Egyptians, p. 89.

بالهندسة وقياس الاحجام ، كما يمكن للباحث أن يقول بحق ، انها تدل كذلك على احاطة بالهندسة الوصفية (قياس الاحجام) ذلك أنه لم يكن كافيا أن تحل مثل هذه المشاكل بطريقة عامة ، لانه يجب ارشاد قاطع الحجر الى الطريقة التى يجب اتباعها فى قطع كتل الحجر الجيرى ، وربما ظلت تلك المعرفة تجريبية غير مرتبة ترتيبا ثابتا(١١) .

وعلى اية حال ، فليس هناك من ريب ، فى أن اقامة مثل هذه الابنية الضخمة منذ ما يقرب من خمسين قرنا مضت ، انما يثير مشاكل فنية متعددة لم يتضح كثيرا منها حتى الان ، فلا يزال مما يثير الفكر مثلا : كيف تمكن المعماريون على أيام خوفو ، صاحب الهرم الاكبر ، من ابتكار تصميم لهذا البناء ، وكيف تمكنت رعيته من اقامته ، ذلك أن أدواتهم الهندسية — بالنسبة ما بلغت من التقدم بالقياس الى أدوات الشعوب المعاصرة — كانت درجات كثيرة دون أدواتنا فى القرن العشرين بعد الميلاد .

والواقع ان اهرام الجيزة عجيبة جدا ، لدرجة أن بعض العلماء الذين حاولوا كشف أسرارها وقعوا فريسة لنوع من الجنون ، فنسبوا الى بنائها من المصريين القدامى ، أغراضا سحرية وميتافيزيقية ، ومعرفة بالغيب ، يستحق صاحبها من الاعجاب مايفوق الاعجاب بالمقدرة الهندسية التى توفرت دون شك لديهم(١٢) ، وعلى اية حال ، فلقد بنيت الاهرام وها هى قائمة فى الصحراء ، وهى أضخم حقائق العصور القديمة ، وأبلغ شاهد حتى اليوم على مقدرة بنائها ، وربما ظلت باقية بعد زوال معظم الابنية التى يفخر بها الانسان فى العصر الحديث .

وأيا ما كان الامر ، فالهرم الاكبر ، بكل المقاييس الهندسية ، ليس

---

(١١) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٨ — ٩٩ ، وانظر :
M. Baud, Les dessins ebauches de la Necropole Thepaine au temps du Nouve Empire, IFAO, 1935.

(١٢) انظر : محمد بيومى مهران : مصر ١٩٢/٢ — ١٩٤ ، وكذا
J. P. Lauer, Le Probleme des Pyramides d'Egypte, Paris, 1948, p. 113-160.

هو أعظم ما شيده المصريون من نوعه فحسب ، بل هو انما يمتاز أيضا بذلك الاتقان المعجز فى هندسته ، والدقة فى تخطيطه وجمال نسبه ، ومن ثم فقد كان ، وما يزال ، أهم عجائب الدنيا السبع ، لانه ، دونما ريب، من المعجزات البنائية البشرية ، وليس من شك فى أن رجال العمـــارة فى العصر الحديث ، بكل ما أوتوا من أدوات ووسائل ، سوف يشفقون على أنفسهم أشد الاشفاق — وقد يترددون ، وربما يحجمون — ان نحــن طلبنا اليهم أن يبنوا لنا هرما مثل هرم خوفو ، بالرغم من افادتهم من تجارب عصور قاربت آلافا خمسة من عمر الزمان ، ويقال ان اليابانيين فعلوها ، فلم يفلحوا[١٣] .

وليس هناك من ريب فى أن «المسلات الجرانيتية» انما هى دليل آخر على عبقرية المهندس المصرى والتى لم نستطع التعرف عليها حتى الان، ورغم ما كتب عن المسلات ، فمازال العالم يجهل أمور كثيرة ، لعل منها ، على سبيل المثال ، ما هو نوع الادوات التى استعملها المصريون فى قطع الصخر البـــالغ الصلود ؟ وكيف نقشت النصوص الهيروغليفية المطولة المعقدة على حجر الجرانيت الصلد ؟

هــذا ويدل التحديد الواضح فى أضـــلاع المسلة المصرية المقامة فى باريس على مدى أناقة العمارة المصرية كما تدل اقامة المسلة نهـــائيا فى العصور القديمة (منذ حوالى ٣٥ قرنا) على عملية هندسية بالغة الدقة ،

---

(١٣) محمد بيومى مهران : مصر ١٩٠/٢ ، هيرودوت يتحـدث عن مصر ص ٢٥٢ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩١ .
وعن بناء الاهرامات : أنظر :
أحمد فخرى : الاهرامات المصرية ـ القاهرة ١٩٦٣ ص ١٧ ـ ٣٤ ، محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٧٥ ـ ٣٥٨ ، محمـــد بيومى مهران : مصر ١١٣/٢ ـ ١١٨ ، ١٣٩ ـ ١٤٠ ، ١٨٧ ـ ٢١٢ ، وكذا
W. M. F. Petrie, The Pyramids and Temples of Giza, London, 1883, p. 163 F.
وكذا I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, London, 1965.
S. Cyarke and R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry, London, 1930, p. 117-129.

مما يجعل المرء يتساءل : هل جرب المصريون هذا العمل فى نماذج صغيرة أولا ، لكى يحددوا وزن المسلة ومحور ارتكازها واختبروا كذلك عملية الاقامة ليتحاشوا احتمالات الفشل ؟

وهناك فى محاجر أسوان تركت مسلة فى مكانها ، كانت تبلغ ١١٦٨ طنا فى وزنها ، لو أنها قطعت ، ومعنى ذلك أنه كان فى استطاعة المصريون أن يقيموا مسلات أضخم كثيرا مما هو معروف لنا فى الغرب (مسلات اللاتيران والفاتيكان وباريس ولندن) وفى نيويورك ، بدليل أن مسلة أسوان أثقل ست مرات من مسلة لندن ، ومع ذلك فقد تحدث الناس عن أعمال «فونتانا» عام ١٨٥٦م ، و «جورنج» عام ١٨٨١م ، وكأنها أعجوبة الاعاجيب ، مع أن الرجلين لم يفعلا شيئا أكثر من تكرار جزء من العمل الذى سبقهما اليه المهندس المصرى منذ آلاف السنين •

وعلى أية حال ، فلقد تضمنت مواضيع الهندسة المصرية طائفتين من المسائل : طائفة عملية يسيرة الحل والتطبيق ، اهتمت باستخراج المساحات والابعاد والحجوم ، وطائفة نظرية تطلب نصيبا من التخصص والمهارة•

هذا وقد تضمنت كراسات التلاميذ فى التمرينات مسائل المساحة ، كمساحة المستطيل والمثلث والمثلث الناقص والدائرة ، ومساحتها $(\frac{8}{9})^2$ من قطرها ، أى أن مساحة الدائرة تنقص تسعا عن مساحة المربع المساوى لها فى أبعاده ، بمعنى أن مساحة الدائرة التى يبلغ قطرها ٩ ، تساوى مساحة مربع يبلغ طول ضلعه ثمانية فقط ، هذا وقد مارس القوم طريقة أخرى ناضجة فى حساب الدائرة ، لم يدونوا تفاصيلها ، ولكن بعض الرياضيين المحدثين رأوا من تطبيقاتها العملية فى الآثار المصرية الباقية ، أن نسبتها التقريبية لم تختلف عن النسبة الحالية غير اختلاف ضئيل ، وكانت تعادل ٣٫١٦٠٥ عوضا عن ٣٫١٤٢٨ الحالية •

وفى مساحة المثلث اتبع المصريون القدامى نفس النظرية الميسرة التى نهتدى بها حتى الآن ، وهى ضرب نصف قاعدته فى ارتفاعه ، وبرروا نظريتهم بأن مساحة المثلث تساوى نصف مساحة المستطيل المشترك معه

فى أبعاده ، وصاغوها صياغة عملية فقالوا : «اذا قيل لك أن مثلثا بلغ ارتفاعه العمودى ١٠ ، وقاعدته ٤ ، وطلبوا مساحته ، فهكذا يكون العمل : استخرج نصف الاربعة ، أى ٢ ، ثم اعتبر الشكل مستطيلا ، واضرب ١٠ × ٢ تستخرج المساحة» ، أى أن مساحة المثلث = القاعدة × الارتفاع / ٢

وأما فى المثلث الناقص فكانت تحل مسائله على أساس :

القاعدة العليا + القاعدة السفلى × الارتفاع ، ثم يقسم الحاصل على ٢ .

هذا وقد بلغ المصريون القدامى الذروة فى تقدير حجم الهرم الناقص، وابتدعوا له نظرية رياضية سهلة التطبيق ، تكاد تكون صورة أصلية لنظريته الرياضية المأخوذ بها حتى الان وهى :

(مربع القاعدة العليا + مربع القاعدة السفلى + القاعدة العليا × القاعدة السفلى × الارتفاع ÷ ٣)

ويبدو أن كثرة التطبيقات العملية على أشكال الهرم الناقص ، فى أعمال المهندسين المصريين هى التى ساعدتهم على ابتداع نظرية تقدير حجم الهرم الناقص البارعة ، فكثيرا ما كانوا يضطرون الى تقدير حجوم المسلات التى تشبه فى هيئتها الهرم الناقص ، قبل وضع الجزء العلوى ذى الشكل الهرمى المدبب عليها ، لمعرفة وزنها التقريبى ، وتقدير مايلزم لها من رجال وأدوات لنقلها من محاجرها فى أسوان ، والابحار بها على متن النيل ، ثم اقامتها فى مواضعها .

وقد وجدت فى بعض المخطوطات مسائل تشير الى استخراج الزوايا والارتفاعات العمودية وهى مسائل متقدمة تشير الى مرحلة تخص — على الاغلب — طبقة من المتعلمين الذين قطعوا مرحلة بعيدة ، ويزمع تخرجهم فى العلوم الهندسية وممارستهم لها ، فمنها مثلا مسألة تتطلب تقدير الارتفاع العمودى لشكل هرمى ، بعد تقديم طول قاعدته وزاويته ، وان كانت النتائج لم تكن دائما سليمة ، وخاصة فيما يتصل بالمساحات .

وأيا ما كان الامر،فلقد كانت الهندسة المصرية موضع تقدير الاغارقة فرغم أنهم قد توصلوا الى نظريات رياضية جديدة بارعة ، منذ نشأت مذاهبهم الرياضية فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد،غير أن مؤرخيهم وفلاسفتهم لم يترددوا فى اعتبار الرياضيات المصرية أصلا لبعض نظرياتهم وقوانينهم ، فلقد روى الفيلسوف الآثينى «افلاطون» عن أستاذه «سقراط» (٤٦٩ ــ ٣٩٩ ق٠م) أن المعبود المصرى «تحوت» انما كان أول من اخترع نظام العد والهندسة والفلك ، وأكدت الروايات الاغريقية أن «طاليس» انما كان من أقدم من نقلوا أصول الهندسة المصرية الى اليونان ، وأنه علم تلميذه «بيتاجوراس» كل ما يعرفه عنها، ثم وجهه الى مصر ليتم دراسته الرياضية مع علمائها وكهنتها •

هذا وقد دعا «افلاطون» «حوالى ٤٢٧ ــ ٣٤٧ ق٠م» أحرار قومه الى أن يتعلموا ما يتعلمه الناشىء المصرى من فروع المعرفة ، وقد روى لهم أن مصر جعلت تعليم الحساب متعة وتسرية ، وأن معلميها كانوا يوزعون على تلاميذهم ثمارا وأزهارا ، ويطلبون منهم توزيعها على أفراد يزيدون عنها فى العدد تارة ، وينقصون عنها تارة أخرى ، ثم يوزعون عليهم صحافا تتضمن أوزانا من ذهب ونحاس وفضة ، ويطلبون منهم أن يستعينوا بها فى تمارينهم الحسابية ، وبهذه الوسائل ــ كما روى «افلاطون» يتزود التلميذ المصرى بخبرة حسابية طيبة ، يستعين بها فى ادارة شئون أسرته ، وفيما يسند اليه من أعمال حسابية فى مستقبل حياته الوظيفية ، كأن يقسم أرزاق الجنود فى الجيش ، أو يقسم أرزاق العمال فى المشروعات الكبيرة •

وانتهى الفيلسوف الآثينى (افلاطون) ، فعاب على معاصريه من المفكرين الاغارقة ، ترفعهم المصطنع عن الاهتمام بفروع الحساب وقضاياه ، ثم ذكرهم بفضل المصريين عليهم فى معرفة حجوم الاشياء ذات الطول والعرض والعمق ، وتحرير المصريين لهم من كثير مما كانوا يعيشون فيه من جهل وسوء ادراك •

هذا وما زالت الدقة البالغة فى المنشآت الهندسية المصرية القديمة ،

من أهرام ومعابد ومسلات ، تشجع بعض الباحثين المحدثين على الاعتقاد بأن ما عرف حتى الان عن الرياضيات المصرية لا يمثل غير أقلها ، ولايمثل غير أبسطها ، وهى فى نفس الوقت تدل على مدى نضج العقل المصرى ، ومدى عبقريته[14] •

---

(١٤) عبد العزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية ١/٥٩٢ ـ ٥٩٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٦ •

الفصل الرابع

الطـــــب

١ ـ تقـــديم

كان للطب فى مصر الفرعونية شأن عظيم ، كما كان الاطباء يتمتعون بمكانة مرموقة فى المجتمع المصرى القديم ، وكان ينظر اليهم نظرة ملؤها التقدير والاحترام ، كما كانت لهم شهرة ملأت أسماع الدنيا ، فلجأ اليهم الحكام والامراء من كل مكان ، يلتمسون عندهم البرء والشفاء ، نذكر منهم على سبيل المثال الملك الفارسى الذى بعث الى فرعون يلتمس منه ان يأذن لأحد أطباء العيون من رجال بلاطه بالسفر الى فارس لعلاجه•

ويقـــول هيرودوت : «ان المدارس الطبيـــة فى مصر كانت فى منتهى الشهرة ، والسمعة الطبية الطيبة ، كما أن رجال الطب الذين تخصصوا فى مختلف فروعه كان لهم صيت ذائع ، وأن الملوك والامراء والعظمـــاء فى البلاد الاخرى كانوا يستدعونهم لعلاجهم» •

وجاء فى «الاوديسة» أن رجال المهن الطبية فى مصر على أعلى درجة من الذكاء الذى لم يصل اليه شعب من الشعوب» •

ثم يتحدث هيرودوت عن تخصص المصريين فى فروع الطب المختلفة ، فيقول : «وينقسم الطب عندهم الى الفروع التالية : لكل مرض طبيب تخصص فيه ، وبلادهم كلها غاصة بالاطباء ، بعضهم متخصص فى العيون وبعضهم فى الرأس،وبعضهم فى الاسنان ، وبعضهم فى الامعاء ، وبعضهم فى الامراض الخفية»(١) •

وهنـــاك من تراث المصريين بين أيدينـــا الان كتب فى الطب تدل محتوياتها على معرفة فى هذا العلم أذهلت أئمته فى العالم الحديث ، ذلك لانها حوت الكثير من النظريات الصادقة ، وألوان العلاج الناجحة والمبنية على ملاحظات واقعية وخبرات عملية ، والمام كبير بالتشريح ووظائف الاعضاء ، والواقع أن ممارسة المصريين للتحنيط قـــد بصرتهم بطبيعة الجسم وأسراره ، ولقد يعـــاب على الطب فى مصر الفرعونية أنه كان

---

(١) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٩٠ ـ ١٩٢ •

مشوبا ببعض الخرافات والتعاويذ السحرية التى ترمى الى التخلص من الارواح الشريرة ، وتلك أمور لم تتخلص منها الدنيا حتى يومنا هذا[٢].

٢ ـ الطب والسحــر

اختلف علماء السلالات فى النحو الذى تبعه الطب فى أول أمره ، فمنهم من رأى أنه بدأ عمليا تجريبيا تابعا لمقتضيات الحياة اليومية ، وأنه لم يصطبغ بالطابع السحرى أو الدينى ، الا عندما استيقظ ذهن الانسان فبدأ يتأمل فيما يحيط به ، على أن هناك فريقا آخر انما ذهب الى أن الطب قد بدأ بالسحر والشعوذة ، قبل أن يصنف الملاحظات الواقعية .

غير أن المصرى القديم ـ على عكس الاغريق ـ كان بعيدا عن التفكير فيما وراء الطبيعــة ، وعن النظــريات الافتراضية ، واعتمد فى تشييد حضارته على تكديس الملاحظات الواقعية والافادة منها ، فأضاف بذلك خبرة عملية الى فطنته الغريزية ، سرعان ما أدتا الى تناقض فى أساليب تفكيره ، لبقاء رواسب مختلفة من الفكر العتيق شابت ما حققته نزعته التجريبية ، وهذا المزاج العجيب سنصادفه كثيرا فى دراسة الطب المصرى القــديم[٣] .

وفى الواقع فلقد كان التعرف على التطبيب تجريبيا من غير شك فى أول الامر ، ألجأته اليه الضرورة وتوارثته الاجيال فزادت عليه وأضافت اليه ، وكانت التفرقة بين العلاج الطبى الصحيح وبين السحر عسيرة ، فكان المرض من صنع الارواح يتطلب رقية ، الى جانب الدواء ، ومن ثم فقد كان الكاهن هو الطبيب الذى يباشر العلاج الطبى بالسحر والرقى والتعاويذ ، الى جانب ما يشير به من عقاقير وأدوية ، بل انه كان يظن أن أعضاء الجسم تقع تحت تأثير بعض المعبودات ، فالاله «نو» للشعر ، و «رع» للوجه ، والالهة «حتحور» للعينين ، والاله «أنوبيس» للشفتين ،

---

(٢) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص٩١ .
(٣) بول غليونجى : الطب عند قدماء المصريين ـ تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى ص ٥٢٣ .

و «تحوت» للاعضاء ••• وكانت هناك علاقة وثيقة بين بعض المعبودات والعقاقير ، فمثلا كانت «دموع حور» تتحول الى صمغ المر •

وكانت الرقى والتعاويذ تتلى عند تحضير الدواء وتعاطيه ، وتكتب أحيانا بنوع خاص من الحبر على البردى ، ثم ينقع هذا فى الماء ويشرب المريض السائل بعد ذلك ، وعندئذ يقتضى الامر تلاوة تعويذة مطلعها : تعال أيها الدواء ، تعال واطرده من قلبى ومن أعضائى هذه ، فالرقى عظيمة المفعول فى الدواء» ، وكانت الارواح الشريرة تسكن جسد الانسان ويمكن طردها بتلاوة بعض الرقى أو دهن الجسم ببعض الزيوت •

وكان الى جانب التعاويذ الخاصة التى ينبغى أن تقرأ على العقاقير المختلفة لتكسبها القوة اللازمة ، فاننا نصادف أيضا استعمال الصيغ السحرية ، فمثلا عند نزع كل ضماد كان من الواجب أن تتلى الصيغة التالية : قد خلص ، قد خلص بواسطة ايزة ، لقد خلصت ايزة حور من كل شر ، اقترفه ست عندما قتل أباه أوزير ، أى ايزة ، أيتها الساحرة العظيمة ، خلصينى من جميع المساوىء الحمراء ، ومن مرض الاله ومرض الآلهة ، ومن الموت ، ومن العدو والعدوة اللذين يعترضانى ، كما تخلصت أنت ، وكما ولدت ابنك حور ، لانى دخلت النار ، وخرجت من الماء•••»•

وهكذا يمكن القول أن الطب قد ظهر ، أول ما ظهـر ، متمشيا مع السحر ، والسحر ، ان أردنا ترجمة له من هذه الزاوية هو « عـلاج نفسى» ، ربما لم يكن هذا هو ما يقصد بالضبط من ممارسة السحر ، الى جانب الطب ، ولكن الاثر واحد ، ذلك لان السحر هنا ــ رغم عدم جدواه المباشرة ــ لون من ألوان الايحاء بالشفاء ، وكان يجب أن تتوفـر فى الطبيب الساحر صفات معينة كالمهارة والذكاء أحيانا ، أو تعرضه لاصابات معينة كالصرع ــ وهــو من الظواهــر التى كان يخفى عليهم تحليلها ، فيخالونها روحا تمسه تستطيع الاشفاء ــ أو غير ذلك ، ومن أجل ذلك نرى ارتباط الطب بالكهانة فى أول الامر ، واحــاطته فى الوقت نفسه بحجاب من السرية ، لا ينفذ اليه الا المختارون •

ومع ذلك كله ، فالذى لا جدال فيه أن تراث المصريين الذى بين أيدينا من كتب ، وما ضمت من معرفة بالامراض وتشخيصها والقيام بعلاجها ، ثم من أدوات الجراحة وطرق استعمالها ، انما يدل على تقدم المصريين فى الطب عامة ، وفى فن الجراحة بخاصة — من بتر وجبر وخلع وختان وغير ذلك — تقدما لم يسبقهم فيه سابق ، ثم هم قد مهروا ، فضلا عن ذلك ، فى الطب الباطنى ، ووصفوا الكثير من الامراض وصفا دقيقا يعتمد على الخبرة ، ويتسم بدقة الملاحظة ، بل يدل على قدرتهم على تشخيص الامراض ، على أساس فهمهم العميق لوظائف أعضاء الجسم والمامهم بالتشريح ، ثم هم قد عشقوا فنون الطب كافة ، فلم يقفوا فى جهودهم فيه عند حد ما قدمنا بل هم حاولوا معرفة نوع ما تحمل الانثى من جنين، كما توصلوا الى علاج تسويس الاسنان بالحشو ، وشد غير الثابت منها الى جاراته بأسلاك من ذهب ، كما اعتمدوا فى العلاج بوجه عام على الجراحة ، الى جانب استخدام العقاقير والمراهم وممارسة التدليك بمختلف أنواع الزيوت ، كل ذلك فضلا عن الاستعانة بالرقى والتعاويذ، كما فعلت بقية شعوب الارض •

وفى الحقيقة فان تفوق المصريين القدامى فى علوم الطب أمر معروف، وقد وصلت الينا برديات كثيرة تدل بوضوح على تعمق المصريين فى شئون الطب وتنوع دراساته ، فهناك الطب البيطرى ، وهناك الطب الباطنى ، وطب أمراض النساء ، وطب الجراحة ، وطب العيون ، وطب الاسنان ، ومن ثم فلا غرو اذن ان امتلأت البلاد فى العصور المتأخرة من التاريخ الفرعونى بمراكز طبية ، كان يهرع اليها المرضى طلبا للشفاء ، بل ان فى وسعنا أن نقول أن وسائل العلاج قد انتقلت من المصريين الى اليونان ، ثم الى الرومان الى عصرنا الحاضر ، ولانزال حتى الان نجترع فى ثقة واطمئنان كثيرا من الادوية التى خلطها أطباء هذا الشعب العريق ، الذى عاش على ضفاف النيل منذ خمسة آلاف سنة(٤) •

(٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٧ ، أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٩١ ، محمد بيومى مهران : مصر ١٢١/٢ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١١ •

٣ ـ البرديات الطبيـــة

لا ريب أننا لسنا فى حاجة الى تأكيد قدم الطب المصرى ، ففى كل الحضارات يتطور الطب مبكرا ، لان الحاجة اليه عامة ملحة دائما ، بحيث لا يمكن اغفالها فى أية بقعة من بقاع الارض ، وليس هناك من شك فى أن المصريين قد مارسوا نوعا من الطب منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ ، فاستعمال الملاخيت ـــ كحلا وطلاء للعين ـــ مثـــلا انما يرجع الى عصر البدارى[٥] ، وأن استعمـــال «الجالينا» (خـــام الرصاص) لاغراض مشابهة جاء بعد ذلك فى عصور ما قبـــل الاسرات أيضا ، وكان الختان طقسا من طقوس المصريين منذ عصر سحيق دلت عليه آثاره فى الجثث التى استخرجت من مقابر عصور ما قبل التاريخ (أى منذ حوالى عـــام ٤٠٠٠ ق٠م)[٦] ٠

هذا ويشار فى أكثر من مكان الى أن أول واضع لمجموعة دراسات طبية انما هو الملك «أثوثيس» ابن الملك «مينا» (منى) مؤسس الاسرة الاولى المصرية (حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م) ، وأن من بين ما وضعه من كتب ، كتاب خاص بالعقاقير الطبية ، وأن الملك «أوزيفايوس» حقق تقدما كبيرا فى علم التشريح٠

غير أن أقدم طبيب مصرى معروف باسمه انما هو «ايمحوتب»[٧] ، وزير الملك «زوسر» ثانى ملوك الاسرة الثالثة (حوالى عام ٢٧٠٠ ق٠م)،

---

(٥) أنظر عن «عصر البدارى وحضارته» : (محمد بيومى مهران : مصر ٢٤٧/١ ـ ٢٥٧ ، وكذا
G. Brunton and G Caton-Thompson, The Badarian Civilisation and Predynastic Remains Near Baddri, London, 1928.

(٦) جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١١ ـــ ١١٢ ٠

(٧) ولد «ايمحوتب» ، على الارجح ، فى بلدة الجبلين ، على مبعدة ١٨ كيلا شمالى اسنا ، بمحافظة قنا ، وطبقا لنقش من وادى الحمامات يرجع الى الفترة ما بين عامى ٤٩٥ ، ٤٩١ ق٠م ، فان اسم والد ايمحوتب هو «كا ـــ نفر» ، وكان يعمل مديرا للاعمال فى مصر العليـــا والسفلى ، واسم أمه «خردو ـــ عنخ» ، كما كانت زوجتـــه تدعى «نفرو ـــ نبت» (محمد بيومى مهران : ١١٨/٢ ـ ١١٩) ٠

وكان «ايمحوتب» عالما وفلكيا وطبيبا ومهندسا معماريا وكبيرا لكهنة أون (هليوبوليس) ، وصار فى العصور التالية معبودا عند المصريين ، باعتباره بطلا وطبيبا منزها عن كل شائبة ، ثم عبدوه بعد ذلك باعتباره الها للطب وأضفوا صفاته على «اسكلبيوس» ، ذلك أنه فى القرن السابع قبل الميلاد زاد اتصال المصريين بالاغـارقة ، وعندما وقف الاغـريق على كتابات «ايمحوتب» فى علوم الطب أبوا أن يصدقوا أن مثل هذا النابغة يمكن أن يكون بشرا ، كسائر الناس ، فألهوه واعتبروه ربا للشفاء ، كما اعتبروا أماكن عبادته من الاماكن التى يحج اليها المرضى ليكتب لهم الشفاء .

وفى عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، جلس ملوك البطالمة على عرش الكنانة ، وقد حاولوا — ما استطاعوا الى ذلك سبيلا — أن يظهروا أمام المصريين كفراعنة ، وتعبدوا للالهة المصرية ، وكان «تحوت» واحدا من هذه الإلهة، وقد عبدوه تحت اسم «هرمس» الاله الاغريقى ، وبالتالى فقـد عبدوا «ايمحوتب» كصورة من صور «تحوت — هرمس» ، ثم سرعان ماأدخلوا عبادة الههم «اسكلاب» (اسكلبيوس) رب الطب ، الى مصر ، وتكون فى النهاية معبود مصرى — بطلمى،يبلور فى عقيدة الناس الهيمنة على العلوم والمعارف هو «تحوت — ايمحوتب — هرمس — اسكلاب» ، ولعل أهم ما تبقى من صفات هذا المعبود صلته الكبيرة بعلوم الطب .

ومع أننا لا نعرف الا القليل عن معلومات ايمحوتب[8] الطبية ، غير أن تاليه القوم له انما ينطوى على معان واضحة ، تجعلنا مطمئنين الى تقدير المصريين له بانه أول رجل عظيم فى الطب ، وينبغى أن يذكر أولئك

---

(٨) انظر عن : ايمحوتب (محمد بيومى مهران : مصر ١١٨/٢ — ١٢٢ — الاسكندرية ١٩٨٨ ، وكذا

K. Sethe, Imhotep der Asklepios der Egypter, (Uters..., II, 4,) Leipzig, 1902.

J. B. Hurry, Imhotep, The Vizier and Physician of King Zoser, and afterward The Egyptian god of Medicine, London, 1928.

P. Gilbert, L Histoire et la Legende d'Imhotep, Brussed, 1949.

F. Daumas, Le Vivilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1956, p. 71-73.

الذين يزعمون بأن «هيبوقراتيس» أبو الطب ، انما يجىء فى منتصف الفترة الزمنية بين ايمحوتب وبيننا ، وفى ذلك ما يكفى لتعديل منظورهم الى العلم القديم ، وكما يقول الدكتور محيى الدين الخرادلى — أستاذ الجراحة بجامعة الاسكندرية — «ان طب الاغريق لم يكن مستحدثا ، بل اقتبس كثيرا من الطب المصرى القديم ، حتى أنه يمكن اعتباره امتدادا له ، فلو أن أقدم بردية طبية كتبت حوالى عام ١٩٠٠ ق٠م ، فان الدرجة التى بلغتها انما تدل على تطور طويل المدى يرجع على الاقل الى حوالى عام ٣٠٠٠ ق٠م ، مما يجعلنا نجزم بأن الطب قد نبع من وادى النيل ، ومن ثم فيجب أن نعتبر مصر — وليس اليونان — هى منبت الطب ، وأن ايمحوتب — وليس اسكلبيوس — هو عبقرى الطب وسيده»[٩] ٠

هذا وتحتفظ المتاحف العالمية فى كل من باريس وليدن ولندن وبرلين وتورين ببعض البرديات الطبية التى ألقت الضوء على دراسة الطب عند المصريين القدامى ، وقد أخذت هذه البرديات اسمها من أسماء الذين حصلوا عليها ، أو أسماء الاماكن التى توجد فيها الان ، ومن ثم فقد اطلق عليها أسماء كاهون وادوين سمث وايبرس وهرست وبرلين وتشستر بيتى وكارلزبرج ، وهناك مخطوطات أخرى فى مجموعات فردية، وهى لفائف ثانوية ، ثم هناك — من هذه الاوراق — تلك الثروة التى لا تزال دفينة فى أرض مصر الطيبة ٠

وكانت عملية النسخ تتم على يد الكتاب المحترفين ، وليس عن طريق الاطباء ، وكانت تلك المخطوطات كثيرة التداول ، كما يظهر من بعض العبارات الواردة على الهوامش مثل «جربت هذا ووجدته مفيدا» أو «هذا طيب» ، مما يدل على أن المخطوط منقول بحذافيره وهوامشه من غيره ، اذ أن تلك الهوامش مدونة بخط الناسخ نفسه ، ولنتحدث الان عن أهم البرديات الطبية :[١٠]

---

(٩) محيى الدين الخرادلى : محاضرة نشرت فى سجل المحاضرات العامة للموسم الثقافى ١٩٥٧/٥٦ لجامعة الاسكندرية ٠

(١٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى ٥٢٤/١ ـ ٥٢٥ ٠

١ ـ بردية ادوين سمث الجراحية :

ترجع بردية ادوين سمث الجراحية هذه الى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد (حوالى عام ١٥٥٠ ق•م) ، وقد اشتراها «ادوين سمث» (١٨٢٢ ـ ١٩٠٦م) عام ١٨٦٢م من مدينة الاقصر ، وهى الان فى حيازة الجمعية التاريخية فى نيويورك ، حيث ظلت تفصيلات محتوياتها مجهولة ، حتى قام بنشرها وترجمة نصوصها العالم الامريكى «جيمس هنرى برستد» فى عام ١٩٢٢م ، ثم طبعت مرة أخرى فى عام ١٩٣٠ م كما قام الاستاذ الدكتور محمد كامل حسين بنقل هذه البردية الى اللغة العربية ، واعتبرها نقطة التحول فى تاريخ الطب بين فن العلاج وعلم الطب ، وكان طولها فى الاصل نحو ثمانية أمتار ، لم يبق منها الا ٥٨ر٤م تحتوى على ٤٦٩ سطرا •

وتحتوى على كتاب الجروح الذى يرجع اليه اهميتها الفائقة ، وعلى ظهرها دونت اشارة لعلاج امراض المستقيم وكتابة عنوانها «لابعاد هواء الطاعون» تزخر بالتعاويذ . واخرى لرهم يعيد الشباب الى الشيوخ •

ويشمل الجزء الاول من البردية ٤٨ مشاهدة واقعية فى جراحة العظام والجراحة العامة ، مقسمة تبعا لتقسيم جسم الانسان من الرأس فالانف والفك وفقرات الرقبة وفقرات الظهر والاضلاع والصدر والترقوة والكتف واللوح واليدين حتى العمود الفقرى ، ومن المرجح أنه كان يشمل كل أجزاء الجسم ، حيث أن آخر مشاهدة فيه ، وهى الخاصة بالعمود الفقرى ، تختتم بعبارة ناقصة •

ورغم ذلك فان البردية تمتاز بأنها تتناول حالات معينة بالوصف الاكلينكى الدقيق،مبتدأ بالعنوان ثم الكشف والتشخيص وطريقة العلاج ويقدم الدكتور الخرادلى الحالتين السادسة والحادية والثلاثين كمثلين للوصف الاكلينكى الدقيق :

أما الحالة السادسة فقد جاء فيها : «اذا قمت بالكشف على رجل عنده جرح فى رأسه مخترقا الى عظامه ، مهشما جمجمته ، فاتحا مخه ،

فادخل أصبعك فى الجراح ، فاذا تحسست هذه التلافيف التى تشبه النحاس المضروب،وشعرت بالانتفاضات تحت اصبعك تشبه الانتفاضات التى تجدها فى قمبة رأس الوليد قبل أن يتم نموها ، ولن تجد هذه الانتفاضات اذا لم يكن المخ قد فتح ، وستجد الدم يخرج من فتحتى أنفه وعنقه متيبسا ، كانت هذه حالة جرح فى رأس هشمت جمجمته وفتحت مخه •

وأما الحالة الحادية والثلاثون : فحالة شلل رباعى جاء فيها : «اذا قمت بالكشف على رجل عنده خلع فى فقرة رقبته ووجدته لا يحس بذراعيه وساقيه ، وذكره منتصب يسيل منه دون أن يشعر ، فان خلعا فى فقرة رقبته هو السبب فى انه لا يشعر بذراعيه وساقيه ، أما اذا كان الخلع فى الفقرة الوسطى من العنق انساب المنى من ذكره •

وفى الحالة الخامسة والاربعين ، وهى حالة سرطان الثدى نراه يقول: «اذا قمت بالكشف على رجل عنده ورم فى يديه ، فاذا وجدته كبيرا ممتدا صلبا كالفاكهة الفجة ، فقل هذا ورم ساكافحه ، ولكن ليس له علاج» ؛ وفى الحالة الخامسة والعشرين ، وهى حالة خلع الفك الاسفل يقول : اذا فحصت رجلا فى فكه الاسفل خلع ، وكان الفم مفتوحا لا يستطيع أن يغلقه ، فضع ابهاميك على طرفى فرعى الفك من الداخل ، وأصابع اليدين تحت الذقن ، ثم ارفعه الى الخلف ، فيعود الى مكانه» •

ويمتاز هذا الجزء الاول من البردية بدقة الملاحظة والخلو من النظريات والسحر والشعوذة التى تزخر بها المؤلفات الاخرى ، وربما كان ذلك لانه يتناول جروحا يسببها فعل خارجى معروف ، لا أمراضا ذات أسباب خفية يمكن ارجاعها الى الآلهة والارواح ، ويذهب «برستد» الى أن هذا الجزء من البردية انما هو أقدم ما كتب عن الجراحة فى العالم كله ، وقد أحدث ضجة كبيرة فى المجال الطبى عند ظهوره ، هذا فضلا عن أن المختصين فى تاريخ الطب انما يعتبرونه نقطة التحول بين فن العلاج وعلم الطب ، ذلك لان محتويات البردية انما تثبت أن مؤلفها لم يكن شخصا يؤمن بالسحر أو الكهانة ، بل كان طبيبا يراقب مرضاه الليالى

الطوال ، ويرقب ويبوب ما يلاحظ عليهم أثناء المرض ، بل انه كثيرا ما كان يشرح الجسم بعد الوفاة لمعرفة السبب •

ويذهب الدكتور حسن كمال الى أن عهد تسجيل البردية قديم ، ذلك لان أسلوبها وقواعدها اللغوية انما ترجع الى عهد الدولة القديمة ، ولعله فى ذلك انما كان متأثرا بما ذهب اليه «برستد» من أن كاتب البردية ربما كان «ايمحوتب» أو غيره ممن تلقوا العلوم عن الكهنة ، على أن هناك من يذهب الى أن كاتب البردية انما كان جراحا عسكريا حصل على معلوماته من احدى الحروب ، وربما حرب التحرير ضد الهكسوس •

على أن الدكتور محمد كامل حسين ـ أستاذ جراحة العظام ومدير جامعة عين شمس الاسبق ـ انما يذهب الى أن كاتب البردية (وكان قد نقلها الى العربية) لم يكن أبدا جراحا عسكريا ، ذلك لان ظروف الحرب لا يمكن أن تسمح بملاحظة الجريح مدة كافية ، والاشراف الكامل على تطور حالته ، ولما كانت الاصابات المذكورة فى البردية من النـوع الذى قد يتسبب عن سقوط من ارتفاع شاهق ، فقد بدا مؤلفها ، كما لو أنه قد عاصر بناء أحد الاهرامات التى كان يستغرق تشييد الواحد منها ما يقرب من ثلاثين عاما ، والتى كان العمـال يصابون بلاشك أثناء العمـل بها باصابات مختلفة ، وبما ان هذه الحوادث كانت تقع فى أزمنة متباعدة يسمح تباعدها بالتأمل والتأويل ، وتتبع حالة كل مصاب ، فان الدكتور محمد كامل حسين انما يرجح أن يكون مؤلف البردية قد اشترك فى بناء أحد هذه الاهرامات •

هذا ويحدد لنا الدكتور بول غليونجى ـ الاستاذ بجامعة عين شمس سابقا ـ الاوجه الجديرة بالاعجاب فى هذه البردية ، والتى منها (أولا) معرفة بالتشريح غير ميسورة فى ذلك الزمن ، فان اللفـظ الدال على «المخ» ورد بها ـ لأول مرة فى التاريخ ـ فى عهد لم يكن فيه لهذا العضو تسمية فى أية لغة من لغات العالم ، كما ورد ذكر الكيس المغلف له ، وفى هذا اشارة صريحة للام الجافة والام الحنون ، وهما غشاء المخ ، أمـا النبذ الخاصة بالعظام والفقرات فهى عديدة ، ومنها (ثانيا) الدقة فى

الفحص ، وصحة تفسير العلامات الاكلنيكية ، الامر الذى لايمكن تحقيقه الا بمعرفة سليمة لقواعد فسيولوجية أساسية ، فلقد عرف صاحب البردية معنى قرقرة العظام تحت اليد ، واستعان بها فى التفـرقة بين الكسر والجزع ، الذى قال عنه بحق انه اصابة للاربطة ، دون تغير فى وضع العظـام •

ومنها (ثالثا) الاهمية القصوى التى أعيرت للنبض فى معرفة حالة المريض وحالة القلب ، وقد جاء فى أول الكتاب نبذة طويلة عن الشرايين والنبض ومحل جسه ، ومن عباراتها التى أثارت بعض الجدل : « ان فحص المريض يشبه (عد أو قياس) مرض شخص لمعرفة وظيفة قلبه» ، وقد رجح «برستد» أن هذا التعليق انما يشير الى عد النبض ، فـاذا صح ما ذهب اليه «برستد» ، فـان صاحب البردية يكون قـد سبق «أبقراط» (٤٦٠ ـــ ٣٧٠ ق٠م) ، والمعروف بأبى الطب ، و «ديموقريط»، اللذين لم يذكرا عد النبض ، بألفى سنة أو تزيد ، وقد لا يكون من مجرد الصـدفة أن أول من عـده انما كان «هيروفيلوس» والذى عـاش فى الاسكندرية وزاول مهنة الطب فيها فى النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد ، حيث كانت علاقة القلب بالنبض قد عرفها المصريون منذ حوالى ٢٥٠٠ سنة ، وكانت المزاول المائية معروفة منذ زمن ، وربما كان عد النبض هذا سرا من الاسرار التى أخفاها العلماء المصريون القدامى عن «أبقراط» وغيره من الزوار الاغريق •

ومنها (رابعا) عدم الاكتفاء بدقة الوصف المحلى للاصابة ، بل الربط بين ظواهر متلازمة فى أجزاء متباعدة من الجسم ، تكون منها ـــ لأول مرة فى التاريخ ـــ صور اكلينيكية مميزة ، وقـد قيل أن «جالينوس» (١٣٠ ـــ ٢٠٠م) هو أول طبيب حقق هذا التقدم فى التفكير الطبى ، غير أن طبيبنا العبقرى هذا قـد سبقه بسبعة عشر قرنا ، ومن أمثلة تلك المتلازمات التى وصفها صـاحب البردية ، اصـابات العمود الفقرى المصحوبة بالشلل والتبول غـير الارادى ، والاستنماء ، مع تخصيص الاستنماء باصابة فقرات الرقبة الوسطى ، والربط بين كسور عظمـة

الصدغ والصمم ، وبين اصابة ناحية من المخ والشلل النصفى ، ومنها (خامسا) اهتمامه بتتبع أطوار المرض للوصول الى التشخيص والتكهن بالمآل ، ومنها (سادسا) أن صاحب البردية انتقل من التشخيص الى التكهن بالمآل ، فيقول : ان مآل كسور الجمجمة سىء ، اذا كان المخ لا ينبض تحت اليد ، أو اذا كان العظم منخفضا داخل المخ ، أو اذا لوحظ تصلب فى الرقبة ، أو نزف من الانف أو الاذن أو تحت الملتحمة ، وكلها علامات حدوث مضاعفات معروفة تزيد فعلا من خطورة الاصابة •

ومنها (سابعا) دقة وصف التحريكات العلاجية ، كوصف كيفية اعادة جزئى الترقوة المكسورة الى محلها ، وتلك هى الطريقة التى قال عنها عميد المختصين الدكتور محمد كامل حسين : ان العلم الحديث لم يصل الى أحسن منها ، وأنها تؤدى الى درجة تامة من الشفاء ، ومنها (ثامنا) تباين المعدات الجراحية التى كان يستعين بها المؤلف فى العلاج[11] •

٢ ــ بردية ايبرس :

تعد بردية ايبرس هذه أشهر البرديات الطبية وأطولها ، وقد عثر عليها فى الاقصر عام ١٨٦٢م ، وحصل عليها الاثرى الالمانى «جورج ايبرس» (١٨٣٧ ــ ١٨٩٨م) من «ادوين سمث» ثم نشرها عام ١٨٧٥م كما قام «والترفريزنسكى» (١٨٨٠ ــ ١٩٣٩) بنشر أربعة أجزاء من

---

(١١) انظر : حسن كمال : الطب المصرى القديم ٤/٣٨٧ ــ ٥٥٦ (القاهرة ١٩٦٤) ، بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ١/٥٢٥ ــ ٥٢٩ ، سحر وطب ــ القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٣ ــ ٦٤ ، جورج سارتون : تاريخ العلم ص ١١٤ ــ ١٢٠ ، احمد فخرى : الموسوعة المصرية ١/١٥٢ ــ ١٥٣ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٥ ــ ٤٦٦ ، محمد كامل حسين : متنوعات ــ القاهرة ١٩٥١ ، وانظر له أيضا :

The Edwin Smith Papyrus, The Oldest Surgical Treatise in The World.

وانظر J. H. Breasted, The Edwin Smith Surgical Papyrus, 2 Vols, Chicago, 1930.

وكذا H. Grapowet, Grundriss Der Medizin Der Alten Agypter, 1958-1960.

وكذا G. Lefebvre, La Medicine Egyptienne de L'Epoque Pharaonique, 1956.

البردية عام ١٩١٣م ، كما قام «ب• ابل» عام ١٩٣٧م بنشرها أيضا ، كما قام «هرمان جرابو» وزملاؤه بتحليل هذه البردية وغيرها فى دراسة من ثمانية أجزاء (١٩٥٨ — ١٩٦٠)،كما قام «جوستاف لوفيفر» عام ١٩٥٦م بدراسة للبردية مع غيرها •

ويبلغ طول هذه البردية ٢٠ر٢٣ مترا ، وعرضها ٣٠سم ، ونصها فى ١٠٨ عمودا ، يحتوى كل منها على ٢٠ أو ٢٢ سطرا ، وقد أهمل الكاتب ذكر الرقمين ٢٨ ، ٢٩ ، بينما أعطى العمود الاخير رقم ١٠ ، وتحتوى البردية على ٨٨٧ وصفة طبية لانواع متعددة من الامراض أو أعراضها، ومنها اثنتا عشرة علاجها الرقى •

ويرجع تاريخ البردية الى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، ذلك لانها تحمل تاريخ السنة التاسعة من عهد الملك «أمنحتب الاول» (١٥٥٠— ١٥٢٨ ق•م) ، ثانى ملوك الاسرة الثامنة عشرة ، غير أن دراستها من الناحية اللغوية لا تترك مجالا للشك فى أن كاتبها قد جمع مادته من عدة برديات طبية من عهد الدولة الوسطى (٢٠٥٢ — ١٧٨٦ ق•م) ، وربما قبل ذلك ، وقد جاء باحدى عباراتها أنها منسوخة فى عهد الاسرة الاولى (حوالى ٣٢٠٠ ق•م) ، وجاء بأخرى أنها من عهد احدى ملكات الاسرة السادسة (حوالى ٢٤٢٠ — ٢٢٨٠ ق•م) •

هذا وبردية ايبرس هذه ليست كتابا طبيا مقسما الى أبواب وفصول، ولكنها عبارة عن مجموعة مؤلفات وبحوث فى مواضيع من أكثر من أربعين مصـدرا مختلفا تتناول بعضها وصفـات طبية لبعض الامراض وطريقة فحصها ومعالجتها ، ومن بينها عدد كبير من أمراض النساء ، كما نجد فيها الكثير من التعاويذ السحرية التى ذكر عنها صاحب البردية أنها تنفع فى شفاء بعض الامراض وطرد الارواح الشريرة التى سببتها ، هذا وقد أثبتت دراسة هذه البردية أن بعض أجزاء منها مقتبسة من مؤلف طبى كبير نجد أجزاء منه فى برديات أخرى ، مثل بردية أدوين سمث ، وبردية كاهون ، ومعظم ما اقتبس فى هذه البردية انما يتصل بأمراض المعدة

ووظيفة القلب وأوعيته والعمليات الجراحية الخاصة بالاورام والبثور والدمامل •

هذا وقد وصلت البردية الى الكاتب فنسخها حسب ترتيب وصولها ، ويمكن حصرها لاعطاء فكرة عن علم هذا الوقت ومدى التخصص فيه ، ويشمل : ١ — توسلات الآلهة ، ٢ — الامراض الباطنة وعلاجها ، وهو أول مؤلف فى تاريخ العالم يعالج سر الحياة بتأملات فلسفية غير دينية أو سحرية ، ولو أنه يرد أغلب الامراض الباطنة الى أسباب روحانية ، ٣ — وصفات لامراض العيون ، ٤ — وصفات لامراض الجلد وللتجميل وللزينة وانماء الشعر ، ٥ — وصفات لامراض الاطراف ، ٦ — وصفات مختلفة لعدة أمراض فى الرأس والاسنان ، ٧ — أمراض النساء وعلاجها ٨ — مؤلفات عن القلب والشرايين ، وهما المؤلفان الوحيدان اللذان وصلا الينا فى علمى التشريح ووظائف الاعضاء ، ٩ — الامراض الجراحيــة وعلاجها ، وهذا الجزء لم يتناول الجروح ، وانما اقتصر على الاورام والخراريج •

وقد حوت البردية ٨٧٧ وصفة ، بعضها عن كيفية التشخيص،وبعضها مقرون بالعلاج ، وبعضها اشارات علاجية ، ومن الاوصاف الاكلينيكية تعرف «ايبل» على خمسة عشر مرضا ، منها التورم والاستسقاء والقيلة المائية والجزام ، غير أن علماء اللغة لم يرضوا عن كل ترجماته وتفسيراته اذ أن تلك الاسماء لم يصحبها وصف يبرر هذه الترجمة ، مما أدى الى أن يذهب البعض الى أنه قد تجاوز الحدود المعقولة فى التفسير •

ولنذكر الان بعض الاوصاف الاكلينيكية التى جاءت فى البردية :

١ — ففى تعليمات خاصة بورم الاوعية يقول : اذا فحصت ورما فى الاوعية فى طرف من الاطراف ووجدته نصف كروى يتضخم تحت يدك كل مرة (أى ينبض) ولكنه اذا فصلته عن بقية الجسم لا ينبض وبهذا لا يمكنه أن يتضخم وأن ينكمش ، فقل عنه : انه ورم فى وعــاء، انه مرض سأعالجه ، وان الاوعية هى التى سببته ، وقد نشأ عن اصابة للاوعية •

وهذا وصف صحيح ـ كما يقول الدكتور بول غليونجى ـ لورم شريانى ولميزاته ، وهو أنه ينبض ، وأن النبض يتوقف اذا فصل بينه وبين الوعاء الاصلى ، كما أن نشأة تلك الاورام من اصابات الاوعية ذكرت صراحة ، وأن وصول النبض اليه من الشريان فوقه عرف أيضا •

٢ ـ وفى وصف للذبحة الصدرية يقول : اذا تفحصت مريضا بالمعدة يشكو آلام فى ذراعه وصدره وناحية من معدته ••• فقل بصدده: هذا شىء (أى روح) دخل من فمه ، والموت يهدده •

هذا ولا تقتصر أهمية موسوعة ايبرس على الاوصاف الاكلينيكية التى جاءت بها ، اذ أنها تعتبر أيضا مرجعنا الاساسى فى علم عقاقير المصريين ، وفيما يسمى الان المادة الطبية[١٢] •

٣ ـ بردية برلين الطبية :

حصل على هذه البردية «بسالاكا» من مقبرة بسقارة فى القرن التاسع عشر ، ويرجع تاريخها الى أيام الاسرة التاسعة عشرة ، وربما قبل ذلك، الى عام ١٣٥٠ ق•م ، وطولها ١٦ر٥ مترا ، وتحوى ٢١ لوحا أو عمودا ، ومتوسط تعداد كل عمود ١١ سطرا ، وهناك ثلاثة أعمدة على ظهرها ، والكتابة غير سليمة ، ومليئة بالاخطاء ، وتحوى البردية شرحا مطولا عن القلب والاوعية ، وهو يماثل ثانى كتابى بردية ايبرس فى هذا الموضوع، وان ذيل بنبذتين ، احداهما : عن أصل هذه الكتابة ، وهو أكثر تفصيلا مما جاء فى بردية ايبرس ، وثانيها : تعد امتدادا وتوسعا لما ورد فيها ، ويمكن وضع هذا الجزء فى مستوى أعلى مما جاء فى لفافتى هرست وايبرس •

---

(١٢) أحمد فخرى : الموسوعة المصرية ١٥٣/١ ، حسن كمال : المرجع السابق ٢٠١/٤ ـ ٣٨٥ ، بول غليونجى : سحر وطب ص ٤٥ ـ ٥١ ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١٣ ـ ١٢٠ ،وكذا

E. Ebbell, The Ebers Papyrus, Copenhagen, 1937.

وكذا W. Wreszinski, The Text of Papyrus Ebers, Leipzig, 1913.

وكذا G. Ebers, Der Papyros Ebers, 1875.

وكذا N. Riad, la Medecine au Temps des Pharaons, Paris, 1955.

وأغلب العقاقير فى بردية برلين هذه نباتية وحيوانية ، وبها باب عن الروماتيزم ، غير أن البردية مليئة بالاخطاء ومظاهر الاهمال ، وأقــل مدعاة للاهتمام ، وقد نقل نصوص البردية من الهيراطيقي الى الهيروغليفى الدكتور «والتر فريزنسكى» ، كما كتب عنها «جوستاف لوفيفر» ، وكذا «وارن دوسون» ، ثم «هرمان جرابو» وزملاؤه[١٣] .

٤ ـ بردية تشستر بيتى الطبية :

والبردية محفــوظة بالمتحف البريطانى فى لندن (برقم ١٠٦٨٦) ، ويرجع تاريخها الى الاسرة الثامنة عشرة وهى عبارة عن ثمانية ألواح وعمد يحوى كل منها ١٤ سطرا ، وبعض العمود الثامن مفقود ، وهى صغيرة الحجم بالنسبة للبرديات الطبية الاخرى ، فبردية ايبرس تحوى ١١٠ لوحا ، وبردية هرست ١٨ لوحا وبردية برلين ٢٤ لوحا ، وبردية ادوين ٢٢ لوحا ، ولا يبعد أن كان الجزء المفقود منها كبيرا ، وعلى أية حال ، فهى تحوى ٤١ وصفة لامراض الشرج ، فضلا عن بعض التعاويذ السحرية ، كما يوجد على أحد وجهيها عدد من الوصفات لعلاج أمراض المستقيم[١٤] .

٥ ـ بردية كارلزبرج :

وهى عبارة عن قصاصات بردية مهلهلة موجودة بمعهد الآثار المصرية،

---

(١٣) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٥٧ ـ ٥٩١ ، وكذا
H. Grapowet, Grundriss Der Medizin Der Alten Agypter, IV- and IV, II, 1958-1962.
وكذا W. Wreszinski, The Text and Translation of Pap. Berlin (3038), 1909.
وكذا W. Dawson, Magician and Leech., 1929.
وكذا G. Lefebvre, la Medicine Egyptienne de L'Epoque Pharaonique, 1956.

(١٤) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٥٦ ـ ٦٦٥ ، وكذا
A. H. Gardiner, Hieratic Papyri in The British Museum. Third Series : Chester Beaty, 2 Vols, London, 1935.
وكذا F. Jonkheere, le Papyrus Medical Chester Beaty, in La Medecine Egyptiene, II, 1947.
وكذا H. Grapowet, Op-Cit,

بجامعة كوبنهاجن بالدانمارك اعتنى بها الدكتور «ابشر» ، وعليها نصوص ترجع الى عهد الاسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، وربما الى حوالى عام ١٢٠٠ ق٠م ، ويحوى صدرها وصفات عن أمراض العيون ، تكاد تكون مطابقة لما جاء فى بردية ايبرس ، وأما ظهرها فيحوى وصفات عن أمراض النساء ، كما حوت البردية بيانات عن انذار الوضع ونوع الجنين تداولتها الامم فيما بعد ، كما لفت نظر الاثاريين والاطباء الاراء العديدة التى أبداها قدماء المصريين عن الحمل وجنس الجنين ، وأثرها على الطب الاوروبى(١٥) ٠

٦ ـ بردية كاهـون :

اكتشفت هذه البردية فى مدينة اللاهون بالفيوم فى ابريل ١٨٨٩م ، وطولها متر ، وعرضها ٣٢٫٥سم ، ومكونة من ثلاث صفحات ، ويرجع تاريخها الى حوالى عام ١٩٥٠ ق٠م ، وقد دون على ظهرها حساب من عهد الملك «أمنمحات الثالث» (١٨٤٣ ــ ١٧٩٧ ق٠م) من الاسرة الثانية عشرة ، وهى ليست فقط أقدم اللفافات فى تاريخ نسخها ، بل ان أصلها يبدو أيضا أقدم من أصول اللفافات الاخرى ، وتتكون البردية من قسم طبى ، وقسم بيطرى ، وقسم خاص بحل بعض المسائل الحسابية ، وقد كتبت بالهيراطيقية ، فيما عدا الجزء البيطرى فقد كتب ــ لامر ما ــ بالهيروغليفية ، وهو خط كان فى الغالب وقفا على الكتابات الدينية ٠

ويقع القسم الطبى فى ثلاث صفحات ، الاولى متآكلة ممزقة رممت فى عهد قديم ، بلصق قطع من لفافات بردية أخرى على ظهرها ، والثانية فى وسطها ثقب كبير ، وليس بها سوى سبعة أسطر كاملة ، وأما الثالثة فقد أعيد تكوينها من ست وأربعين قطعة متناثرة ، وتضم الصفحتان الاوليان سبعة عشر تشخيصا ووصفة فى أمراض النساء ، ولم يذكر أى اجراء جراحى ، وانما اكتفى صاحبها بوصف العقاقير مثل الجعة واللبن

(١٥) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٨٥ ــ ٦٨٦ ، وكذا
Erik Iversen, Carlsbery VIII, With Some on The Egyptian Origin of Some Popular Brith Prognosis, Kobenhavn, 1939.

والزيت والبلح ، وبعض الاعشاب ، فضلا عن العلاج بالغسيل والتبخير المهبـــلى •

وتحوى الصفحة الثالثة سبع عشرة علامة لتمييز العقيمات من بين النساء ، فضلا عن التكهن بجنس الجنين ، فمثلا لمعرفة خصب المـــرأة ، عليها أن تجلس فوق بقايا جعه ••• ، فان تقيأت كانت خصبة ، والا كانت عقيما ، كما تدل عدد مرات القئ على عدد من ستنجبهم من الاولاد ويبدو أن كل الاشارات الخاصة بمعرفة العقم مبنية على نظرية أن هناك اتصالا بين المهبل وبقية الجسم فى حالة الخصب ، وقد أوحت هذه النظرية بوصفة : وضع لبوس من الثوم فى المهبل ، ثم ملاحظة رائحته فى الفم ، اذا كانت المرأة خصبة •

وقد استعمل الاغريق نفس الطريقة ، ووصفها «ابقراط» فى كتابه «الفصول» ، ويقينا أنه اقتبسها من المصريين ، ثم توارثها أطباء العرب، ثم الافرنج حتى استعملت فى أوربا فى العصور الوسطى ، ورغم أنها طريقة خيالية فقد ذهب الدكتور أحمد عمار بعدم استبعادها دون تجربتها فقد لاحظ أن الخصبيات من النساء يشعرن فى فمهن بطعم الثوم بعد حقن «الليبيودول» فى الرحم ، نتيجة انتقال اليود الموجود فى الليبيودول من الرحم الى التجويف البريتونى ، ومنه الى الرئة ، اذا كان البوقان سالكين •

هذا وتعتمد بعض الاشارات الخـــاصة بالولادة على حـــالة الثديين وقوامهما ، أو على لون البشرة والعينين ، ومانزال نرى بعض الحموات يتحسسن ثديى زوجة الابن ، ويترقبن ظهور البقع السمراء على الوجه عند أول حدوث الحمل[١٦] •

---

(١٦) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٤٨ ـ ٦٥٧ ، بول غليونجى : المرجع السابق ص ٤٣ ـ ٤٥ ، وكذا
F. L. Griffith, Hicratic Papri from Kahun and Gurab, 1898, p. 5-11.
وكذا H. Grapow, Op-Cit, IV, 1-2.

٧ ـ بردية لنـدن الطبية :

توجد هذه البردية فى المتحف البريطانى فى لندن (برقم ١٠٠٥) ، بعد أن نقلت اليه من المتحف الملكى بلندن فى عام ١٨٦٠م ، ويرجـع تاريخها الى النصف الثانى من الاسرة الثامنة عشرة ، وقد ظن البعض من قبل أنها كانت ترجع الى الاسرة الرابعة ، لان أحد الرقى ذكرت الملك «خوفو» ـ صاحب الهرم الاكبر ـ غير أن فحص الاسلوب والخط انما يدل على أنها من عصر «رعمسيس الثانى» (١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق٠م) ، وان كان هذا لا يمنع أنها ـ كغيرها من البرديات الطبية ـ ترجع الى عهد قديم ، وهى على أية حال ، مكتوبة بخط ردىء تصعب قراءته ، كما أنها خاصة بالتعاويذ السحرية التى تنفع فى شفاء بعض الامراض ٠

ومن ثم فالبردية بمثابة وسيط بين كتب الطب السابقة ، وبين بعض كتب الرقى ، مثل «تعاويذ الام والطفل» و «كتاب السحر» الموجود فى «تورينو» ، وقد وردت بها ٦١ وصفـة ، منها ٢٥ فقط طبية ، والباقى تعاويذ ، والبعض منها من أصول ليست مصرية ، هذا وقد نقل نصوصها من الخط الهيراطيقى الى الخط الهيروغليفى «والتر فرينسكى» ، كمـا ترجم النصوص وشرحها ، كما ترجم لها «هرمان جرابو» وزملاؤه ، كما قدم لها الدكتور حسن كمال ترجمة بالعربية(١٧) ٠

٨ ـ بردية ليـدن :

توجد هذه البردية بمتحف ليدن فى هولندة ، وتمتاز بأن مؤلفها ذكر عددا من القواعد للوقاية من الامراض ووقف تطورها ، كما ذكرت أيضا وسائل منع انتشار العدوى ، وقد ترجم لهذه البردية «جرابو» وزملاؤه ، وهى الترجمة التى نقلها الى العربية الدكتور حسن كمال(١٨) ٠

---

(١٧) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٤٤ ـ ٦٤٧ ، وكذا
H. Grapowet, Op-Cit, IV,
W. Wreszinski, The Text and Translation of Papyrus London, وكذا
1912.

(١٨) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٧٦ ـ ٦٧٨ ، أحمد فخرى : الموسوعة المصرية ١٥١/١ ،
H. Grapowet, Op-Cit, IV, 1-2, 1958.

٩ ـ بردية هرست :

عثر على هذه البردية فلاح من دير البلاص (مركز نقادة بمحافظة قنا) فى ربيع ١٩٠١م ، ثم سلمها الى الدكتور «جورج رايزنر» (١٨٦٧ـ ١٩٤٢) الذى كان مشرفا على حفائر السيدة «هرست» (١٨٤٢ ــ ١٩١٩) فى دير البلاص ، والتى نسبت البردية اليها ، ثم أهدتها الى متحف جامعة كاليفورنيا ، وقد قام الدكتور «كورت زيته» (١٨٦٩ ــ ١٩٣٤م) ببحث البردية بحثا مبدئيا ، ثم ترجم رؤوس وصفاتها ، وفى عام ١٩١٢م قام «والتر فريزنسكى» بنقل نصوصها من الهيراطيقية الى الهيروغليفية ، ثم ترجمها وشرحها ، وفى عام ١٩٣٠م قام «هنرى لوتز» ، مع (Dr. Ch. D. Leake) نائب عميد جامعة تكساس بترجمة البردية .

وعلى أية حال ، فرغم تمزق حواف هذه البردية ، فانها محفوظة جيدا وبها ٢٦٠ فقرة ، تقع فى ١٨ صفحة ، وردت منها ٩٦ فقرة فى بردية ايبرس ، وتؤرخ ، على الارجح ، من أيام «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ ــ ١٤٣٦ ق.م) ، وأكثر ما فيها منقول عن الكتاب الاصلى الذى نقل عنه جامع محتويات بردية ايبرس ، وان فاقتها فى بعض فقراتها[١٩] .

٤ ـ المدارس الطبية

كان لدراسة الطب فى مصر الفرعونية قواعد ملزمة ، وقد رأينا من قبل مؤلف بردية ايبرس يشير الى أنه تلقى علومه فى أون (هليوبوليس) قبل أن يتجه الى «ساو» ، حيث يقول «انى قد تخرجت من هليوبوليس مع امراء البيت الكبير ... انى تخرجت من «ساو» فى صحبة أمهات الآلهة ، وقد أسبغن على حمايتهن ، وذلك لكى أطرد جميع الامراض» ، وليس هناك من ريب فى أن هذا دليلا على أن هناك مدارس طبية كانت

---

(١٩) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٩٥ ـ ٦٠٥ ، أحمد فخرى : الموسوعة المصرية ١٥١/١ ، وكذا
W. Wreszinski, The Text and Translation of Pap. Hearst, 1912.
وكذا
وكذا B. Ebbell, The Papyrus Ebers, 1973.
وكذا H. Gropowct, Op-Cit, IV, a and b, 1958.

فى كل من هليوبوليس وسايس وغــيرهما من المراكز الثقــافية فى مصر القــديمة •

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب فى ان نشأة المدارس الطبية فى مصر الفرعونية انما يرجع الى عهد الاسرة الأولى (حوالى ٣٢٠٠ ق•م)، وبعض هذه المدارس قد بلغ شهرة كبيرة ، لعل من أشهرها مدرسة «أون» (هليوبوليس) ، ومدرسة أنشئت فى « ساو » (سايس = صا الحجر) للمولدات اللاتى كن يقمن بدورهن بتدريس علم أمراض النساء للاطباء أنفسهم ، ثم مدرسة «ايمحوتب» فى منف ، التى زادتها شهرة مكتبتها ، والتى كان يتردد عليها الاطباء حتى القرن الثانى الميلادى ، ثم مدرسة طبية (الاقصر) ، وكانت المدارس الموجودة فى هذه المدن أشبه بجامعات كبرى لتلقى العلوم الطبية بأنواعها ، ثم بعض علوم اللاهوت والحساب والفلك والهندسة •

وهناك نص نشره «شيفر» ، ويتحدث عن اعادة تنظيم مدرسة الطب فى عهــد الملك «دارا الاول» (٥٢٢ ـــ ٤٨٦ ق•م) فى مدينــة «ساو» وصاحبه كبير الأطباء «وجا حر رسنت» الذى عاصر «أحمس الثانى» (٥٧٠ ـــ ٥٢٦ ق•م) و «بسماتيك الثالث» (٥٢٦ ـــ ٥٢٥ ق•م) ، وكان مقربا من «قمبيز» (٥٢٥ ـــ ٥٢٢ ق•م) و «دارا الاول» الذى أعاده الى مصر بعد أن كان قد اصطحبه الى فارس ، وقد جاء فى النص : « أمرنى الملك دارا أن أتوجه الى مصر ، لما كان فى عيلام ، كملك كبير على كل قطر، وأمير عظيم على مصر ، لاصلاح أقسام دور الحياة ـــ المتعلقة بالطب ـــ بعد أن تخربت ، وقد دلنى على الطريق جماعة من الاعراب ، كما أمــر جلالته بذلك» •

وقد انصب أغلب اهتمام الرجل على «ساو» (سايس = صا الحجر) عاصمة البلاد وقت ذاك ، ومسقط رأسه بالذات ، فيقول : «نفذت أمر جلالته وزودتها (أى أقسام دور الحياة) بالطلبة من علية القوم ، ولم ادخل معهم طالبا من أبناء الفقراء ، ثم وضعتهم تحت رعاية أعقل الرجال لقد أمرنى جلالته أن أعطيهم كل شىء طيب حتى يتمكنوا من آداء كل

واجباتهم ، فزودتهم بكل ما احتاجــوا اليه ، وبكل الآلات الواردة فى النصوص ، حسب ما كانت موجودة فى هذه المعابد من قبل ، وقد فعل هذا جلالته لانه كان يقدر هذه المهنة (الطب) ، ويرغب فى شفاء كل مريض ، ويحرص على تدعيم أسماء الآلهة ومعابدها وموارد‌ها فيحتفل بأعيادها على الدوام دائما أبدا» •

ومن البدهى أن هذا النص حديث نسبيا ، يرجع الى القرن السادس قبل الميلاد (أى منذ ٢٦ قرنا فحسب) ولكنه يشير الى مدرسة طب قديمة فى سايس ، رممت بعــد ما اصــابها من التلف (ربما من قمبيز الغازى المتوحش) ، وعلى أية حال ، فهذا يعنى أن المدارس الطبية كانت قائمة والدراسة فيها كانت خاضعة لنظم معروفة ، وليس يمكن القول ــ بحال من الاحوال ــ أن أول العهد بها كان فى القرن السادس قبل الميــلاد (العهد الفارسى) ، فالاشارة واضحة الى أن ما تم فى العهد المذكور ــ ان صح ما جاء بالنص ــ يشير الى اعــادة بناء ما تهدم من هذه الدور ، التى ربما كان هدمها نتيجة لغارة الفرس البربرية ، ومهما يكن من أمر ، فان دراسة الطب ، دراسة عريقة فى مصر ، لها أسسها وقواعدها ولها شهرتها فى العالم القديم ، ومدرسة سايس هذه ، لاريب فى أنها وريثة غــيرها من المدارس القــديمة ، لمدرسة منف التى تخــرج فيها «ايمحوتب» الطبيب المؤله • على أن هنــاك ما يلفت النظر فى نص «وجا ــ حر ــ رسنت» ، حيث يشير الى انتقاء الطلاب من بين الاسر الراقية ، فضلا عن توفير كل وسائل الراحة لهم ، كما أن ذكر الآلات انما يشير الى الجراحة ، وليس هناك ما يمنع من وجــود مدارس مشابهة لمدرسة سايس فى المراكز العلمية الكبرى فى البلاد ، كطيبة ومنف وعين شمس ، كما أن التحاق هــذه المدارس بالمعابد لا يعنى أبدا أن الطلبة ما كانوا يتعلمون الطب الجسمانى والطب الروحانى معا ، خاصة وأن المعابد كانت مراكز العلم ــ الروحانى وغير الروحانى ــ وخاصة فى عهد الامبراطورية المصرية على أيام الدولة الحديثة (١٥٧٥ ــ ١٠٨٧ ق•م)، وكما هو مشاهد الآن فى عصرنا الحديث ، فى أقدم الجامعات الاوربية ــ كجامعة اكسفورد بانجلترا ــ حيث اعتبر القوم هناك أن الكنيسة منبع

لكل العلوم ، فعلموا فيها العلوم الدينية بجانب العلوم الدنيوية ، وجامعة الازهر الشريف — أعرق الجامعات الدينية ، وأعظمها وأشرفها قاطبة — انما هى فى عصرها الحالى ، مثال واضح على ربط العلوم الدنيوية بالعلوم الدينية ، وليس ببعيد أن الامر كان كذلك فى مصر الفرعونية •

وفى الواقع فان «دارا الاول» هذا ، لم يكن اول ملوك الفرس الذين قدروا الطب المصرى وأجلوه ، فلقد سبقه الى ذلك العاهل الفارسى الكبير «كيروش» (٥٥٨ — ٥٢٩ ق•م) الذى كان يحب أن يحاط دائما بنخبة من الاطباء المصريين ، ولا غرابة فى ذلك ، فلقد علت شهرة الاطباء المصريين ، فملأت أسماع الدنيا ، ومن ثم فقد أرسل ملوك الشرق وأمرائه الى فراعين مصر يرجونهم أن يبعثوا اليهم ببعض أطبائهم ليعملوا فى بلاطهم ، كما كان عشاق الطب يحجون الى مصر من كل فج ، ويلجأ الى أطبائها الامراء والحكام يلتمسون عندهم البرء والشفاء ، كما حدث مثلا على أيام «أمنحتب الثانى» (١٤٣٦ — ١٤١٣ ق•م) عندما وفد أمير سورى — تصحبه زوجته ، ومعه رجال بلاطه — الى مصر ، ليزور «نب أمون» طبيب فرعون فى طيبة ، وفى نفس الوقت ، فكثيرا ما أرسل فراعين مصر بعضا من أطبائهم الى ملوك الشرق وأمرائه ، الامر الذى تكرر مرات ، ومرات كثيرة ، فى التاريخ المصرى القديم •

هذا ويشير «ديودور الصقلى» الى أن التعليم انما كان ينتقل من الطبيب الى ابنه شفويا ، حرصا منه على الاحتفاظ بسرية علمه ، وهذه التقاليد العائلية اتسم بها الطب فى بلاد العالم القديم ، ومن ثم فقد وجدناه عند الاغارقة وقفا على «الاسقلبياد» سلالة «أسقلبيوس» التى كان ينتمى اليها «أبقراط» (٤٦٠ — ٣٧٠ ق•م) و «جالينوس» (١٣٠ — ٢٠٠م) ، ونرى «أبقراط» يفرض على الاطباء قسما يوعز بمثل هذا الكتمان ، واستمر الاطباء يتبعون هذا التقليد حتى بعد المسيحية ، فقد جاء فى بردية قبطية ، درسها «شاسينا» العبارة التالية : «هذه قطرة حضرتها مع أبى» ، وربما لا يختلف هذا كثيرا عما هو فى عهدنا الحاضر ، فان كثيرا من أبناء الاطباء يخلفون آباءهم فى مهنتهم هذه •

وعندما أباح «أحمس الثانى» (أمازيس) للاجانب دخول مصر ،

حضر اليها عدد كبير من الاغريق ليتلقوا فيها العلم ، وكان من بينهم عباقرة عصرهم من أمثال «افلاطون» (حوالى ٤٢٧ — ٣٤٧ ق٠م) و «أودوكسوس» و «أبقراط» ، غير أنه من المشكوك فيه جدا ، أن يكون الكهنة قد ائتمنوهم على علومهم السرية[٢٠] ٠

٥ — الاطبـــاء

كان الاطباء فى مصر الفرعونية يتمتعون بمكانة طيبة ، ومركز مرموق، فى المجتمع المصرى ، وكان القوم ينظرون اليهم نظـرة ملؤها التقدير والاحترام ، وليس ادل على ذلك من ان ينسب التاريخ الى ملوكهم هذه الصناعة والبراعة فيها ، ويستخرجون أسرارها من الارباب ، ومن ثم فقد لقب «زوسر» باسم «سا» الشافى الالهى ، كما روى المؤرخ المصرى «مانيتو» أن الملك «أثوثيس» ابن الملك «مينا» (منى) مؤسس الاسرة الاولى ، ألف كتابا فى التشريح ، وأن الملك «أوزيفايوس» (حوالى ٣١٠٠ ق٠م) حقق تقدما كبيرا فى علم التشريح ، كما كان «نفر اير كارع» من الاسرة الخامسة على معرفة بالطب ٠ هذا وكان المطببون يتكونون من ثلاث فئات هى : الاطباء الكهنة ، والاطباء العلمانيون ، والمساعدون :

اولا : الاطبـــاء الكهنـــة :

كان الكهنة فى أول امرهم وسطاء بين المريض والاله الشافى ، يعرفون طريق التوسل اليه ، والسبيل الى اجتذاب رضاه ، ولكنهم لم يكونوا يمارسون اى نوع من الطب ، غير أنهم كانوا على جانب كبير من الدهاء والعلم ، كما كانوا يعرفون النبـــاتات ويستعملونها لتعزيز تعاويذهم ،

---

(٢٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٢٧ — ٥٢٨ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٠ — ٤٦١ ، عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ص ٢٢٣ ، حسن كمال : المرجع السابق ١/١٠٢ — ١٠٤ ، وكذا

Frans Jonckheere, in Chronique d'Egypte, 1945, p. 24-32.

وكذا A. H. Gardiner, The House of Life, in JEA, 24, p. 170-171.

وكذا G. Posener, Op-Cit, p. 4 F.

وكذا Schaefer, in AZ, 37, 1899, p. 72 F.

وكذا SGA, 7, 1912, p. 569-596.

وكانوا يلمون بقدر كبير من علم الكيمياء ، وقد رد البعض كلمة «كيمياء» الى «كيميت» (كمت)[٢١] ، وهو اسم مصر القديم ، غير أنه لا يمكن فى الحقيقة معرفة علمهم ، ذلك لان عقائدهم الحقيقية انما كانت سرا من الاسرار التى لا تفشى لاحد ، غير من كرسوا للخدمة الدينية ، وهى تختلف كثيرا عما يدلون به لغير هؤلاء •

هذا ويبدو أن الطب كان فى أول أمره متصلا بالدين ، ومتمشيا مع السحر ، وكان معظم الاطباء من الكهنة المطهرين (وعب) ومنهم من كانوا «مشرفين على كهنة الوعب» ، وكان الطبيب فى الغالب يباشر أعماله الطبية بجانب بعض الادعية والرقى لحماية المريض من الارواح الخبيثة،ويمكن أن تعد نوعا من أنواع الايحاء بالشفاء ، اذ تؤكد النصوص أن لبعض الآلهة تأثيرا على أعضاء الجسم ، فمثلا اتخذ «رع» اله الشمس ، الوجه مكانا له ، واحتلت «حاتحور» الهة الحب العينين ، وغضل «أنوبيس» اله التحنيط الشفتين ، واستقر «تحوت» اله العلم فى باقى أعضاء الجسم ، وقد أتت هذه الفكرة من الاساطير الدينية ، وهكذا أصبح الاله الذى يتغلب على الثعبان خير مصل له ، والاله الذى يتغلب على لدغ العقرب يصبح خير دواء له •

وهكذا ، رغم أن المصريين جروا على نقيض معاصريهم من أمم الارض فى بناء حياتهم ، معتمدين على ملاحظات واقعية ، وخبرات علمية، غير أن رواسب الماضى السحيق من مخلفات السلف قد شابت ما حققته النظرات الواقعية والاساليب التجريبية ، وأصبح تراثهم من صناعة الطب بين أيدينا مزيجا يختلط فيه الواقع بالخيال •

ومن ثم فان المعنيين بالعلاج كانوا على أنواع ، فالى جانب الطبيب

---

(٢١) أطلق المصريون القدامى على مصر اسم «كمت» أى الارض مشيرين بذلك الى الطمى الذى غمرت به الفيضانات التى لا حصر لها ، ومفرقين بذلك بينها وبين الصحراوات المحيطة بها ، والتى عرفوها تحت اسم «دشرت» أى الارض الحمراء (انظر : محمد بيومى مهران : مصر ٢١/١ ـ ٣٢ ـ الاسكندرية ١٩٨٨) •

العلمانى الذى كانوا يدعونه «سونو» ، كان الكاهن يقوم بدور الوسيط بين المريض والاله فى توسله اليه لنيل الشفاء ، وان كانت لديه معلومات طبية فى الطب ، كما كان الساحر يحاول طرد الشياطين من جسم العليل ، أو فك أعمال الارواح الشريرة ، وقد كان الطبيب العلمانى (سـونو) نفسه ، يضطر أحيانا الى خـلط بعض الطب الكهنوتى بأساليبه العلمية المجربة ، كما يبدو من ألقاب بعض من زاولوا هذه المهنة •

ثانيا : الاطباء العلمانيون :

كان الطبيب العلمانى يسمى «سونو» ــ كما أشرنا آنفا ــ والرمز الهيروغليفى لهذه الكلمة مكون من قنية ومشرط ، ولم يميز بين الطبيب والبيطرى ، وكان عدد الاطباء ــ كما رآهم هيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد ــ كبيرا جدا ، وكانوا على حد قوله : أمهر الناس ، حتى أنه ذهب الى أنهم من سلالة «بيون» طبيب الآلهة •

هذا وينقسم الاطباء الى فئات مختلفة ، من حيث العمل ، ومن حيث التخصص •

ا) من حيث العمـل .كان هناك أطباء موظفون ، ويشار من وقت لآخر الى تقسيم هذه الفئة الى أنواع ثلاثة :

١ ــ فهناك أطباء القصر ، كما يشار الى ذلك فى نص «واش بتاح» من الاسرة الخامسة ، ومن هؤلاء من كان ملحقا بالقصر ، أو خاصا بالملك أو بالزوجة الملكية أو بالحكام المحليين والنبلاء ، ويظهر الواحد منهم فى قبره حاملا القرابين ، مثل «عنخ» (من الاسرة السادسة) ، وقد صور وهو يحمل الطيور فى يده ، أو يؤدى عملا رسميا ، هذا وقد قام أطباء القصر بدور هام فى حياة البلاط الملكى ، فنجد مثلا «بنتو» يحمل ــ الى جانب ألقابه الكهنوتية والطبية الدالة على مركزه ــ يحمل لقب « الذى يدخل القصر ويخرج منه» ، أى الذى يسمح له بمقابلة الفرعون فى أى وقت ، ولعل مما يدل على مكانته ما وجد بالنص بعد كتابة اسمه ، من مخصص ممسكا بيده سوطا ، كدليل على القوة والجاه ، هذا الى جانب

«نى عنخ سخمت» من الاسرة الخامسة ، وقد أهداه الملك «ساحورع» بابا وهميا من الحجر الجيرى ، وقد ازدان بالالوان الجميلة والاحجار الكريمة ، بل ويأمر الملك بتدوين هذا الاهداء على قبره مشفوعا بأطيب عبارات المديح •

٢ — وهناك أطباء الدولة ، وكان معظمهم ملحقين بمصالح الحكومة المختلفة ، يتقاضون منها مرتباتهم ، وان كان يبدو أنهم كانوا — الى جانب أعمالهم الرسمية — يزاولون مهنتهم من أجل الجمهور ، ويتقاضون منه أتعابا ، ويحظون منه بهدايا ثمينة •

وهناك أطباء ملحقون بالمعابد يتعاطون معاشهم من ميزانية تلك المعابد•

ولعل أروع ما فى هذه المهنة عند القوم أنها كانت انسانية الى درجة كبيرة ، فلم تكن فى صالح الموسرين وحدهم من حكام البلاد وسراتها ، وانما كانت أيضا لصالح أفراد الشعب من عمال المحاجر والبناء والجيوش المحاربة ، كما كان من جميل تقاليدهم أن الطبيب كان يقتطع جزءا من أتعابه يخص به المعبد الذى تلقى فيه علومه الطبية •

وعلى أية حال ، فلقد كان الاطباء فى مركز مالى يسمح لهم بعـــلاج المغنى والفقير سواء بسواء ، وقد قال «ديودور الصقلى» : ان هناك كثيرا من المصريين كانوا يعالجون بالمجان ، وبدهى أن مثل هذا القول لا يمكن أن يصدر الا من شخص رأى بعينيه ، وسمع بأذنيه ، ولعل هذا النظام القديم انما هو بعينه نظامنا الحالى ، فعندنا المستشفيات والمجمــوعات الصحية والعيادات الخارجية والمكاتب الصحية وغيرها ، يجد فيها المريض علاجه مجانا ، وفى كثير من المستشفيات يسمح للطبيب بمزاولة مهنته فى الخـــارج •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ، وقد رأينــا أغلب الاطباء انما كانوا يتقاضون مرتباتهم من الدولة ، ومن ثم فلا حرج علينا ، ونحن ننقب فى حياة الاولين من بناة هذا الوطن العريق ، أن نؤكد أن مصر الفرعونية ، رغم مظاهر الحكم الملكى فيها ، انما كانت مهدا للعدالة الاجتماعية الى حد كبير ، على نقيض ما نادى به بعض المغرضين من المؤرخين الاوربيين•

(ب) من حيث التخصص : بلغت صناعة الطب فى مصر الفرعونية مبلغا عظيما ، تخطت عنده الاصول الى الفروع ، وبات أصحابها يتخصصون فى فروع الطب المختلفة منذ أعرق العصور ، فهاهو «حسى رع» — أقدم طبيب عرف للتاريخ ، ويرجع للاسرة الثالثة ، ومقبرته بسقارة — يلقب بلقب «كبير أطباء أسنان القصر» على أيام الملك «زوسر» (أى منذ حوالى خمسة آلاف سنة) •

وقد وصل الينا العديد من البرديات التى تدل على تعمق المصريين فى شئون الطب ، وتنوع دراساته ، كما رأينا من قبل ، ومن ثم فهناك الطب البيطرى ، وهناك الطب الباطنى ، وطب أمراض النساء ، وطب الجراحة ، وطب الاسنان ، وطب العيون ، وقد كشف «هرمان يونكر» (١٨٨٥ — ١٩٦٢م) عن مقبرة رئيس الاطباء «ايرى» الذى يشار الى تخصصه فى أمراض العيون،كما تشير برديتا «ايبرس» و «ادوين سمث» الى مراحل تخصص ، وتميز تمييزا واضحا بين الطبيب الجراح والطبيب المعالج بالسحر والرقى ، والطبيب الذى يعطى الدواء النباتى ، ويشير «هيرودوت» الى أن فن الشفاء فى مصر كان منقسما الى أقسام ، كل طبيب يختص بقسم منها ، فهناك طبيب العيون ، وطبيب الرأس ، وطبيب الامعاء ، وطبيب الاضطرابات الداخلية ، هذا الى جانب أطباء التحنيط وأطباء الجراحة (وهم كهنة سخمت ربة الجراحة ، وحامية الجراحين) ، وأطباء عشابون ، وهم أطباء العقاقير الذين اختصوا بالعقاقير ، وتلاوة الادعية •

ثم هناك الاطباء البيطريون ، حيث ظهرت فى كثير من النقوش صور للماشية ، وقف أمامها المشرف عليها ، وقد سمى أحيانا بالطبيب ، وأحيانا أخرى بالكاهن الطبيب ، الامر الذى يوحى بأن هؤلاء الاطباء الكهنة انما كانوا مكلفين بفحص طهارة الذبائح ، كما كانوا مكلفين بضمان مطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية ، وكان هناك بعض البيطريين من غير الكهنة ، وكانوا يمارسون مهنتهم حسب علم مكدس يماثل ما نقرأه فى الجزء البيطرى من بردية كاهون الطبية •

هذا وقد قدم الاستاذ «يونكهير» قائمة بأسماء اثنين وثمانين طبيبا مصريا من جميع العصور الفرعونية وقد قسمهم الى أربعة طوائف : أطباء عموميون ، وأطباء اخصائيون ، وأطباء القصر الملكى ، ثم رؤساء أطباء ، كما قدم الدكتور «بول غليونجى» قائمة بحوالى ٢٧ طبيبا .

ثالثا : المســـــاعدون :

وهم الفئية المساعدة للاطباء فى عملهم ، مثل المرضين ، والاخصائيين فى الاربطة والتدليك وكان يطـلق عليهم «أوت» ، وكان البعض منهم للاحياء ، والاخر للاموات (أى التحنيط) ، فلقد كان بمصر أكفأ المضمدين فى معمل التحنيط ، فمثلا طريقة لف الموميات باللفائف انما تدل بلا شك على مهارة فائقة فى التضميد ، وبدهى أنه ليس هناك ما يمنع من وجود أمثال هؤلاء ممن ساعدوا الجراحين فى مهمتهم ، هذا وقد جاء فى الاثار أن هناك أشخاصا أعفوا من عملهم ليمرضوا رفقاءهم ولابد أن كان فى كل مجموعة كبيرة من العمـال أشخاص لهم دراية بالاسعافات الاولية والتمريض(٢٢) .

---

(٢٢) بول غليونجى : الحضارة الطبية ص ٩ ـ ١٤ ، تاريخ الحضارة المصرية ٥٢٧/١ ـ ٥٣٢ ، حسن كمال : المرجع السابق ٨٨/١ ـ ١١٦ ، سيد توفيق : الموسوعة المصرية ٢٩٩/١ ـ ٣٠٢ ، هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٩٠ ـ ١٩٢ .

وكذا F. Jonckheere, Les Medecins de L'Egyptc Pharaonique, 1955, p. 24-32.

وكذا J. E. Quibell, Excavations at Saqqara, Cairo, 1408, p. 73. 1913, p. 31.

وكذا N. de G. Davies, The Rock Tombs of El-Amarna, IV, London. 1906, p. 6.

وكذا H. Junker, Giza, XI, 1953, p. 79.

وكذا R. Engelbach, ASAE, 38, 1939, p. 285.

وكذا E. Chassinat, BIFAO, 4, 1905, p. 223.

وكذا A. Mariette, Les Mastabas de L'Ancien Empire, Paris, 1889, p. 351-56.

الفصل الخامس

الصحـــة العـــامة

١ - الـــــزواج

كان الزواج فى مصر الفرعونية[١] يتم — كما هى العادة فى الشرق القديم — فى مرحلة مبكرة من العمر — أى بمجرد البلوغ — الامر الذى جنب المراهقين الكبت الجنسى ، وما يصدر عنه من عقد ، فضــلا عن الانحراف الخلقى ، وما يسببه من أمراض جسمانية وخلقية ، ومن ثم فقد كثرت نصائح الحكماء المصريين بالاسراع بالزواج ، يقول الحكيم «بتاح حوتب» فى نصائحه لولده : «اذا كنت عاقلا فأسس لنفسك دارا ، واحبب زوجتك حبا جما ، وآتها طعامها ، وزودها بالثياب وقــدم لها العطور ، لينشرح صدرها»[٢] .

ويحذر الحكيم «آنى» ولده من مخالطة النساء الغريبات ، فيقول له : «كن على حذر من المرأة الغريبة (أى غير زوجته) ، لا تطل النظر اليها عندما تمر بك ، لا تكن لك بها صلة ، ولا تقضى منها وطرا ، انها ماء عميق الغور ، لا يعرف المرء خباياه ...»[٣] .

هذا ويزعم كتاب الاغريق ، ويتابعهم فى هذا بعض المؤرخين المحدثين أن الزواج بين الاخوة كان شائعا بين القوم فى تلك الايام الغابرة ، فعل ذلك كثير من الفراعين ، كما فعله بعض آلهة القوم ، غير أن الامر لم يكن كذلك فى الواقع ، صحيح أن الاساطير قد أشارت الى زواج أوزير بايزة، وست بنبت حت ، وصحيح أيضا أن بعض الملوك قد تزوجوا من أخواتهم ولكنه صحيح كذلك أن هذا الامر لم يكن بين عامة القوم حتى أننا لم نعثر للآن على مثال واحد كان الزوجان فيه أخا وأختا ، سواء أكانا من طبقة النبلاء ، أو من الطبقة الوسطى ، بل حتى بين العامة من الناس ، هذا فضلا عن أن الملك قمبيز قد سأل القضاة الملكيين،عما اذا كان القانون

---

(١) أنظر عن «الزواج فى مصر الفرعونية» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة — الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٣٠ — ٣٦) .

(٢) J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 413-420.

(٣) Gustave Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens de L'Epoque Pharaonique, Paris, 1949, p. 70-77.

يسمح لمن يشاء أن يتزوج من أخته ، فأجابوه بالنفى ، وان أجازوا للملك أن يفعل ما يريد[٤] •

هذا وقد عرف المصريون تعدد الزوجات ، وان كان الاستقرار العائلى بين الازواج المصريين قد أدى الى تقليله بينهم الى حد معقول ، وذلك على الرغم من أنه كان مشروعا عندهم ، وأن فريقا من الفراعنة والاثرياء، وقليلا من أثرياء الناس وطغامهم قد أخذوا به ، وربما تمادى القليل النادر منهم فيه ، وأن بعض الزوجات ارتضينه وتسامحن فيه ، وانه قد استمر طوال العصور الفرعونية[٥] ، ومع ذلك فقد كان من المألوف أن يكون للرجل زوجة واحدة ، أما تعدد الزوجات — مع اباحته فى شريعة القوم — فقد حددته الظروف الاقتصادية ، فأضحى مقصورا على الاسرة المالكة ، وطبقة النبلاء ، أو يكاد أن يكون كذلك •

وكان البغاء معروفا الى حد ما عند غير المتزوجين والجنود ، وأما الدعارة المقدسة — كالتى كانت تمارس فى الهند وبابل وفينيقيا وغيرها ، فلم يعثر فى المعابد المصرية على أى أثر يدل عليها ، ولم يعرفها المصريون طوال تاريخهم القديم والحديث •

٢ — الختـــان

هناك ما يشير الى أنه لا يوجد شعب آخر فى حوض البحر المتوسط يتبع سنة الختان غير المصريين ، الذى تدل آثارهم على أنهم عرفوا الختان منذ أقدم العصور ، حيث كشف عما يدل عليه مما عثر عليه فى جبانات عصور ما قبل التاريخ ، من قبل أربعة آلاف عام قبل مولد المسيح عليه

---

(٤) J. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 97.
وكذا A. Moret, le Nile et la Civilisation egypteinne, Paris, 1926, p. 110- 318-319.

(٥) انظر عن تعدد الزوجات عند المصريين (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٥ — ٢١) ، وعن اليهود (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٤/٢٧٠ — ٢٧٨ — الاسكندرية ١٩٧٩) ، وعن العرب (محمد بيومى مهران : مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة — مجلة كلية العلوم الاجتماعية — الرياض ١٩٧٧ ص ١٦٢ — ١٧٠) •

السلام ، وذلك من أجسام بلغ من حفظها أن أمكن فحصها والاستدلال منها على اتباع القوم لسنة الختان ، هذا فضلا عن صورة تمثل عملية الختان ، يقوم بها جراح مصرى فى قبر فى جبانة منف ، يرجع الى عهد الاسرة السادسة من الدولة القديمة ، وأخرى من الدولة الحديثة بالكرنك[٦] .

وكان الختان عند القوم ضربا من ضروب العناية بنظافة البدن ــ على نحو ما ذكر هيرودوت ــ كما كان عاما ، فلقد تبينه الباحثون فى المناظر العارية للخدم والصيادين والرعاة ، كما تبينوه فى التماثيل العارية للخاصة والملوك والجثث السليمة الباقية ، ولعل من أطرف صور الختان تلك التى وجدت فى نص لرجل من عصر الانتقال الاول (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) ، استنتج منه «دونهام» أن الرجل قد اختتن مع مائة وعشرين آخرين ، ولم يضار واحد منهم ، غير أن قراءته ــ فيما يرى الدكتور عبد العزيز صالح ــ لا تخلو من شك ، ولو صحت لأمكن تقريب هذه الرواية الى ما يتبع فى موالد الاولياء بمصر حتى الآن ، حيث ينتهز بعض العامة فرصتها ، فيختتنون أولادهم بمناسبتها ، وتبركا بأصحابها[٧] .

هذا ويذهب «هيرودوت» الى أن الذين زاولوا الختان منذ أقدم العصور ، انما هم المصريون والآشوريون والكولشيديون والاحباش ، أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه من المصريين ، كما يذهب هيرودوت ،

---

(٦) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 303-No. 10.

وكذا J. Carpart, une rue de tombeaux a Saqqarah, Pl. LXVI, p. 51-52.

وكذا Herodot, II, 36, 37, 104, Diodorus, III, 32, Strabo, XVII, 824.

(٧) عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ص ٥٢ ــ ٥٣ ، وانظر :

W. M. Petrie, Sedment, Pls. 7-8.

وكذا J. Capart, Op-Cit, Pls. 39, 83.

وكذا J. Quibell, Excavations at Saqqara, II, Cairo, 1908, p. 3.

وكذا G. Maspero, Momies rayals, p. 550.

وكذا E. Smith, ASAE, 4, 1903, p. 112.

ثم قارن : E. Naville, in Sphinx, XIII, p. 253 F.

كما أشرنا آنفا ، الى أن المصريون انما كانوا يقومون بعملية الختان من أجل الصحة الشخصية ، ومن ثم فهو يقول : ان قدماء المصريين كانوا يختتنون من أجل النظافة ، لانهم اعتبروا النظافة اهم من اللياقة ، واما «سترابو» فالرأى عنده أن المصريين قد ختنوا الذكور ، وجبوا (أى قطعوا الاناث) ، والجب أو القطع هنا انما ينصب على البظر والشفرين الصغيرين ، كلهما أو بعضهما ، وليست هناك أدلة قديمة على عمل الختان للاناث ، وان كان من المحتمل أنه كان يعمل قبل زمن «سترابو» بكثير جدا ، ولا تزال هذه العملية تجرى للبنات فى كثير من المناطق ، وخاصة فى الصعيد والنوبة[٨] •

هذا وقد اتخذ بعض المؤرخين من تتابع الولادة والختان مباشرة فى بعض نقوش المعابد الخاصة بولادة وطفولة الامراء ، دليلا على أن عملية الختان انما كانت تجرى بعد الولادة بأيام ، وان ذهب البعض الى أن هذا التمثيل انما كان رمزيا ، ذلك لان النقوش الاخرى ، وخاصة تلك التى تتصل بغير الملوك والالهة ، انما قد مثلت العملية ، وهى تجرى على أشخاص متقدمين فى السن الى حد ما[٩] ، ومن ثم فقد نظر البعض الى أن عملية الختان انما كانت تعمل للاطفال ، فيما بين السنتين ــ السادسة والثانية عشرة من العمر ــ أو قبل المراهقة بقليل •

هذا ولعل أهم تلك النقوش أو الصور التى تمثل عملية الختان ، انما هو النقش الموجود فى سقارة فى مقبرة «عنخ ماحور» من الاسرة السادسة وهو مكون من جزأين ، ففى الجزء الايمن منه نرى الجراح ــ وقد ذكرت قبالته عبارة «الكاهن المختن» ــ مما يشير الى أن العملية التى يقوم باجرائها لا تدخل ضمن اختصاصات الجراح العادى ، نراه وقد أمسك بيده اليمنى بآلة مستطيلة فى وضع عمودى على العضو التناسلى ، وفى اتجاه طول الجسم ، ويقول : ان هذا يجعله مقبولا للكحت (أو الدهان) •

---

(٨) حسن كمال : المرجع السابق ٧٢/٣ ــ ٧٣ ، وكذا
Strabo, XVII, 824.

(٩) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٣٣/١ •

وأما الجزء الايسر ، فيظهر فيه الجراح ممسكا بآلة أو بشيء آخر بيضاوى الشكل يلمس به العضو التناسلى الذى يسنده بيده اليسرى ، وفى هذا الجزء تدل ملامح المريض على شعوره بالالم ، ويلاحظ كذلك وجود مساعد الجراح خلف المريض ، وقد امسك بذراعيه على ارتفاع وجهه فى قوة وعنف ، ونقرأ قول الطبيب : «امسكه كيــلا يقع» ، ورد المساعد : «سأفعل وفق اشارتك» ، وبدهى أن تكون اللوحــة اليمنى لايضاح التحضير أو التخدير ، واليسرى لابراز العملية نفسها •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن الختان انما لقب فى الجــزء الاول من النقش بلقب «الكاهن المختن» ، وربما يدل هذا على أن العملية التى يقوم بها لا تدخل فى اختصاص الجراح العادى ، كما أشرنا آنفا ، ولكن ربما لان عملية الختان انما كانت تتم فى العادة فى المعابد ، أى أنها تأخذ صفة شبه دينية •

هذا ويذهب بعض المؤرخين الى أن الختان لم يكن يجرى فى الماضى بالشكل المتبع الان ، أى أنه لم يكن استئصالا كاملا للقلفة ، وانما كان مجرد قطع مستطيل يجرى على ظهرها للاكتفاء بفتحها[١٠] •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن اليهود انما نقلوا الختان عن مصر ، فطبقا لرواية هيرودوت ــ الانفة الذكر ــ أن الشعوب جميعا ــ فيما عدا الاشوريين والكوشيين ــ قد نقلت الختان عن المصريين[١١] ، هذا فضلا عن أن رواية التوراة[١٢] المتداولة اليوم ، يفهم منها أن سيدنا ابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ انما قد قام بعملية الختان ، بعــد عودته من مصر ، وبعد انجابه لولده اسماعيل عليه السلام •

وعلى أية حال ، فان أمر الختان ــ كما جاء فى توراة اليهود المتداولة

---

(١٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٣٣/١ ــ ٥٣٤ ، طب وسحر ص ٦٨ ــ ٦٩ ، وكذا

J. Carpat, Op-Cit, Pl. 51-52.

(١١) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٢٠ ــ ٢٢١ •

(١٢) تكوين ١٠/١٧ ــ ١١ ، ٢٣ ــ ٢٧ •

اليوم ــ انما يدل على مدى التضارب فى نصوصها ، فنص يرجعه الى الخليل ابراهيم عليه السلام ، وقد دون هذا النص ، أول ما دونه أحبار السبى البابلى (٥٨٦ ــ ٥٣٩ ق٠م) فيما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد[١٣] ، أى بعد عهد ابراهيم عليه السلام بما يربو عن ألف وخمسمائة عام ، ثم انها رواية لم تتداخل مع بقية النصوص فى صلب أسفار الشريعة فى صورتها الحالية ، الا فى حوالى عام ٤٠٠ ق٠م ، أو ما يقارب ذلك ، حين ابتعثت دويلة يهودا فى ظل الحماية الفارسية على يد «عزرا» الذى يعزى اليه ارساء أركان العقيدة اليهودية ، كما تطالعنا اليــوم ٠

ومن ثم فلا غرو أنه يتعارض تعارضا جذريا ، مع روايات أخرى ــ كما فى سفر التثنية ــ[١٤] ــ ربما كانت أصداء خافتة لوقائع فى صورة من أساطير ، عن نشأة الختان ، تلك السنة التى كانت ، كما أشرنا آنفا ، عادة مصرية متأصلة[١٥] ، فاعجب بها من سنة مميزة ، الا أن يكون بنو اسرائيل قد سعوا أصلا ، ــ أو اجبروا غصبا ــ على أن يتمثلوا بذلك الشعب الذى انبثقت حضارته سامقة عملاقة على ضفاف وادى النيل ، ما أن يكشف ــ حتى فى عصرنا هذا ــ عن أى من أمر آثارها الدارسة ، حتى يؤخذ العالم مبهورا ، فكيف بالشعوب التى من حولها ، حين كانت فى أوجها ، تخطف الابصار بلألأ من اشعاع وهاج ، فالختان اذن انتحال يهودى واضح ، ومع ذلك فبه اليهود يتعلقون ، امارة لتفرد يدعون أنه قد خصهم بها الاله ، فترى العجب فى نصوص توراتهم ، لم تترك حاسة

---

(١٣) A. Lods, Israel from its Beginnings to The Middle of The Eighth Century, London, 1962, p. 152.

(١٤) تثنية ٥/١ ــ ٣ وكذا
A. Lods, Op-Cit, p. 199.

(١٥) محمد بيومى مهران : قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة ــ مجلة الاسطول ــ العدد ٦٧ عام ١٩٧٠ ص ٥ ــ ٦ ، وكذا
A. Powell Davies, Ten Commandments, New York, 1956, p. 59-60.

من حـواس الادراك ، الا حـاولت تقييمها من حيث السمـة ، كناية وتورية(16) •

٣ ـ النظـافة العـامة

كان المصرى القديم يتميز بالنظافة الفائقة ، غنيا كان أم فقيرا ، ولقد أكثر المصريون القدامى من الاستحمام صباحا كان ذلك أم مساء ، وقبل الطعام ، وكانت منازل الاثرياء تحوى حجرات فيها أحواض خـاصة بذلك ، وفيها مكان يصب على المستحم فيه الماء •

هذا ولم يعرف المصريون الصابون ، وكانوا يستعملون الصودا فى الغسيل ، وكانوا جميعا ــ رجالا ونساء ــ يتخلصون مما ينمـو على أجسامهم من شعر ، اما بالحلق واما بالنتف ، أما الكهنة وكبار القوم فكانوا يحلقون شعر رؤوسهم ووجوههم ، ويحلون مكانه شعرا مستعارا ولحى صناعية •

وكانت المرأة فى مصر القديمة تغسل جسمها وتحلقه وتنتف شعرها الغير مرغوب فيه ، وتدهن جلدها بالدهان ، وتسرف فى استعمال العطور ، وتخضب شفتيها وخديها بالاحمر ، وتزجج حواجبها ، وتطلى أجفانها ورموش عينيها بالكحل ، وهو من نوعين : أخضر يلون به الجفن الاسفل ، وأسود تزجج به الحواجب ، وتطلى به الاجفان ، وكانت المرأة شغوفة بالحلى والاقراط والاسوار والقلائد والخلاخل ، وبخاصة فى الموائد والمآدب التى كان القوم مغرمين بها كثيرا ، ويتصيدون الفرص لاقامتها •

ولم يكن يليق بامرأة تحترم نفسها فى مصر الفرعونية أن تخرج الى حفل أو مأدبة ، دون أن تقضى وقتا تتزين فيه ، ودون أن تتعطر ، وتبدو على ما ترضاه لنفسها ، وهو أمر بالغ العسر ، ولكنها كانت تحـاول ــ على أية حال ــ أن تبدو نظيفة ملتمعة جذابة معطرة الحواشى ، أنيقة الهندام ، وكان لا يفوتها قبل أن تخرج من البيت أن تمزج المر بالرتم

---

(١٦) حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود ــ المجلة يناير ١٩٧٠ ص ١٦ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ١/٣٩٤ ــ ٣٩٥ •

وحصا البان والمعجرم وغيرها ، وتدقها ثم تضعها على النار ، لتجعل رائحة المنزل والملابس زكية مستحبة ، ثم تضيف اليها عسل النحل ، وتتناول بضع حبات تمضغها فى طريقها للزيارة ، فتجعل أنفاسها بذلك طيبة النكهة ، زكية الرائحة •

هذا وقد اهتمت النسوة فى مصر — بل وفى كل بلد متمدن — بالعناية بشعورهن،فكن يسفلنها ويدهنها ، ويعتنين بطولها أو بقصرها،ويخضرنها أو يجعدنها ، أو يتركنها مستقيمة مسترسلة ، تبعا للنمط الدارج[١٧] •

٤ ـ البيت المصـــرى

كان المصرى انقديم يعيش فى الغالب فى بيت بسيط ، راعى فيه من بناه أن يكون ملائما للجو الذى يعيش فيه ، فبناه من اللبن والخشب ، وجعله فسيحا ، وأكثر فيه من المفتحات والنوافذ وغيرها ، حتى يجرى النسيم فيه دائما ، وكانت تتخلله الابهاء وقاعات الطعام والاستقبال ، وتزين جدرانه أكاليل الزهور والفاكهة وقد لونت بألوان زاهية جميلة ، وفى الجزء الخافى من البيت ، حيث يسود الهدوء بعيدا عن الجلبة والضوضاء ، توجد غرف النوم ، وعدد كبير أو قليل من المغاسل والحمامات ودورات المياه ، طبقا للحالة الاجتماعية لصاحب البيت •

هذا وقد أثار استعمال المصريين لدورات المياه دهشة هيرودوت ، فقال : «ان المصريين يختلفون عن بقية الشعوب الاخرى ، فهم يتناولون طعامهم خارج بيوتهم ، بينما يقضون حاجتهم داخلها ، معتقدين أن الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى فى الخفاء» ، وهكذا — كما يقول الدكتور أحمد بدوى — يعجب هيرودوت من أن المصرين كانوا يزيلون ضرورتهم مستورين داخل الدور ، على حين كانوا ياكلون طعامهم خارجها اعتقادا منهم : أن الضرورات عورات يجب أن تستر ، أما غيرها فلاجناح

---

(١٧) حسن كمال : المرجع السابق ٧٥/٣ ـ ٧٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٤ ـ ٥٥ ، بول غليونجى : المرجع السابق ص ٥٣٥ ، محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ١١/٢ ـ ١٣ •

عليهم فى اتيانها جهارا ، وليس غريبا ولا عجيبا ما يراه هيرودوت ، وانما العجب ، كل العجب ، فى أن يرى هيرودوت ذلك من الغرائب فى حياة المصريين ، فاذا صح ما رآه فنحن جد به فخورين ، لان فيه من صور الحياة السليمة ، ومن الكرامة الانسانية ما يدل على ذوق هــذا الشعب العظيم ، نعم انه الذوق كل الذوق ، بل انهــا صورة تدل على المروءة الكاملة ، فهيرودوت حين يعجب من ذلك ، لانه لم يره عند غير المصريين انما يرمى شعبه الاغريقى ، على الاقل ، بفساد الذوق وانعدام المروءة ، فضلا عن عدم مراعاة قواعد النظافة العامة[18] .

هذا ورغم أن علماء الآثار لم يعثروا، حتى الان على أثر للحمامات ودورات الميــاه فى بيوت « اللاهون » التى أنشأها «سنوسرت الثانى» (١٨٩٧ ـــ ١٨٧٧م) ـــ على مبعدة ٢٥ كيلا من مدينة الفيوم ـــ غير أن قصة «سنوهى» ـــ وهى سابقة لبناء اللاهون ـــ انما تذكر أن هناك غرفا للاستحمام ، كما أن هناك نصوصا من الاسرة الثانية عشرة تذكر وظيفة «المشرف على غرف استحمام الملك» .

وفى منازل العمارنة (أخيتاتون)[20] ، كان يلحق بغرفة النوم ، غرفة أخرى للتعطير والزينة ، وتجاورها غرفة للحمام مزودة بأحواض مياه جارية ودورة مياه ، وفى الواقع ، فلقد كانت المرافق الصحية فى العمارنة ـــ وتقع فيما بين مدينتى ملوى وديروط ، فى مقابل دير مواس الحالية ،

---

(١٨) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١١٨ .

(١٩) أنظر عن «اللاهون» (محمد بيومى مهران : مصر ٣٦٠/٢ ـ ٣٦٢ ، محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٧٨ ـ ٨٠ ، وكذا
W. M. F. Petrie, Iblahun, Kahun and Gurob, London, 1891, Pl. XIV, p. SF.)

(٢٠) أنظر عن العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناتون ـ عصره ودعوته ـ القاهرة ١٩٧٩ ص ١٨٦ ـ ٢٣٢ ، وكذا
J. Samson, Amarna, City of Akhenaten and Nefertiti, London, 1972.
W. M. F Petrie, Tell-El-Amarna, London, 1894.
T. E. Peet and C. L. Wooley, The City of Akhenten, London, 1923.
J. D. S. Pendlebury, Tell-El-Amarna. London, 1935.

عبر النهر تقريبا — بمحافظة المنيــا — معتنى بها كثيرا ، بل ان بهذه المرافق مقاعد يجلس عليها المرء عند قضاء حاجته ، ويبدو أن المصرى لم يكن ، قبل العصر الرومانى ، يعرف حوض الاستحمام ، وانما كان عنده — وفى جميع الازمان — حجرة الرشاش (دش)،وكان من الضرورى بعد الاغتسال العناية بالجلد حتى يحتفظ بمرونته ، الامر الشــائع فى أغلب البلاد الحارة ، ومن ثم فان المرافق الخاصة فى المنازل انما كانت تحتوى على حجرات التدليك ، واستعمال الدهانات •

وكان يتم تصريف المياه الى الخارج بواسطة قناة من الفخار ، وكان القوم يعنون برصف أرض الحجرات ، فكانوا يغطونها باسطوانات من الفخار ، ذات أطراف مستوية السطح ، ثم يغطونها باللبن ، وكان الغرض من وضع اسطوانات الفخار تحت طبقة اللبن صرف المياه التى قد تنفذ الى باطن أرض الحجرات ، كما كانوا يضعون أنابيب من الفخار ملتصقة بأحد الجدران ومتدلية من سطح فوقه[٢١] •

هذا وقد كشف «بوخاردت» فى العمارنة عن أربعة أنواع من دورات المياه ، بعضها يشبه ما وجد فى الدولة القديمة ، وبعضها له فتحات دائرية وأخرى لها مقاعد ملسة ومائلة لتسهيل عملية تنظيفها ، أو له فتحة كفتحة المفتاح ، وفى كل هذه الاشكال كانت توضع آنية تحت هذه الفتحات ، وفى أحد هذه المنازل وجد فراغان ، واحد على كل جانب مملوء بالرمل النظيف لتغطية الفضلات ، كما كانت دورات المياه دائما تحتل الجهة الجنوبية الشرقية من البيت •

وهناك نماذج أخرى لها وجدت فى مدينة هابو بطيبة الغربية ، كمــا وجدت مقاعد متنقلة لقضاء الحاجة ، وكل هذه الانواع مزودة بمقــاعد مفتوحة من أعلى لتهبط الفضلات من هذه الفتحات،فتتلقاها أوانى خاصة•

---

(٢١) انظر

E. Bill-De Mot, The Age of Akhenaten, London, 1965, p. 78-79.
H. Kess, Ancient Egypt, London, 1961, p. 299.
W. M. F. Petrie, Social Life in Ancient Egypt, p. 177-178.

وكانت الحمامات مزودة فى أسفلها بخزانات ينساب اليها الماء الملوث، وكانت الجدران المحيطة بالحمام مغطاة بالحجر أو بالخزف لصيانته ، وقد بلغت هـذه الحمامات ذروة الترف فى عهـد «رعمسيس الثالث» (١١٨٢ ــ ١١٥١ ق٠م) الذى بنى منزلا على مقربة من معبد مدينة هابو، ثم هدمه وشيد على أنقاضه منزلا آخر مزودا بعدد كبير من الحمامات ليستخدمها هو وحريمه ، وكل هذه الحمامات كانت مكسوة من الداخل بألواح من الحجر الجيرى الابيض ٠

وهناك فى معبد الملك «ساحورع» من الاسرة الخامسة ــ فى منطقة أبو صير الجيزة ، على مبعدة ٥ كيلا جنوبى أهرام الجيزة ــ ما يدل على مدى عناية المهندسين بكل ما يؤثر على سلامة البناء ، فضلا عن نظام جديد للصرف الصحى ، فهم مثلا لم يسقطوا المطر من سطحهم ، وجعلوه ينساب من مزاريب ، كل منها على هيئة رأس أسـد ، تسقط المياه من أفواهها الى قنوات صغيرة عمقوها قليلا فى الارض ، ثم تسير الميـاه منحدرة الى الخارج ، أما المياه التى تستخدم داخل حجرات المعبد فى أجزائه المختلفة ، فكانت تسير فى مواسير تحت أرضية المعبد ، وكانت هـذه المواسير مصنوعة من النحـاس ، وملحـومة الى بعضها البعض بالرصاص ، وتسير الى خارج المعبد مدى أربعمائة متر ، حيث تصب فى أحد الاماكن المنخفضة فى مكان بعيد عن الانظار ٠

غير أن القوم ، لأسباب لا ندريها على وجه اليقين ، قد استبدلوا بها طرقا أخرى تختلف حسب العصور ، ففى «اللاهون» (من عهد الدولة الوسطى) كانت مياه المنازل تمر خـلال مجار تصب فى مجـرور بوسط الطريق ، وفى منزل من العمارنة (من عهد الدولة الحديثة) وجدت المياه تمر خلال اناء فخارى مثقوب مقره ، وتصب فى وعاء خارج الحوائط[٢٢] ٠

---

(٢٢) انظر : محمد بيومى مهران : مصر ١٦٥/٢ ، أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٣٢ ، بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٣٥ ــ ٥٣٨ ، وكذا
L. Borchardt, Das Grabdenkmal des Konigs Sahure, I, Leipzig 1910, p. 7-12, 76-82.
=

٥ ـ الامراض والتشــوهات

كان الفنان المصرى القــديم يتمسك فى تمثيله للاشخاص بالتقاليد الموروثة ، ويتبع فيها تعاليم الديانات المرعية فى الدولة ، وهو فى ذلك يريد الخلود والبعث فى صورة رسمية فى أنضر الاشكال ، ومع ذلك فقد كان يبذل قصارى جهده للحفاظ على الصورة الاصلية لجثة المتوفى كى تبقى الى الابد ، وكى لا ينتاب الروح شعور بالغربة حين يحتويها ساكنها القديم بعد اعادة تشكيله ، ولعل هذا يفسر لنا حقيقة تلك الثروة التى خلفها لنا الفن المصرى القديم فى الكشف عن العلل الجسمانية السائدة ، على الرغم من العقيدة التى كانوا يؤمنون بها فى ذلك الوقت من اظهار التماثيل والنقوش على أكمل صورة وأتم صحة •

وهناك تمثالان اشخصين (أحدهما نوبى ، والاخر مشكوك فى أصل مولده) قد أبرزا تشحم الثديين ، وتهدل البطن وترهل لفائف الشحم فى جسدهما . وهناك منظر آخر لرجال سمين يبدو وكأنه رئيس النوبة،حوله أشخاص بعضهم يطعمه ، والبعض الاخر منهمك فى العمل ، بينمــا هو جالس مستريح فى زورقه ، وقد بالغ الفنان فى ابراز الانحراف عن قوانين الرسم المصطلحة فى بعض مقابر الدولة القديمة •

وربما كانت بدانة هؤلاء الاشخاص من النوع المعتاد عن الافراط فى المأكل ، ومن خصائصه أنه يعم كل أجزاء الجسم ، غير أن توزيع بعض هذه التكدسات غير متساو فى بعض الاشخاص الاخرين ، ويعد توزيعه فى هذه الاحوال من السماء الاكلينيكية التى ترشد الى تشخيص الحالة المرضية ، وقد ظهر هذا التوزيع فى بعض الرسوم بوضوح يعجــز أى مؤلف طبى حديث على أن يفوقه فى الوصف •

= W. M. F. Petrie, Gizeh and Rifeh, London, 1907, Pl. XIX, No. 72.

J. E. Quibell, Excovations at Saqqara, 1923, Pl. XXX, 2,3.

وانظر عن الحمامات بمعبد دندرة (من عهد البطالمة) :

F. Daumas, in BIFAO, LVI, 1957, p. 5.

وهناك رسم للملكة «بونت»[٢٣] ، احتار العلماء فى تفسير سبب سمنة أردافها المفرطة ، وتلافيف الشحم واللحم التى تتدلى من ذراعيها وساقيها ، دون القدمين واليدين ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أنه مرض الفيل ، بينما ذهب آخرون الى أنه «المكسيديم» (ضعف الغدة الدرقية)، أو الكرمحة العنصرية ، أو ضمور العضلات المرضى ، على أن فريقا ثالثا يذهب الى أنه مرض دركوم (السمنة الموجعة) •

هذا ويبدو من نقش بارز لابنتها — انتزع من مكانه بمعبد الدير البحري فى طيبة الغربية ، ولم يستبدل على مكانه الحالى — أن مرض الام إنما كان وراثيا ، وقد أثار مظهره المزرى حافظة الفنان الكاريكاتورى فجعل منه محورا لرسم سخرى على الخزف •

وعلى أية حال ، فلقد عرف المصريون كثيرا من أمراض السري ، والفتق الاربى ، الى جانب انتفاخ البطن ، وتضم الاعضاء التناسلية والثديين ، فاذا جمعنا كل هذه الدقائق فى فسيفساء طبية ، فانها تشكل صورة قريبة الشبه بمرض الطحال المصرى ، وقد تكون هذه الصورة ، — فيما يرى الدكتور بول غليونجى — رسما لمرض «عاع» الذى كثر الحديث عنه فى أوراق البردى الطبية ، والذى مايزال الشك يحوم حول معرفة كنهه ، فهو — فى رأى البعض — «البلهارسيا» لعلاقته بالديدان ، ولما يحدثه من ضعف شديد ، وان شك البعض فى أن يكون قدماء المصريين قد عثروا على دودة البلهارسيا فى الوريد البابى ، هذا فضلا عن أن هناك أوصاف عديدة للتبول الدموى ، جاءت بأسماء أخرى ، وان لم يجىء وصف منها باسم «عاع»، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مرض «عاع» هذا ، انما هو مرض «الانكلستوما» لما يسببه من هزال شديد قد يفتك بالمريض ، وان استعمال المخصص يدل على ما يشكو الصبيان المصابون به من توقف فى النمو الجنسى ، والبالغون من زوال القوى الحيوية •

---

(٢٣) أنظر عن : بلاد بونت (محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة — مجلة كلية اللغة العربية والعلوم — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٠٧ — ٣١٠ •

هذا ويدل تمثال «ذى القنب الحـاد» بالمتحف المصرى على وجود مرض «سل العظام» بين القوم وقت ذاك كما أن ورم «روم القفداء» (القـدم المنبعجة) ، وساق الفرعـون «سبتاح» (من الاسرة التاسعة عشرة) ، وشكل مفتش الزراعة فى مقبرة «منا» فى طيبة الغربية (وهما ليستا بحجم واحد) ، انما تدل على أن شلل الاطفال لم يكن مجهولا وقت ذاك ٠

وفى بردية ايبرس وصف للذبحة الصدرية ، كما وصف القـوم أيضا ادرار البول ، وقد يكون «البول السكرى» ، كما أن هناك أوصافا عدة لشلل الجسم ، والصمت نتيجة حدوث جروح بالرأس والجمجمة ، وأما أمراض المعـدة فقد جاءت لها أوصـاف عديدة شملت أمراضا مختلفة لاعضاء التجويف الباطنى ، كما عرفوا مرض الدرن ، وقد عزا البعض موت «توت عنخ أمون» المبكر الى اصابته بالدرن الرئوى ، وان لم يثبت ذلك على وجه اليقين ٠

وقد درس الدكتور محمد كامل حسين مجموعة العظام الموجـودة بمتحف التشريح بكلية الطب بجامعـة القـاهرة ورجـح أن الامراض الروماتيزمية كانت منتشرة بين القـوم ، وكثير من تلك العظام مصاب بتكلس فى أربطـة المفاصل ، مثـل ما يحـدث فى مرض «بكتروف» Bechterew ، كما وجد Exostoses فى الجمجمة ، أى زيادات موضعية فى العظم ، تشبه ما يحدث حول أورام «الام الجافة» ٠

هذا وقد وصف المصريون نوعا من الحمى المصحوبة بطفح جلدى ، وقد فسره البعض بأنه «الطاعون» وفسره آخرون بأنه «الجدرى» ، كما وصفوا نوعا من الدود بأنه (ينفرج) ، وقد يكون الدودة الوحيدة ، كما وصفوا نوعا آخر (مستطيل) وقد يكون «الاسكارس» أو غـيره من

الديدان ، وعالجوه بالخس والشبت والبصل[٢٤] .

(٢٤) بول غليونجى : الحضـــارة الطبيـة ص ١٥ ـ ٢٢ ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٣٩ ـ ٥٤١ ، وانظر :

B. Gunn, in BIFAO, 30, 1930, p. 791-815.

C. Kuentz, in BIFAO, 34, 1934, p. 143.

P. Ghalioyngui, in ASAE, XVII, 1947, p. 29.

A. Mariette, Deir el-Bahari, Texte, Leipzig, 1877.

E. Brunner, Die Alt-Aegyptisch. Scherbenbilder, 28, 1956, No. 76-1-1.

الفصل السادس

الاجـراءات العــلاجية

١ ـ التشخيص :

اعتمدت طرق فحص المريض على الخبرة ودقة الملاحظة ، وكان الفحص يبدأ عادة باستجواب المريض استجوابا دقيقا ، ثم بفحصه فحصا عينيا شاملا ، يبدأ بالوجه فيلاحظ الفاحص لونه ، وافرازات أنفه وجفنيه وعينيه ••• الخ ، ثم تشم رائحة الجسم من عرق ونفس ، ثم يأتى فحص البطن ، فالاعضاء الاخرى (أوذيما ، رعشة ، دوالى ، براز ، عرق ، لعاب ••• الخ) ، ثم يتبع الشم الجس والطرق ، وتقدير حرارة الجسم ، وفحص البراز والبول[١] •

٢ ـ الاجراءات العلاجية :

يشير ما جاء فى بردية ابيرس الى تقدم طب الاسنان عند المصريين القدامى ، ومن ذلك توصية بحشو السنة بخليط من الملاخيت والصمغ ، هذا وقد اكتشف «هرمان يونكر»[٢] تثبيت سنتين معا بربطهما بسلك ذهبى ، وهو أول ما عرف من عمليات الجراحة التعويضية فى التاريخ ، أضف الى ذلك الفك الذى عثر عليه فى الجيزة ، وقد وجدت به ثقوب صنعت لتصريف «خراجات» بالاسنان[٣] •

وكانت الجراحة تتم بأنواعها على أيدى كهنة الالهة «سخمت»[٤] المتخصصين ، من جراحة صغرى ، وأخرى كبرى ، فهناك عمليات الختان وفتح الخراجات ، وهناك عملية التربنة ، وكان التخدير يتم قبل اجراء الجراحة ، ثم تخاط الجروح بعد انتهاء الجراحة ، وتعالج بالاربطة أو باللحم الحى والاعشاب القابضة والعسل •

---

(١) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٤٤ •
(٢) H. Junker, Giza, I, 1929, Pl. XL. C.
(٣) J. H. Breasted, The Edwin Smith Papyrus, Chicago, 1930, p. 53.
(٤) أنظر عن الالهة سخمت (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ٢/٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، مصر ٢/٨١ ـ ٨٢ •
V. Lons, Egyptian Mythology, 1968, p. 106.

هذا ولم تذكر اللفائف الطبية شيئا عن جراحة العين ، ومع ذلك فقد كان هناك تمييز واضح بين علاج العين الظاهر ، وعلاجها من الداخل ، والاخير كان يجرى بواسطة ريشة نسر ، استعملت كقطارة ، وتعتبر هذه أول قطارة عرفت فى التاريخ ، ولعل هذا هو ما أراد ان يمثله الفنان الذى زين مقبرة «ايبى» فى طيبة الغربية ، اللهم الا اذا كان الفنان يقصد برسمه هذا ، انتزاع جسم غريب نتأ من تابوت «ايبى» ، فدخل فى عين أحد العمال عن طريق أداة تشبه المرود الطويل •

وقد عرف المصريون القدامى الجبائر فى حالات الكسور البسيطة والمضاعفة ، بل وحتى الموميات التى أصيبت بكسر ما فى أثناء عملية التحنيط الطويلة ، كانوا يجبرونها هى الاخرى ، حتى تلقى ربها ، وهى فى أكمل صورة جسمانية ، هذا وتشير بردية أدوين سمث الى القدرة على التفرقة فى التشخيص بين الكسور والنقل ، وأما الجبائر فكانت من قشر الخشب أو من الغاب المغلف بقماش من الكتان تتصل بعضها بالبعض الاخر عن طريق أربطة ، وكان العضو المراد تجبيره يلف بهـا على أن يراعى أن تمتد الجبائر الى المفصلين فى أعلى وأسفل الكسر ، وتشير البردية الى علاج كسر الترقوة فتقول : «اذا فحصت رجلا مصابا بكسر فى الترقوة ، ووجدت بها قصرا ، فقل هذا مرض سأعالجه ، وألقه على ظهره ، وضع بين اللوحين وسادة حتى يتباعد جزء الترقوة ، ويرجع العظم المكسور الى موضعه ، ثم تثبت وسادة من الكتان على الجانب الداخلى من ذراعه ، ثم ضمده بال «ايمرو» والعسل فى الايام التالية •

وكانت الخراجات والدمامل تعالج بثقبها ثم تصفيتها ، اما بواسطة شرائط من الكتان، واما بقمع من الغاب ، وكانت تولى عناية خاصة لانتزاع كل بقايا الاورام تماما ، خوفا من أن تعود مرة أخرى •

هذا وقد عرف المصريون وقت ذاك عمليات التربنة ، فهناك ثلاثة جماجم من العصر الفرعونى بها ثقوب مستديرة ، ذوات حواف ملساء ، يحتمل أن تكون نتيجة لهذه العمليات ، ورابعة يعتقد الان أنها ضمور سببه الشيخوخة •

وقد استعمل المصريون أنواعا من المشارط مختلفة ، وكذا أنواعا من الكلابات ، وآلات الكى ، ولكل منها استعمال خاص فى مرحلة معينة من العملية لا تتعداه الى غيرها ، ويحتمل أن تكون هـذه بعض الادوات المعروضة فى المتاحف المختلفة مثل : المشارط المستقيمة ، والمشارط المعوجة ذات السلاح المنعكف قريب الشبه بطاقية فريجيا ، والملاقيط المستقيمة والمعوجة وذات الحواف الملساء ، وأخيرا الكلابات المسننة ذوات حلقة تحد من فتحها ، وتحكم امساكها ، أما النار فكانت تستخدم فى كى الجراح والاورام •

هذا وفى معبد كوم امبو ــ على مبعدة ٤٢ كيلا شمالى أسوان ــ مجموعة طبية من الرسوم تشير الى الآلات الجراحية التى كان يستعملها الاطباء ، ويمكن استعمال بعضها ، أما البعض الاخر فمازال فى حاجة الى فحص ودراسة ــ شأنها فى ذلك شأن الكثير من الآلات الطبية والجراحية التى تزخــر بها المتاحف ــ وقد قسمت اللوحــة التى توضح الآلات الجراحية ، أفقيا الى أربعة أقسام :

١ ــ تشمل من اليمين الى اليسار : قرنين يستعملان للحجامة ، ثم مجموعة «ابر» كل منها يحتوى على ثلاثة ابر ، ربما كانت تستعمل للوشم ثم ابرة ثم مجس أو مسطرة أو مسبرة وآلة كى ، ثم آلة أخرى ، ثم مسبر ومجس أو مسطرة أو مسبر ، ثم آلة غليظة الوسط ، رفيعة الطرفين يليها آلة كى •

٢ ــ وتشمل أيضا : يد هاون بميزراب أسفله هاون بدون ميزراب ، ويليه مبضع صغير بحدين ، أسفله آلة كى صغيرة ، ثم جفت ، ثم مبضع كبير بحدين ، ثم زجاجة صغيرة للدواء أسفلها ثلاث ملاعق ، ثم مبخرة بأسفلها مخرزان •

٣ ــ تحتوى على ميزان بكف أسفله زهر اللوتس والبشنين ، اشارة الى الصعيد والدلتا ، ثم تعاويذ على شكل عينين أسفلهما قرن ، كان يستعمل للحجامة ، ثم انيتان للعقاقير ، ثم جفت متوسط الرأس منحنى المقبض لمنع الانزلاق ــ جفت مستدير الرأس مستقيم اليدين •

٤ — ويحتوى على مشرطين ، ثانيهما أكبر دورانا من الاول ، ثم ابرتان ، فحوض مزدوج أسفله كرة خيط ، ثم مقص بلولب ليس له مقابض ، ثم ملقاط ، ثم كأسان لعمل الحجامة •

٣ ـ امراض النساء :

تناولت أمراض النساء برديات ايبرس وكاهون وبرلين وكارلزبرج ولندن ، ويبدو أن كل ما ورد عن أمراض النساء قد نقل من المجموعات الطبية التى ذكرها «كليمان السكندرى» (١٥٠ — ٢١٢م) ، فقال عنها أن الجزء الخامس منها مخصص للرمد ، والسادس مكــرس لامراض النساء ، ومن الطريف أن بردية كارلزبرج قد تناول الاختصاصين ذاتهما، ويذهب البعض الى أن الزواج المبكر والولادات المتعددة فى سن مبكرة، والاعمال المرهقة التى كانت تقوم بها نساء العامة ابان الحمل ، وجهل القابلات ، انما كانت تسهم فى مضاعفة الامراض التى كانت تصيب المرأة فى مصر القديمة •

وكان القوم يعتقدون أن أعضاء الحوض عائمة متجولة فى التجويف الباطنى ، الامر الذى جعلهم حريصين على اعادة الرحم الى مكانه فى حالة المرض ، ومساعدته فى ذلك باطلاق بخور من شمع معطر تحت المرأة، وكثيرا ما كان هذا الشمع يصب فى قالب على شكل «أبى قردان» — ممثل الاله تحوت — ليمنحه هذا الرمز فاعلية أكبر فى الشفاء •

وقد وصف القوم سقوط الرحم وعالجوه ، اما بمختلف أنواع اللبوس أو بالتبخيرات المركبة من الشمع أو الغائط المجفف والتربنتين ، وعالجوا التهابات الرحم ، وانتفاخ عنقه بالحقن المهبلية المحتوية على عصير بعض النباتات ، كما عالجوا مرضا سموه «أكل الرحم» علاجا موضعيا ، وقد عزا القوم الى مرض الرحم أعراضا عديدة ، مثــل الآلام التى تصيب أسفل البطن والرقبة والاذنين وأمراض العيون والنوبات العصبية ، وقد وصفت بردية كاهون مرضا يشمل مجموعة من العوارض هى : التهاب الرحم ، وآلام المفاصل والعينين ، ولعل هذا يطابق ما يسمى بالسيلان من الالتهاب الموضعى والروماتيزم المفصلى والتهاب العينين •

وأما عن الحمل والولادة ، فهناك عدة طرق للتأكد من خصب المرأة وعقمها ، وقد أشرنا من قبل ، الى طريقة وضع لبوس من الثوم فى المهبل ثم ملاحظة رائحته فى الفم ، كما كان لدى القوم عدة طرق لتشخيص الحمل ولمعرفة نوع الجنين ، وهذه الطرق بعضها أشبه ما يكون بالسحر، وبعضها قد يكون له أساس علمى ، وكان الاطباء يوصون فى تشخيصهم للحمل بوضع بول المرأة الحبلى على مقدار من القمح ، وآخر من الشعير، فان نبت القمح كان الجنين ذكرا ، وان نبت الشعير كان الجنين أنثى ، وان لم ينبت أيهما كان ذلك دليلا على عدم الحمل •

هذا ورغم أن هناك وصفة لمنع الحمل لمدة عام ولعامين ولثلاثة أعوام فقد ذهب كثـير من الباحثين الى أن الاجهـاض كان محـرما فى مصر الفرعونية ، كما أن تحديد النسل كان معاقبا عليه •

وأما عن الوضع فان النساء كن يجلسن ، اما فى وضع ثنى الركبتين ، واما القرفصاء مع وضع اليدين على الفخذين ، يبـدو ذلك واضحا فى نقش بالمتحف المصرى ، حيث تجلس الوالدة على ركبتيها ، واضعة يديها عليهما ، وتساعدها على كلا جانبيها الالهة حاتحـور ، وترى فى بعض النصوص قالبى طوب وضعا تحت كلا الفخذين ، وتجلس عليهما المرأة المستعدة للولادة القرفصاء (وكانت هذه الطريقة شائعة الى عهد قريب فى الريف المصرى) ، وربما كان هذان الحجران أصل الكرسى ذى شكل حدوة الحصان ، وان اختلف العلماء فى تفسير استعمال هذا الكرسى نظرا لضيق الفتحة به عن حجم رأس الطفل ، فقالوا انه كان مقعدا للراحة ، ويوجد كرسى آخر قد يكون القوم قد استعملوه لمثل ذلك الغرض ، وأيا ما كان الامر ، فلقد كان الطفل يتغذى بعد الولادة بطريق الثدى •

هذا وفى بردية وستكار اشارات الى ما يجب الاحتفاظ به لسـلامة المرأة الوالدة ، ووقـاية الأطفال وقت الولادة ، وغسل المولود ، وقطع صرته ، وتطييب ملابسه بما يستطاع ، هذا وكانت المرأة المصرية حريصة الى أبعد الحدود على ارضاع طفلها ، وطبقا لما جاء فى نصائح الحكيم

«آنى» فقد كان الطفل المصرى يفطم بعد سنوات ثلاث من ولادته[٥] •

٤ ـ العقـــاقير :

عرف المصرى القديم خواص العقاقير ، وهو ينتقى الطعام ، وأدرك عن طريق الملاحظة أثرها الطبى ، وقد توارث القوم هذه المعرفة ، ومن ثم فقد تخصصت فيها بعض الاسر حتى غدت سرا يكاد يكون مقصورا على أفرادها يتوارثونه فى حذر وكتمان ، ولعل من مظاهر هذه السرية أن كثيرا من العقاقير كان لها أسماء لا يعرفها غير فئة من المختارين ، فمثلا سميت «الابسنت» بقلب الرحم ، و «الكروكوس» بدم هيراقل •• الخ، مما زاد فى صعوبة تفسير النصوص القديمة ، ومما يحمل على الظن بأن أدوية كثيرة نحسبها الآن خيـــالية أو سحرية ، وقـد كانت فى الحقيقة مفردات طبية عادية رمز اليها بأسماء سرية •

ولعل من الامثلة التى تبين لنا مدى صعوبة تفسير النصوص أن هناك نباتا يدعى بالمصرية «ميمى» ذهب البعض الى أنه «الخلة» ، وذهب آخرون الى أنه «الدوم» ، وذهب فريق ثالث الى أنه «كمون حبشى» ، على أن «جرابو» يشير الى أنه «القمح» ، بينما يشير «لوفيفر» من طرف خفى الى أنه «الذرة» ، وهناك لفظ مصرى آخر هو «ظرت» ذهب البعض الى أنه «الحنظل» ، وذهب آخـــرون الى أنه «الخروب» أو «الخرنوب» ، بينما ذهب فريق رابع الى أنه ربما يعنى القرع والحنظل، بينما حدده فريق خامس بالحنظل فقط •

---

(٥) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٤٤/١ـ٥٥٥، الحضارة الطبية ص ٢٣ ـ ٣٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧، يوليوس جيار ، ولويس ريتر : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة ص ٤٨ ـ ٥٢ ، حسن كمال : المرجع السابق ٢٣٩/٢ ـ ٢٦١ ، ٤٧٨ ـ ٤٩٤ ، محمد عبد الحميد : الفراعنة والطب الحديث ـ القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ وكذا
J. Capart, BIFAO, 30, 1931, p. 73.
وكذا J. Capart, une rue de Tombeaux..., Bruxelles, 1907, p. 51, Pl. 66.
وكذا P. Ghalioungui, Magic and Medical Science in Ancient Egypt, London, 1963, p. 92.
وكذا F. Daumas, BIFAO, LVI, 1957, p. 5.
وكذا J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 420-421.

وهكذا تتضارب آراء العلماء فى تفسير أسماء بعض النباتات المصرية، وليس لدينا غير وسيلتين يستعان بهما على فهم المدلول ، أولهما : الخصائص الطبية للعقار وفائدتها فى العلاج ، وثانيهما : المقارنة اللغوية بين المصرية والقبطية والعبرية والعربية •

وعلى أية حال ، فرغم أن العقاقير المصرية انما كانت نباتية وحيوانية ومعدنية،غير أن العقاقير النباتية انما كانت تشكل $\frac{5}{6}$ (خمسة أسداس) ما استعمله المصرى القديم من عقاقير ، وقد كان على رأس العقاقير النباتية المصرية نبات «دجم» الذى ربما كان «الخروع» ، وقد وجدت جذوره بمصر منذ عصور ما قبل التاريخ ، وقد أدرك المصريون خواصه الشفائية فاستعملوه فى جميع الامراض ، وأفردت له «بردية ايبرس» فصلا خاصا ، وأشارت الى استعمال بذوره كملين تمضغ مع الجعة ، وهذا اجراء سليم ، فالبذور سريعة الذوبان فى الكحول . والكحول يرسب بدوره المواد السامة ، كما استعمله القوم أيضا لامراض قشرة الرأس، ولعلاج سقوط الشعور ، وكدهان لحالات كثيرة •

هذا وكان لنبات «الخس» مكانة دينية خاصة ، وله علاقة وثيقة باله الاخصاب «مين» ، وقد أثبت العلم الحديث أن الخس يحتوى على فيتامين (هـ) الذى يفيد فى حالات العقم والضعف الجنسى ، كما أثبتت العلاقة الوثيقة بين هذا الفيتامين وبين هرمونات التناسل عند الذكر والانثى ، كما عرف القوم نبات «الخشخاش» بنوعيه كدواء مسكن منوم، كما عرفوا «الرمان» وهناك وصفة طبية لمستحلب مصنوع من جذور الرمان ، وأخرى من قشر الرمان لطرد الديدان المعوية ، كما استعملت قشور الرمان كمادة قابضة لعلاج القروح والجروح وأمراض النساء ، كما استعملت العصارة الليفية للجميز فى علاج الامراض الجلدية وخاصة الصدفية ، كما وصف الجميز للنزلة المعوية ، كما ذهب البعض الى أن اسم « تقعوت » بمعنى الجميز ، قد ورد مسهلا وملينا ، وضد التهاب اللثة ، وضد الاسقربوط ، كما وصف الاينسون (ينسون) بأنه منبه معدى عطرى معرق منفث ، مخرج للارياح ينفع لانتفاخ الامعاء يضاف للمسهل ضد المغص ، ومهدىء عام •

وقد أفردت بردية «ادوين سمث» فصلا للحلبة ، وقد كانت تستعمل علاجا لازالة تجاعيد الشيخوخة ، كما كان زيتها يستخلص لاستعماله دهانا لتجعدات الوجه عند النساء ، كما وصفت للثدى المريض موضعيا ، ولطرد الارواح الخبيثة كعلاج نفسى ، ولاسهال البطن ، كما وصف «الخيار» (شسبت) للقلب ووصف ورقه للحمى وللشلل النصفى الايسر، ولابعاد التهاب الشرج •

هذا وقد امتلأت البرديات الطبية بالعقاقير النباتية ، مثل السنط والابسنت والصبر واللوز والشبت والايسون والبابونيك (وزيته كان يستعمل فى التدليك) والخروب (لتقوية الباه وطرد الديدان وتحلية الادوية) والقرطم والشمشم (ويستعمل لعلاج الرمد) والكمون وحب الهان وعدة نباتات من فروع من فصيلة القرع والهندباء والتين والعرعر والحشيش والسكران والكتان والزئبق والفاح والنعناع والخردل المر وجوزة الطيب وحبة البركة والبلح والفستق والفجل والزعفران والبصل وغيرها •

وأما المواد الحيوانية فأهمها العسل (بيت) وقد وصف للامعاء والبطن وضد الدسنتاريا وضد التهاب العينين لتحسين الابصار وللحروق ، وهناك ألبان البقر والماعز والمرأة ، وقد اعتبر القوم لبن النساء عامة أرقى من لبن الحيوان ، كما كان يحلون لبن المرأة التى أنجبت ذكرا فى المرتبة الاولى ، وقد عرف أن «أبقراط» أوصى بعدهم كذلك باعطاء اللبن نفسه، كما فعل الاقباط وعرب مصر نفس الشيء بدورهم ، وهناك «كبد الثور»، وقد وصف ضد العشى ، كما ذهب «صابر جبرة» الى أن المصريين قد عالجوا الاجهاض المتكرر بالكبد ، وذلك بسبب وجود فيتامين (أ) فيه بكثرة ، وهناك «مرارة الثور» وقد وصفت ضد ثعبان البطن وكمرهم للحمرة ، وهناك رأس وصفراء بعض الاسماك والمخ ، ودهن الحيوانات وافرازاتها ، كما استعملت الدهون والشحوم الحيوانية كوسيلة لعلاج البشرة وتطرية الجلد وتغذيته ، اما خالصة أو مركبة مع غيرها •

واما المواد المعدنية فهى كالحجارة الكريمة (وخاصة الفيروز) والذهب

والفضة للطلاسم ، والشبة وأملاح الانتموان وكاربونات النوشادر والجير وصدأ النحاس (الزنجـار) وأملاح الحديد والمانيزيا وسلفـات الزئبق وأملاح الرصاص والبوتاسا والصودا ، وكانت العقاقير المعدنية تحتل المكان الثانى من دساتيرهم الدوائية ، رغم أنها تحتل المكان الاول من حيث تاريخ استعمالها[٦] .

---

(٦) حسن كمال : المرجع السابق ١/٣٠٥ ـ ٣٨٦ ، بول غليونجي : تاريخ الحضارة المصرية ١/٥٦١ ـ ٥٦٣ ، صابر جبرة : تاريخ العقـاقير والعلاج ـ القاهرة ١٩٦٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٨ ـ ٤٧٣ ، وكذا

H. Grapow, Op-Cit, 6, 1959, p. 20-22, 42-45, 156-158, 223-225, 305-306, 345-346. وكذا

L. Keimer, Op-Cit, 4, p. 34, 149. وكذا

B. Ebbell, Op-Cit, p. 210, 219, 226, 630, 741. وكذا

C. Leake, Op-Cit, p. 68-69 وكذا

V. Loret, Op-Cit, p. 86. وكذا

Rec. Trov., 15, 1893, p. 121. وكذا

JEA, 20, 1934, p. 41. وكذا

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 223. وكذا

F. Jonkeheere, Op-Cit, p. 60-64. وكذا

الفصل السابع

التحنيط

١ ـ تقـــديم

كان المصريون القدامى من أوائل الامم ، ان لم يكونوا ، أول أمة آمنت (عن طريق الفكر الانسانى) بالبعث ، والخلود بعد الموت فى حياة قد لا تختلف فى جوهرها عن حياتهم فى العالم الدنيوى ، حدث ذلك قبل التاريخ بآلاف السنين ، كما تشير الى ذلك بقايا أقدم حضارات العصر الحجرى الحديث ــ كما فى مرمدة بنى سلامة وفى حلوان العمرى وفى دير تاسا ــ[١] .

وليس هناك من شك فى أن بناء الاهرامات وغيرها من العمائر الدينية الضخمة فى العصور التــاريخية ، انما كان نتيجـــة سيطرة الدين على المصريين وأثره فى حياتهم وتفكيرهم ، فالدين ــ كان ومازال وسيظل ــ أكبر قوة تؤثر فى حياة الانسان ، كما انه كان منفذا للخيالات ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة به ، ذلك التغير الذى أوحى اليه بفكرة الخلود أو الحياة بعد الموت ، هذه الفكرة كان قد اعتنقها القوم ، وكان لها أكبر الاثر فى نفوسهم ، بل انه ــ فيما يرى برستد ــ لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم ، احتلت فى نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التى احتلتها فى نفس الشعب المصرى القديم[٢] .

هذا وقد اعتقد المصريون القدامى أن الانسان انما يتكون من جسد وروح ، وأن الجسد مصيره الى القبر بعد الموت ، وأما الروح فمصيرها الى السماء ، وكما جاء فى نصوص الاهرام : «ان الروح انما تذهب الى السماء بينما يبقى الجسد فى الارض ، ومن ثم فقد اعتقدوا أن هنـــاك ــ بجانب الجسد المادى (خت) ــ روحا نورانية شفافة هى (الآخ) تذهب الى السماء ، وتبقى فيها الى الابد مع الاله «أوزير» .

---

(١) أنظر (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٤٠٧ ـ ٤١٤) .

(٢) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 45.

وهناك روح أخرى هى «الكا» (أى القرين) تبقى بجوار الجسد فى مقبرته ، وفيما حوله على الارض ، وأن القرابين انما تقدم لها ، وهى فى نظر القوم ، الملاك الحارس للانسان ، أو التى كان المرء يستقبلها عند مولده بأمر من الاله «رع» ، كما كانوا يعتقدون أنه مادامت هذه «الكا» معه ، ومادام هو رب الكا ، وأنه يغدو منها ، فهو حى يرزق ، ولئن كان أحد لا يستطيع رؤية هذه «الكا» ، فالمعتقد أنها تشبه صاحبها تماما •

وهناك روح ثالثة هى «البا» ، والتى يمكن تسميتها بالروح الابدية، وهى اذا كانت تترك الجسد ، وتنفلت منه عند الموت ، فقد تخيلوهـا فى أشكال مختلفة ، فهى أحيانا كطير ، ومن ثم فمن المحتمل ـ فيمـا يرى القوم ـ أن تكون روح الميت طائرا بين طيـور الاشجار التى غرسها بنفسه ، وقد تكون فى هيئة زهرة اللوتس ، أو فى هيئة ثعبان يندفع من جحره ، أو فى هيئة تمساح يزحف من الماء الى الارض •

هذا وكان القوم يعتقدون أن «الباء» تلحق بموكب الشمس فى رحلتى الليل والنهار ، وأنها تزور الجسد فى رحلة النهار ، وأن كلا من «البـاء» و «الكاء» مرتبط بقاءهما وخلودهما ببقاء الجسد وخلوده ، كمـا أنهما تفنيان بفناء الجسد وفساده ، ولعل هذا هو السبب فى اهتمام القـوم بتحنيط أجساد موتاهم ، حتى تحتفظ بملامحها التى كانت لها فى الحياة الدنيـا(٣) •

٢ ـ التحنيـط

اعتقـد المصريون القـدامى أن الموت هـو انفصـال العنصر الجسمانى عن العنـاصر الروحية ، ومن هنـا كانت العنـاية بدفن جثث الموتى ، اذ أن فناءها معناه هلاك الروح ، ولهذا عملوا على المحافظة على جسد المتوفى حتى يستطيع أن يحيا حياته الثانية وأن يتمتع بما يودع الى جانبه من طعام وشراب وكساء وما يقدم له من قرابين،على أن القوم منذ أن بدأوا يدفنون موتاهم فى توابيت وفى غـرف من اللبن أو غرف محفورة فى الصخر ، تعرضت الجثث للتلف ، ذلك لان الرمال الحـارة

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤١٤ ـ ٤١٦ •

الجافة لم تعد تمتص ما فيها من رطوبة تعمل على فسادها ، ومن ثم فقد عملوا على الحفاظ على المظهر الخارجي للجثة بوسائل شتى ، منها لف الجثة بلفائف من الكتان تحتفظ بالشكل الخارجي للجسم أو تغشيها بغلاف من الجص ، وخاصة الوجه الذي ترسم عليه ملامحه ، أو تغطية الرأس بقناع من الكتان والجص معا تتشكل فيه ملامح الوجه ، وقد بلغوا بهذه الوسيلة غايتها في بداية الاسرة الثانية عشرة ، حيث صنعوا توابيت مخلقة على هيئة الميت يضعون فيها جثته ، ثم يضعونها داخل تابوت آخر من الخشب .

وهكذا لم يدخر القوم وسعا في الحفاظ على الجثة ، وان كان أهم وسائلهم في ذلك هو التحنيط ، بل لقد وصل اهتمام القوم بالحفاظ على الجسد سليما الى تعويض الاطراف المنزوعة أثناء الدفن بأخرى ، والى تركيب الجبائر الى الاطراف المكسورة بعد الموت ، ربما نتيجة لقلة العناية في أثناء التحنيط ، وكأنهم أرادوا علاجها بعد الوفاة ، ذلك لان العملية انما كانت دينية أكثر منها طبية ، وذلك حتى يمكن للروح أن تبقى وأن تتعرف على الجسد ، وتتمتع بما يقدمه الاحياء للميت من قرابين ، وما يصاحب عملية تقديم القربان من طقوس دينية وصلوات ودعاء ، ومن ثم فقد كانت للمقابر ، وخاصة في عهد الدولة القديمة والوسطى ، أبواب وهمية ، كانت أول الامر مجرد فجوة في الحائط ، تطورت فيما بعد الى رسم يسمح للمتوفى بالدخول والخروج من المقبرة ، كما نحتت كذلك فوق الباب الوهمي لوحة صور فيها المتوفى وأمامه مائدة القرابين .

والتحنيط : لغة استخدام الحنوط أو الحناط ، وهو كل طيب يمنع فساد الجسد أو هو كل ما يطيب به الميت من مسك وذريرة وصندل وعنبر وكافور ، وغير ذلك مما يذر عليه تطبيبا له وتجفيفا لرطوبته ، ولفظ "Embalm" يعني حنط من لفظ لاتيني Balasmum أي حفظ في البلسم ، أما لفظ موميا فقال عنها صاحب «أقرب الموارد» أنها دواء ، وربما أطلقت الموميا اليوم على ما حنط من الاجسام ، وهي يونانية معناها حافظ الاجسام ، ويطلق على الجسد المحنط مجازا اسم مومياء لما يعتريها من

سواد يشبه القار المعدنى (الاسفلت) ، وهو اللون المعروف للمادة التى وصفها «دسقوريدس» وذكر أنها تسمى «مومياء» ، ويذهب « الفــرد لوكاس» الى أن هذا اللفظ ربما كان لفظا فارسيا بمعنى القار ، وأنه أطلق فى العصور المتأخرة على الجثث المصرية المحنطة لقرب لونها من القار ، غير أن التسمية خاطئة ، ذلك لانه لم يعثر على قار الا فى مومياء واحدة من العصر الفارسى ، وان استعمل فى عصر الاغريق والرومان ، ولعل سواد القار والراتنج هما سبب هذا الخطأ الذى وقع فيه بعض الاثريين(٤) .

وأيا ما كان الامر ، فهناك آثار للتحنيط منذ الاسرة الاولى(٥) ، ثم لا نلبث أن نتبينها فى وضوح فى عصر الاسرة الثانية(٦) ، وقد كان من الممكن أن يتوافر لدينا الكثير من آثار التحنيط مرتبة يتلو بعضها بعضا ، لولا ما وقع على قبور الملوك والنبلاء من عدوان ، وما أصابها من تخريب على أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، وعلى أى حال ، فلقد كان الجسد فى الاسرة الاولى يلف فى طبقات سميكة من الكتان ثم سرعان ما ظهر فى عهد الاسرة الثانية ما يثبت بداية المحاولات الاولى للتحنيط الحقيقى ، وذلك باظهار ملامح المتوفى بالغة بأربطة الكتان بطريقة تسمح بالمحافظة على الشكل الحى للوجه والصدر والاطراف بعد تحلل الجسد فى هيكله العظمى وتقلصه ويبدو أن ذلك قد تحقق بغمس الكتان فى مادة صمغية حتى أن تلك الموميات التى ترجع الى الاسرة الثانية انما تكاد تبين مظهر أصحابها بوضوح ، فقد مثلت ملامح المتوفى بتفاصيلها ، وكذا أعضاء الرجال التناسلية ، وأبرزت تفاصيل الثديين للنساء فى صورة كاملة ، كما وضعت الجثث فى وضع القرفصاء،وفصلت الذراعان والرجلان والاصابع ولفت بحيث تأخذ شكلها الاصلى فى الحياة(٧) .

---

(٤) A. Lucas, Op-Cit, II, p. 338; R. Forbes, Studies in Ancient Technology, II, 1955, p. 99.

(٥) JEA, 7, p. 7-31.

(٦) A. Lucas, Ancient Egyptian Materials and Industries, II, London, 1948, p. 230.

(٧) W. B. Emery, Archaic Egypt, p. 162-164.

على أن القوم ، فيما يبدو ، انما قد توصلوا الى التحنيط بالمعنى الصحيح ومارسوه فعلا فى الاسرة الثالثة ، اذ وجدت من عصر هـذه الاسرة توابيت لحفظ المومياء ، وتوابيت أخرى بها أربعة أوان من المرمر لحفظ الاحشاء المحنطة ، كما وجدت بقايا من مومياء الملك «زوسر» فى غرفة الدفن الجرانيتية فى هرمه المدرج بسقارة[٨] .

ولعل أقدم مثال للتحنيط انما هو مومياء الملكة «حتب حرس» ، زوج الملك سنفرو ، وأم الملك خوفو ، وقد وجدت أحشاء هذه الملكة محنطة ومودعة فى صندوق من المرمر ، عرف باسم «الصندوق الكانوبى» ، وقد قسمت الى أربعة أقسام زود كل منها بمادة التحنيط ، وهى التى عثر عليها فى حجرة الدفن بمقبرتها ، شرقى الهـرم الاكبر ، غير أن طريقة التحنيط لم تكن فى الدولة القديمة قد وصلت الى درجة كبيرة من الاتقان، ومن ثم فقد عمد القوم وقت ذاك الى استكمال تمثيل ملامح الجسم بقماش كتان غمس فى راتنج منصهـر ، بحيث يبدو الوجـه والجسم بملامحه الحقيقية فى الحياة ، ولعل أبدع مثال لمومياء الدولة القـديمة هو مومياء «نفر» التى كشفت عنها هيئة الاثار فى سقارة عام ١٩٦٦م .

هذا وقد كانت عملية التحنيط تستغرق سبعين يوما ، كان الكهنة فى أثنائها يرتلون الصلوات ، وقد ارتدوا قناعا على شكل رأس ابن آوى ، وهو يمثل أنوبيس ، اله الجبانة وراعى الموتى ، والذى كثيرا ما كانوا يسمونه «رئيس خيمة الاله» ، وكان التحنيط يتم داخل حظيرة مؤقتة تفك عقب الانتهاء من الخطوات الاولى ، وهى الغسل ، وذلك فى أماكن مخصصة لذلك تقع فى الغرب قريبـا من مكان الدفن ، ونظرا للاهمية العقائدية لاماكن التحنيط ، فقد سميت «المكان الطاهر» و «دار الاله الطاهرة» و «خيمة الرب» و «كشك الاله» ، وبدهى أن التحنيط انما كان يستهدف فى الدرجة الاولى المحافظة على الجسد من عوامل البلى عن طريق تخفيضه ، ولكن ليس هناك من ريب فى أن هناك طرقا أخرى لمنع التعفن ، منها طريقة التبريد فى صفائح بعد تعقيم محتوياتها ، هذا فضلا

---

(٨) زكى اسكندر : التحنيط فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٧٣ ص١٠ .

عن طرائق التخليل والتمليح والتدخين والتجفيف ، كما أن هناك مواد كيميائية تمنع العفن كالجلسرين والكحول والزيوت الطيارة والتوابل وحامض الجاويك وثانى أكسيد الكبريت ، وأخيرا فان أقسام التشريح فى المستشفيات التعليمية تحفظ الجثث من العفن عن طريق حقنها بمواد مطهرة[٩] .

ولعل سائلا يتساءل : ما هى الوسائل التى استخدمها المصريون القدامى لتحنيط أجساد موتاهم بطريقة أذهلت الدنيا كلها بخاصة وأن جسم الانسان انما يحتوى على ٧٥٪ من وزنه ماء ، وأن اخراج هذه الكمية الهائلة من الجسم ليس بالامر السهل ؟

لقد قام جدل طويل حول اجابة سؤالنا هذا ، فذهب رأى الى أن القوم انما استعملوا حمام الملح بعد استخراج الاحشاء أثناء التحنيط ، فهناك ما يشير الى أنهم قد حفظوا الاسماك بطريق التمليح وذلك بسبب وفرة الملح ورخصه،ورغم أنه لم يعثر فى الموميات مايشير الى استخدامهم لهذه الطريقة فى التحنيط ، فليس هناك ما ينفى استعمالها ، فضلا عن العثور على الملح فى لفائف الجثث وفوق الملابس التى تنتمى الى العصر المسيحى[١٠] ، ومن ثم فقد ذهب «اليوت سمث» الى أن استعمال الملح فى التحنيط ، بل ان ملح الطعام انما كان أهم مواد التحنيط فى أغلب الاحايين[١١] .

على أن هناك ما يقف عقبة فى قبولنا لهذه الطريقة ، ذلك أن ملح النطرون انما يحتوى على نسبة عالية من ملح الطعام ، وعلى سبيل المثال فقد حوت عينات النطرون من الكاب ٧٥٪ من ملح الطعام ، ولعل الاتجاه السابق كان نتيجة لذلك ، وهذا يعنى انه اعتبر المادة الشائبة هى المادة الاصلية ، بينما اعتبرت مادتا الكربونات والبيكربونات الصودا ، على

---

(٩) حسن كمال : الطب المصرى القديم ٢/٥٦٢–٥٦٣ ،بول غليونجى: الحضارة الطبية فى مصر القديمة ص ٣٢ ، زكى اسكندر : المرجع السابق ص ١٠ .

(١٠) Warren Dawson, Magician and Leech, London, p. 39.

(١١) G. E. Smith and W. Dowson, Egyptian Mummies, p. 168.

أنها شوائب ، رغم أن الحقيقة عكس ذلك تماما ، ولعل هذا هو الذى دفع بعض الباحثين الى اعتبار مومياء الملك مرنبتاح مكسوة بملح الطعام بسبب غرقه فى البحر ، على اعتبار أنه فرعون موسى ، غير أن التحليل الكيميائى قد أثبت أن كمية الملح قليلة ، وانطلاقا من هـذا كله ، فقد استبعدت طريقة التمليح من أن تكون الطريقة العادية فى التحنيط(١٢) •

وهناك وجه آخر للنظر يذهب الى أن القوم قد عرفوا طريقة التدخين، اعتمادا على العثور على حجرة فى مقابر طيبة وقد امتلأت بالجثث حتى سقفها ، هذا فضلا عن حجرات مجاورة كسيت جدرانها بطبقة من الهباب، مما يشير الى تجفيف الجثث عن طريق الحرارة البطيئة (التدخين)(١٣) ، على أن هناك من يعارض هذا الاتجاه ، على أساس أنه من غير الممكن أن عددا كبيرا من القوم قدموا جثث موتاهم بهذا العدد الضخم دفعة واحدة، ومن ثم فان وجود الهباب انما يشير الى استخدامه فى تطهير المقابر ، هذا فضلا عن أن كلا من هيرودوت وديودور لم يذكرا شيئا عن تجفيف الجثث عن طريق التدخين •

وهناك وجه ثالث يذهب الى استعمال الجير الحى فى التحنيط لازالة الجلد ثم التأثير عليه بعد ذلك بنبيذ التمر ، وأن هناك من وجد كربونات الجير فى بعض الموميات بنسبة ٦ر٨٪ ، غير أن «لوكاس» يرى أنه ليس هناك من دليل على استعمال المصريين للجير الحى فى التحنيط ، او فى اى غرض آخر قبل العصر البطلمى(١٤) •

على أن هناك وجها رابعا للنظر يذهب الى استعمال النطرون كمادة أساسية فى التحنيط ، وقد عثر على النطرون فى عدة مقابر ، كما فى مقابر «يويا» و «توبا» والدى الملكة تى ، زوج أمنحتب الثالث وأم اخناتون، وفى مقبرة من الاسرة الحادية والعشرين ، كمـا عثر على أكياس مليئة بالنطرون فى مقبرة «توت عنخ أمون» ، الى جانب أكياس بها نطرون فى

---

(١٢) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٦٤ •

(١٣) S. Yeivin, Liverpool Annals, XIII, 1926, p. 15.

(١٤) A. Lucas, Op-Cit, p. 313.

صدر بعض المومیات ، هذا فضلا عن العثور على لفائف مومیات من عصر الاسرة الثانية عشرة مشبعة بالنطرون ، بل لقد وجد نطرون داخل جمجمة طفل فى مقبرة أمنحتب الثانى ، وعلى أى حـــال ، فهناك ما يشير الى استعمال النطرون من عصر الاسرة الرابعة وحتى العصر الفارسى[١٥] •

ولعل سؤال البداهة الان : كيف تتم عملية التحنيط ؟

يروى هيرودوت أنه «اذا ما مات مصرى ذو قدر لطخت كل نساء بيته الرأس أو الوجه بالطين ، ثم يتركن الجثـــة فى الدار ، ويجلن فى المدينة لاطمات ، وقد شمرن وكشفن عن صدورهن ومعهن كل «قريباتهن» ثم يحملون الجثة الى المحنطين الذين يعرضون عليهن نماذج ثلاثة لجثث مصنوعة من الخشب ، تمثل أنواع التحنيط الثلاثة ، وأغلاها الطريقة التى اتبعت فى تحنيط أوزير ، والطريقة الثانية أقل تكلفة ، وأما الطريقة الثالثة فهى أقل ما يمكن عمله ولا تكلف الا القليل من المال فاذا ما اتفق الطرفان تسلم المحنطون الجثة ، ثم يبدأون فى اخراج بعض المخ من المنخـ ارين بواسطة قطعة معقوفة من الحديد ، والبعض الاخر بفضل عقاقير يصبونها فى الرأس ، ثم يشقون الكشح بحجر أثيوبى مسنون (ولعله حجر الصوان) ويخرجون الاحشاء كلها ثم ينظفونها ويغسلونها بنبيذ التمر ، ثم يطهرونها بالتوابل المجروشة ، ثم يملأ الجوف بمر نقى مسحوق ودار صينى وسائر أنواع الطيب ، ما عدا البخور ، ثم يخيطونها ثانية ، ثم يملحون الجثـــة بتغطيتها بالنطرون سبعين يوما ، فى نهايتها تغسل الجثة ثم يلف الجسم كله بشرائط الكتان الشفاف ، ثم يسلمون الجثة لاصحابها ، ويعملون لها هيكلا خشبيا على هيئة انسان ويضعونها فيه ، وبعد اغلاقه عليها يحفظونها بعناية فى غرفة الدفن ويقيمونها مسندة الى حائط» •

هذه هى الطريقة الاولى الغالية الثمن ، وأما الثانية فتتم بأن يملأ المحنطون الحقن بزيت الصنوبر لملأ جوف الجثة دون أن يشجوها ، ودون

---

(١٥) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٦٤ ــ ٥٦٥ •

أن يستخرجوا الاحشاء ، ولكنهم يضعون الزيت من الشرج ويسدونه بعد ذلك حتى لا ينساب الزيت منه ، ويملحون الجثة أياما عدتها سبعون يوما ، وفى نهايتها يخرجون الزيت من الجوف ، وهذا الزيت قوته عظيمة، حتى أنه يجرف معه الاحشاء والمصارين التى تكون قد تحللت ، أما اللحم فيذيبه النطرون ، ومن ثم لا يبقى من الجثة سوى الجلد والعظام ، ثم يردون الجثة الى أهلها دون أية عناية أخرى •

وأما الطريقة الثالثة والتى كانت تستخدم لمن هم أقل ثراء ، فقد كان المحنطون يغسلون الجوف بماء الفجل ، وتترك الجثة فى الملح سبعين يوما، ثم ترد لاصحابها ليذهبوا بها الى المقبرة(١٦) •

وعلى أى حال ، فان دراسة الجثث انما تشير الى أن معظم ما جاء فى رواية هيرودوت انما هو صحيح الى حد كبير ، كما أن هناك ما يشير الى أن عملية التحنيط قد تطورت فى العصور المختلفة الى أن بلغت ذروتها فى عصر الدولة الحديثة،ويعتبر موميات الملوك تحوتمس الاول وأمنحتب الثانى وسيتى الاول ورعمسيس الثانى والملكة نزمت من أروع الامثلة على مدى اتقان القوملعملية التحنيط ونجاحهم فى احتفاظ الجسم بملامحه وأنسجته الاصلية •

وتتفق طريقة تحنيط الملوك والاشراف فى ذلك العصر فى كثير من تفاصيلها مع أغلى طريقة شرحها هيرودوت،وتتلخص فى الخطوات التالية:

١ ــ تنقل الجثة الى معمل التحنيط ، والذى كان يسمى « بيت التطهير» (بروعبت) أو البيت الجميل (برنفر) حيث تنزع ملابسها ثم توضع على لوحة خشبية لاجراء العمليات الجراحية لاستخراج المخ ، الامر الذى يتم عادة عن طريق الانف ، وربما عن طريق الثقب الاعظم بواسطة قضيب ملوى من النحاس أو البرونز على شكل ملعقة ، وفى كلا الحالتين كان المخ يهتك بسبب ضخامة حجمه وضآلة فتحة اخراجه ،

---

(١٦) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٩٢ ــ ١٩٧ •

والعملية رغم أنها شاقة فهى ضرورية لان المخ من أوائل الانسجة التى تتعفن بعد الوفاة •

٢ ــ تستخرج الاحشاء الباطنية عن طريق شق فى الجانب الايسر من البطن ، ثم تستخرج الامعاء فالكبد فالطحال ، أما الكليتان فتتركان عادة فى مكانهما ، ثم يشق الحجاب الحاجز لاستخراج الرئتين ، أما القلب وأوعيته الدموية فتترك مكانها •

٣ ــ ينسن تجويف البطن والصدر بنبيذ البلح والتوابل ، وهو اجراء لا يترك أثرا ظاهريا على المومياء •

٤ ــ تغسن الاحشاء بعد تعتيمها ، وذلك بوضع كل جزء منها فى ملح نطرون جاف على سرير صغير مائل الى ان يستخلص كل الماء الذى بها وتجنف تماما ، ثم تعالج بالزيوت العطرية والراتنج المنصهر ، وتلف فى أربع لفافات مستقلة ، توضع كل منها فى بعض الاحيان فى تابوت صغير من الذهب كتابوت أحشاء توت عنخ أمون ، أو من الفضة كتابوت أحشاء شيشنق ، ثم توضع هذه التوابيت (أو اللفافات بدون توابيت غالبا) فى أربعة أوان تسمى «الاوانى الكانوبيه» أغطيتها يحمل كل منها اسم أحد أولاد حورس الاربعة ، وقد شكلت رؤوس هذه الاوانى على شكل رأس آدمى حتى أخريات أيام الاسرة الثامنة عشرة ، ثم شكلت بعد ذلك طبقا للاشكال الفعلية لاولاد حورس الاربعة ، فالكبد يوضع فى اناء غطاؤه على شكل «ايمستى» ، والرئتان توضع فى اناء غطاؤه على شكل «حابى» والمعدة فى اناء على شكل «دواموت اف» ، ثم الامعاء فى اناء على شكل «قبح سنو اف» (وأما أشكال أولاد حورس فكان ايمستى على شكل رأس آدمى ، وكان حابى على شكل رأس قرد ، وكان دواموت اف على شكل رأس ابن آوى ، وكان قبح سنواف على شكل رأس صقر)، وأخيرا كانت الاوانى الكانوبية توضع فى صندوق للاحشاء يعلوه أحيانا تمثال أنوبيس ، اله الجبانة والتحنيط •

ولعل من الجدير بالاشارة أن الاحشاء كانت على أيام الاسرة الحادية والعشرين تنظف وتلف بكتان ثم تعاد الى مكانها الطبيعى ، كما كانت فى

الحياة الدنيا ، وأما أولاد حور الاربعة فكانت تصنع لهم تماثيل من الشمع ثم توضع فى الاحشاء التى كانت تحميها ، كما كانت البطن تملأ فى أكثر الحالات بالنشارة ، وفى قلة منها بالراتنج •

٥ ــ كان الفراغان البطنى والصدرى يحشوان بمواد حشو مؤقتة من ثلاثة أنواع من اللفافات ، الاولى بها نطرون لاستخلاص ماء الجسم من الداخل ، والثانية من الكتان لامتصاص الماء المستخرج ، والثالثة من الكتان كذلك ولكنها تحتوى على مواد عطرية لاكساب الجسم رائحة طيبة أثناء عملية التحنيط الرئيسية •

٦ ــ يقفل مكان فتحة البطن بالخياطة أو تختم بمادة راتنجية أو شمعية ، كما تقفل كذلك فتحات الفم والانف والاذن والعيون ، ولزيادة المحافظة على الملامح كان المحنطون يغطون الوجه والفم والخدان بكتان مغموس بالنطرون والدهنيات •

٧ ــ كانت الفكرة الرئيسية للتحنيط هى تجفيف الجثة لمنع الميكروبات اللاهوائية من النمو على أنسجتها ، ومن ثم فقد كانت الجثة توضع بعد استخراج أحشائها وغسلها فى كوم من النطرون الجاف ، وربما ملح الطعام الجاف ، على سرير التحنيط ، وهو سرير مائل من الحجر فى نهايته فتحة صغيرة تؤدى الى حوض تجمع فيه السوائل التى تستخرج من الجثة نتيجة لعملية الانتضاح ، وتستغرق هذه العملية سبعين يوما يظل الجسم فيها مغموسا فى النطرون ، وقد ذكرت تلك السبعون يوما على الاثار المصرية ، ومن ثم فاننا نقرأ على غطاء تابوت بالمتحف المصرى «أنت يا من مكثت سبعين يوما بالمنزل الجميل ، سبعون يوما راقدا فى المكان ، سبعون يوما حدادا» •

٨ ــ تستخرج الجثة بعد ذلك من النطرون وتغسل بالماء وتجفف بالمنشفات ، وقد تغسل بسائل آخر مثل نبيذ التمر ، وكانت الاصابع غالبا ما تصبغ بالحنة ، كما كان يحشى تجويف الجمجمة بالراتنج أو بالكتان المشبع بالراتنج ، ويحشى تجويفا الصدر والبطن بمواد مثل

الانسيون والمر والكاشية (خيار شبر) ومواد عطرية أخرى ، فضلا عن الكتان أو الكتان المغموس فى الراتنج ، وبالنشارة المشبعة بالراتنج أو بالتراب والنطرون ، وقد يضاف الى ذلك بصلة أو بصلتان ، ثم كانت تشد حافتا الشق البطنى الى جانب بعضهما ، ويثبت على الشق لوح معدنى أو من شمع النحل على شكل عين حور ، ثم يثبت هـذا اللوح المعدنى فى موضعه على الشق براتنج منصهر لسد شق البطن ، وأحيانا كان الشق يخاط بخيط من الكتان .

٩ — يدهن كل جسم المتوفى بزيت الارز ودهانات عطرية أخرى ، وكذلك كل سطحه بمسحوق المر والقرفة لاكسابه رائحة عطرة .

١٠ — تسد فتحتا الفم والانف والاذنين بقطع من قماش الكتان المغموس فى الراتنج المصهور ، أما العينان فكان يوضع بكل منهما قطعة من هذا القماش المشبع بالراتنج تحت الجفن ثم تجذب الجفنان على الحشو ، لكى تبدو العينان غير غائرتين ، وانما فى مستواهما الطبيعى فى الحياة بقدر المستطاع ، وفى عهد الاسرة الحادية والعشرين استعملت العيون الصناعية وحشيت العضلات بالراتنج وبالكتان مع الراتنج للحفاظ على الشكل الظاهرى ، أما القطران فقد استعمل بعد ذلك وحده أو ممزوجا مع الراتنج .

١١ — تعالج الجثة كلها براتنج منصهر بواسطة فرشة عريضة لاكساب الجثة صلابة ولسد مسام الجسم حتى لا تتعرض أنسجته لتأثير الرطوبة مرة أخرى ، ومن ثم لا تتمكن بكتريا التعفن من العيش على أنسجته .

١٢ — تزين جسم المتوفى بالحلى ، وقد وجدت على مومياء توت عنخ أمون ١٤٣ قطعة من الحلى المختلفة من الخواتم والاقراط والعقود والاساور والصدريات والتمائم المختلفة ، كما وضعوا فى بعض الاحوال حزاما من الخرز فى وسطه دلاية على شكل صقر جاثم من العقيق الاحمر بحيث يقع فوق شق التحنيط كتميمة لحماية الشق ووقايته ، ثم يلف

الجسم كله بلفائف من الكتان التى تلصق بعكسها بالراتنج المعطر ، وقد لفت جثة توت عنخ أمون بست عشرة طبقة من الكتان .

١٣ — تجرى على المومياء — بعد انتهاء كل العمليات السابقة والطقوس التى تصاحبها — عملية «فتح الفم» التى يلمس فيها الكاهن الاعظم فم المومياء بقضيب خاص ويقول له «أنت الان ترى بعينيك ، وتسمع بأذنيك ، وتفتح فمك لتتكلم وتأكل ، وتحرك ذراعيك وساقيك ، أنت تحيا ، أنت الان حى ، وقد عدت صغيرا مرة أخرى ، وستعيش الى الابد»(١٧) .

---

(١٧) زكى اسكندر : المرجع السابق ص ١١ — ١٦ ، حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٦٥ — ٥٦٨ ، بول غليونجى : المرجع السابق ص ٣٥ — ٣٨ ، محمد عبد الحميد : الفراعنة والطب الحديث ص ٢٠٧ — ٢٢٧ ، يوليوس جيار ريتر : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة ص ١٠٢ — ١٤٢ ،
وكذا G. E. Smith and W. Dawson, Op-Cit, p. 168.
وكذا A. Zaki and Z. Iskander, ASAE, 42, 1943, p. 223-255.
وكذا W. Dawson, JEA, 13, 1927, p. 40-49.
وكذا A. Lucas, Op-Cit, p. 270-320.
وكذا E. Smith, The Royal Mummies, Le Cairo, 1912.
وكذا H. S. Bakry, A brief Study of Mummificationfl Cairo, 1965.
وكذا S. Sauneron, lc rituel de L'embaumcment, le Cario, 1962.
وكذا Z. Iskander and A. E. Shaheen, Temporary Stuffing Materials used in The Process of Mummification, Part, I, Asaf, T. LVII, Cairo, 1964, p. 197-208.
وكذا ASAE, 30, 1930, p. 102-104, 40, 1940, p. 233.
وكذا JEA, 18, p. 177.



المراجـــع المختـــارة

أولا : المراجع العربية

الدكتور أحمد بدوى : فى موكب الشمس ـ جزءان ـ القاهرة ١٩٥٥/٥٠ ٠

الدكتور أحمد بدوى والدكتور محمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ـ الجزء الاول ـ القاهرة ١٩٧٤ ٠

الدكتور أحمد فخرى : مصر الفرعونية ـ القاهرة ١٩٧١ ٠

الدكتور أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى ـ الادب المصرى القديم ـ القاهرة ١٩٦٢ ٠

الدكتور أحمد فخرى : الاهرامات المصرية ـ القاهرة ١٩٦٣ ٠

الدكتور بول غليونجى : طب وسحر ـ القاهرة ١٩٦٠م ٠

الدكتور بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى الطب عند قدماء المصريين ـ القاهرة ١٩٦٢م ٠

الدكتور بول غليونجى ، وزينب الدواخلى : الحياة الطبية فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٦٥م ٠

الدكتور حسن كمال : الطب المصرى وقديم (أربعة أجزاء) ـ القاهرة ١٩٦٤م ٠

زكى اسكندر : التحنيط فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٧٣ ٠

الدكتور سليم حسن : الادب المصرى القديم ـ جزءان ـ القاهرة ١٩٤٥ ٠

الدكتور سيد توفيق : معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية ـ القاهرة١٩٨٤٠

الدكتور عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ـ القاهرة ١٩٦٦ ٠

الدكتور عبد الحميد زايد : الرمز والاسطورة الفرعونية ـ عالم الفكر ـ الكويت ١٩٨٥ ٠

الدكتور عبد الحميد سماحة : تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى الفلك عند المصريين القدماء ـ القاهرة ١٩٦٢ م٠

الدكتور عبد العزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى الرياضيات فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٦٢ ٠

الدكتور عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ـ الجزء الاول ـ القاهرة ١٩٦٢ ·

الدكتور عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ـ الجزء الاول ـ القاهرة ١٩٦٧ ·

الدكتور عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٦٦ ·

الدكتور عبد المنعم ابو بكر : أساطير مصرية ـ القاهرة ١٩٥٤ ·

الدكتور محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة الاسكندرية ١٩٦٦ ·

الدكتور محمد بيومى مهران : مصر ـ الجزء الاول ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ·

الدكتور محمد بيومى مهران : مصر ـ الجزء الثانى ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ·

الدكتور محمد بيومى مهران : مصر ـ الجزء الثالث ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ·

الدكتور محمد بيومى مهران : اخناتون ـ عصره ودعوته ـ القاهرة ١٩٧٩·

الدكتور محمد بيومى مهران : اسرائيل ـ الجـزء الثالث ـ الاسكندرية ١٩٧٩ ·

ممحمد عبد الحميد بسيونى : الفراعنة والطب الحديث ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٩ ·

محرم كمال : الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء ـ القاهرة ١٩٦٢ ·

الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القـديم ـ الجزء الاول والثانى ـ الاسكندرية ١٩٦٦ ·

الدكتور نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ـ الاسكندرية ١٩٦٦ ·

ثانيا : المراجع المترجمة

أدولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومحرم كمال ـ القاهرة ١٩٥٣ ·

الكسندر شارف : تاريخ مصر ـ ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ـ القاهرة ١٩٦٠

الن جاردنر : مصر الفراعنة ـ ترجمة نجيب ميخائيل ـ القاهرة ١٩٧٣ ·

جورج سارتون : تاريخ العلم ـ مصر ـ ترجمة الدكتور مصطفى الامير ـ القاهرة ١٩٦٣م ٠

جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى ـ ترجمة على حافظ ـ القاهرة ٠

جون ويلسون : الحضارة المصرية ـ ترجمة أحمد فخرى ـ القاهرة ١٩٥٦ ٠

جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ـ ترجمة سليم حسن ـ القاهرة ١٩٥٦ ٠

سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة ـ ترجمة زينب الكردى ـ القاهرة ١٩٧٥ ٠

يوليوس جيار ، ولويس ريتر : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة ـ ترجمة انطون زكرى ـ القاهرة ٠

ثالثا : المرجع الاجنبية

Anthes, (R.), JNES, 16, 1957, p. 176-190.

Barta, (W.), MDIK, 21, 1971, p. 35-145.

Bissing, (F. W. Von), Altagyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955.

Bottero, (J.), Cassin, (E.), and Vercoutter, (J.), The Near East, The Early Civilization, London, 1967.

Breasted, (J. H.), A History of Egypt, New York, 1946.

Breasted, (J. H.), The Edwin Smith Surgical Papyrus, Chicago, 1930.

Brunner - Traut, (E.), Altagyptische Marchen, Dusseldorf-Cologne, 1965.

Brunner - Traut, (E.), ZAS, 94, 1967, p. 6-15.

Brunner, (H.), Altagyptische Erziehung, Wiesbaden, 1957.

Budge, (E.A.W.), Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in The Britsh Museum, London, 1910.

Chace, Ludlow Bull, Henry Parker Manning, and Raymond Clare Archibald, The Rhind Mathematical Papyrus, (2 Vol, Oberlin, Ohio, 1927-1929).

Dawson, (W.), JEA, 14, 1928, JEA, 20, 1934.

Davaud, (E.), Les Maximes de Ptahhotep, Fribourg, 1916.

Dawson, (W. R.), Making a Mummy, in JEA, XIII, 1927.

Dawson (W. A.), and Gray (P. H. K.), Mummies and Human remains British Museum, London, 1963.

Drioton, (E.), et Vandier (J.) L'Egypte, Paris, 1962.

Drioton, (E.), RdE, 12, 1960, p. 90-91.

Ebbell, (B.) The Ebers Papyrus, Copenhagen, 1937.

Edel, (E.), MIO, I, 1953, p. 210-226.

Edgerton, (W. F.), Chronology of The Twelfth Dynasty, in JNES, I, 1942.

Emery, (W. B.), Archaic Egypt, (Penguin Books), 1963.

Erman, (A.), The Literature of The Ancient Egyptians, Trans. into English by A. M. Blackman, London, 1927.

Faulkner, (R. O.), Wente, (E. F.), and Simpson, (W. K.), The Literature of Ancient Egypt, London, 1977.

Faulkner, (R. O.), JEA, 50, 1964, p. 24-36, JEA, 51, 1965, p. 53-62.

Federn, (W.), JEA, 36, 1950, p. 48-50.

Forbes, (R.), Studies in Ancient Technology, II, London, 1955.

Garstang, (J.), The Bural Customs of Ancient Egypt, London, 1907.

Gardiner, (A. H.), The House of Life, JEA, 24,

Gardiner, (A. H.), The Admanitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909.

Gardiner, (A. H.), JEA, I, 1914, p. 20-36.

Gardiner, (A. H.), JEA, 1914, p. 100-106.

Gardiner, (A. H.), JEA, 9, 1923, p. 5-25.

Gardiner, (A. H.), JEA, 32, 1946, p. 71-74.

Gardiner, (A. H.), JEA, 37, 1951, p. 109-110.

Gardiner, (A. H.), JEA, 45, 1959, p. 12-15.

Gardiner, (A. H.), Hieratic Papyri in The British Museum, Third Series : Chester Beaty Gift 2, London, 1935.

Gardiner, (A. H.), Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961.

Ghalioungui, (P.), Magic and Medical Science in Ancient Egypt, 1963.

Golenischeff, (W.), Les Papyrus hieratiques Nos : 1115, 1116A et 1116B de L'Ermitage imperial a St-Petersbourg, St-Petersbourg, 1916.

Goedicke, (H.), JARCE, 7, 1968, p. 15-21.

Grapow, (Herman), Grundrisse der Medezin der Alten Agypter, Berlin (1958-1962).

Griffith, (F. L.), JEA, 12, 1926, p. 191-231.

Gunn, (B.), The Instructions of Ptah-Hotep and The Instructions of Ke'gemni, The Oldest books in The World, London, 1912.

Hayes, (W. C.), The Scepter of Egypt, 2 Vols, New York, 1953-1959.

Harris, (J. E.) and Weeks (K. R.), X-Raying The Pharaohs, New York, 1973.

Helck, (W.), Der Text der lehre Amenemhets, I, fur Seinen Sohn, Wiesbaden, 1969.

Hermann, (A.), Altagyptische Liebesdichtung, Wiesbaden, 1959.

Hermann, (A.), OLZ, 42, 1939, p. 141-153.

Humbert, (P.), Recherches sur les Sources de la Litterature Sapientiale d'Israel, Neuchatel, 1929.

Iskander, (Z.), and Shaheen, (A. E.), Temporary Stuffing Materials used in The Process of Mummification, Cairo, 1964.

Lefebvre, (G.), Romans et Contes Egyptiens de L'epoque Pharaonique, Paris, 1949.

Lefebvre, (G.), La Medicine de L'Epoque Pharaonique Paris, 1956.

Lichtheim, (Miriam), Ancient Agyptian Literature Vol. I, London, 1975. Vol. II, London, 1976.

Lopez, (J.), RdE, 15, 1963, p. 29-33.

Lucas, (A.), Ancient Egyptian Materials and Industries London, 1948.

Moller, (G.), Hieratische Lesetucke fur den akademischen Gebrauch 3, Berlin, 1961.

Muller, (D.) ZAS, 94, 1967, p. 117-123.

Parker, (R. A.), The Calendars of Ancient Egypt, Chicago, 1950.

Parker, (R. A.), JNES, 16, 1957.

Peet, (T. E.), The Rhind Mathematical Papyrus, Liverpool, 1923.

Peet, (T. E.), A Comparative Study of The Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamis, London, 1931.

Peterson, (B. J.), JEA, 52, 1966, p. 120-128.

Posner, (G.), la Premiere domination Perse en Egypte, le Caire, 1936.

Posener, (G.), Litterature et Politique dans L'Egypte le la XIIe dynastie. Bibliotheque de l'Ecole des Hautes Etudes 307 Paris, 1958.

Posener, (G.), RdE, 6, 1951, p. 32-33 .

Posener, (G.), RdE, 18, 1966, p. 45-62.

Posener, (G.), ZAS, 99, 1973, p. 129-135.

Posener, (G.), Anmuaire du College de France, 62, 1962, p. 290-295.

63, 1963, p. 303-305.

64, 1964, p. 305-307.

65, 1965, p. 343-346.

66, 1966, p. 342-345.

Riad, (Naguib), La Medecine au Temps des Pharaons, Paris, 1955.

Sauneron, (S.), le rituel de L'embaumement, le Cario, 1952.

Simpson, (D. C.), JEA, 12, 1926, p. 232-239.

Smith (E.), The Royal Mummies, le Cairo, 1912.

Smith, (G. E.) and Dawson (W. R.), Egyptian Mumies, London, 1924.

Sloley, (R. W.), The Origin of The 365-day Egyptian Calendar, in ASAE, XLVIII, 1949.

Till, (W. C.), Arzneikunde der Kopen, Berlin, 1951.

Vercoutter, (J.), L'Egypte Ancienne, Paris, 1963.

Williams, (R.), JEA, 48, 1962, p. 49-56.

Williams, (R.), in Essays in Honour of T. J. Meek, Tornto, 1964, p. 16-19.

Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 12-13.

Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 412-425.

Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 441-446.

Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 467-469.

Wilson, (J. A.), The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963.

Wreszinski, (W.), The Text of Papyrus Ebres, Leipzig, 1913.

Yoyotte, (J.), BSFE, 11, 1952, p. 67-72.

Zaba, (Z.), Les Maximes de Ptahhotep, Prague, 1956.

Zaki, (A.), and Iskander, (Z.), Matrials and Method used for Mummifying the Body of Amentefnekht at Saqqara in ASAE, XLII, 1943.

Zaki, (A.), and Iskander, (Z.), ASAE, 42, 1943.

فهرست الموضـــوعات

الكتـــاب الاول

الادب المصرى القـــديم

الفصل الاول :

الفصل الثانى :

الفصل الثـــالث :

الكتـــاب الثـــانى

العــــــــلوم